

السيرة النبوية

عَرْضُ وَقَائِعٍ وَتَحْلِيلُ أَحْدَاثٍ



libya-web.net

الجزء الأول

الدكتور علي محمد الصّدّوقي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران: 102].

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء: 1].

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب: 70-71].

يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، ولك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضى، أما بعد:

فإن دراسة الهدى النبوي أمر له أهميته لكل مسلم، فهو يحقق عدة أهداف من أهمها: الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم من خلال معرفة شخصيته وأعماله وأقواله وتقريراته، وتكسب المسلم محبة الرسول صلى الله عليه وسلم وتنميها وتباركها، ويتعرف على حياة الصحابة الكرام الذين جاهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتدعوه تلك الدراسة لمحبتهم والسير على نهجهم واتباع سبيلهم، كما أن السيرة النبوية توضح للمسلم حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، بدقائقها وتفصيلها، منذ ولادته وحتى موته، مروراً بطفولته وشبابه ودعوته وجهاده وصبره، وانتصاره على عدوه، وتظهر بوضوح أنه كان زوجاً وأباً وقائداً ومحارباً، وحاكماً، وسياسياً ومربياً وداعية وزاهداً وقاضياً، وعلى هذا فكل مسلم يجد بغيته فيها⁽¹⁾ فالداعية يجد له في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أساليب الدعوة، ومراحلها المتسلسلة، ويتعرف على الوسائل المناسبة لكل مرحلة من مراحلها، فيستفيد منها في اتصاله بالناس ودعوتهم للإسلام، ويستشعر الجهد العظيم الذي بذله رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل إعلاء كلمة الله، وكيفية التصرف أمام العوائق والعقبات، والصعوبات وما هو الموقف الصحيح أمام الشدائد والفتن؟ ويجد المربي في سيرته صلى الله عليه وسلم دروساً نبوية في التربية والتأثير على الناس بشكل عام، وعلى أصحابه الذين رباهم على يده وكلاهم بعنايته، فأخرج منهم جيلاً قرآنياً فريداً، وكوّن منهم أمة هي خير أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتؤمن بالله، وأقام بهم دولة نشرت العدل في مشارق الأرض ومغاربها، ويجد القائد المحارب في سيرته صلى الله عليه وسلم نظاماً محكماً، ومنهجاً دقيقاً في فنون قيادة الجيوش والقبائل والشعوب والأمة، فيجد نماذج في التخطيط واضحة، ودقة في التنفيذ بينة،

¹ (?) انظر: السيرة النبوية دراسة وتحليل، د. محمد أبو فارس، ص 50.
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

وحرصاً على تجسيد مبادئ العدل وإقامة قواعد الشورى بين الجند والأمراء والرعي والرعية، ويتعلم منها السياسي كيف كان صلى الله عليه وسلم يتعامل مع أشد خصومه السياسيين المنحرفين، كرئيس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول الذي أظهر الإسلام وأبطن الكفر والبغض لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكيف كان يحوكم المؤامرات، وينشر الإشاعات التي تسيء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لإضعافه وتغيير الناس منه، وكيف عامله صلى الله عليه وسلم، وصبر عليه وعلى حقه، حتى ظهرت حقيقته للناس فنبذوه جميعاً حتى أقرب الناس له وكرهوه والتفوا حول قيادة النبي صلى الله عليه وسلم.

ويجد العلماء فيها ما يعينهم على فهم كتاب الله تعالى؛ لأنها هي المفسرة للقرآن الكريم في الجانب العملي، ففيها أسباب النزول، وتفسير لكثير من الآيات فتعينهم على فهمها، والاستنباط منها، ومعايشة أحداثها فيستخرجون أحكامها الشرعية، وأصول السياسة الشرعية، ويحصلون منها على المعارف الصحيحة في علوم الإسلام المختلفة، وبها يدركون الناسخ والمنسوخ وغيرها من العلوم، وبذلك يتدققون روح الإسلام ومقاصده السامية، ويجد فيها الزهاد معاني الزهد وحقيقته ومقصده، ويستقي منها التجار مقاصد التجارة وأنظمتها وطرقها، ويتعلم منها المبتلون أسامي درجات الصبر والثبات، فتقوى عزائمهم على السير في طريق دعوة الإسلام وتعظم ثقتهم بالله عز وجل، ويوقنوا أن العقابة للمتقين⁽¹⁾.

وتتعلم منها الأمة الآداب الرفيعة، والأخلاق الحميدة، والعقائد السليمة، والعبادة الصحيحة، وسمو الأخلاق، وطهارة القلب، وحب الجهاد في سبيل الله، وطلب الشهادة في سبيله؛ ولهذا قال علي بن الحسن: «كنا نعلم مغازي النبي صلى الله عليه وسلم كما نعلم السورة من القرآن» سمعت محمد بن عبد الله يقول: سمعت عمي الزهري يقول: «في علم المغازي علم الآخرة والدنيا»⁽²⁾.

وقال إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص: «كان أبي يعلمنا مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم يعدها علينا ويقول هذه ماثراً أبائكم فلا تضيعوا ذكرها»⁽³⁾.

إن دراسة الهدى النبوي في تربية الأمة وإقامة الدولة، يساعد العلماء والقادة والفقهاء والحكام على معرفة الطريق إلى عز الإسلام والمسلمين، من خلال معرفة عوامل النهوض، وأسباب السقوط، ويتعرفون على فقه النبي صلى الله عليه وسلم في تربية الأفراد وبناء الجماعة المسلمة، وإحياء المجتمع، وإقامة الدولة، فيرى المسلم حركة النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة، والمراحل التي مر بها وقدرته على مواجهة أساليب المشركين في مجاربة الدعوة، وتخطيطه الدقيق في الهجرة إلى الحبشة، ومحاولته إقناع أهل الطائف بالدعوة، وعرضه لها على القبائل في المواسم، وتدرجه في دعوة الأنصار ثم هجرته المباركة إلى المدينة.

¹ (?) انظر: مدخل لدراسة السيرة، د. يحيى اليحيى، ص 14.

² (?) البداية والنهاية: لابن كثير (3/256، 257) ط/ دار المعرفة، (3/242) ط 2/1978م

³ مكتبة المعارف - لبنان، مكتبة النصر - الرياض.

(?) انظر: البداية والنهاية (2/242).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

إن من تأمل حادثة الهجرة ورأى دقة التخطيط ودقة التنفيذ من ابتدائها إلى انتهائها، ومن مقدماتها إلى ما جرى بعدها، يدرك أن التخطيط المسدّد بالوحي في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم قائم، وأن التخطيط جزء من السنة وهو جزء من التكليف الإلهي في كل ما طُلب به المسلم.

إن المسلم يتعلم من المنهاج النبوي كل فنون إدارة الصراع والبراعة في إدارة كل مرحلة وفي الانتقال من مستوى إلى آخر، وكيف واجه القوى المضادة من اليهود والمنافقين والكفار والنصارى، وكيف تغلب عليها كلها بسبب توفيق الله تعالى والالتزام بشروط النصر وأسبابه التي أرشد إليها المولى عز وجل في كتابه الكريم.

إن قناعتى الراسخة في التمكين لهذه الأمة وإعادة مجدها وعزتها وتحكيم شرع ربها منوط بمتابعة الهدى النبوي، قال تعالى: (قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) [النور: 54].

فقد بينت الآية الكريمة أن طريق التمكين في متابعة النبي صلى الله عليه وسلم فقد جاءت الآيات التي بعدها تتحدث عن التمكين وتوضح شروطه قال تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) [النور: 55-56].

وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بتحقيق شروط التمكين، فحققوا الإيمان بكل معانيه وكافة أركانه، ومارسوا العمل الصالح بكل أنواعه وحرصوا على كل أنواع الخير وصنوف البر، وعبدوا الله عبودية شاملة في كافة شؤون حياتهم، وحاربوا الشرك بكل أشكاله وأنواعه وخفياه، وأخذوا بأسباب التمكين المادية والمعنوية على مستوى الأفراد والجماعة، حتى أقاموا دولتهم في المدينة؛ ومن ثم نشروا دين الله بين الشعوب والأمم.

إن تأخر المسلمين اليوم عن القيادة العالمية لشعوب الأرض نتيجة منطقية لقوم نسوا رسالتهم، وخطوا من مكانتها، وشابوا معدنها بركام هائل من الأوهام في مجال العلم والعمل على حد سواء، وأهملوا السنن الربانية، وظنوا أن التمكين قد يكون بالأمانى والأحلام.

إن هذا الضعف الإيمانى والجفاف الروحي، والتخبط الفكري والقلق النفسي، والشتات الذهني، والانحطاط الخلقي الذي أصاب المسلمين بسبب الفجوة الكبيرة التي حدثت بين الأمة والقرآن الكريم والهدى النبوي الشريف، وعصر الخلفاء الراشدين، والنقاط المشرقة المضيئة في تاريخنا المجيد.

أما ترى معي ظهور الكثير من المتحدثين باسم الإسلام، وهم بعيدون كل البعد عن القرآن الكريم والهدى النبوي، وسيرة الخلفاء الراشدين، وأدخلوا في خطابهم مصطلحات جديدة ومفاهيم مائعة نتيجة الهزيمة النفسية أمام الحضارة الغربية، وأصبحوا يتلاعبون بالألفاظ ويلوونها، ويتحدثون الساعات الطوال، ويدبجون المقالات، ويكتبون الكتب في فلسفة الحياة والكون والإنسان، ومناهج هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

التغيير ولا نكاد نلمس في حديثهم أو نلاحظ في مقالاتهم عمقا في فهم فقه التمكين، وسنن الله في تغيير الشعوب وبناء الدول من خلال القرآن الكريم والمنهاج النبوي الشريف أو دعوة الأنبياء والمرسلين لشعوبهم أو تقصيا لتاريخنا المجيد، فيخرجوا لنا، عوامل النهوض عند نور الدين محمود، أو صلاح الدين، أو يوسف بن تاشفين، أو محمود الغزنوي، أو محمد الفاتح ممن ساروا على الهدى النبوي في تربية الأمة وإقامة الدولة، بل يستدلون ببعض الساسة أو المفكرين والمثقفين من الشرق أو الغرب ممن هم أبعد الناس عن الوحي السماوي والمنهج الرباني.

وأنا لست ممن يعارض الاستفادة من تجارب الشعوب والأمم فالحكمة ضالة المؤمن فهو أحق بها أتى وجدها، ولكنني ضد الذين يجهلون أو يتجاهلون المنهاج الرباني، وينسون ذاكرة الأمة التاريخية المليئة بالدروس والعبر والعظات، ثم بعد ذلك يحرصون على أن يتصدروا قيادة المسلمين بأهوائهم وأرائهم البعيدة عن نور القرآن الكريم والهدى النبوي الشريف. ومن أجمل ما قاله ابن القيم:

والله ما خوفي من الذنوب فإنها
طريق العفو والغفران
لكنما أخشى انسلاخ القلب عن
هذا الوحي والقرآن
ورضا بآراء الرجال وحرصها
لا كان ذاك بمنة الرحمن

إننا في أشد الحاجة لمعرفة المنهاج النبوي في تربية الأمة وإقامة الدولة، ومعرفة سنن الله في الشعوب والأمم والدول، وكيف تعامل معها النبي صلى الله عليه وسلم عندما انطلق بدعوة الله في دنيا الناس حتى نلتمس من هديه صلى الله عليه وسلم الطريق الصحيح في دعوتنا والتمكين لديننا، ونقيم بنياننا على منهجية سليمة مستمدة أصولها وفروعها من كتاب ربنا وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم قال تعالى: **(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)** [الأحزاب: 21].

فقد كان فقه النبي صلى الله عليه وسلم في تربية الأمة وإقامة الدولة شاملاً ومتكاملاً ومتوازناً، وخاضعاً لسنن الله في المجتمعات وإحياء الشعوب وبناء الدول، فتعامل صلى الله عليه وسلم مع هذه السنن في غاية الحكمة وقمة الذكاء، كسنة التدرج، والتدافع، والابتلاء، والأخذ بالأسباب، وتغيير النفوس، وغرس صلى الله عليه وسلم في نفوس أصحابه المنهج الرباني وما يحمله من مفاهيم وقيم وعقائد وتصورات صحيحة عن الله والإنسان، والكون والحياة والجنة والنار، والقضاء والقدر، وكان الصحابة رضي الله عنهم يتأثرون بمنهجه في التربية غاية التأثير ويحرصون كل

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

الحرص على الالتزام بتوجيهاته فكان الغائب إذا حضر من غيبته يسأل أصحابه عما رأوا من أحوال النبي صلى الله عليه وسلم وعن تعليمه وإرشاده وعما نزل من الوحي حال غيبته، وكانوا يتبعون خطى الرسول صلى الله عليه وسلم في كل صغيرة وكبيرة، ولم يكونوا يقصرون هذا الاستقصاء على أنفسهم، بل كانوا يلقنونه لأبنائهم ومن حولهم.

ففي هذا الكتاب قصص لأحداث السيرة، فيتحدث عن أحوال العالم قبل البعثة، والحضارات السائدة والأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية والخلقية في زمن البعثة، وعن الأحداث المهمة قبل المولد النبوي، وعن نزول الوحي، ومراحل الدعوة، والبناء التصوري والأخلاقي والتعبدي في العهد المكي، وعن أساليب المشركين في محاربة الدعوة، وعن الهجرة إلى الحبشة، ومحنة الطائف، ومنحة الإسراء والمعراج، والطواف على القبائل، ومواكب الخير وطلائع النور من أهل يثرب، والهجرة النبوية، ويقف الكتاب بالقارئ على الأحداث مستخرجاً منها الدروس والعبر والفوائد لكي يستفيد منها المسلمون في عالمنا المعاصر.

وتحدث عن حياة النبي صلى الله عليه وسلم منذ دخوله المدينة إلى وفاته، وبين فقه النبي صلى الله عليه وسلم في إرساء دعائم المجتمع وتربيته ووسائله في بناء الدولة، ومحاربة أعدائها في الداخل والخارج، فيقف الباحث على فقه النبي صلى الله عليه وسلم في سياسة المجتمع ومعاهداته مع أهل الكتاب التي سجلت في الوثيقة، وحرسته الجهادية، ومعالجته الاقتصادية والارتقاء بالمسلم نحو مفاهيم هذا الدين، الذي جاء لإنقاذ البشرية من دياجير الظلام، وعبادة الأوثان، وانحرافها عن شريعة الحكيم المتعال، وقد حاولت أن أعالج مشكلة اختزال السيرة النبوية في أذهان الكثير من أبناء الأمة، ففي العقود الماضية ظهرت دراسات رائعة في مجال السيرة النبوية، وكتب الله لها قبولاً وانتشاراً، كالرحيق المختوم، لصفي الدين المباركفوري، وفقه السيرة للغزالي، وفقه السيرة النبوية للبوطي، والسيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، وكانت هذه الدراسات مختصرة، ولم تكن شاملة لأحداث السيرة، واعتمدت بعض الجامعات هذه الكتب، وظن بعض طلابها أن من استوعب هذه الكتب فقد أحاط بالسيرة النبوية، وهذا - في رأيي - خطأ فادح وخطير في حق السيرة النبوية المشرفة، وقد تسرب هذا الأمر إلى بعض أئمة المساجد وبعض قيادات الحركات الإسلامية، وانعكس ذلك على الأتباع فأحدث تصوراً ناقصاً للسيرة عند كثير من الناس، وقد حذر الشيخ محمد الغزالي من خطورة هذا التصور في نهاية كتابه فقه السيرة فقال: قد تظن أنك درست حياة محمد صلى الله عليه وسلم إذا تابعت تاريخه من المولد إلى الوفاة، وهذا خطأ بالغ. إنك لن تفقه السيرة حقاً إلا إذا درست القرآن الكريم والسنة المطهرة، وبقدر ما تنال من ذلك، تكون صلتك بنبي الإسلام⁽¹⁾.

¹ (?) انظر: فقه السيرة للغزالي، ص 476.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

ففي هذه الدراسة يجد القارئ تسليط الأضواء على البعد القرآني الذي له علاقة بالسيرة النبوية، كغزوة بدر، وأحد، والأحزاب، وبنى النضير، وصلاح الحديبية، وغزوة تبوك، فيبين الباحث الدروس والعبر، وسنن الله في النصر والهزيمة، وكيف عالج القرآن الكريم أمراض النفوس من خلال الأحداث والوقائع؟

إن السيرة النبوية تعطي كل جيل ما يفيد في مسيرة الحياة، وهي صالحة لكل زمان ومكان ومُصلحةٌ كذلك.

لقد عشت سنين من عمري في البحث في القرآن الكريم والسيرة النبوية، فكانت من أفضل أيام حياتي، فنسيت أثناء البحث غربتي وهجرتي، وتفاعلت مع الدرر والكنوز والنفائس الموجودة في بطون المراجع والمصادر، فعملت على جمعها وترتيبها وتنسيقها وتنظيمها حتى تكون في متناول أبناء امتي العظيمة، وقد لاحظت التفاوت في ذكر الدروس والعبر والفوائد والأحداث بين كتاب السيرة قديماً وحديثاً، فأحياناً يذكر ابن هشام ما لم يذكره الذهبي، ويذكر ابن كثير ما لم يذكره أصحاب السنن هذا قديماً، أما حديثاً فقد ذكر السباعي ما لم يذكره الغزالي، وذكر البوطي ما لم يذكره الغضبان، وهكذا.

ووجدت في التفسير، وشرح الحديث، كفتح الباري، وشرح النووي، وكتب الفقهاء ما لم يذكره كتاب السيرة قديماً ولا حديثاً؛ فأكرمني الله تعالى بجمع تلك الدروس والعبر والفوائد، ونظمها في عقد جميل يسهل الاطلاع عليه، ويساعد القارئ على تناول تلك الثمار الياينة بكل سهولة.

إن في هذا الكتاب حصيلة علمية وأفكار عملية جمعت من مئات المراجع والمصادر، وقد أثرى هذا الجهد بالحوار والنقاش والندوات، فأفاد بعضهم في الإشارة إلى بعض المراجع والمصادر النادرة وعمل على توفيرها، والبعض الآخر أرشد إلى ضرورة التركيز على السنن والقوانين التي تعامل معها النبي صلى الله عليه وسلم في حركته المباركة، كقانون الفرصة في فتح خيبر، وفتح مكة، وأشار البعض إلى أهمية ربط السيرة التاريخية بالسيرة السلوكية، والسيرة المعبر عنها بحديث شريف أو فعل نبوي والسيرة كما يقررها القرآن الكريم - بعضها ومزجها في منهجية متناسقة - تمد أبناء الجيل بعلم غزير، وفقه عميق، وعاطفة جياشة، فهي غذاء للروح، وتثقيف للعقول وحياة للقلوب، وصفاء للنفوس.

إن السيرة النبوية غنية في كل جانب من الجوانب التي تحتاجها مسيرة الدعوة الإسلامية، فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يلتحق بالرفيق الأعلى إلا بعد أن ترك سوابق كثيرة لمن يريد أن يقتدي به في الدعوة والتربية والثقافة والتعليم والجهاد، وكافة شؤون الحياة، كما أن التعمق في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم يساعد القارئ على التعرف على الرصيد الخلقي الكبير الذي تميز به رسول الله صلى الله

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

عليه وسلم عن كل البشر ويتعرف على صفاته الحميدة التي عاش بها في دنيا الناس فيرى من خلال سيرته مصداق قول حسان بن ثابت ؓ عندما قال:

وأجمل منك لم تر قط وأفضل منك لم تلد النساء
خُلقت مبرءاً من كل عيبٍ كأنك قد خلقت كما تشاء

هذا ولا أدعي أنني أتيت بما لم تستطعه الأوائل، فشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كبير، وتوضيح بعض معالم سيرته يحتاج إلى نفس أرق، وفقه أدقّ وذكاء أكبر وإيمان أعمق، كما أنني لا أدعي لعملِي هذا العصمة أو الكمال، فهذا شأن الرسل والأنبياء، ومن ظن أنه قد أحاط بالعلم فقد جهل نفسه، وصدق الله العظيم إذ يقول: **(وَمَا أُوْتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)** [الإسراء: 85].

فالعلم بحر لا شاطئ له وما أصدق الشاعر إذ يقول:
وقل لمن يدّعي في العلم حفظت شيئاً وغابت عنك
فلسفة أشاء
يقول الثعالبي: لا يكتب أحد كتاباً فيبيت عنده ليلة إلا أحب في غيرها أن يزيد فيه أو ينقص منه، هذا في ليلة، فكيف في سنين معدودة؟

وقال العماد الأصبهاني: إنني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده، لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر.. وأخيرًا أرجو من الله تعالى أن يكون عملاً لوجهه خالصاً، ولعباده نافعاً، وأن يثيبني على كل حرف كتبت ويجعله في ميزان حسناتي، وأن يثيب إخواني الذين أعانوني بكافة ما يملكون من أجل إتمام هذا الكتاب قال الشاعر:

أسير خلف ركاب القوم ذا مؤملاً جبر ما لا قيت من عوج
فإن لحقت بهم من بعد ما فكم لرب السماء في الناس
وإن ظللت بقفر الأرض فما على أعرج في ذاك من
سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته
ورضوانه

علي محمد الصلابي

18 رجب 1421 هـ 16 أكتوبر 2000 م

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

الفصل الأول

أهم الأحداث التاريخية من قبل البعثة حتى نزول الوحي

المبحث الأول

الحضارات السائدة قبل البعثة ودياناتها

أولاً: الإمبراطورية الرومانية:

كانت الإمبراطورية الرومانية الشرقية تعرف بالإمبراطورية البيزنطية، فكانت تحكم دول اليونان والبلقان وآسيا وسوريا وفلسطين وحوض البحر المتوسط بأسره، ومصر وكل إفريقيا الشمالية، وكانت عاصمتها القسطنطينية، وكانت دولة ظالمة مارست الظلم والجور والتعسف على الشعوب التي حكمتها، وضاعفت عليها الضرائب، وكثرت الاضطرابات والثورات، وكانت حياتهم العامة قائمة على كل أنواع اللهو واللعب والطرب والترف.

أما مصر فكانت عرضة للاضطهاد الديني والاستبداد السياسي، واتخذها البيزنطيون شاة حلوبا يحسنون حلبيها، ويسئون علفها.

وأما سوريا فقد كثرت فيهم المظالم والرقيق، ولا يعتمدون في قيادة الشعب إلا على القوة والقهر الشديد، وكان الحكم حكم الغرباء، الذي لا يشعر بأي عطف على الشعب المحكوم، وكثيراً ما كان السوريون يبيعون أبناءهم ليوفوا ما كان عليهم من ديون⁽¹⁾.

كان المجتمع الروماني مليئاً بالتناقض والاضطرابات، وقد جاء تصويره في كتاب «الحضارة ماضيها وحاضرها» كالآتي:

«كان هناك تناقض هائل في الحياة الاجتماعية للبيزنطيين، فقد رسخت النزعة الدينية في أذهانهم، وعمت الرهبانية، وشاعت في طول البلاد وعرضها، وأصبح الرجل العادي في البلاد يتدخل في الأبحاث الدينية العميقة، والجدل البيزنطي، ويتشغل بها، كما طبعته الحياة العادية العامة بطابع المذهب الباطني، ولكن يرى هؤلاء - في جانب آخر - حريصين أشد الحرص على كل نوع من أنواع اللهو واللعب، والطرب والترف، فقد كانت هناك ميادين رياضية واسعة تتسع لجلوس ثمانين ألف شخص، يتفرجون فيها على مصارعات بين الرجال والرجال أحياناً، وبين الرجال والسباع أحياناً أخرى، وكانوا يقسمون الجماهير في لونين: لون أزرق ولون أخضر، لقد كانوا يحبون الجمال، ويعشقون العنف والهمجية، وكانت ألعابهم دموية ضارية أكثر الأحيان، وكانت عقوبتهم فظيعة تقشع منها الجلود، وكانت حياة سادتهم وكبرائهم عبارة عن المجون والترف، والمؤامرات والمجاملات الزائدة، والقبايح والعادات السيئة»⁽²⁾.

¹ (?) انظر: السيرة النبوية للنسفي ص31.

² (?) انظر: السيرة النبوية ص31. (2) نفس المصدر ص32، 33.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

ثانيًا: الإمبراطورية الفارسية:

كانت الإمبراطورية الفارسية تعرف بالدولة الفارسية أو الكسروية، وهي أكبر وأعظم من الإمبراطورية الرومانية الشرقية، وقد كثرت فيها الديانات المنحرفة كالزرادشتية والمانيّة التي أسسها ماني في أوائل القرن الثالث الميلادي، ثم ظهرت المزدكية في أوائل القرن الخامس الميلادي التي دعت إلى الإباحية في كل شيء؛ مما أدى إلى انتشار ثورات الفلاحين وتزايد النهابين للقصور فكانوا يقبضون أو يأسرون النساء ويستولون على الأملاك والعقارات فأصبحت الأرض والمزارع والدور كان لم تسكن من قبل.

وكان ملوكهم يحكمون بالوراثة، ويضعون أنفسهم فوق بني آدم، لأنهم يعتبرون أنفسهم من نسل الآلهة، وأصبحت موارد البلاد ملكًا لهؤلاء الملوك يتصرفون فيها ببدخ لا يتصور، ويعيشون عيش البهائم، حتى ترك كثير من المزارعين أعمالهم أو دخلوا الأديرة والمعابد فرارًا من الضرائب والخدمة العسكرية، وكانوا وقودًا حقيرًا في حروب طاحنة مدمرة قامت في فترات من التاريخ دامت سنين طوال بين الفرس والروم لا مصلحة للشعوب فيها إلا تنفيذ نزوات ورغبات الملوك⁽¹⁾.

ثالثًا: الهند:

اتفقت كلمة المؤرخين على أن أحط أدوارها ديانة وخلقًا واجتماعًا وسياسة - ذلك العهد الذي يبتدئ من مستهل القرن السادس الميلادي، فانتشرت الخلاعة حتى في المعابد؛ لأن الدين أعطاها لونًا من القدس والتعبد، وكانت المرأة لا قيمة لها ولا عصمة، وانتشرت عادة إحراق المرأة المتوفى زوجها، وأمتازت الهند عن أقطار العالم بالتفاوت الفاحش بين طبقات الشعب، وكان ذلك تابعًا لقانون مدني سياسي ديني وضعه المشرعون الهنديون الذين كانت لهم صفة دينية، وأصبح هو القانون العام في المجتمع ودستور حياتهم، وكانت الهند في حالة فوضى وتمزق، انتشرت فيها الإمارات التي اندلعت بينها الحروب الطاحنة، وكانت بعيدة عن أحداث عالمها في عزلة واضحة يسيطر عليها التزمت والتطرف في العادات والتقاليد، والتفاوت الطبقي والتعصب الدموي والسلالي، وقد تحدث مؤرخ هندي- أستاذ للتاريخ في إحدى جامعات الهند- عن عصر سابق لدخول الإسلام في الهند فقال: «كان أهل الهند منقطعين عن الدنيا، منطوين على أنفسهم، لا خبرة عندهم بالأوضاع العالمية، وهذا الجهل أضعف موقفهم، فنشأ فيهم الجمود، وعمت فيهم أمارات الانحطاط والتدهور، كان الأدب في هذه الفترة بلا روح، وهكذا كان الشأن في الفن المعماري، والتصوير، والفنون الجميلة الأخرى»⁽²⁾.

«وكان المجتمع الهندي راكدًا جامدًا، كان هناك تفاوت عظيم بين

² (?) انظر: السيرة النبوية للنووي، ص38. (2) نفس المصدر، ص39.
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

الطبقات وتمييز معيب بين أسرة وأسرة، وكانوا لا يسمحون بزواج الأيامي، ويشددون على أنفسهم في أمور الطعام والشراب، أما المنبوذون فكانوا يعيشون مضطربين خارج بلدهم ومدينتهم»⁽¹⁾.

كان تقسيم سكان الهند إلى أربع طبقات:

- 1- طبقة الكهنة ورجال الدين، وهم (البراهمة).
- 2- ورجال الحرب والجنديّة وهم (شترى).
- 3- ورجال الفلاحة والتجارة وهم (ويش).
- 4- ورجال الخدمة وهم (شودر) وهم أخط الطبقات، فقد خلقهم خالق الكون من أرجله -كما يزعمون-، وليس لهم إلا خدمة هذه الطبقات الثلاث وإراحتها.

وقد منح هذا القانون البراهمة مركزاً ومكانة لا يشاركون فيها أحد، والبرهمني رجل مغفور له ولو أباد العوالم الثلاثة بذنوبه وأعماله، ولا يجوز فرض جباية عليه، ولا يعاقب بالقتل في حال من الأحوال، أما (شودر) فليس لهم أن يقتنوا مالا، أو يدخروا كنزاً، أو يجالسوا برهمنياً، أو يمسوه يدهم، أو يتعلموا الكتب المقدسة⁽²⁾.

رابعاً: أحوال العالم الدينية قبل البعثة المحمدية:

كانت الإنسانية قبل بزوغ فجر الإسلام العظيم تعيش مرحلة من أخط مراحل التاريخ البشري في شؤونها الدينية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وتعاني من فوضى عامة في كافة شؤون حياتها، وهيمن المنهج الجاهلي على العقائد والأفكار والتصورات والنفوس، وأصبح الجهل والهوى والانحلال والفجور، والتجبر والتعسف من أبرز ملامح المنهج الجاهلي المهيمن على دنيا الناس⁽³⁾.

وضاع تأثير الديانات السماوية على الحياة أو كاد بسبب ما أصابها من التبدل والتحريف والتغيير الذي جعلها تفقد أهميتها باعتبارها رسالة الله إلى خلقه، وأنشغل أهلها بالصراعات العقدية النظرية التي كان سببها دخول الأفكار البشرية، والتصورات الفاسدة على هذه الأديان، حتى أدى إلى الحروب الطاحنة بينهم، ومن بقي منهم لم يحرف ولم يبدل قليل نادر، وأثر الابتعاد عن دنيا الناس ودخل في حياة الخلوة والعزلة طمعاً في النجاة بنفسه يأساً من الإصلاح، ووصل الفساد إلى جميع الأصناف والأجناس البشرية، ودخل في جميع المجالات بلا استثناء.

ففي الجانب الديني تجد الناس إما أن ارتدوا عن الدين أو خرجوا منه أو لم يدخلوا فيه أصلاً، أو وقعوا في تحريف الديانات السماوية وتبديلها، وأما في الجانب التشريعي، فإن الناس نبذوا شريعة الله

² (?) راجع القانون المدني الاجتماعي المسمى منو شانز، الأبواب 1-2-8-9-10. نقلا عن السيرة النبوية للنووي، ص38.

³ (?) انظر: الغرباء الأولون، سلمان العودة ص57.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

وراءهم ظهرًا، واخترعوا من عند أنفسهم قوانين، وشرائع لم يأذن بها الله، تصطدم مع العقل وتختلف مع الفطرة.

وتزعم هذا الفساد زعماء الشعوب والأمم من القادة والرهبان والقساوسة والدهاقين والملوك، وأصبح العالم في ظلام دامس وليل بهيم، وانحرف عظيم عن منهج الله سبحانه وتعالى.

فاليهودية: أصبحت مجموعة من الطقوس والتقاليد لا روح فيها ولا حياة، وتأثرت بعقائد الأمم التي جاورتها واحتكت بها، والتي وقعت تحت سيطرتها فأخذت كثيرا من عاداتها وتقاليدها الوثنية الجاهلية، وقد اعترف بذلك مؤرخو اليهود⁽¹⁾ فقد جاء في دائرة المعارف اليهودية: «إن سخط الأنبياء وعضبهم على عبادة الأوثان يدل على أن عبادة الأوثان والآلهة، كانت قد تسربت إلى نفوس الإسرائيليين، ولم تستاصل شأفتها إلى أيام رجوعهم من الجلاء والنفي في بابل، وقد اعتقدوا معتقدات خرافية وشركية. إن التلمود أيضًا يشهد بأن الوثنية كانت فيها جاذبية خاصة لليهود»⁽²⁾.

إن المجتمع اليهودي قبل البعثة المحمدية قد وصل إلى الانحطاط العقلي وفساد الذوق الديني، فإذا طالعت تلمود بابل الذي يبالغ اليهود في تقديسه، والذي كان متداولاً بين اليهود في القرن السادس المسيحي، تجد فيه نماذج غريبة من خفة العقل وسخف القول، والاجترار على الله، والعبث بالحقائق والتلاعب بالدين والعقل⁽³⁾.

أما المسيحية: فقد امتحنت بتحريف الغالين، وتأويل الجاهلين واختفى نور التوحيد وإخلاص العبادة لله وراء السحب الكثيفة⁽⁴⁾، واندلعت الحروب بين النصارى في الشام والعراق، وبين نصارى مصر حول حقيقة المسيح وطبيعته، وتحولت البيوت والمدارس والكنائس إلى معسكرات متنافسة وظهرت الوثنية في المجتمع المسيحي في مظاهر مختلفة وألوان شتى، فقد جاء في تاريخ المسيحية في ضوء العلم المعاصر:

«لقد انتهت الوثنية، ولكنها لم تلق إبادة كاملة، بل إنها تغلغت في النفوس واستمر كل شيء فيها باسم المسيحية وفي ستارها، فالذين تجردوا عن ألتههم وأبطالهم وتخلوا عنهم أخذوا شهيداً من شهدائهم ولقبوه بأوصاف الآلهة، ثم صنعوا له تماثلاً، وهكذا انتقل هذا الشرك وعبادة الأصنام إلى هؤلاء الشهداء المحليين، ولم ينته هذا القرن حتى عُميت فيه عبادة الشهداء والأولياء، وتكونت عقيدة جديدة، وهي أن الأولياء يحملون صفات الألوهية، وصار هؤلاء الأولياء والقديسون خلقاً وسيطاً بين الله والإنسان يحمل صفة الألوهية على أساس عقائد الأريسيين، وأصبحوا رمزا لقداسة القرون الوسطى وورعها وطهرها»

¹ (1) انظر: السيرة النبوية، أبو الحسن الندوي ص 20. (2) المصدر نفسه، ص 20.

² (3) المصدر السابق نفسه ص 21. (4) انظر: السيرة النبوية للندوي، ص 21.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

وغيرت أسماء الأعياد الوثنية بأسماء جديدة، حتى تحول في عام 400 ميلادي عيد الشمس القديم إلى عيد ميلاد المسيح⁽¹⁾، وجاء في دائرة المعارف الكاثوليكية الجديدة: «تغلغل الاعتقاد بأن الإله الواحد مركب من ثلاثة أقانيم في أحشاء حياة العالم المسيحي وفكره، منذ ربع القرن الرابع الأخير، ودامت كعقيدة رسمية مسلمة، عليها الاعتماد في جميع أنحاء العالم المسيحي، ولم يرفع الستار عن تطور عقيدة التثليث وسريها إلا في المنتصف الثاني للقرن التاسع عشر الميلادي»⁽²⁾.

لقد اندلعت الحروب بين النصارى وكفر بعضهم بعضًا، وقتل بعضهم بعضًا، وانشغل النصارى ببعضهم عن محاربة الفساد وإصلاح الحال ودعوة الأمم إلى ما فيه صلاح البشرية⁽³⁾.

وأما المجوس: فقد عرفوا من قديم الزمان بعبادة العناصر الطبيعية، أعظمها النار، وانتشرت بيوت النار في طول البلاد وعرضها، وعكفوا على عبادتها وبنوا لها معابد وهياكل، وكانت لها آداب وشرائع دقيقة داخل المعابد، أما خارجها فكان أتباعها أحرارًا يسرون على هواهم لا فرق بينهم وبين من لا دين له.

يصف المؤرخ الدنماركي طبقة رؤساء الدين ووظائفهم عند المجوس في كتابه «إيران في عهد الساسانيين» فيقول: «كان واجبًا على هؤلاء الموظفين أن يعبدوا الشمس أربع مرات في اليوم، ويضاف إلى ذلك عبادة القمر والنار والماء، وكانوا مكلفين بادعية خاصة، عند النوم والانتباه والاعتسال وليس الزنار والأكل والعطس وخلق الشعر وتقليم الأظافر، وقضاء الحاجة وإيقاد السرج، وكانوا مأمورين ألا يدعوا النار تنطفئ، وألا تمس النار والماء بعضها بعضًا، وألا يدعوا المعدن يصدأ لأن المعادن عندهم مقدسة»⁽⁴⁾.

وكان أهل إيران يستقبلون في صلاتهم النار، وقد حلف (يزدجرد) آخر ملوك الساسانيين - بالشمس مرة وقال: «أحلف بالشمس التي هي الإله الأكبر». وقد دان المجوس بالثنوية في كل عصر وأصبح ذلك شعارًا لهم، فامنوا بالهين اثنين، أحدهما النور أو إله الخير والثاني الظلام أو إله الشر⁽⁵⁾.

أما البوذية: في الهند وآسيا الوسطى، فقد تحولت وثنية تحمل معها الأصنام حيث سارت، وتبني الهياكل، وتنصب تماثيل بوذا حيث حلت ونزلت⁽⁶⁾.

أما البرهمية: دين الهند الأصلي، فقد امتازت بكثرة المعبودات

¹ انظر: السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي ص23.

² (?) دائرة المعارف الكاثوليكية الجديدة، مقال التثليث (14/395).

³ (?) انظر: فتح العرب لمصر، تعريب محمد أبو حديد ص37، 38، 48.

⁴ (?) إيران في عهد الساسانيين ص155، نقلًا عن السيرة النبوية للندوي، ص27.

⁵ (?) انظر: السيرة النبوية، للندوي ص27.

⁶ (2) المصدر السابق، ص28.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

والآلهة، وقد بلغت أوجها في القرن السادس الميلادي، ولا شك أن الديانتين الهندوكية والبوذية وثيتان سواء بسواء، لقد كانت الدنيا المعمورة من البحر الأطلسي إلى المحيط الهادي غارقة في الوثنية، وكانما كانت المسيحية واليهودية والبوذية والبرهمية تتسابق في تعظيم الأوثان وتقديسها، وكانت كخيل رهان تجري في حلبة واحدة.

وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى عموم هذا الفساد لجميع الأجناس وجميع المجالات بلا استثناء فقد قال صلى الله عليه وسلم ذات يوم في خطبته: «ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا، كل ما نحلته⁽¹⁾ عبداً حلالاً وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم اتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحلت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم: عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب»⁽²⁾.

والحديث يشير إلى انحراف البشرية في جوانب متعددة كالشرك بالله، ونبد شريعته وفساد المصلحين من حملة الأديان السماوية وممالاتهم للقوم على ضلالهم⁽³⁾.

1 (?) نحلته: أعطيته (النهاية في غريب الحديث) (5/29).
2 (?) مسلم، كتاب الجنة، باب الصفات (4/2197) رقم 2197.
3 (5) انظر: الغرباء الأولون ص 59.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

المبحث الثاني أصول العرب وحضارتهم

أولاً: أصول العرب:

قسم المؤرخون أصول العرب إلى ثلاثة أقسام بحسب السلالات التي انحدروا⁽¹⁾ منها:

1- العرب البائدة: وهي قبائل عاد، وثمود، والعمالقة، وطسّم، وجديس، وأميم، وجُرهم وحضرموت ومن يتصل بهم، وهذه درست معالمها واضمحلت من الوجود قبل الإسلام وكان لهم ملوك امتد ملكهم إلى الشام ومصر⁽²⁾.

2- العرب العاربة: وهم العرب المنحدرة من صلب يَعْرُب بن يشْجُب بن قحطان وتسمى بالعرب القحطانية⁽³⁾ ويعرفون بعرب الجنوب⁽⁴⁾ ومنهم ملوك اليمن، ومملكة معين، وسبأ وحمير⁽⁵⁾.

3- العرب العدنانية: نسبة إلى عدنان الذي ينتهي نسبه إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام، وهم المعروفون بالعرب المستعربة، أي الذين دخل عليهم دم ليس عربياً، ثم تم اندماج بين هذا الدم وبين العرب، وأصبحت اللغة العربية لسان المزيج الجديد. وهؤلاء هم عرب الشمال، موطنهم الأصلي مكة، وهم إسماعيل عليه السلام وأبناؤه، والجراهمة الذين تعلم منهم إسماعيل عليه السلام العربية، وصاهرهم، ونشأ أولاده عرباً مثلهم، ومن أهم ذرية إسماعيل (عدنان) جد النبي صلى الله عليه وسلم الأعلى، ومن عدنان كانت قبائل العرب وبطونها فقد جاء بعد عدنان ابنه معد، ثم نزار، ثم جاء بعده ولداه مُضَر وربيعة.

أما ربيعة بن نزار فقد نزل من انحدر من صلبه شرقاً، فقامت عبد القيس في البحرين، وحنيفة في اليمامة، وبنو بكر بن وائل ما بين البحرين واليمامة، وعبرت تغلب الفرات فأقامت في أرض الجزيرة بين دجلة والفرات، وسكنت تميم في بادية البصرة⁽⁶⁾.

أما فرع مضر: فقد نزلت سليم بالقرب من المدينة، وأقامت ثقيف في الطائف، واستوطنت سائر هوازن شرقي مكة، وسكنت أسد شرقي تيماء إلى غربي الكوفة، وسكنت دُبَيان وَعَبَس من تيماء إلى حوران⁽⁷⁾ وتقسيم العرب إلى عدنانية وقحطانية هو ما عليه جمهرة علماء الأنساب وغيرهم من العلماء. ومن العلماء من يرى أن العرب: عدنانية، وقحطانية ينتسبون إلى إسماعيل⁽⁸⁾ عليه الصلاة

¹ (?) انظر: فقه السيرة النبوية، للغضبان ص45. (2) انظر: السيرة النبوية لأبي شعبة (1/46).

³ (?) فقه السيرة، للغضبان ص45. (4) مدخل لفهم السيرة ص98. ⁵ (?) السيرة النبوية لأبي شعبة (1/47). (6) مدخل لفهم السيرة ص98، 99.

⁷ (?) انظر: الطريق إلى المدائن، عادل كمال ص40.

⁸ (1) انظر: السيرة النبوية لأبي شعبة (1/48).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

والسلام.

وقد ترجم البخاري في صحيحه لذلك فقال: باب نسبة اليمن إلى إسماعيل عليه السلام، وذكر في ذلك حديثاً عن سلمة قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم يتناضلون بالسهم، فقال: «ارموا بني إسماعيل، وأنا مع بني فلان» - لأحد الفريقين - فأمسكوا بأيديهم، فقال: «ما لكم؟» قالوا: كيف نرمي وأنت مع بني فلان؟ فقال: «ارموا وأنا معكم كلكم»⁽¹⁾ وفي بعض الروايات «ارموا بني إسماعيل، فإن أباكم كان رامياً».

قال البخاري: وأسلم بن أفضى بن حارثة بن عمرو بن عامر من خزاعة، يعني: أن خزاعة فرقة ممن كان تمزق من قبائل سبأ حين أرسل الله عليهم سيل العرم⁽²⁾.

وولد الرسول صلى الله عليه وسلم من مضر، وقد أخرج البخاري عن كليب بن وائل قال: حدثني ربيعة النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت أبي سلمة قال: «قلت لها: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم أكان من مضر؟ فقالت: فممن كان إلا من مضر؟ من بني النضر بن كنانة»⁽³⁾.

وكانت قريش قد انحدرت من كنانة وهم أولاد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة وانقسمت قريش إلى قبائل شتى من أشهرها جمح وسهم وعدي ومخزوم وتيم وزهرة وبطون قصي بن كلاب، وهي عبد الدار بن قصي وأسد بن عبد العزى بن قصي، وعبد مناف بن قصي، وكان من عبد مناف أربع فصائل: عبد شمس ونوفل والمطلب وهاشم. وبنت هاشم هو الذي اصطفى الله منه سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم⁽⁴⁾.

قال صلى الله عليه وسلم: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»⁽⁵⁾.

ثانياً: حضارات الجزيرة العربية:

نشأت من قديم الزمان ببلاد العرب حضارات أصيلة، ومدنيات عريقة من أشهرها:

1- حضارة سبأ باليمن: وقد أشار القرآن الكريم إليها، ففي اليمن استفادوا من مياه الأمطار والسيول التي كانت تضع في الرمال، وتنجدر إلى البحار، فأقاموا الخزانات والسدود بطرق هندسية متطورة، وأشهر هذه السدود (سد مأرب) واستفادوا بمياهها في الزروع المتنوعة، والحدائق ذات الأشجار الزكية، والثمار الشهية، قال

¹ (?) البخاري، كتاب الجهاد والسير (3/298) رقم 2899. (3) انظر السيرة النبوية لأبي شهية (1/48).

³ (?) البخاري، كتاب المناقب (4/185) رقم 3491. (5) انظر: فقه السيرة النبوية، للعضبان ص 47.

⁵ (?) رواه مسلم، باب فضل نسب النبي (4/1782) رقم 2276.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

عز شأنه: (لَقَدْ كَانَ لِسَبَآ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جِئَانِ عَنِ يَمِينٍ
وَشِمَالٍ كَلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَمْ يَلِدْهُ طَيْبَةٌ وَرَبٌّ
عَفُورٌ ۖ فَأَعْرِضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ
يَحْتَتِهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أَكْلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّنْ سِدْرٍ
قَلِيلٍ ۚ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نَجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ
[سبأ: 15-17].

ودل القرآن الكريم على وجود قرى متصلة في الزمن الماضي ما بين
اليمن، إلى بلاد الحجاز، إلى بلاد الشام، وأن قوافل التجارة والمسافرين
كانوا يخرجون من اليمن إلى بلاد الشام، فلا يعدمون ظلاً، ولا ماء، ولا
طعاماً، قال تعالى: (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقَرَى الَّتِي بَارَكْنَا
فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً ۖ وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِبَالٍ
وَأَتَامًا آمِنِينَ ۖ فَقَالُوا رَبَّنَا بِأَعْدَتِنَ أَصْفَارُنَا وَظَلَمُونَا
أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّ فِي
ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) [سبأ: 18، 19].

2- حضارة عاد بالأحقاف: وكانوا في شمال حضرموت وهم
الذين أرسل الله إليهم نبي الله هوداً عليه السلام، وكانوا أصحاب
بيوت مشيدة، ومصانع متعددة، وجنات،
وزروع وعيون⁽¹⁾ قال تعالى: (كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ۚ إِذْ قَالَ لَهُمْ
أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۚ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۚ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۚ وَمَا أَسْأَلُكُمْ
عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ۚ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ
رَبْعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ۚ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلَدُونَ ۚ وَإِذَا
بَطَشْتُمْ فَبَطِشْتُمْ خِيارِينَ ۚ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۚ وَأَتَّقُوا
الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ۚ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ۚ وَجَنَاتٍ
وَعُيُونٍ) [الشعراء: 123-134].

3- حضارة ثمود بالحجاز: دل القرآن الكريم على وجود
حضارة في بلاد الحجاز، وأشار إلى ما كانوا يتمتعون به من القدرة
على نحت البيوت في الجبال، وعلى ما كان يوجد في بلادهم من
عيون وبساتين وزروع⁽²⁾، قال تعالى: (كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ۚ إِذْ
قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۚ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۚ
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۚ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ
إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ۚ أَتَبْرَكُونَ ۚ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ۚ فِي
جَنَّتَيْنِ وَعُيُونٍ ۚ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ۚ وَتَنْجُونَ مِنَ
الْجِبَالِ بُيُوتًا قَارِهِينَ ۚ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا) [الشعراء: 141-150].

وقال فيهم أيضاً: (وَإِذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ
وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ شُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ
الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ

¹ (?) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبه (1/50). (2) نفس المصدر (1/51).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مُفْسِدِينَ [الأعراف: 74].

لقد زال كل ذلك من زمن طويل، ولم يبق إلا آثار ورسوم وأطلال،
فقد اضمحلت القرى والمدن، وتخربت الدور والقصور، ونضبت
العيون، وجفت الأشجار وأصبحت البساتين والزروع أرضاً جُرْزاً⁽¹⁾.

¹ (?) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبه (1/51)
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

المبحث الثالث الأحوال الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية عند العرب

أولاً: الحالة الدينية:

ابتليت الأمة العربية بتخلف ديني شديد، ووثنية سخيصة لا مثيل لها، وانحرافات خلقية، واجتماعية، وفوضى سياسية، وتشريعية، ومن ثم قل شأنهم وصاروا يعيشون على هامش التاريخ، ولا يتعدون في أحسن الأحوال أن يكونوا تابعين للدولة الفارسية أو الرومانية، وقد امتلأت قلوبهم بتعظيم تراث الآباء والأجداد واتباع ما كانوا عليه مهما يكن فيه من الزيف والانحراف والضلال ومن ثم عبدوا الأصنام، فكان لكل قبيلة صنم، فكان لهذيل بن مدركة: سواع، ولكلب: ود، ولمذحج: يغوث، ولخيان: يعوق، ولحمير: نسر، وكانت خزاعة وقريش تعبد إساقاً ونائلة، وكانت مناة على ساحل البحر، تعظمها العرب كافة والأوس والخزرج خاصة، وكانت اللات في ثقيف، وكانت العزى فوق ذات عرق، وكانت أعظم الأصنام عند قريش⁽¹⁾.

والى جانب هذه الأصنام الرئيسية يوجد عدد لا يحصى كثرة من الأصنام الصغيرة والتي يسهل نقلها في أسفارهم ووضعها في بيوتهم. روى البخاري في صحيحه عن أبي رداء العطاردي قال: «كنا نعبد الحجر، فإذا وجدنا حجراً آخر هو أخير منه ألقيناه وأخذنا الآخر، فإذا لم نجد حجراً جمعنا جثوة من تراب، ثم جئنا بالشاة فحلبناه عليه ثم طفنا به»⁽²⁾.

وقد حالت هذه الوثنية السخيصة بين العرب، وبين ومعرفة الله وتعظيمه وتوقيره والإيمان به، وباليوم الآخر وإن زعموا أنها لا تعدو أن تكون وسائط بينهم وبين الله، وقد هيمنت هذه الآلهة المزعومة على قلوبهم وأعمالهم وتصرفاتهم، وجميع جوانب حياتهم وضعف توقير الله في نفوسهم قال تعالى: **(إِنَّمَا يَسْتَحِبُّ الَّذِينَ يَنْصَرِفُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ)** [الأنعام: 36].

أما البقية الباقية من دين إبراهيم عليه السلام فقد أصابها التحريف، والتغيير والتبديل، فصار الحج موسماً للمفاخرة والمنافرة، والمباهاة وانحرفت بقايا المعتقدات الحنيفية عن حقيقتها والصق بها من الخرافات والأساطير الشيء الكثير.

وكان يوجد بعض الأفراد من الحنفاء الذين يرفضون عبادة الأصنام، وما يتعلق بها من الأحكام والنحائر وغيرها، ومن هؤلاء زيد بن عمرو بن نفيل، وكان لا يذبح للأنصاب، ولا يأكل الميتة والدم، وكان يقول:

¹ (?) انظر: الغرباء الأولون، ص 60. (2) البخاري، كتاب المغازي، وقد بني حنيصة (5/119).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

أرَبًا واحدًا أم ألفَ ربٍّ؟
عزلتُ اللات والعزى جميعًا
فلا العزى أدين ولا ابنتيها
ولا غنمًا أدين وكان ربا
إلى أن قال:
ولكن أعبد الرحمن ربي

ليغفر ذنبي الربُّ الغفور⁽¹⁾

وممن كان يدين بشريعة إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام، قس بن ساعدة الإيادي، فقد كان خطيبًا، حكيمًا، عاقلًا، له نبأه، وفضل، وكان يدعو إلى توحيد الله، وعبادته، وترك عبادة الأوثان، كما كان يؤمن بالبعث بعد الموت، وقد بشر بالنبى صلى الله عليه وسلم فقد روى أبو نعيم في دلائل النبوة عن ابن عباس قال: «إن قس بن ساعدة كان يخطب قومه في سوق (عكاظ) فقال في خطبته: سيعلم حق من هذا الوجه وأشار بيده إلى مكة، قالوا: وما هذا الحق؟ قال: رجل من ولد لؤي بن غالب يدعوكم إلى كلمة الإخلاص، وعيش الأبد، ونعيم لا ينفد، فإن دعاكم فأجيبوه، ولو علمت أني أعيش إلى مبعثه لكنت أول من يسعى إليه» وقد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ومات قبل البعثة⁽²⁾.

ومما كان ينشده من شعره:

في الذاهبين الأولي
لما رأيت موارد
ورأيت قومي نحوها
لا يرجع الماضي إليّ
أيقنت أني لا محا
ن من القرون لنا بصائر
للموت ليس لها مصادر
يمضي الأصغر والأكابر
ولا من الباقي غابر
صائر⁽³⁾

كان بعض العرب قد تنصر، وبعضهم دخل في اليهودية، أما الأغلبية فكانت تعبد الأوثان والأصنام.

ثانيًا: الحالة السياسية:

كان سكان الجزيرة العربية ينقسمون إلى بدو وحضر، وكان النظام السائد بينهم هو النظام القبلي، حتى في الممالك المتحضرة

¹ (?) انظر: السيرة النبوية، لابن كثير (1/163). (2) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة (1/80).

³ (?) السيرة النبوية لأبي شعبة (1/81).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

التي نشأت بالجزيرة، كمملكة اليمن في الجنوب ومملكة الحيرة في الشمال الشرقي، ومملكة الغساسنة في الشمال الغربي، فلم تنصهر الجماعة فيها في شعب واحد، وإنما ظلت القبائل وحدات متماسكة.

والقبيلة العربية مجموعة من الناس، تربط بينها وجة الدم (النسب) ووحدة الجماعة، وفي ظل هذه الرابطة نشأ قانون عرفي ينظم العلاقات بين الفرد والجماعة، على أساس من التضامن بينهما في الحقوق والواجبات، وهذا القانون العرفي كانت تتمسك به القبيلة في نظامها السياسي والاجتماعي⁽¹⁾.

وزعيم القبيلة ترشحه للقيادة منزلته القبلية وصفاته، وخصائصه من شجاعة ومروءة، وكرم ونحوها، ولرئيس القبيلة حقوق أدبية ومادية، فالأدبية أهمها: احترامه وتبجيله، والاستجابة لأمره، والنزول على حكمه وقضائه، وأما المادية فقد كان له في كل غنيمة تغنمها (المرباع) وهو ربع الغنيمة، (والصفايا) وهو ما يصطفيه لنفسه من الغنيمة قبل القسمة (والنشيطة) وهي ما أصيب من مال العدو قبل اللقاء (والفضول) وهو ما لا يقبل القسمة من مال الغنيمة، وقد أجمل الشاعر العربي ذلك بقوله:

لك المرباع فينا، والصفايا والفضول⁽²⁾

ومقابل هذه الحقوق، واجبات ومسئوليات، فهو في السلم جواد كريم، وفي الحرب يتقدم الصفوف، ويعقد الصلح، والمعاهدات. والنظام القبلي تسود فيه الحرية، فقد نشأ العربي في جو طليق، وفي بيئة طليقة، ومن ثم كانت الحرية من أخص خصائص العرب، ويعشقونها ويأبون الضيم والذل وكل فرد في القبيلة ينتصر لها، ويشيد بمفاخرها، وأيامها، وينتصر لكل أفرادها محققاً أو مبطلاً، حتى صار من مبادئهم: «انصر أخاك ظالماً، أو مظلوماً».

وكان شاعرهم يقول:
لا يسألون أحاهم حين
في النائبات على ما قال

ندبهم
والفرد في القبيلة تبع للجماعة، وقد بلغ من اعتزازهم برأي الجماعة أنه قد تذوب شخصيته في شخصيتها، قال دريد بن الصمة:
وهل أنا إلا من غزية إن
أرشد⁽³⁾

غوت
وكانت كل قبيلة من القبائل العربية لها شخصيتها السياسية، وهي بهذه الشخصية كانت تعقد الأحلاف مع القبائل الأخرى، وبهذه الشخصية أيضاً كانت تشن الحرب عليها، ولعل من أشهر الأحلاف

1 (1) السيرة النبوية لأبي شعبة (1/60).

2 (?) انظر: مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول صلى الله عليه وسلم، ص 31.

3 (?) انظر: السيرة النبوية لأبي شعبة (1/61).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

التي عقدت بين القبائل العربية، حلف الفضول (حلف المطيبين)⁽¹⁾. وكانت الحروب بين القبائل على قدم وساق ومن أشهر هذه الحروب حرب الفجار⁽²⁾ وكان -عدا هذه الحروب الكبرى- تقع إغارات فردية بين القبائل تكون أسبابها شخصية أحياناً، أو طلب العيش أحياناً أخرى، إذ كان رزق بعض القبائل في كثير من الأحيان في حد سيوفها، ولذلك ما كانت القبيلة تأمن أن تنقض عليها قبيلة أخرى في ساعة من ليل أو نهار لتسلب أنعامها ومؤنّها، وتدع ديارها خاوية كان لم تسكن بالأمس⁽³⁾.

ثالثاً: الحالة الاقتصادية:

يغلب على الجزيرة العربية الصحاري الواسعة الممتدة، وهذا ما جعلها تخلو من الزراعة إلا في أطرافها وخاصة في اليمن والشام، وبعض الواحات المنتشرة في الجزيرة كان يغلب على البادية رعي الإبل والغنم، وكانت القبائل تنتقل بحثاً عن مواقع الكلأ، وكانوا لا يعرفون الاستقرار إلا في مضارب خيامهم. وأما الصناعة فكانوا أبعد الأمم عنها، وكانوا يأنفون منها، ويتركون العمل فيها للأعاجم والموالي، حتى عندما أرادوا بنيان الكعبة استعانوا برجل قبلي نجا من السفينة التي غرقت بجدة ثم أصبح مقيماً في مكة⁽⁴⁾.

وإذا كانت الجزيرة العربية قد حرمت من نعمتي الزراعة والصناعة، فإن موقعها الاستراتيجي بين إفريقيا وشرق آسيا جعلها مؤهلة لأن تحتل مركزاً متقدماً في التجارة الدولية آنذاك.

وكان الذين يمارسون التجارة من سكان الجزيرة العربية هم أهل المدن، ولا سيما أهل مكة فقد كان لهم مركز ممتاز في التجارة، وكان لهم بحكم كونهم أهل الحرم منزلة في نفوس العرب فلا يعرضون لهم، ولا تجارهم بسوء، وقد إمتن الله عليهم بذلك في القرآن الكريم: **(أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُخَاطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ)** [العنكبوت: 67]

وكانت لقريش رحلتان عظيمتان شهيرتان: رحلة الشتاء إلى اليمن، ورحلة الصيف إلى الشام، يذهبون فيها آمنين بينما الناس يتخطفون من حولهم، هذا عدا الرحلات الأخرى التي يقومون بها طوال العام، قال تعالى: **(لَا إِلَافَ قَرِيْشٍ إِلَّا فِهِمْ رَحْلَةُ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ)** [قريش: 1-4].

وكانت القوافل تحمل الطيب والبخور، والصمغ، واللبان، والتوابل

1 (?) انظر: دراسة تحليلية لشخصية الرسول، د. محمد فلحجي ص31.
2 (?) نفس المصدر ص33 - 35.
3 (?) المصدر السابق، ص35.

4 (?) انظر: فقه السيرة النبوية، منير الغضبان ص60.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

والتمور، والروائح العطرية، والأخشاب الزكية، والعاج، والأبنوس، والخرز، والجلود، والبرود اليمنية والأنسجة الحريرية، والأسلحة وغيرها مما يوجد في شبه الجزيرة، أو يكون مستوردًا من خارجها، ثم تذهب به إلى الشام وغيرها ثم تعود محملة بالقمح، والحبوب، والزبيب، والزيتون، والمنسوجات الشامية وغيرها.

واشتهر اليمنيون بالتجارة، وكان نشاطهم في البر وفي البحار، فسافروا إلى سواحل إفريقيا وإلى الهند وإندونيسيا، وسومطرة وغيرها من بلاد آسيا، وجزر المحيط الهندي أو البحر العربي كما يسمى، وقد كان لهم فضل كبير بعد اعتناقهم الإسلام، في نشره في هذه الأقطار.

وكان التعامل بالربا منتشرًا في الجزيرة العربية، ولعل هذا الداء الويل سرى إلى العرب من اليهود⁽¹⁾ وكان يتعامل به الأشراف وغيرهم وكانت نسبة الربا في بعض الأحيان إلى أكثر من مائة في المائة⁽²⁾.

وكان للعرب أسواق مشهورة: عكاظ، ومجنة، وذو المجاز، ويذكر بعض المؤلفين في أخبار مكة أن العرب كانوا يقيمون بعكاظ هلال ذي القعدة، ثم يذهبون منه إلى مجنة بعد مضي عشرين يومًا من ذي القعدة، فإذا رأوا هلال ذي الحجة ذهبوا إلى ذي المجاز فلبثوا فيها ثمانين ليلة، ثم يذهبون إلى عرفة، وكانوا لا يتبايعون في عرفة ولا أيام منى حتى جاء الإسلام فأباح لهم ذلك، قال تعالى: **(لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَقَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْجَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِّن قَبْلِهِ لَمَنِ الصَّالِينَ)** [البقرة: 198].

وقد استمرت هذه الأسواق في الإسلام إلى حين من الدهر ثم دَرسَتْ، ولم تكن هذه الأسواق للتجارة فحسب، بل كانت أسواقًا للادب والشعر والخطابة يجتمع فيها فحول الشعراء ومصافح الخطباء، ويتبارون فيها في ذكر أنسابهم، ومفاخرهم، وماثرهم، وبذلك كانت ثروة كبرى للغة، والادب، إلى جانب كونها ثروة تجارية⁽³⁾.

رابعًا: الحالة الاجتماعية:

هيمنت التقاليد والأعراف على حياة العرب، وأصبحت لهم قوانين عرفية فيما يتعلق بالأحساب والأنساب، وعلاقة القبائل ببعضها والأفراد كذلك، ويمكن إجمال الحالة الاجتماعية فيما يأتي:

1- الاعتزاز الذي لا حد له بالأنساب، والأحساب، والتفاخر بهما:

1 (1) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (1/98 إلى 101).
2 (?) انظر: دراسة تحليلية لشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم محمد ص 19.
3 (?) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (1/102).
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

فقد حرصوا على المحافظة على أنسابهم، فلم يصاهروا غيرهم من الأجناس الأخرى، ولما جاء الإسلام قضى على ذلك وبين لهم أن التفاضل إنما هو بالتقوى والعمل الصالح.

2- الاعتزاز بالكلمة، وسلطانها، لا سيما الشعر:

كانت تستهويهم الكلمة الفصيحة، والأسلوب البليغ، وكان شعرهم سجل مفاخرهم، وأحسابهم، وأنسابهم، وديوان معارفهم، وعواطفهم، فلا تعجب إذا كان نجم فيهم الخطباء المصاقع، والشعراء الفطاحل، وكان البيت من الشعر يرفع القبيلة، والبيت يخفضها، ولذلك ما كانوا يفرحون بشيء فرحهم بشاعر ينبع في القبيلة.

3- المرأة في المجتمع العربي:

كانت المرأة عند كثير من القبائل كسقط المتاع، فقد كانت تورث، وكان الابن الأكبر للزوج من غيرها من حقه أن يتزوجها بعد وفاة أبيه، أو يعضلها عن النكاح، حتى حُرِّم الإسلام ذلك، وكان الابن يتزوج امرأة أبيه⁽¹⁾ فنزل قول الله تعالى: **(وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا)** [النساء: 22].

وكانت العرب تحرم نكاح الأصول كالأمهات، والفروع كالبنات، وفروع الأب كالأخوات، والطبقة الأولى من فروع الجد كالأخالات والعمات⁽²⁾.

وكانوا لا يورثون البنات ولا النساء ولا الصبيان، ولا يورثون إلا من حاز الغنيمة وقتل على ظهور الخيل، وبقي حرمان النساء والصغار من الميراث عرفاً معمولاً به عندهم إلى أن توفي أوس بن ثابت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك بنتين كانت بهما دمامة، وابنتاً صغيراً، فجاء ابن عمه وهما عصبنه فأخذا ميراثه كله، فقالت امرأته لهما: تزوجا البنتين، فأبيا ذلك لدمامتهما، فأتت رسول الله فقالت: يا رسول الله توفي أوس وترك ابناً صغيراً وبنتين، فجاء ابن عمه سويد وعرفطة فأخذا ميراثه، فقلت لهما: تزوجا ابنتيه، فأبيا، فقال عليه الصلاة والسلام: **«لا تحركا في الميراث شيئاً»**⁽³⁾، ونزل قوله تعالى: **(لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا)** [النساء: 7].

وكان العرب يُعبرون بالبنات؛ لأن البنت لا تخرج في الغزو، ولا تحمي البيضة من المعتدين عليها، ولا تعمل فتاتي بالمال شأن الرجال، وإذا ما سبيت اتخذت للوطء تتداولها الأيدي لذلك، بل ربما أكرهت على احتراف البغاء، ليضم سيدها ما يصير إليها من المال بالبغاء إلى ماله، وقد كانت العرب تبيح ذلك، وقد كان هذا يورث الهم

¹ (؟) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبه (1/87).

² (؟) دراسة تحليلية لشخصية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، ص 22، 23، 24.)
(3) تفسير القرطبي (5/45).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

والحزن والخجل للأب عندما تولد له بنت، وقد جَدَّثَنَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ
عَنْ حَالَةِ مَنْ تُولَدُ لِيُ بِنْتٍ فَقَالَ تَعَالَى: (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَى
ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۖ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ
مَا بُشِّرَ بِهِ أُمَسَكُ عَلَى هُوْنٍ أَمْ يَدْسُهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ
مَا يَحْكُمُونَ) [النحل: 58-59].

وكثيرا ما كانوا يختارون دسها في التراب، ووأدها حية، ولا ذنب لها
إلا أنها أنثى⁽¹⁾؛ ولذلك أنكر القرآن الكريم عليهم هذه الفعلة الشنيعة
قال تعالى: (وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۖ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ) [التكوير: 8-9].

وكان بعض العرب يقتل أولاده من الفقر أو خشية الفقر فجاء
الإسلام وحرم ذلك قال تعالى: (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ
عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا
أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَاقٍ تَحْنُ تَزْرُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ) [الأنعام: 151].

وقال تعالى: (وَلَا يَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ تَحْنُ
تَزْرُقُهُمْ وَإِيَّاهُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ أَنْفُسَكُمْ كَانَتْ خَطَايَا كَبِيرًا) [الإسراء: 31].

وكانت بعض القبائل لا تتد البنات، كما كان فيهم من يستقبحون
هذه الفعلة الشنعاء كزيد بن عمرو بن نفيل⁽²⁾.

وكانت بعض القبائل تحترم المرأة وتأخذ رأيها في الزواج، وكانت
المرأة العربية الحرة تأنف أن تفتريش لغير زوجها وحليها، وكانت
تتسم بالشجاعة وتتبع المحاربين وتشجعهم، وقد تشارك في القتال
إذا دعت الضرورة، وكانت المرأة البدوية العربية تشارك زوجها في
رعي الماشية، وسقيها، وتغزل الوبر والصوف وتنسج الثياب، والبرود،
والأكسية، مع التصون والتعفف⁽³⁾.

4- النكاح:

تعارف العرب على أنواع النكاح، لا يعيب بعضهم على بعض إتيانها،
وقد ذكرت لنا السيدة عائشة رضي الله عنها فقالت: «إن النكاح في
الجاهلية كان على أربعة أنحاء: فنكاح منها نكاح اليوم: يخطب الرجل
إلى الرجل وليته أو ابنته، فيصدقها ثم ينكحها، ونكاح آخر: كان الرجل
يقول لامراته إذا طهرت من طمثها⁽⁴⁾: أرسلني إلى فلان فاستبضعي⁽⁵⁾
منه، ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبدا، حتى يتبين حملها من ذلك الرجل
الذي تستبضع منه، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب وإنما يفعل
ذلك رغبة في نجاة الولد، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع، ونكاح
آخر: يجتمع الرهط⁽⁶⁾ ما دون العشرة، فيدخلون على المرأة كلهم
يصبها فإذا حملت ووضعت، وممرت ليال بعد أن تضع حملها أرسلت

(?) انظر: دراسة تحليلية لشخصية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، ص 25، 26.

(?) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (1/92). (3) نفس المصدر (1/8).

(4) الطمث: الحيض. (2) استبضعي: الاستبضاع، طلب الجماع حتى تحمل منه.

(6) (?) الرهط: الجماعة دون العشرة. (4) القافة: جمع القائف، وهو الذي يعرف شبه الولد بالوالد.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

إليهم، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها، تقول لهم: قد عرفتُم الذي كان من أمركم، وقد ولدت، فهو ابنك يا فلان، تسمي من أحبت باسمه، فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع به الرجل، **والنكاح الرابع:** يجتمع الناس الكثير، فيدخلون على المرأة لا تمنع من جاءها وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علما، فمن أرادهن دخل عليهن، فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها، ودعوا لها القافة⁽¹⁾ ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون، فالتا⁽²⁾ به ودعي ابنه، لا يمتنع من ذلك، فلما بعث محمد **صلى الله عليه وسلم** بالحق هدم نكاح الجاهلية إلا نكاح الناس اليوم⁽³⁾.

وذكر بعض العلماء أنباء أخرى لم تذكرها عائشة رضي الله عنها كنكاح الخدن وهو في قوله تعالى: **(وَلَا تُتَّخَذُ أَخْدَانُ)** كانوا يقولون: ما استتر فلا بأس به، وما ظهر فهو لوم، وهو إلى الزنا أقرب منه إلى النكاح، وكنكاح المتعة وهو النكاح المعين بوقت، ونكاح البذل: كان الرجل في الجاهلية يقول للرجل: انزل لي على امرأتك، وأنزل لك عن امرأتي وأزيدك⁽⁴⁾.

ومن الأنيكة الباطلة نكاح الشغار وهو أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه الآخر ابنته، ليس بينهما صداق⁽⁵⁾.

وكانوا يحلون الجمع بين الأختين في النكاح، وكانوا يبيحون للرجل أن يجمع في عصمته من الزوجات ما شاء دون التقيد بعدد، وكان الذين جمعوا بين أكثر من أربع زوجات أكثر من أن ينالهم الع⁽⁶⁾، وجاء الإسلام ومنهم من له العشرة من النساء والأكثر، والأقل، فقصر ذلك على أربع إن علم أنه يستطيع الإنفاق عليهن، والعدل بينهن، فإن خاف عدم العدل فليكتف بواحدة، وما كانوا في الجاهلية يلتزمون العدل بين الزوجات، وكانوا يسبئون عشرتهن، وبهضمون حقوقهن حتى جاء الإسلام فأنصفهن، وأوصي بالإحسان إليهن في العشرة، وقرر لهن حقوقا ما كن يحلمن بها⁽⁷⁾.

5- الطلاق:

كانوا يمارسون الطلاق، ولم يكن للطلاق عندهم عدد محدد، فكان الرجل يطلق امرأته ثم يراجعها، ثم يطلقها ثم يراجعها هكذا أبداً، وبقي هذا الأمر معمولاً به في صدر الإسلام⁽⁸⁾ إلى أن أنزل الله تبارك وتعالى قوله: **(الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ)** [البقرة: 229].

² (5) التا²: أسئلته.

³ (?) البخاري، كتاب النكاح، باب لا نكاح إلا بولي رقم 5127. (7) فتح الباري (9/150).

⁵ (?) انظر: السيرة النبوية لأبي شهية (1/90).

⁶ (?) انظر: دراسة تحليلية لشخصية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ص 24، 25.

⁸ (1) انظر: السيرة النبوية لأبي شهية (1/88).
(?) دراسة تحليلية لشخصية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ص 25.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

فقيد الإسلام عدد الطلقات، وأعطى للزوج فرصة لتدارك أمره، ومراجعة زوجته مرتين، فإن طلق الثالثة فقد انقطعت عروة النكاح، ولا تحل له إلا بعد زوج آخر، ففي الكتاب الكريم (فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ) [البقرة: 230].

ومما كان يلحق بالطلاق في التحريم الظهار، وهو أن يقول الزوج لزوجته: أنت علي كظهر أمي، وكان تحريمًا مؤبدًا حتى جاء الإسلام، فوسمه بأنه منكر من القول وزور، وجعل للزوج مخرجًا منه، وذلك بالكفارة⁽¹⁾ قال تعالى: (الَّذِينَ يَظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْتُهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌ غَفُورٌ. وَالَّذِينَ يَظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكُمْ يُوعْظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [المجادلة: 2-4].

6- الحروب، والسطو، والإغارة:

كانت الحروب تقوم بينهم لأنفه الأسباب، فهم لا يبالون بشن الحروب وإزهاق الأرواح في سبيل الدفاع عن المثل الاجتماعية التي تعارفوا عليها وإن كانت لا تستحق التقدير، وقد روى لنا التاريخ سلسلة من أيام العرب في الجاهلية مما يدل على تمكن الروح الحربية من نفوس العرب وغلبتها على التعقل والتفكير، فمن تلك الأيام مثلاً يوم البسوس، وقد قامت الحرب فيه بين بكر وتغلب بسبب ناقة للجرمي وهو جار للبسوس بنت منقذ خالة جساس بن مرة، وقد كان كليب سيد تغلب قد حمى لإبله مكانًا خاصًا به فرأى فيه هذه الناقة فرماها فجزع الجرمي وجزعت البسوس، فلما رأى ذلك جساس تحين الفرصة لقتل كليب فقتله فقامت الحروب الطاحنة بين القبيلتين لمدة أربعين سنة⁽²⁾.

وكذلك يوم داحس والغبراء، وقد كان سببه سباقًا أقيم بين داحس وهو فرس لقيس ابن زهير، والغبراء وهي لحذيفة بن بدر فاعوز هذا إلى رجل ليقف في الوادي فإن رأى داحسا قد سبق يرده وقد فعل ذلك فلطم الفرس حتى أوقعها في الماء فسبقت الغبراء، وحصل بعد ذلك القتل والأخذ بالثأر، وقامت الحرب بين قبيلتي عبس وذبيان⁽³⁾.

وكذلك الحروب التي قامت بين الأوس والخزرج في الجاهلية وهم

¹ (?) انظر: السيرة النبوية لأبي شهية (1/91).
 (1) الكامل في التاريخ لابن الأثير (1/312). (2) نفس المصدر (1/343).
 هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

أبناء عم، حيث إن الأوس والخزرج أبناء حارثة بن ثعلبة الأزدي، واستمرت الحروب بينهم وكان آخر أيامهم (تبعث) وذلك أن خلفاء الأوس من اليهود جددوا عهودهم معهم على النصر، وهكذا كان كثير من حروب الأوس والخزرج يذكيها اليهود حتى يضعفوا القبيلتين فتكون لهم السيادة الدائمة، واستعان كل فريق منهم بحلفائه من القبائل المجاورة فاقتتلوا قتالاً شديداً كانت نهايته لصالح الأوس⁽¹⁾.

وكانت بعض القبائل تسطو وتغير بغية نهب الأموال وسبي الأحرار وبيعهم، كزيد ابن حارثة فقد كان عربياً حراً، وكسلمان الفارسي فقد كان فارسياً حراً، وقد قضى الإسلام على ذلك حتى كانت تسير المرأة والرجل من صنعاء إلى حضرموت لا يخافان إلا الله والذئب على أغنامهما⁽²⁾.

7- العلم والقراءة والكتابة:

لم يكن العرب أهل كتاب وعلم كاليهود والنصارى، بل كان يغلب عليهم الجهل والامية، والتقليد والجمود على القديم - وإن كان باطلاً - وكانت أمة العرب لا تكتب ولا تحسب وهذه هي الصفة التي كانت غالبية عليها، وكان فيهم قليل ممن يكتب ويقرأ ومع أميتهم وعدم اتساع معارفهم فقد كانوا يشتهرون بالذكاء، والفطنة، والالمية، ولطف المشاعر، وإرهاق الحس، وحسن الاستعداد، والتهيو لقبول العلم والمعرفة، والتوجيه الرشيد؛ ولذلك لما جاء الإسلام صاروا علماء، حكماء، فقهاء، وزالت عنهم الأمية، وأصبح العلم والمعرفة من أخص خصائصهم، وكان فيهم من مهر في علم قص الأثر، وهو القيافة، وكان فيهم أطباء كالخارث بن كعدة، وكان طيهم مبني على التجارب التي اكتسبوها من الحياة والبيئة⁽³⁾.

خامساً: الحالة الأخلاقية:

كانت أخلاق العرب قد ساءت وأولعوا بالخمير والقمار، وشاعت فيهم الغارات وقطع الطريق على القوافل، والعصبية والظلم، وسفك الدماء، والأخذ بالثأر، واغتصاب الأموال، وأكل مال اليتامى، والتعامل بالربا، والسرقة والزنا، ومما ينبغي أن يعلم أن الزنا إنما كان في الإماء وأصحاب الرايات من البغايا، ويندر أن يكون في الحرائر، وليس أدل على هذا من أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أخذ البيعة على النساء بعد الفتح: «على أن لا يشركن بالله شيئاً، ولا يسرقن، ولا يزنین» قالت السيدة هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان: أوتزني الحرة^{(4)!!!}.

وليس معنى هذا أنهم كانوا كلهم على هذا، لا. لقد كان فيهم كثيرون لا يزنون ولا يشربون الخمر، ولا يسفكون الدماء ولا يظلمون،

¹ (?) التاريخ الإسلامي، د. عبد العزيز الحميدي (1/55). (4) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (1/93).

³ (?) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (1/93). (2,3) المصدر السابق (1/94). هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

ويتخرجون من أكل أموال اليتامى، ويتنزهون عن التعامل بالربا⁽¹⁾ وكانت فيهم سمات وخصال من الخير كثيرة أهلّتهم لحمل راية الإسلام ومن تلك الخصال والسمات:

1- الذكاء والفطنة:

فقد كانت قلوبهم صافية، لم تدخلها تلك الفلسفات والأساطير والخرافات التي يصعب إزالتها، كما في الشعوب الهندية والرومانية والفارسية، فكان قلوبهم كانت تعد لحمل أعظم رسالة في الوجود وهي دعوة الإسلام الخالدة؛ ولهذا كانوا أحفظ شعب عرف في ذلك الزمن، وقد وجه الإسلام قريحة الحفظ والذكاء إلى حفظ الدين وحمايته، فكانت قواهم الفكرية، ومواهبهم الفطرية مذكورة فيهم، لم تستهلك في فلسفات خيالية، وجدال بيزنطي عقيم، ومذاهب كلامية معقدة⁽²⁾.

واتساع لغتهم دليل على قوة حفظهم وذاكرتهم، فإذا كان للعسل ثمانون اسمًا وللثعلب مائتان وللأسد خمسمائة، فإن للجمل ألفًا، وكذا السيف، وللداهية نحو أربعة آلاف اسم، ولا شك أن استيعاب هذه الأسماء يحتاج إلى ذاكرة قوية حاضرة وقادة⁽³⁾.

وقد بلغ بهم الذكاء والفطنة إلى الفهم بالإشارة فضلًا عن العبارة، والأمثلة على ذلك كثيرة⁽⁴⁾.

2- أهل كرم وسخاء:

كان هذا الخلق متأصلًا في العرب، وكان الواحد منهم لا يكون عنده إلا فرسه، أو ناقته، فباتيه الضيف، فيسارع إلى ذبحها، أو نحرها له، وكان بعضهم لا يكتفي بإطعام الإنسان بل كان يطعم الوحش، والطير، وكرم حاتم الطائي سارت به الركب، وضربت به الأمثال⁽⁵⁾.

3- أهل شجاعة ومروءة ونجدة:

كانوا يتمادحون بالموت قتلاً، ويتهاجون بالموت على الفراش قال أحدهم لما بلغه قتل أخيه: إن يقتل فقد قتل أبوه وأخوه وعمه، أنا والله لا نموت حتفًا، ولكن قطعًا بأطراف الرماح، وموتًا تحت ظلال السيوف:

وما مات منا سيد حتف أنفه ولا طلّ منا حيث كان قتيل

تسيل على حد الطباة وليس على غير الطباة تسيل نفوسنا

وكان العرب لا يقدمون شيئًا على العز وصيانة العرض، وحماية الحرم، واسترخصوا في سبيل ذلك نفوسهم قال عنترة:

¹ (4) انظر: السيرة للندوي ص12. (5) بلوغ الأرب (1/39-40).

² (6) انظر: مدخل لفقه السيرة ص79، 80.

(1) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (1/95). (2) ديوان عنترة، ص252.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

أصبحت عن غرض الحتوف
مغزل،
لا بد أن أسقى بكأس المنهل
أقتل⁽¹⁾

بَكَرْتُ تخوفني الحُتوف
كأنني
فأجبتها إن المنية منهل
فأقني حياءك لا أبا لك
واعلمي
وقال عنترة:

بل فاسقني بالعز كأس
الحنظل
وجهم بالعز أطيب منزل⁽²⁾

لا تسقني ماء الحياة بذلة
ماء الحياة بذلة كجهنم

وكان العرب بفطرتهم أصحاب شهامة ومروءة، فكانوا يأبون أن ينتهز القوي الضعيف، أو العاجز، أو المرأة أو الشيخ، وكانوا إذا استنجد بهم أحد أنجدوه ويرون من النذالة التخلي عن لجأ إليهم.

4- عشقهم للحرية، وإباؤهم للضم والذل:

كان العربي بفطرتة يعشق الحرية، يحيا لها، ويموت من أجلها، فقد نشأ طليقاً لا سلطان لأحد عليه، ويأبى أن يعيش ذليلاً، أو يمس في شرفه وعرضه ولو كلفه ذلك حياته⁽³⁾، فقد كانوا يأنفون من الذل ويأبون الضيم والاستصغار والاحتقار، وإليك مثال على ذلك.
جلس عمرو بن هند ملك الحيرة لندمائه وسألهم: هل تعلمون أحداً من العرب تأنف أمه خدمة أمي؟ قالوا: نعم، أم عمرو بن كلثوم الشاعر الصعلوك.

فدعا الملك عمرو بن كلثوم لزيارته، ودعا أمه لتزور أمه، وقد اتفق الملك مع أمه أن تقول لأم عمرو بن كلثوم بعد الطعام: ناوليني الطبق الذي بجانبك، فلما جاءت قالت لها ذلك، فقالت: لتقم صاحبة الحاجة إلى حاجتها، فأعادت عليها الكرة والحت، فصاحت ليلى أم عمرو بن كلثوم: وا ذلاه يا تغلب.. فسمعها ابنها فاشتد به الغضب فرأى سيفاً للملك معلقاً بالرواق فتناوله وضرب به رأس الملك عمرو بن هند، ونادى في بني تغلب، وانتهبوا ما في الرواق، ونظم قصيدة يخاطب بها الملك قائلاً:

بأي مشيئة عمرو بن هند
بأي مشيئة عمرو بن هند
تهددنا وتوعدنا رويداً
تطيع بنا الوشاة وتزدرينا
متى كنا لأمك مقتوبنا⁽⁶⁾

قطينا⁽⁵⁾

¹ (3) ديوان عنترة: د. فاروق الطباع ص 82.
⁴ (1) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (1/95).
(?) القيل: هو الملك دون الملك الأعظم. (3) القطين: هم الخدم.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

إذا ما الملك سام الناس إينا أن نقر الذل فينا⁽¹⁾

5- الوفاء بالعهد وحبهم للصراحة والوضوح والصدق:

كانوا يأنفون من الكذب ويعيبونه، وكانوا أهل وفاء، ولهذا كانت الشهادة باللسان كافية للدخول في الإسلام، ويدل على أنفتهم من الكذب قصة أبي سفيان مع هرقل لما سأله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت الحروب بينهم قائمة قال: «لولا الحياء من أن يأنثروا علي كذبًا لكذبت عنه»⁽²⁾.

أما وفاؤهم: فقد قال النعمان بن المنذر لكسرى في وفاء العرب: «وإن أحدهم يلحظ اللحظة ويومئ الإيماء فهي ولث⁽³⁾ وعقدة لا يحلها إلا خروج نفسه، وإن أحدهم يرفع عودًا من الأرض فيكون رهناً بدينه فلا يُغلق رهنه ولا تخفر ذمته، وإن أحدهم ليلبغه أن رجلاً استجار به، وعسى أن يكون نائياً عن داره، فيصاب، فلا يرضى حتى يفنى تلك القبيلة التي أصابته، أو تفنى قبيلته لما أخفر من جواره، وأنه ليلجأ إليهم المحرم المحدث من غير معرفة ولا قرابة فتكون أنفسهم دون نفسه وأموالهم دون ماله»⁽⁴⁾.

والوفاء خلق متأصل بالعرب، فجاء الإسلام ووجهه الوجهة السليمة، فغلط على من أوى محدثاً مهما كانت منزلته وقرابته، قال صلى الله عليه وسلم: «لعن الله من أوى محدثاً»⁽⁵⁾.

ومن القصص الدالة على وفائهم⁽⁶⁾: «أن الحارث بن عباد قاد قبائل بكر لقتال تغلب وقائدهم المهلهل الذي قتل ولد الحارث، وقال: (بؤ بشسع نعل كليب) في حرب البسوس، فأسر الحارث مهلهلاً وهو لا يعرفه، فقال دلني على مهلهل بن ربيعة وأخلي عنك، فقال له: عليك العهد بذلك إن دلتك عليه، قال: نعم قال: فانا هو، فجز ناصيته وتركه» وهذا وفاء نادر ورجولة تستحق الإكبار⁽⁷⁾. ومن وفائهم: أن النعمان بن المنذر خاف على نفسه من كسرى لما منعه من تزويج ابنته فاودع أسلحته وجرمه إلى هانئ بن مسعود الشيباني، ورحل إلى كسرى فبطش به، ثم أرسل إلى هانئ يطلب منه ودائع النعمان، فأبى، فسير إليه كسرى جيشاً لقتاله فجمع هانئ قومه آل بكر وخطب فيهم فقال: «يا معشر بكر، هالك معذور، خير من ناج فرور، إن الحذر لا ينجي من قدر، وإن الصبر من أسباب الظفر، المنية ولا الدنية، استقبال الموت خير من استدباره، الطعن في ثغر النحور، أكرم منه

6 (?) مقتوبنا: خدمة الملوك. (5) انظر: شرح المعلقات للحسين الزوزني ص 204، 196.

2 (?) صحيح البخاري- كتاب بدء الوحي رقم 7. (7) الولث: الوعد الضعيف.

4 (1) بلوغ الأرب (1/150).

5 (?) رواه مسلم، كتاب الأضاحي، رقم 1978. (3) انظر: مدخل لفهم السيرة ص 90.

7 (?) نفيس المصدر ص 91. (5) تاريخ الطبري عن يوم ذي قار (2/207).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

في الأعجاز والظهور، يا آل بكر قاتلوا فما للمنايا من بد»⁽¹⁾، واستطاع بنو بكر أن يهزموا الفرس في موقعة ذي قار، بسبب هذا الرجل الذي احتقر حياة الصغار والمهانة، ولم يبال بالموت في سبيل الوفاء بالعهد.

6- الصبر على المكاره وقوة الاحتمال، والرضا باليسير:

كانوا يقومون من الأكل ويقولون: البطنة تذهب الفطنة، ويعيون الرجل الأكل الجشع، قال شاعرهم:

إذا مدت الأيدي إلى الزاد لم أعجل⁽²⁾

وكانت لهم قدرة عجيبة على تحمل المكاره والصبر في الشدائد، وربما اكتسبوا ذلك من طبيعة بلادهم الصحراوية الجافة، قليلة الزرع والماء، فالفوا اقتحام الجبال الوعرة، والسير في حر الظهيرة، ولم يتأثروا بالحر ولا بالبرد، ولا وعورة الطريق، ولا بعد المسافة، ولا الجوع، ولا الظما، ولما دخلوا الإسلام ضربوا أمثلة رائعة في الصبر، والتحمل وكانوا يرضون باليسير، فكان الواحد منهم يسير الأيام مكتفياً بتمرات يقيم بها صلبه، وقطرات من ماء يربط بها كبده⁽³⁾.

7- قوة البدن وعظمة النفس:

واشتهروا بقوة أجسادهم مع عظمة النفس وقوة الروح، وإذا اجتمعت البطولة النفسية إلى البطولة الجسمانية صنعنا العجائب، وهذا ما حدث بعد دخولهم في الإسلام. كما كانوا ينزلون أقرانهم وخصومهم، حتى إذا تمكنوا منهم عفا عنهم وتركوهم، يابون أن يجهزوا على الجرحى، وكانوا يرعون حقوق الجيرة، ولا سيما رعاية النساء والمحافظة على العرض قال شاعرهم:

وأغض طرفي إن بدت لي حتى يوارى جارتي مأواها

وكانوا إذا استجار أحد الناس بهم أجاروه، وربما ضحوا بالنفس والولد والمال في سبيل ذلك.

كانت هذه الفصائل والأخلاق الحميدة رصيда ضخما في نفوس العرب، فجاء الإسلام فنماها وقواها، ووجهها وجهة الخير والحق، فلا عجب إذا كانوا أنطلقوا من الصحاري كما تنطلق الملائكة الأطهار، فتحوا الأرض، وملئوها إيمانا بعد أن ملئت كفرًا، وعدلا بعد أن ملئت جورًا، وفصائل بعد أن عمتها الرذائل، وخيرا بعد أن طفحت شرًا⁽⁴⁾.

هذه بعض أخلاق المجتمع الذي نشأ فيه الإنسان العربي فهو أفضل المجتمعات، لهذا اختير رسول الله صلى الله عليه وسلم، واختير له هذا المجتمع العربي، وهذه البيئة النادرة، وهذا الوسط الرفيع مقارنة بالفرس والروم والهنود واليونان، فلم يختر من الفرس على

² (؟) بلوغ الإرب (1/377). (7) انظر: السيرة النبوية لأبي شعبة (97، 1/96).

⁴ (؟) انظر: السيرة النبوية لأبي شعبة (1/97) هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

سعة علومهم ومعارفهم ولا من الهنود على عمق فلسفاتهم، ولا من الرومان على تفننهم، ولا من اليونان على عبقرية شاعريتهم وخيالهم، وإنما اختير من هذه البيئة البكر؛ لأن هؤلاء الأقوام وإن كانوا على ما هم عليه وما هم فيه من علوم ومعارف، إلا أنهم لم يصلوا إلى ما وصل إليه العرب من سلامة الفطرة، وحرية الضمير، وسمو الروح⁽¹⁾.

* * *

¹ (?) انظر: نظرات في السيرة للإمام حسن البنا، ص14.
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

المبحث الرابع

أهم الأحداث قبل مولد الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم

أراد الله سبحانه وتعالى أن يرحم البشرية ويكرم الإنسانية فحان وقت الخلاص بمبعث الحبيب صلى الله عليه وسلم وقبل أن نشرع في بيان ميلاده الكريم ونشأته العزيزة، ورعاية الله عز وجل له قبل نزول الوحي عليه، وسيرته العطرة قبل البعثة، نريد أن نتحدث عن الآيات العظيمة، والأحداث الجليلة التي سبقت ميلاده عليه الصلاة والسلام، فقد سبق مولده الكريم أمور عظيمة دلت على اقتراب تباشير الصباح.

إن من سنن الله في الكون أن الانفراج يكون بعد الشدة، والضياء يكون بعد الظلام، واليسر بعد العسر⁽¹⁾.

ومن أهم هذه الأحداث:

أولاً: قصة حفر عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم لززم:

ذكر الشيخ إبراهيم العلي في كتابه القيم «صحيح السيرة النبوية» رواية صحيحة في قصة حفر عبد المطلب لززم من حديث علي بن أبي طالب ؓ قال: «قال عبد المطلب: إني لنائم في الحجر إذ أتاني أت فقال لي: احفر طيبة⁽²⁾، قلت: وما طيبة؟ قال: ثم ذهب عني.

قال: فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي، فنمت فيه، فجاءني فقال: احفر برة⁽³⁾، قلت: وما برة؟ قال: ثم ذهب عني فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه، فجاءني فقال: احفر المصنونة⁽⁴⁾. قال: قلت: وما المصنونة؟ قال: ثم ذهب.

فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي، فنمت فيه فجاءني فقال: احفر زمزم. قال: قلت: وما زمزم؟ قال لا تنزف⁽⁵⁾ أبداً ولا تؤذم، تسقي الحجج الأعظم، وهي بين الفرت والدم، عند نقرة الغراب الأعصم⁽⁶⁾، عند قرية النمل⁽⁷⁾.

قال: فلما بين شأنها، ودل على موضعها، وعرف أنه قد صدق، غدا بمعول⁽⁸⁾ ومعه ابنه الحارث بن عبد المطلب، وليس معه يومئذ ولد غيره، فحفر فيها، فلما بدا لعبد المطلب الطي⁽⁹⁾ كبر، فعرفت قریش أنه قد أدرك حاجته، فقاموا إليه فقالوا: يا عبد المطلب إنها بئر آبينا

(?) انظر: هذا الحبيب يا محب، للجزائري، ص 51.

(?) طيبة: مشتقة من الطيب، وبه سميت المدينة. (3) برة: مشتقة من البر، والبر: هو الخير والطهارة.

(?) المصنونة: الغالية النفسية التي يضن بمثلها، أي يخل. (5) لا تنزف: أي لا يفرغ ماؤها ولا يلحق فقرها.

(?) الغراب الأعصم: الذي في ساقه بياض. (7) قرية النمل: المكان الذي يجتمع فيه النمل.

(?) المعول: الفأس.

(1) الطي: حافة البئر.

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

إسماعيل، وإنا لنا فيها حق، فأشركنا معك فيها. قال: ما أنا بفاعل، إن هذا الأمر قد خصصت به دونكم، وأعطيته من بينكم، قالوا له: فأنصفنا، فإنا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها، قال: فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم إليه، قالوا: كاهنة بني سعد بن هذيم: قال: نعم، وكانت بأشراف الشام.

فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني أبيه من بني عبد مناف، وركب من كل قبيلة من قريش نفر، فخرجوا والأرض إذ ذاك مفاوز، حتى إذا كانوا ببعضها نفذ ماء عبد المطلب وأصحابه، فعطشوا حتى استيقنوا بالهلكة، فاستسقوا من كانوا معهم فأبوا عليهم، وقالوا: إنا بمفازة⁽¹⁾ وإنا نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم، فقال عبد المطلب: إني أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرة لنفسه بما لكم الآن من القوة، فكلما مات رجل دفعه أصحابه في حفرة ثم واره، حتى يكون آخرهم رجلا واحدا، فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب جميعه، فقالوا: نعم ما أمرت به.

فحفر كل رجل لنفسه حفرة ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشا، ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه: والله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت لا نضرب في الأرض، ولا نبتغي لأنفسنا لعجز، فعسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد، ارتحلوا، فارتحلوا حتى إذ بعث⁽²⁾ عبد المطلب راحلته انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب، فكبر عبد المطلب، وكبر أصحابه، ثم نزل فشرب وشرب أصحابه، واستسقوا حتى ملأوا أسقيتهم، ثم دعا قبائل قريش وهم ينتظرون إليهم في جميع هذه الأحوال، فقال: هلموا إلى الماء فقد سقانا الله، فجاءوا فشربوا، واستقوا كلهم، ثم قالوا: قد والله قضى لك علينا، والله ما نخاصمك في زمزم أبدا، إن الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة هو الذي سقاك زمزم، فارجع إلى سقايتك راشدا، فرجع ورجعوا معه ولم يصلوا إلى الكاهنة، وخلوا بينه وبين زمزم.

قال ابن إسحاق: فهذا ما بلغني عن علي بن أبي طالب في زمزم⁽³⁾ وقد ورد في فضل ماء زمزم أحاديث كثيرة فمنها، ما رواه مسلم في صحيحه في قصة إسلام أبي ذر: «إنها طعام طعم»⁽⁴⁾.

وروى الدارقطني والحاكم وصححه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم: «ماء زمزم لما شرب له: إن شربته لتستشفى شفاك الله، وإن شربته لشبعك أشبعك الله، وإن شربته لقطع ظمئك قطعه الله، وهي هزمة⁽⁵⁾ جبريل، وسقيا الله إسماعيل». قال الشيخ محمد

(?) المفازة: جمعها مفاوز: القفار. (3) بعث راحلته: أقامها من بروتها.

(?) السيرة النبوية لابن هشام (142-155) السير والمغازي لابن إسحاق ص 24، 25، تحقيق سهيل زكار، البيهقي في الدلائل (93-95) وصرح ابن إسحاق بالسماح فسنده صحيح، وله شاهد من مرسل الزهري، فالحديث صحيح من طريق البيهقي وابن هشام.

(?) مشيع.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

أبو شهبه رحمه الله⁽¹⁾: ومهما يكن من شيء فقد صحح الحافظ الدمياطي، وهو من الحفاظ المتأخرين المتقين حديث: «ماء زمزم لما شرب له» وأقره الحافظ العراقي⁽²⁾.

ثانيًا: قصة أصحاب الفيل:

هذه الحادثة ثابتة بالقرآن الكريم والسنة النبوية، وأتت تفاصيلها في كتب السير والتاريخ وذكرها المفسرون في كتبهم. قال تعالى: **(الْم تَرَكَيْتَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۖ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۖ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۖ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ)** [الفيل: 1-5].

أما إشارات الرسول إلى الحادث فمنها:

• أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما خرج زمن الحديبية سار حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت بها راحلته فقال الناس! خل خل⁽³⁾، فألحت⁽⁴⁾ فقالوا: خلأت القصواء! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل»⁽⁵⁾.

وجاء في السيرة النبوية لأبي حاتم ما يلي: «كأن من شأن الفيل أن ملكاً كان باليمن غلب عليها، وكان أصله من الحبشة يقال له أبرهة، بنى كنيسة بصنعاء فسمّاها القليس، وزعم أنه يصرف إليها حج العرب، وحلف أن يسير إلى الكعبة فيهدمها، فخرج ملك من ملوك حمير فيمن أطاعه من قومه، يقال له ذو نفر فقاتله، فهزّمه أبرهة وأخذه، فلما أتى به قال له ذو نفر: أيها الملك لا تقتلني فإن استبقائي خير لك من قتلي، فاستبقاه، وأوثقه، ثم خرج سائرًا يريد الكعبة حتى إذا دنا من بلاد خثعم، خرج إليه النفل بن حبيب الخثعمي ومن اجتمع إليه من قبائل اليمن فقاتلوه فهزّمهم وأخذ النفل، فقال النفل: أيها الملك. إني عالم بارض العرب فلا تقتلني، وهاتان يداي على قومي بالسمع والطاعة، فاستبقاه وخرج معه يده حتى إذا بلغ الطائف خرج إليه مسعود بن مَعْبُت في رجال ثقيف فقال: أيها الملك نحن عبيد لك ليس لك عندنا خلاف، وليس بيننا وبينك الذي تريد -يعنون اللات- إنما تريد البيت الذي بمكة، نحن نبعث معك من يدك عليه، فبعثوا معه مولى لهم يقال له أبو رغال فخرج معهم حتى إذا كان بالمغمس⁽⁶⁾ مات أبو رغال وهو الذي رجم قبره، وبعث أبرهة من المغمس رجلاً، يقال له الأسود بن مقصود على مقدمة خيله، فجمع إليه أهل الحرم، وأصاب لعبد المطلب مائتي بغير بالأرك، ثم بعث أبرهة حُناطة

(1) هزيمة أو همزة: أثر ضررته في الأرض بعقبه، أو جناحه.
(2) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (1/158).
(3) مقدمة ابن الصلاح، وشرحها للحافظ العراقي ص13.

(4) كلمة تقال للناقة إذا تركت السير (فتح الباري: 5/335).
(5) ألحت: أي تمادت على عدم القيام وهو من الإلحاح، فتح الباري (5/335).
(6) البخاري، الشروط (5/388).
(7) المغمس: مكان قرب مكة في طريق الطائف مات فيه أبو رغال.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

الحميري إلى أهل مكة فقال: سل عن شريفها ثم أبلغه أنني لم آت لقتال، إنما جئت لأهدم هذا البيت، فانطلق حناطة حتى دخل مكة فلقى عبد المطلب بن هاشم فقال: إن الملك أرسلني إليك ليخبرك أنه لم يأت لقتال إلا أن تقاتلوه، إنما جاء لهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم، فقال عبد المطلب: ما عندنا له قتال، فقال: سنخلي بينه وبين البيت، فإن خلى الله بينه وبينه فوالله ما لنا به قوة، قال: فانطلق معي إليه، قال: فخرج معه حتى قدم المعسكر وكان «ذو نفر» صديقا لعبد المطلب فاتاه فقال: يا ذا نفر هل عندكم من غناء فيما نزل بنا؟ فقال: ما غناء رجل أسير لا يأمن من إن يقتل بكرة أو عشية، ولكن سأبعث لك إلى أنيس سائس الفيل فأمره أن يصنع لك عند الملك ما استطاع من خير، ويعظم خطرک ومنزلتك عنده، قال: فأرسل إلى أنيس فاتاه فقال: إن هذا سيد قريش صاحب عين مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في الجبال، وقد أصاب له الملك مائتي بعير، فإن استطعت أن تنفعه فانفعه، فإنه صديق لي.

فدخل أنيس على أبرهة فقال: أيها الملك! هذا سيد قريش وصاحب عين مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في الجبال يستأذن عليك وأنه أحب أن تآذن له، فقد جاءك غير ناصب لك ولا مخالف عليك، فأذن له وكان عبد المطلب رجلاً عظيمًا جسيمًا وسيماً، فلما رآه أبرهة عظمه وأكرمه، وكره أن يجلس معه على سريره وأن يجلس تحته، فهبط إلى البساط فجلس عليه معه، فقال له عبد المطلب: أيها الملك إنك قد أصبت لي مالا عظيما فأردده علي، فقال له: لقد أعجبتني حين رأيتك ولقد زهدت فيك، قال: ولم؟ قال: جئت إلى بيت هو دينك ودين آبائك وعصمتكم ومنعتكم فأهدمته فلم تكلمني فيه، وتكلمني في مائتي بعير لك؟ قال: أنا رب هذه الإبل، ولهذا البيت رب سيمنعه، قال: ما كان ليمنعه مني، قال: فأنت وذاك، قال: فأمر بابله فردت عليه، ثم خرج عبد المطلب وأخبر قريش الخبر وأمرهم أن يتفرقوا في الشعاب، وأصبح أبرهة بالمغمس قد تهيا للدخول وعبا جيشه، وقرب قبله وحمل عليه ما أراد أن يحمل وهو قائم، فلما حركه وقف وكاد أن يرمز إلى الأرض فيسرك، فضربوه بالمعول في رأسه فأبى، فأدخلوا محاجن لهم تحت مراقه ومراقه فأبى، فوجهوه إلى اليمن فهرول، فصرفوه إلى الحرم فوقف، ولحق الفيل بجبل من تلك الجبال، فأرسل الله الطير من البحر كالبلسان⁽¹⁾ مع كل طير ثلاثة أحجار: حجران في رجله وحجر في منقاره، ويحملن أمثال الحمص والعدس من الحجارة، فإذا غشين القوم أرسلنها عليهم، فلم تصب تلك الحجارة أحدا إلا هلك وليس كل القوم أصيب فذلك قوله تعالى: **(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۖ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۖ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۖ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۖ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۚ)** [الفيل:

¹ (؟) البلسان: الزرازير.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

5-1] وبعث الله علي أبرهة داء في جسده، ورجعوا سراعا يتساقطون في كل بلد، وجعل أبرهة تتساقط أنامله، كلما سقطت أنملة أتبعها مدة من قيح ودم، فانتهى إلى اليمن وهو مثل فرخ الطير فيمن بقي من أصحابه، ثم مات⁽¹⁾.

وذكر ابن إسحاق - رحمه الله - في سيرته كما نقله ابن هشام عنه في السير، أن عبد المطلب أخذ بحلقة باب الكعبة، وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده، فقال عبد المطلب، وهو أخذ بحلقة باب الكعبة:

لا هم إن العبد يم - نع رحله فامنع حلالك

لا يغلبن صليهم - ومحالمهم عَدُوًّا محالك

إن كنت تاركهم وقبل - تننا فأمر ما بدًا لك

ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شغف الجبال فتحرزوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها، وذكر بعد ذلك ما حدث من هلاك لأبرهة وجيشه⁽²⁾.

دروس وعبر وفوائد من حادثة الفيل:

1- بيان شرف الكعبة، أول بيت وضع للناس: وكيف أن مشركي العرب كانت تعظمه وتقده، ولا يقدمون عليه شيئاً، وتعود هذه المنزلة إلى بقايا ديانة إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام.

2- حسد النصارى وحقدهم على مكة وعلى العرب: الذين يعظمون هذا البيت، ولذلك أراد أبرهة أن يصرف العرب عن تعظيم بيت الله ببناء كنيسة القليس، وعلى الرغم من استعماله أساليب الترغيب والترهيب، إلا أن العرب امتنعوا ووصل الأمر إلى مداه بأن أحدث في كنيسة القليس أحد الأعراب. قال الرازي - رحمه الله تعالى - في قوله تعالى **(أَلَمْ يَجْعَلْ كُذُوبَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ)**: اعلم أن الكيد هو إرادة مضرة بالغير على الخفية. (إن قيل) لِمَا سماه كيداً وأمره كان ظاهراً، فإنه كان يصرح أن يهدم البيت؟ (قلنا) نعم، لكن الذي كان في قلبه شر مما أظهر؛ لأنه كان يضم الحسد للعرب، وكان يريد صرف الشرف الحاصل لهم، بسبب الكعبة، منهم ومن بلدهم إلى نفسه وإلى بلدته⁽³⁾.

¹ (?) السيرة النبوية لأبي حاتم البستي ص 34-39، وانظر السيرة النبوية لابن كثير (1/ص 37-38).

² (?) السيرة النبوية لابن هشام مع شرح أبي ذر الخشنى (1/84-91).

³ (?) انظر: تفسير الرازي (32/94).

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

3- التضحية في سبيل المقدسات: قام ملك من ملوك حمير في وجه جيش أبرهة ووقع الملك أسيراً، وقام النفييل بن حبيب الخثعمي ومن اجتمع معه من قبائل اليمن فقاتلوا أبرهة إلا أنهم انهزموا أمام الجيش العرمرم وبذلوا دماءهم دفاعاً عن مقدساتهم. إن الدفاع عن المقدسات والتضحية في سبيلها شيء غريزي في فطرة الإنسان.

4- خونة الأمة مخدولون: فهؤلاء العملاء الذين تعاونوا مع أبرهة وصاروا عيوناً له وجواسيس وأرشدوه إلى بيت الله العتيق ليهدمه، لعنوا في الدنيا والآخرة، لعنهم الناس، ولعنهم الله سبحانه وتعالى، وأصبح قبر أبي رغال رمزاً للخيانة والعمالة، وصار ذاك الرجل مبعوضاً في قلوب الناس، وكلما مر أحد على قبره رحمه.

5- حقيقة المعركة بين الله وأعدائه: في قول عبد المطلب زعيم مكة: «سنخلي بينه وبين البيت فإن خلى الله بينه وبينه، فوالله ما لنا به قوة» وهذا تقرير دقيق لحقيقة المعركة بين الله وأعدائه، فمهما كانت قوة العدو وحشوده، فإنها لا تستطيع الوقوف لحظة واحدة أمام قدرة الله وبطشه ونقمته، فهو سبحانه وأهـب الحياة وسالها في أي وقت شاء⁽¹⁾.

قال القاسمي -رحمه الله-: قال القاشاني -رحمه الله-: قصة أصحاب الفيل مشهورة وواقعته قريية من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي إحدى آيات قدرة الله، وأثر من سخطه على من اجترأ عليه بهتك حرمة⁽²⁾.

6- تعظيم الناس للبيت وأهله: ازداد تعظيم العرب لبيت الله الحرام الذي تكفل بحفظه وحمايته من عبث المفسدين، وكيد الكائدين⁽³⁾ وأعظمت العرب قريشا، وقالوا: هم أهل الله، قاتل الله عنهم وكفاهم العدو، وكان ذلك آية من الله، ومقدمة لبعثة نبي يبعث من مكة ويطهر الكعبة من الأوثان، ويعيد لها ما كان لها من رفعة وشأن⁽⁴⁾.

7- قصة الفيل من دلائل النبوة: قال بعض العلماء: إن حادثة الفيل من شواهد النبوة ودلائلها ومن هؤلاء: الماوردي -رحمه الله-: آيات الملك باهرة، وشواهد النبوة ظاهرة، تشهد مبادئها بالعواقب فلا يلتبس فيها كذب بصدق، ولا منتحل بحق، وبحسب قوتها وانتشارها يكون بشائرها وإنذارها، ولما دنا مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاظرت آيات نبوته، وظهرت آيات بركته، فكان من أعظمها شأناً وأشهرها عيائاً وبياتاً أصحاب الفيل.. إلى أن قال: وآية الرسول في قصة الفيل أنه كان في زمانه حملاً في بطن أمه بمكة؛ لأنه ولد

¹ (?) انظر: السيرة النبوية لأبي فارس ص112.
² (?) انظر: محاسن التفسير للقاسمي (17/262).
³ (?) انظر: السيرة النبوية لأبي فارس ص112.

⁴ (5) انظر: السيرة النبوية للندوي ص92.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

بعد خمسين يومًا من الفيل، وبعد موت أبيه في يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول، فكانت آية في ذلك من وجهين.

أحدهما: أنهم لو ظفروا لسبوا وابسترقوا، فأهلكهم الله تعالى لصيانة رسوله **صلى الله عليه وسلم** أن يجري عليه السبي حملاً ووليدًا.

والثاني: أنه لم يكن لقريش من التآله ما يستحقون به رفع أصحاب الفيل عنهم، وما هم أهل كتاب؛ لأنهم كانوا بين عابد صنم، أو متدين وثن أو قائل بالزندقة، أو مانع من الرجعة، ولكن لما أراد الله تعالى من ظهور الإسلام، تأسياً للنبوة، وتعظيمًا للكعبة.. ولما انتشر في العرب ما صنع الله تعالى في جيش الفيل تهيؤا الحرم وأعظموه، وزادت حرمة في النفوس ودانت لقريش بالطاعة، وقالوا: أهل الله قاتل عنهم وكفاهم كيد عدوهم، فزادوهم تشريقًا وتعظيمًا وقامت قريش لهم بالرفادة والسدانة والسقاية، والرفادة مال تخرجه قريش في كل عام من أموالهم يصنعون به طعامًا للناس أيام منى، فصاروا أئمة ديانين، وقادة متبوعين، وصار أصحاب الفيل مثلًا في الغابرين⁽¹⁾.

وقال ابن تيمية -رحمه الله-: وكان ذلك عام مولد النبي صلى الله عليه وسلم، وكان جيران البيت مشركين يعبدون الأوثان ودين النصارى خير منهم، فعلم بذلك أن هذه الآية لم تكن لأجل جيران البيت حينئذ، بل كانت لأجل البيت، أو لأجل النبي صلى الله عليه وسلم الذي ولد في ذلك العام عند البيت أو لمجموعهما، وأي ذلك كان فهو من دلائل نبوته⁽²⁾.

وقال ابن كثير -رحمه الله- عندما تحدث عن حادثة الفيل: كان هذا من باب الإرهاس والتوطئة لمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه في ذلك العام ولد على أشهر الأقوال، ولسان حال القدرة يقول: لم ينصركم يا معشر قريش على الحبشة لخيرتكم عليهم، ولكن صيانة للبيت العتيق، الذي سنشرقه ونوقره ببعثة النبي الأمي محمد صلوات الله وسلامه عليه خاتم الأنبياء⁽³⁾.

8- حفظ الله للبيت العتيق: وهي أن الله لم يقدر لأهل الكتاب -أبرهة وجنوده- أن يدمروا البيت الحرام أو يسيطروا على الأرض المقدسة، حتى والشرك يدنسه، والمشركون هم سدنته ليبقى هذا البيت عتيقًا من سلطان المتسلطين، مصونًا من كيد الكائدين وليحفظ لهذه الأرض حريتها حتى تنبت فيها العقيدة الجديدة حرة طليقة، لا يهيمن عليها سلطان، ولا يطغى فيها طاغية ولا يهيمن على هذا الدين الذي جاء ليهيمن على الأديان، وعلى العباد، ويقود البشرية ولا يُقاد، وكان هذا من تدبير الله لبيته ولدينه قبل أن يعلم أحد أن نبي هذا الدين قد ولد في هذا العام⁽⁴⁾.

1 (?) انظر: أعلام النبوة للماوردي ص 185-189.

2 (?) انظر: الجواب الصحيح (4/122).

3 (?) انظر: تفسير ابن كثير (4/548)، ص 549.

4 (?) انظر: السيرة النبوية لأبي فارس ص 113.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

ونحن نستبشر بإيحاء هذه الدلالة اليوم ونطمئن، إزاء ما نعلمه من أطماع فاجرة ماكرة ترف حول الأماكن المقدسة من قبل الصليبية العالمية والصهيونية العالمية، ولا تني أن تهدأ في التمهيد الخفي اللئيم لهذه الأطماع الفاجرة الماكرة، فإله الذي حمى بيته من أهل الكتاب وسدنته من المشركين، سيحفظه إن شاء الله ويحفظ مدينة رسوله من كيد الكائدين ومكر الماكرين⁽¹⁾.

9- جعل الحادثة تاريخاً للعرب: استعظم العرب ما حدث لأصحاب الفيل، فأرخوا به، وقالوا وقع هذا عام الفيل وولد فلان عام الفيل، ووقع هذا بعد عام الفيل بكذا من السنين، وعام الفيل صادف عام 570م⁽²⁾.

¹ (?) في ظلال القرآن (6/3980)

² (?) انظر: السيرة النبوية للنذوي ص 93.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

المبحث الخامس

من المولد النبوي الكريم إلى حلف الفضول

أولاً: نسب النبي صلى الله عليه وسلم:

إن النبي صلى الله عليه وسلم أشرف الناس نسباً، وأكملهم خلقاً، وقد ورد في شرف نسبه أحاديث صحاح، منها ما رواه مسلم: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله عز وجل أصطفى كنانة من ولد إسماعيل، وأصطفى قريشاً من كنانة، وأصطفى من قريش بني هاشم، وأصطفاني من بني هاشم»⁽¹⁾.

وقد ذكر الإمام البخاري رحمه الله نسب النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «محمد بن عبد الله، بن عبد المطلب، بن هاشم، بن عبد مناف، بن قصي، بن كلاب، بن مرة، بن كعب، بن لؤي، بن غالب، بن فهر، بن مالك بن النضر، بن كنانة، بن خزيمة، بن مدركة، بن إلياس، بن مضر، بن نزار، بن معد، بن عدنان»⁽²⁾. وقال البيهقي في شرح السنة بعد ذكر النسب إلى عدنان: «ولا يصح حفظ النسب فوق عدنان»⁽³⁾.

وقال ابن القيم: بعد ذكر النسب إلى عدنان أيضاً: «إلى هنا معلوم الصحة، ومتفق عليه بين النسابين، ولا خلاف البتة، وما فوق عدنان مختلف فيه، ولا خلاف بينهم أن عدنان من ولد إسماعيل عليه السلام»⁽⁴⁾. وقد جاء عن ابن سعد في طبقاته: «الأمر عندنا الإمساك عما وراء عدنان إلى إسماعيل»⁽⁵⁾.

وعن عروة بن الزبير أنه قال: «ما وجدنا من يعرف وراء عدنان ولا قحطان إلا تخرصاً»⁽⁶⁾. قال الذهبي - رحمه الله -: «وعدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام بإجماع الناس، لكن اختلفوا فيما بين عدنان وإسماعيل من الآباء»⁽⁷⁾.

لقد كان وما زال شرف النسب له المكانة في النفوس؛ لأن ذا النسب الرفيع لا تنكر عليه الصدارة، نبوة كانت أو ملكاً، وينكر ذلك على وضع النسب، فيأنف الكثير من الانضواء تحت لوائه، ولما كان محمد صلى الله عليه وسلم يعد للنبوة هيا الله تعالى له شرف النسب ليكون مساعداً له على التفاف الناس حوله⁽⁸⁾.

إن معدن النبي صلى الله عليه وسلم طيب ونفيس، فهو من نسل إسماعيل الذبيح، وإبراهيم خليل الله، واستجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام، وبشارة أخيه عيسى عليه السلام كما حدث هو عن نفسه،

(?) مسلم، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي (4/1782) رقم 2276. 1

(?) البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب مبعث النبي (4/288) رقم 3851. 2

(?) شرح السنة 13/193. (4) زاد المعاد (1/71). 3

(?) ابن سعد (1/58). (6) نفس المصدر. 5

(?) السيرة النبوية للذهبي ص 1. 7

(?) انظر: دراسة تحليلية لشخصية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ص 96. 8

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

فقال: «أنا دعوة أبي إبراهيم وبشارة أخي عيسى»⁽¹⁾.

وطيب المعدن والنسب الرفيع يرفع صاحبه عن سفاسف الأمور ويجعله يهتم بمعاليتها وفضائلها، والرسل والدعاة يحرصون على تزكية أنسابهم وظهر أصلابهم، ويُعرفون عند الناس بذلك فيحمدونهم ويتقون بهم⁽²⁾.

ومما تبين يتضح لنا من نسبه الشريف، دلالة واضحة على أن الله سبحانه وتعالى ميز العرب على سائر الناس، وفضل قريشاً على سائر القبائل الأخرى، ومقتضى محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، محبة القوم الذين ظهر فيهم والقبيلة التي ولد فيها، لا من حيث الأفراد والجنس بل من حيث الحقيقة المجردة؛ ذلك لأن الحقيقة العربية القرشية، قد شرف كل منها - ولا ريب - بانتساب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها، ولا ينافي ذلك ما يلحق من سوء بكل من قد انحرف من العرب أو القرشيين، عن صراط الله عز وجل، وانحط عن مستوى الكرامة الإسلامية التي اختارها الله لعباده، لأن هذا الانحراف أو الانحطاط من شأنه أن يودي بما كان من نسبة بينه وبين الرسول صلى الله عليه وسلم وبلغها من الاعتبار⁽³⁾.

ثانياً: زواج عبد الله بن عبد المطلب من آمنة بنت وهب، ورؤيا آمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم:

كان عبد الله بن عبد المطلب من أحب ولد أبيه إليه، ولما نجا من الذبح وفداه عبد المطلب بمائة من الإبل، زوجه من أشرف نساء مكة نسباً، وهي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب⁽⁴⁾.

ولم يلبث أبوه أن توفي بعد أن حملت به آمنة، ودُفن بالمدينة عند أخواله بني (عدي بن النجار)، فإنه كان قد ذهب بتجارة إلى الشام فأدركته منيته بالمدينة وهو راجع، وترك هذه النسمة المباركة، وكان القدر يقول له: قد انتهت مهمتك في الحياة وهذا الجنين الطاهر يتولى الله - عز وجل - بحكمته ورحمته تربيته وتأديبه وإعداده لإخراج البشرية من الظلمات إلى النور.

ولم يكن زواج عبد الله من آمنة هو بداية أمر النبي صلى الله عليه وسلم، قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ما كان أول بدء أمرك⁽⁵⁾؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت منه قصور الشام»⁽⁶⁾. ودعوة

¹ (1) انظر: الحاكم (2/600).

² فارس ص 102.
(3) انظر: فقه السنة للبوطي ص 45. (4) انظر: وقفات تربوية مع السيرة، أحد فريد ص 46.

⁵ (?) المصدر نفسه، ص 46.
⁶ (?) رواه أحمد (5/262)، الحاكم (2/600) مجمع الزوائد (8/222)، وإسناد أحمد حسن وله شواهد تقويه، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

هدية الشبكة الليبية والكاظم بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

إبراهيم عليه السلام هي قوله: (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [البقرة: 129]. وبشرى عيسى: كما أشار إليه قوله عز وجل حاكياً عن المسيح عليه السلام: (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ) [الصف: 6].

وقوله: «ورأت أُمِّي كأنه خرج منها نور أضاءت منه قصور الشام» قال ابن رجب: «وخروج هذا النور عند وضعه إشارة إلى ما يجيء به من النور الذي اهتدى به أهل الأرض، وزالت به ظلمة الشرك منها، كما قال تعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) [المائدة: 15-16].

وقال ابن كثير: «وتخصيص الشام بظهور نوره إشارة إلى استقرار دينه وثبوته ببلاد الشام؛ ولهذا تكون الشام في آخر الزمان معقلاً للإسلام وأهله، وبها ينزل عيسى بن مريم بدمشق بالمنارة الشرقية البيضاء منها، ولهذا جاء في الصحيحين: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»، وفي صحيح البخاري: «وهم بالشام»⁽¹⁾.

ثالثاً: ميلاد الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم:

ولد الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين بلا خلاف، والأكثر على أنه لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول⁽²⁾ والمجمع عليه أنه عليه الصلاة والسلام ولد عام الفيل⁽³⁾ وكانت ولادته في دار أبي طالب بشعب بني هاشم⁽⁴⁾.

قال أحمد شوقي -رحمه الله- في مولد الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم:

ولد الهدى فالكائنات ضياء	وفم الزمان تبسم وثناء
الروح، والملا، الملائك حوله	للدين والدنيا به بشراء
والعرش يزهو، والخطيرة	والمنتهى والسدره العصماء
بك بشر الله السماء فزينت	وتضوعت مسكا بك الغبراء

¹ (?) انظر: تفسير ابن كثير (1/184) رواه البخاري. كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة)

(8/189) رقم 7311.

² (?) انظر: صحيح السيرة النبوية، إبراهيم العلي ص 47. (4) انظر: السيرة النبوية لابن كثير (17/203).

⁴ (?) انظر: وقفات تربوية مع السيرة النبوية ص 47.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

ومساؤه بمحمد وضاء
وعلت على تيجانهم أصداء
جمعت ذوائبها وغاض الماء
جبريل رَّواح بها غَدَّاء⁽¹⁾

يوم يتيه على الزمان صباحه
ذعرت عروش الظالمين
والنار خاوية الجوانب حولهم
والآي تترى، والخوارق جمّة

وقد قال الشاعر الأديب الليبي الأستاذ محمد بشير المغيربي في ذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم عام 1947م في جريدة الوطن الصادرة في بنغازي:

بلغ الزمان من الحياة عتيا
يمشي على الأحقاب مشية
تخذت له الأعوام في أيامها
ومضت به الأجيال خطوات
أعظم بيوم جاء يحمل (رحمة
ولدت به للكائنات حقيقة
وأنا في الأولى الطريق إلى
كادت به الدنيا تقول

لكن يومًا لا يزال فتيا
في موكب جعل السنين
عرشًا فأصبح تاجها الأبدية
بلغ الرشاد وكان قبل
للعالمين) وعزة ورقيا
أضحى بها سر الحياة جليا
ليسير للأخرى الأنام تقيا
إليا⁽²⁾

رابعًا: مرضعاته عليه الصلاة والسلام:

• كانت حاضنته صلى الله عليه وسلم أم أيمن بركة الحبشية أمة أبيه، وأول من أرضعته ثوية أمة عمه أبي لهب⁽³⁾ فمن حديث زينب ابنة أبي سلمة أن أم حبيبة رضي الله عنها أخبرتها أنها قالت: يا رسول الله، انكح אחتي بنت أبي سفيان، فقال: «أو تحبين ذلك؟» فقالت: نعم، لست لك بمخلية، وأحب من شاركني في خير אחتي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن ذلك لا يحل لي» قالت: فإننا نحدث أنك تريد أن تنكح بنت أبي سلمة، قال: «بنت أم سلمة؟» قلت: نعم، فقال: «لو أنها لم تكن ربيتي في حجري ما حلت لي، إنها لابنة أخي من الرضاعة، أرضعني وأبا سلمة ثوية، فلا تعرض علي بناتكن ولا أخواتكن»⁽⁴⁾.

(?) انظر: ديوان شوقي (1/34، 35).

(?) جريدة (الوطن) بنغازي 1947.

(?) انظر: وقفات تربوية مع السيرة النبوية ص 48.

(?) البخاري، كتاب النكاح، باب (وَأَمَّا أَنْتُمْ اللَّائِي أَرْضَعْنَكُمْ) رقم 5101.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

وكان من شأن أم أيمن، أم أسامة بن زيد، أنها كانت وصيفة لعبد الله بن عبد المطلب، وكانت من الحبشة، فلما ولدت أمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعد ما توفي أبوه، فكانت أم أيمن تحضنه حتى كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقها، ثم أنكحها زيد بن حارثة ثم توفيت بعد ما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة أشهر⁽¹⁾.

• **حليمة السعدية مرضعته في بني سعد:** وهذه حليمة السعدية تقص علينا خبراً قريباً، عن بركات الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم التي مستها في نفسها وولدها، ورعيها وبناتها.

عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما، قال: «لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمت حليمة بنت الحارث، في نسوة من بني سعد بن بكر يلتمسون الرضعاء بمكة قالت حليمة: فخرجت في أوائل النسوة على أتان لي، قمراء⁽²⁾ ومعني زوجي الحارث بن عبد العزي، أحد بني سعد بن بكر، ثم أحد بني ناضرة، قد أدمت⁽³⁾ أتاننا، ومعني بالركب شارق⁽⁴⁾ والله ما تبض⁽⁵⁾ بقطرة لبن، في سنة شهباء⁽⁶⁾ قد جاع الناس حتى خلس إليهم الجهد، ومعني ابن لي، والله ما ينام ليلنا، وما أجد في يدي شيئاً أعله به، إلا أنا نرجو الغيث وكانت لنا غنم، فنحن نرجوها.

فلما قدمنا مكة فما بقي منا أحد إلا عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكرهته، فقلنا: إنه يتيم، وإنما يكرم الظئر ويحسن إليها الوالد، فقلنا: ما عسى أن تصنع بنا أمه أو عمه أو جده، فكل صواحيبي أخذت رضيعاً، فلما لم أجد غيره، رجعت إليه وأخذته، والله ما أخذته إلا إني لم أجد غيره، فقلت لصاحبي: والله لأخذن هذا اليتيم من بني عبد المطلب، فعسى الله أن ينفعنا به، ولا أرجع من بين صواحيبي ولا أخذ شيئاً، فقال: قد أصبت.

قالت: فأخذته، فأتيت به الرجل، فوالله ما هو إلا أن أتيت به الرجل، فأمسيت أقبل ثدياي بالكبن، حتى أرويته، وأرويت أخاه، وقام أبوه إلى شارقنا تلك يلمسها، فإذا هي حافل⁽⁷⁾ فحلبها، فأرواني وروي، فقال: يا حليمة، تعلمين والله لقد أصبنا نسمة مباركة، ولقد أعطى الله عليها ما لم نتمن، قالت: فبتنا بخير ليلة، شباعاً، وكنا لا ننام ليلنا مع صبينا.

ثم اغتدينا راجعين إلى بلادنا أنا وصواحيبي، فركبت أتاني القمراء فحملته معي، فوالذي نفس حليمة بيده لقطعت الركب⁽⁸⁾ حتى إن النسوة ليقلن: أمسكي علينا، أهدم أتانك التي خرجت عليها؟ فقلت: نعم، فقالوا: إنها كانت أدمت حين أقبلنا فما شأنها؟ قالت: فقلت: والله حملت عليها غلاماً مباركاً.

(1) مسلم، كتاب الجهاد، باب رد المهاجرين إلى الأنصار، رقم 1771.
(2) قمراء: القمرة لون إلى الخضرة أو بياض فيه كدرة.
(3) وأدمت: حدثت في ركبها جروح دامية لأصطكاكها.
(4) الشارق: الناقة المسنة.
(5) تبض: لا ترشح قطرة لبن.
(6) شهباء: سنة مجدية لا خضرة فيها ولا مطر.
(7) حافل: كثير اللبن.
(8) قطعت الركب: سبقت الركب.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

قالت: فخرجنا، فما زال يزيدينا الله في كل يوم خيرًا، حتى قدمنا والبلاد سنة، ولقد كان رعاتنا يسرحون ثم يروحون، فتروح أغنام بني سعد جياغًا، وتروح غنمي بطائًا⁽¹⁾، حقلًا⁽²⁾، فنحلب، ونشرب، فيقولون: ما شأن غنم الحارث بن عبد العزى، وغنم حليلة تروح شباغًا حقلًا، وتروح غنمكم جياغًا، ويلكم اسرحوا حيث تسرح غنم رعاتهم، فيسرحون معهم، فما تروح إلا جياغًا كما كانت، وترجع غنمي كما كانت.

قالت: وكان يشب شبابًا ما يشبه أحد من الغلمان، يشب في اليوم شباب السنة، فلما استكمل سنتين أقدمناه مكة، أنا وأبوه، فقلنا: والله لا نفارقه أبدًا ونحن نستطيع، فلما أتينا أمه، قلنا: والله ما رأينا صبيًا قط أعظم بركة منه، وأنا نتخوف عليه وباء⁽³⁾ مكة وأسقامها، فدعاه نرجع به حتى تبرئ من دائك، فلم نزل بها حتى أذنت، فرجعنا به، فاقمنا أشهرًا ثلاثة أو أربعة فبينما هو يلعب خلف البيوت هو وأخوه في بهم لنا⁽⁴⁾ إذ أتى أخوه يشدد، فقال لي ولأبيه إن أخي القرشي، أتاه رجلا ن عليهما ثياب بيض، فأخذه واضجعه، فشقا يطنه، فخرجت أنا وأبوه يشدد، فوجدناه قائمًا، قد انتقع لونه⁽⁵⁾ فلما رأنا أجهدش إلينا، وبكى، قالت: فالتزمته أنا وأبوه، فضممناه إلينا: ما لك بابي وأمي؟ فقال: «أتاني رجلا ن واضجعاني، فشقا بطني، ووضعوا به شيئًا، ثم ردها كما هو» فقال أبوه: والله ما أرى ابني إلا وقد أصيب، الحقى بأهله، فرديه إليهم قبل أن يظهر له ما تتخوف منه، قالت: فاحتملناه فقدمنا به على أمه، فلما رأتنا أنكرت شأننا، وقالت: ما رجعتما به قبل أن أسالكمناه، وقد كنتم حريصين على حبسه؟ فقلنا: لا شيء إلا أن قضى الله الرضاة وسرنا ما نرى، وقلنا: نؤويه كما تحبون أحب إلينا، قال: فقالت: إن لكمنا شأننا فأخبراني ما هو، فلم تدعنا حتى أخبرناها، فقالت: كلا والله، لا يصنع الله ذلك به، إن لابني شأنًا، أفلا أخبركمنا خبره، إني حملت به، فوالله ما حملت حملا قط، كان أخف علي منه، ولا أيسر منه، ثم أريت حين حملته خرج مني نور أضاء منه أعناق الإبل ببصرى - أو قالت: قصور بصرى -، ثم وضعته حين وضعته فوالله ما وقع كما يقع الصبيان، لقد وقع معتمدًا بيديه على الأرض رافعًا رأسه إلى السماء فدعاه عنكم فقبضته، وانطلقنا⁽⁶⁾.

1- دروس وعبر:

أ- بركة النبي صلى الله عليه وسلم على السيدة حليلة: فقد

¹ (1) بطانا: الممثلة البطون.

² (2) حقلًا: كثيرات اللبن.

³ (3) الباء: المرض

⁴ (4) البهم: صغار الضان والماعز.

⁵ (5) انتقع لونه: تغير.

⁶ (6) (؟) أبو علي في مجمع الزوائد (8/221)، السيرة النبوية بشرح الخشني: (1/214) من طريق ابن إسحاق وقد صرح ابن إسحاق بالسماع في رواية السيرة، قال الذهبي في السيرة النبوية ص: 8: هذا حديث جيد الإسناد وله شواهد تقويها ولذلك فالحديث حسن لشواهد.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

ظهرت هذه البركة على حليلة السعدية في كل شيء، ظهرت في إدراج ثدييها وغزارة حليها، وقد كان لا يكفي ولدها، وظهرت بركته في سكون الطفل ولدها، وقد كان كثير البكاء مزعجاً لأمه يؤرقها ويمنعها من النوم، فإذا هو شبعان ساكن جعل أمه تنام وتستريح، وظهرت بركته في شياهم العجافوات التي لا تدر شيئاً، وإذا بها تفيض من اللبن الكثير الذي لم يُعهد.

ب- كانت هذه البركات من أبرز مظاهر إكرام الله له، وأكرم بسببه بيت حليلة السعدية التي تشرفت بإرضاعه، وليس من ذلك غرابة ولا عجب⁽¹⁾، فخلف ذلك حكمة أن يُحب أهل هذا البيت هذا الطفل ويحنوا عليه ويحسنوا في معاملته ورعايته وحضاته، وهكذا كان فقد كانوا أحرص عليه وأرحم به من أولادهم⁽²⁾.

ج- خيار الله للعبد أبرك وأفضل: اختار الله لحليمة هذا الطفل اليتيم وأخذته على مضض؛ لأنها لم تجد غيره، فكان الخير كل الخير فيما اختاره الله، وبانت نتائج هذا الاختيار مع بداية أخذه وهذا درس لكل مسلم بأن يطمئن قلبه إلى قدر الله واختياره والرضا به، ولا يندم على ما مضى وما لم يقدره الله تعالى.

د- أثر البادية في صحة الأبدان وصفاء النفوس، وذكر العقول: قال الشيخ محمد الغزالي -رحمه الله-: وتنشئة الأولاد في البادية، ليمرحوا في كنف الطبيعة، ويستمتعوا بجوها الطلق وشعاعها المرسى، أدنى إلى تزكية الفطرة وإنماء الأعضاء والمشاعر، وإطلاق الأفكار والعواطف.

إنها لتعاسة أن يعيش أولادنا في شقق ضيقة من بيوت متلاصقة كأنها علب أغلقت على من فيها، وحرمتهم لذة التنفس العميق والهواء المنعش.

ولا شك أن اضطراب الأعصاب الذي قارن الحضارة الحديثة يعود -فيما يعود- إلى البعد عن الطبيعة، والإغراق في التصنع، ونحن نقدر لأهل مكة اتجاههم إلى البادية لتكون عرصات الفساح مدارج طفولتهم، وكثير من علماء التربية يودون لو تكون الطبيعة هي المعهد الأول للطفل حتى تتسق مداركه مع حقائق الكون الذي وجد فيه ويبدو أن هذا حلم عسر التحقيق⁽³⁾.

وتعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في بادية بني سعد اللسان العربي الفصيح، وأصبح فيما بعد من أفصح الخلق، فعندما قال له أبو بكر يا رسول الله ما رأيت أفصح منك. فقال صلى الله عليه وسلم: «وما يمنعني وأنا من قريش وأرضعت في بني سعد»⁽⁴⁾.

2- ما يستفاد من حادثة شق الصدر:

1 (?) فقه السيرة النبوية للبوطي، ص 44. (2) انظر: السيرة النبوية لأبي فارس ص 105.

3 (?) انظر: فقه السيرة ص 60، 61.

4 (?) الروض الأنف للسهيلى (1/188).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

تعد حادثة شق الصدر التي حصلت له عليه الصلاة والسلام أثناء وجوده في مضارب بني سعد من إرهاصات النبوة ودلائل اختيار الله إياه لأمر جليل⁽¹⁾.

وقد روى الإمام مسلم في صحيحه حادثة شق الصدر في صغره، فعن أنس بن مالك: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب، فاستخرج منه علة فقال: هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه⁽²⁾، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه -يعني طئره- فقالوا: إن محمداً قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون. قال أنس: وقد كنت أرى أثر المخيط في صدره⁽³⁾.

ولا شك أن التطهير من حظ الشيطان هو إرهاص مبكر للنبوة، وإعداد للعصمة من الشر وعبادة غير الله، فلا يحل في قلبه إلا التوحيد الخالص، وقد دلت أحداث صباه على تحقق ذلك فلم يرتكب إنمًا، ولم يسجد لصنم⁽⁴⁾ رغم انتشار ذلك في قريش⁽⁵⁾.

وتحدث الدكتور البوطي عن الحكمة في ذلك فقال: يبدو أن الحكمة في ذلك إعلان أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وتهيئته للعصمة والوحي منذ صغره بوسائل مادية ليكون ذلك أقرب إلى إيمان الناس به وتصديقهم برسالاته، إنها إذن عملية تطهير معنوي، ولكنها اتخذت هذا الشكل المادي الحسي، ليكون فيه ذلك الإعلان الإلهي بين أسماع الناس وأبصارهم⁽⁶⁾، إن إخراج العلة منه تطهير للرسول صلى الله عليه وسلم من حالات الصبا اللاهية العابثة المستهترة، واتصافه بصفات الجد والحزم والاتزان وغيرها من صفات الرجولة الصادقة، كما تدلنا على عناية الله به وحفظه له، وأنه ليس للشيطان عليه سبيل⁽⁷⁾.

خامسًا: وفاة أمه وكفالة جده ثم عمه:

توفيت أم النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ست سنين بالأبواء بين مكة والمدينة، وكانت قد قدمت به على أخواله من بني عدي بن النجار تزيهه إياهم، فماتت وهي راجعة به إلى مكة، ودفنت بالأبواء، وبعد وفاة أمه كفله جده عبد المطلب، فعاش⁽⁸⁾

(?) انظر: فقه السيرة للبوطي ص 47.
 (2) جمعه وضم بعضه إلى بعض (شرح النووي على مسلم 2/216).
 (3) مسلم، كتاب الإيمان، (1/45) رقم 259.
 (4) زعم المبتدئين، نيكلسون أن حديث شق الصدر أسطورة نشأت عن تفسير الآية (**لَمْ تَشْرِكْ لَكَ صَدْرَكَ**) وأنه لو كان لها أصل فعلينا أن نخمن أنها تشير إلى نوع من الصرع، وهذا الذي زعمه نيكلسون سبقه إليه المشركون حين اتهموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنون فنفى الله عنه ذلك (**وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ**).
 (5) انظر: السيرة النبوية الصحيحة للعمري (1/104).
 (6) انظر: فقه السيرة للبوطي، ص 47.
 (7) انظر: السيرة النبوية لأبي فارس ص 106، 107.
 (8) ابن هشام في السيرة (1/168) وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

في كفالتة، وكان يؤثره على أبنائه أي أعمام النبي صلى الله عليه وسلم - فقد كان جده مهيبًا، لا يجلس على فراشه أحد من أبنائه مهابة له، وكان أعمامه يتهيبون الجلوس على فراش أبيهم، وكان صلى الله عليه وسلم يجلس على الفراش ويحاول أعمامه أن يبعدوه عن فراش أبيهم، فيقف الأب الجد بجانبه، ويرضى أن يبقى جالسًا على فراشه متوسمًا فيه الخير، وأنه سيكون له شأن عظيم⁽¹⁾ وكان جده يحبه حبًا عظيمًا، وكان إذا أرسله في حاجة جاء بها وذات يوم أرسله في طلب إبل فاحتبس عليه⁽²⁾ فطاف بالبيت وهو يرتجل يقول:

رب رد راكبي محمدا رده لي واصنع عندي يدا

فلما رجع النبي صلى الله عليه وسلم وجاء بالإبل فقال له: يا بني، لقد حزننت عليك كالمرأة حزنتًا لا يفارقني أبدًا⁽³⁾.

ثم توفي عبد المطلب والنبي صلى الله عليه وسلم في الثامنة من عمره⁽⁴⁾، فأوصى جده به عمه أبا طالب فكفله عمه وحنَّ عليه ورعاه⁽⁵⁾.

أرادت حكمة الله أن ينشأ رسوله يتيمًا، تتولاه عناية الله وحدها، بعيدًا عن الذراع التي تمعن في تدليله، والمال الذي يزيد في تنعيمه، حتى لا تميل به نفسه إلى مجد المال والجاه، وحتى لا يتأثر بما حوله من معنى الصدارة والزعامة، فيلتبس على الناس قداسة النبوة بجاه الدنيا، وحتى لا يحسبوه يصطنع الأول ابتغاء الوصول إلى الثاني⁽⁶⁾ وكانت المصائب التي أصابت النبي صلى الله عليه وسلم منذ طفولته كموت أمه ثم جده بعد أن حرم عطف الأب وذاق كأس الحزن مرة بعد مرة، كانت تلك المحن قد جعلته رقيق القلب مرهف الشعور، فالأحزان تصهر النفوس وتخلصها من أدران القسوة والكبر والغرور، وتجعلها أكثر رقة وتواضعًا.

سادسًا: عمله صلى الله عليه وسلم في الرعي:

كان أبو طالب مُقلًا في الرزق فعمل النبي صلى الله عليه وسلم برعي الغنم مساعدة منه لعمه، فلقد أخبر صلى الله عليه وسلم عن نفسه الكريمة وعن إخوانه من الأنبياء أنهم رعوا الغنم، أما هو فقد رعاها لأهل مكة وهو غلام وأخذ حقه عن رعيه، ففي الحديث الصحيح

1 (?) انظر: السيرة النبوية لأبي فارس، ص 101. (3) صحيح السيرة النبوية للعلي ص 56.

2 (?) أخرجه الطبراني في الكبير: 5524، و صححه إبراهيم العلي في صحيح السيرة النبوية ص 56.

3 (?) أنظر: السيرة النبوية لأبي فارس ص 101. (6) انظر: مدخل لفهم السيرة، البحي ص 119.

4 (?) انظر: فقه السيرة للبوطي ص 46.

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم» فقال أصحابه: وأنت؟ قال: «نعم، كنت أراها على قراريط لأهل مكة»⁽¹⁾، إن رعي الغنم كان يتيح للنبي صلى الله عليه وسلم الهدوء الذي تتطلبه نفسه الكريمة، ويتيح له المتعة بجمال الصحراء، ويتيح له التطلع إلى مظاهر جلال الله في عظمة الخلق، ويتيح له مناجاة الوجود في هدأة الليل وظلال القمر ونسيمات الأشجار، ويتيح له لوفاً من التربية النفسية من الصبر والحلم والأناة، والرافة والرحمة، والعناية بالضعيف حتى يقوى، وزم قوى القوي حتى يستمسك للضعيف ويسير بسيره، وارتداد مشاريع إخصب والري وتجنب الهلكة ومواقع الخوف من كل ما لا تتيج حياه أخرى بعيدة عن جو الصحراء وهدوئها وسياسة هذا الحيوان الأليف الضعيف⁽²⁾.

وتذكرنا رعايته للغنم بأحاديثه صلى الله عليه وسلم التي توجه المسلمين للإحسان للحيوانات⁽³⁾ فكان رعي الغنم للنبي صلى الله عليه وسلم دربة ومرآة له على سياسة الأمم.

ورعي الغنم يتيح لصاحبه عدة خصال تربوية منها:

1- الصبر: على الرعي من طلوع الشمس إلى غروبها، نظراً لبطاء الغنم في الأكل، فيحتاج راعيها إلى الصبر والتحمل، وكذا تربية البشر⁽⁴⁾.

إن الراعي لا يعيش في قصر منيف ولا في ترف وسرف، وإنما يعيش في جو حار شديد الحرارة، وبخاصة في الجزيرة العربية، ويحتاج إلى الماء الغزير ليذهب ظمأه، وهو لا يجد إلا الخشونة في الطعام وشظف العيش، فينبغي أن يحمل نفسه على تحمل هذه الظروف القاسية، ويألفها ويصبر عليها⁽⁵⁾.

2- التواصل: إذ طبيعة عمل الراعي خدمة الغنم، والإشراف على ولادتها، والقيام بحراستها والنوم بالقرب منها، وربما أصابه ما أصابه من رذاذ بولها أو شيء من روثها فلم يتضرر من هذا، ومع المداومة والاستمرار يبعد عن نفسه الكبر والكبرياء، ويرتكز في نفسه خلق التواصل⁽⁶⁾، وقد ورد في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» فقال رجل: الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً؟ فقال: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس»⁽⁷⁾.

3- الشجاعة: فطبيعة عمل الراعي الاصطدام بالوحوش

1 (?) البخاري، كتاب الأطعمة (9/488) رقم 2262، والقيراط جزء من الدينار أو الدرهم.

2 (?) انظر: محمد رسول الله، محمد الصادق عرجون (1/177).

3 (?) انظر: السيرة النبوية الصحيحة للعمرى (1/106).

4 (?) انظر: مدخل لفهم السيرة، اليحيى ص 124.

5 (?) انظر: السيرة النبوية لأبي فارس ص 114، 115.

6 (?) انظر: السيرة النبوية لأبي فارس ص 114. (2) مسلم رقم 11.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

المفترسة، فلا بد أن يكون على جانب كبير من الشجاعة تؤهله للقضاء على الوحوش ومنعها من اقتراس أغنامه⁽¹⁾.

4- الرحمة والعطف: إن الراعي يقوم بمقتضى عمله في مساعدة الغنم إن هي مرضت أو كسرت أو أصيبت، وتدعو حالة مرضها وألمها إلى العطف عليها وعلاجها والتخفيف من آلامها، فمن يرحم الحيوان يكون أشد رحمة بالإنسان، وبخاصة إذا كان رسولا أرسله الله تبارك وتعالى لتعليم الإنسان، وإرشاده وإنقاذه من النار وإسعاده في الدارين⁽²⁾.

5- حب الكسب من عرق الجبن: إن الله قادر على أن يغني مجمدا صلى الله عليه وسلم عن رعي الغنم، ولكن هذه تربية له ولأمته للأكل من كسب اليد وعرق الجبن، ورعي الغنم نوع من أنواع الكسب باليد.

روي البخاري عن المقدماء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود -عليه السلام- كان يأكل من عمل يده»⁽³⁾.

ولا شك أن الاعتماد على الكسب الحلال يكسب الإنسان الحرية التامة والقدرة على قول كلمة الحق والصدع بها⁽⁴⁾ وكم من الناس بطاطئون رؤوسهم للطغاة، ويسكتون على باطلهم، ويجارونهم في أهوائهم خوفا على وظائفهم عندهم⁽⁵⁾.

إن إقبال النبي صلى الله عليه وسلم على رعي الأغنام لقصد كسب القوت والرزق يشير إلى دلائل هامة في شخصيته المباركة منها: الذوق الرفيع والإحساس الدقيق للذات جمل الله تعالى بهما نبيه صلى الله عليه وسلم، لقد كان عمه يحوطه بالعناية التامة، وكان له في الحنو والشفقة كالأب الشفوق، ولكنه صلى الله عليه وسلم ما إن أنس في نفسه القدرة على الكسب حتى أقبل يكتسب ويتعب نفسه لمساعدة عمه في مؤونة الإنفاق، وهذا يدل على شهامة في الطبع وبر في المعاملة، وبذل للوسع⁽⁶⁾.

والدالة الثانية: تتعلق ببيان نوع الحياة التي يرتضيها الله تعالى لعباده الصالحين في دار الدنيا، لقد كان سهلا على الله أن يهيئ للنبي صلى الله عليه وسلم، وهو في صدر حياته من أسباب الرفاهية ووسائل العيش ما يغنيه عن الكدح ورعاية الأغنام سعيا وراء الرزق. ولكن الحكمة الربانية تقتضي منا أن نعلم أن خير مال الإنسان ما

1 (?) انظر السيرة النبوية لأبي فارس ص 114. (4) انظر: مدخل لفهم السيرة ص 127.

2 (5) انظر: مدخل لفهم السيرة ص 137. (6) البخاري، كتاب البيوع رقم 2072. (7) انظر: مدخل لفهم السيرة ص 128.

3 (8) انظر: فقه السيرة للغضبان ص 93.

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

اكتسبه بكد يمينه ولقاء ما يقدمه من الخدمة لمجتمعه وبني جنسه⁽¹⁾.

سابعًا: حفظ الله تعالى لنيه قبل البعثة:

إن الله تعالى صان نبيه صلى الله عليه وسلم عن شرك الجاهلية وعبادة الأصنام، روى الإمام أحمد في مسنده عن هشام بن عروة عن أبيه قال: حدثني جاري لخديجة أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول لخديجة: «أي خديجة، والله لا أعبد إلاك والعزى أبدًا»⁽²⁾ وكان لا يأكل ما ذبح على النصب، ووافقه في ذلك زيد بن عمرو بن نفيل⁽³⁾.

«وقد حفظه الله تعالى في شبابه من نزعات الشباب ودواعيه البرئية التي تنزع إليها الشبوبة بطبعها، ولكنها لا تلائم وقار الهداة وجلال المرشدين»⁽⁴⁾ فعن علي بن أبي طالب ؓ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما هممت بقبيح مما كان أهل الجاهلية يهمون به، إلا مرتين من الدهر، كليهما يعصمني الله منهما، قلت ليلة لفتى كان معي من قريش بأعلى مكة في أغنام أهله يرعاها: أبصر إلي غنمي حتى أسمر هذه الليلة بمكة، كما يسمر الفتيان، قال: نعم، فخرجت، فجئت أدنى دار من دور مكة، سمعت غناء، وضرب دفوف، ومزامير، فقلت: ما هذا؟» فقالوا: فلان تزوج فلانة، رجل من قريش تزوج امرأة من قريش، فلهوت بذلك الغناء وبذلك الصوت حتى غلبتني عيني، فما أيقظني إلا حر الشمس فرجعت فقال: ما فعلت؟ فأخبرته، ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك، ففعل، فخرجت، فسمعت مثل ذلك، فقلت لي مثل ما قيل لي، فلهوت بما سمعت حتى غلبتني عيني، فما أيقظني إلا مس الشمس، ثم رجعت إلى صاحبي فقال: فما فعلت؟ قلت: ما فعلت شيئًا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فوالله ما هممت بعدها بسوء مما يعمل أهل الجاهلية حتى أكرمني الله بنبوته»⁽⁵⁾.

وهذا الحديث يوضح لنا حقيقتين كل منهما على جانب كبير من الأهمية:

- 1- أن النبي صلى الله عليه وسلم كان متمتعًا بخصائص البشرية كلها، وكان يجد في نفسه ما يجده كل شاب من مختلف الميول الفطرية التي اقتضت حكمة الله أن يجبل الناس عليها، فكان يحس بمعنى السمر واللهو، ويشعر بما في ذلك من متعة، وتحذره نفسه لو تمتع بشيء من ذلك كما يتمتع الآخرون.
- 2- أن الله عز وجل قد عصمه مع ذلك عن جميع مظاهر الانحراف

(1) انظر: فقه السيرة للبوطي ص 50. (2) انظر: وقفات تربوية، أحمد فريد ص 51.

(3) نفس المصدر ص 51. (4) انظر: محمد رسول الله، محمد عرجون (1/51).

(5) (?) صحيح السيرة النبوية، إبراهيم العلي ص 57. هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

وعن كل ما لا يتفق مع مقتضيات الدعوة التي هيأه الله لها⁽¹⁾.

ثامناً: لقاء الراهب بحيرا بالرسول صلى الله عليه وسلم وهو غلام:

«خرج أبو طالب إلى الشام، وخرج معه النبي صلى الله عليه وسلم في أشياخ من قريش فلما أشرفوا⁽²⁾ على الراهب هبطوا فحلوا رجالهم⁽³⁾ فخرج إليهم الراهب، وكانوا قبل ذلك يسировون، فلا يخرج إليهم ولا يلتفت.

قال: فهم يحلون رجالهم فجعل يتخللهم الراهب⁽⁴⁾ حتى جاء فأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين، فقال له أشياخ من قريش: ما علمك؟ فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خرَّ⁽⁵⁾ ساجداً، ولا يسجدان إلا لنبي، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف⁽⁶⁾ كتفه مثل التفاحة.

ثم رجع فصنع لهم طعاما، فلما أتاهم به، وكان هو في رعية الإبل⁽⁷⁾ قال: أرسلوا إليه فاقبل وعليه غمامة تظله، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة، فلما جلس مال فيء الشجرة⁽⁸⁾ عليه، فقال: انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه.

قال: فبينما هو قائم عليهم، وهو يناشدهم⁽⁹⁾ أن لا يذهبوا به إلى الروم فإن الروم إذا عرفوه بالصفة فيقتلونه، فالتفت فإذا سبعة قد أقبلوا من الروم، فاستقبلهم، فقال: ما جاء بكم؟ قالوا: جاءنا أن هذا النبي خارج في هذا الشهر، فلم يبق طريق إلا بعث إليه بأناس، وإنا قد أخبرنا خبره، بعثنا إلى طريقك هذا، فقال: هل خلفكم أحد هو خير منكم؟

قالوا: إنما اخترنا خيره لك لطريقك هذا، قال: أفرأيتم أمراً أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده؟ قالوا: لا. قال: فبايعوه وأقاموا معه.

قال: أنشدكم الله أيكم وليه⁽¹⁰⁾؟ قالوا: أبو طالب فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب⁽¹¹⁾.

ومما يستفاد من قصة بحيرا عدة أمور منها:

1- أن الصادقين من رهبان أهل الكتاب يعلمون أن محمداً صلى

(?) انظر: فقه السيرة النبوية للبوطي ص 50، 51. (2) أشرفوا: طلوعوا.

(3) حلوا رجالهم: أي أنزلوها وفتحوها.

(?) يتخللهم: يمشي بينهم.

(5) خر: سقط.

(6) الغضروف: رأس لوح الكتف.

(7) رعية الإبل: رعايتها.

(8) مال فيء الشجرة عليه، مال ظلها.

(9) يناشدهم: يقسم عليهم.

(10) أيكم وليه: قريبه.

(11) انظر: صحيح السيرة النبوية ص 59، 58.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

إله عليه وسلم هو الرسول للبشرية، وعرفوا ذلك لما وجدوه من أمارات وأوصاف عنه في كتبهم.

2- إثبات سجود الشجر والحجر للنبي صلى الله عليه وسلم ، وتظليل الغمام له وميل فيء الشجرة عليه.

3- أن النبي صلى الله عليه وسلم استفاد من سفره وتجوّاله مع عمه وبخاصة من أشياخ قريش، حيث إطلع على تجارب الآخرين وخبرتهم، والاستفادة من آرائهم، فهم أصحاب خبرة، ودراية، وتجربة لم يمر بها النبي صلى الله عليه وسلم في سنه تلك.

4- حذر بحيرا من النصاري، وناشد عمه وأشياخ مكة ألا يذهبوا به إلى الروم، فإن الروم إذا عرفوه بالصفة يقتلونه لقد كان الرومان على علم بأن مجيء هذا الرسول سيقضي على نفوذهم الاستعماري في المنطقة، ومن ثم فهو العدو الذي سيقضي على مصالح دولة روما، ويعيد هذه المصالح إلى أربابها، وهذا ما يخشاه الرومان.

تاسعًا: حرب الفِجَار:

اندلعت هذه الحرب بين قريش ومن معهم من كنانة وبين هوازن، وسببها أن عروة الرّحال بن عتبة بن هوازن أجار لطيمة⁽¹⁾ للنعمان بن المنذر إلى سوق عكاظ، فقال البرّاض بن قيس بن كنانة: أتجيرها على كنانة؟ قال: نعم، وعلى الخلق، فخرج بها عروة، وخرج البرّاض يطلب غفلته حتى قتله، وعلمت بذلك كنانة فارتحلوا وهوازن لا تشعر بهم، ثم بلغهم الخبر، فأتبعوهم، فادركوهم قبل أن يدخلوا الحرم، فاقتتلوا حتى جاء الليل ودخلوا الحرم، فأمسكت عنهم هوازن، ثم التقوا بعد هذا اليوم أيامًا، وعاونت قريش كنانة⁽²⁾ وشهد محمد صلى الله عليه وسلم بعض أيامهم، أخرجه أعمامه معهم.

وسميت يوم الفجار بسبب ما استحل فيه من حرّات مكة التي كانت مقدسة عند العرب⁽³⁾. وقد قال صلى الله عليه وسلم عن تلك الحرب: «كنت أنبل على أعمامي» أي أرد عليهم نبل عدوهم إذا رموهم بها⁽⁴⁾.

وكان صلى الله عليه وسلم حينئذ ابن أربع عشرة أو خمس عشرة سنة، وقيل ابن عشرين، ويرجح الأول أنه كان يجمع النبال ويناولها لأعمامه، مما يدل على حداثة سنة.

وبذلك اكتسب الجرأة والشجاعة والإقدام، وتمرن على القتال منذ ريعان شبابه، وهكذا إنتهت هذه الحرب التي كانت كثيرًا ما تشبه حروب العرب، حتى ألف الله بين قلوبهم، وأزاح عنهم هذه الضلالات

¹ (?) اللطيمة: الجمال التي تحمل الطيب والبز والتجارة. (2) قريش فرع من كنانة.

³ (?) وفيات تربية مع السيرة النبوية، ص 53.

⁴ (?) السيرة النبوية لابن هشام (224-1/221)، السيرة الحلبية (129-1/127) هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

بانتشار نور الإسلام بينهم⁽¹⁾.

عاشرا: حلف الفضول:

كان حلف الفضول بعد رجوع قريش من حرب الفجار، وسببه أن رجلا من زبيد⁽²⁾ قدم مكة ببضاعة فأشترها منه العاص بن وائل، ومنعه حقه فاستعدى عليه الزبيدي أشراف قريش، فلم يعينوه لمكانة العاص فيهم، فوقف عند الكعبة واستغاث بأهل فهر وأهل المروءة ونادى بأعلى صوته:

يا آل فهر لمظلوم بضاعته بيطن مكة نائي الدار والنفر
ومحرم أشعث لم يقض يا للرجال وبين الحجر والحجر
إن الحرام لم تمت كرامته ولا حرم لثوب الفاجر العُدر⁽³⁾

فقام الزبير بن عيد المطلب فقال: ما لهذا مترك. فاجتمعت بنو هاشم، وزهرة، وبنو تميم بن مرة في دار عبد الله بن جدعان فصنع لهم طعاماً، وتحالفوا في شهر حرام، وهو ذو القعدة، فتعاقدوا وتحالفوا بالله ليكونوا يداً واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يُرد إليه حقه ما بل بحر صوفة، وما بقي جَبَلًا ثبير وحراء مكانهما⁽⁴⁾.
ثم مشوا إلى العاص بن وائل، فانتزعوا منه سلعة الزبيدي، فدفعوها إليه.

وسميت قريش هذا الحلف حلف الفضول، وقالوا: لقد دخل هؤلاء في فضل من الأمر.

وفي هذا الحلف قال الزبير بن عبد المطلب:
إن الفضول تعاقدوا ألا يقيم بيطن مكة ظالم
أمر عليه تعاقدوا وتواثقوا فالجار والمُعتر⁽⁵⁾ فيهم
سالم

وقد حضر النبي صلى الله عليه وسلم هذا الحلف الذي هدموا به صرح الظلم، ورفعوا به منار الحق، وهو يعتبر من مفاخر العرب وعرفانهم لحقوق الإنسان.⁽⁶⁾ وقد قال صلى الله عليه وسلم: «شهدت حلف المطيبين مع عمومتي وأنا غلام، فما أحب أن لي حمر النعم، وأني أنكته»⁽⁷⁾.

1 (?) انظر: وقفات تربوية، ص 53. (2) زبيد: بلد باليمن.
3 (?) انظر: الروض الأنف للسهيلى (156-1/155). (4) انظر: السيرة النبوية لأبي شعبة (1/213).

5 (5) المعتز: الزائر من غير البلاد.
6 (?) انظر: السيرة النبوية لأبي شعبة (1/214).
7 (?) صحيح السيرة النبوية، إبراهيم العلي، ص 59، وصححه الألباني رحمه الله.
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

وقال صلى الله عليه وسلم: «لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلقاً ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو دعيت به في الإسلام لأجبت»⁽¹⁾

دروس وعبر وفوائد:

1- إن العدل قيمة مطلقة وليست نسبية، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم يظهر اعتزازه بالمشاركة في تعزيز مبدأ العدل قبل بعثته بعقدين، فالقيم الإيجابية تستحق الإشادة بها حتى لو صدرت من أهل الجاهلية⁽²⁾.

2- كان حلف الفضول واحة في ظلام الجاهلية، وفيه دلالة بينة على أن شيوع الفساد في نظام أو مجتمع لا يعني خلوه من أي فضيلة، فمكة مجتمع جاهلي هيمنت عليه عبادة الأوثان والمظالم والأخلاق الذميمة كالظلم والزنا والربا، ومع هذا كان فيه رجال أصحاب نخوة ومروءة يكرهون الظلم ولا يقرونه، وفي هذا درس عظيم للدعاة في مجتمعاتهم التي لا تحكم الإسلام، أو تحارب الإسلام⁽³⁾.

3- إن الظلم مرفوض بأي صورة، ولو وقع الظلم على أقل الناس⁽⁴⁾، إن الإسلام يحارب الظلم ويقف بجانب المظلوم دون النظر إلى لونه ودينه ووطنه وجنسه⁽⁵⁾.

4- جواز التحالف والتعاهد على فعل الخير وهو من قبيل التعاون المأمور به في القرآن الكريم قال تعالى: **(وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ)** [المائدة: 2]، ويجوز للمسلمين أن يتعاقدوا في مثل هذا الحال لأنه تأكيد لشيء مطلوب شرعاً، على ألا يكون ذلك شبيهاً بمسجد الضرار، بحيث يتحول التعاقد إلى نوع من الحزبية الموجهة ضد مسلمين آخرين ظلماً وبغياً، وأما تعاقد المسلمين مع غيرهم على دفع ظلم أو في مواجهة ظالم، فذلك جائز لهم، على أن تلاحظ في ذلك مصلحة الإسلام والمسلمين في الحاضر والمستقبل، وفي هذا الحديث دليل⁽⁶⁾ والدليل فيه قوله صلى الله عليه وسلم: **«ما أحب أن لي به حمر النعم»**⁽⁷⁾ لما يحقق من عدل، ويمنع من ظلم، أو النكت به مقابل حمر النعم، وقوله صلى الله عليه وسلم: **«ولو دعيت به في الإسلام لأجبت»**⁽⁸⁾ طالما أن يردع الظالم عن ظلمه، وقد بين صلى الله عليه وسلم استعدادة للإجابة بعد الإسلام

1 (?) السيرة النبوية لابن هشام (1/134) فقه السيرة للغضبان، ص 102.
2 (?) انظر: السيرة النبوية الصحيحة للعمرى (1/112).
3 (?) انظر: فقه السيرة النبوية للغضبان ص 110. (4) انظر: فقه السيرة للغضبان ص 110.
5 (?) انظر: السيرة النبوية لأبي فارس ص 121.
6 (?) انظر: الأساس في السنة وفقهاها - السيرة النبوية (1/171، 172).
7 (?) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (1/134). (9) انظر: الأساس في السنة (4/172).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

لمن ناداه بهذا الحلف⁽¹⁾.

5- وعلى المسلم أن يكون في مجتمعه إيجابيًا فاعلاً، لا أن يكون رقمًا من الأرقام على هامش الأحداث في بيئته ومجتمعه، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم محط أنظار مجتمعه، وصار مضرب المثل فيهم، حتى ليلقبوه بالأمين وتهفو إليه قلوب الرجال والنساء على السواء بسبب الخلق الكريم الذي حبا الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم، وما زال يزكو وينمو حتى تعلقت به قلوب قومه، وهذا يعطينا صورة حية عن قيمة الأخلاق في المجتمع، وعن احترام صاحب الخلق ولو في المجتمع المنحرف⁽²⁾.

* * *

² (?) انظر: فقه السيرة للغضبان ص110، 111.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

المبحث السادس تجارته لخديجة وزواجه منها وأهم الأحداث إلى البعثة

أولاً: تجارته لخديجة وزواجه منها:

كانت خديجة بنت خويلد رضي الله عنها أرملة⁽¹⁾ ذات شرف ومال، تستاجر الرجال ليتجروا بمالها، فلما بلغها عن محمد صدق حديثه، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه، عرضت عليه أن يخرج في مالها إلى الشام تاجرًا وتعطيه أفضل ما تعطي غيره من التجار، فقبل وسافر معه غلامها ميسرة، وقدمًا الشام، وباع محمد صلى الله عليه وسلم سلعته التي خرج بها، واشترى ما أراد من السلع، فلما رجع إلى مكة وباعت خديجة ما أحضره لها تصاعف مالها.

وقد حصل محمد صلى الله عليه وسلم في هذه الرحلة على فوائد عظيمة بالإضافة إلى الأجر الذي ناله، إذ مر بالمدينة التي هاجر إليها من بعد، وجعلها مركزًا لدعوته، وبالبلاد التي فتحها ونشر فيها دينه، كما كانت رحلته سببًا لزواجه من خديجة بعد أن حدثها ميسرة عن سماحته وصدقه وكرمه أخلاقه⁽²⁾، ورأت خديجة في مالها من البركة ما لم تر قبل هذا وأخبرت بشمائله الكريمة، ووجدت ضالتها المنشودة، فتحدثت بما في نفسها إلى صديقتها نفيسة بنت منبه، وهذه ذهبت إليه تفاتحه أن يتزوج خديجة⁽³⁾ فرضي بذلك، وعرض ذلك على أعمامه، فوافقوا كذلك، وخرج معه عمه حمزة بن عبد المطلب فخطبها إليه، وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصدقها عشرين بكرة، وكانت أول امرأة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يتزوج غيرها حتى ماتت رضي الله عنها⁽⁴⁾، وقد ولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلامين وأربع بنات، وأبناهما: القاسم، وبه كان صلى الله عليه وسلم يكنى وعبد الله، ويلقب بالطاهر والطيب. وقد مات القاسم بعد أن بلغ سنًا تمكنه من ركوب الدابة، ومات عبد الله وهو طفل، وذلك قبل البعثة.

أما بناته فهن: زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة، وقد أسلمن وهاجرن إلى المدينة وتزوجن⁽⁵⁾. هذا وقد كان عمر الرسول صلى الله عليه وسلم حين تزوج خديجة رضي الله عنها خمسًا وعشرين سنة، وكان عمرها أربعين سنة⁽⁶⁾.

دروس وعبر وفوائد:

1- إن الأمانة والصدق أهم مواصفات التاجر الناجح، وصفة الأمانة

- (?) تزوجها عتيق بن عائذ ثم مات عنها، فتزوجها أبو هالة ومات أيضًا. 1
- (?) انظر: رسالة الأنبياء، عمر أحمد عمر (3/27). (3) انظر: مواقف تربوية ص 56. 2
- (?) انظر: السيرة النبوية لأبي فارس ص 122. (5) انظر: رسالة الأنبياء (3/28). 4
- (?) انظر: السيرة النبوية لأبي فارس ص 122. 6

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

والصدق في التجارة في شخصية النبي صلى الله عليه وسلم، هي التي رغبت السيدة خديجة في أن تعطيه مالها ليتاجر به ويسافر به إلى الشام، فبارك الله لها في تجارتها، وفتح الله لها من أبواب الخير ما يليق بكرم الكريم.

2- إن التجارة مورد من موارد الرزق التي سخرها الله لرسوله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، وقد تدرب النبي صلى الله عليه وسلم على فنونها، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن التاجر الصدوق الأمين في هذا الدين يحشر مع الصديقين والشهداء والنبيين، وهذه المهنة مهمة للمسلمين ولا يقع صاحبها تحت إرادة الآخرين واستعبادهم وقهرهم وإذلالهم، فهو ليس في حاجة إليهم، بل هم في حاجة إليه وبحاجة إلى خبرته وأمانته وعفته.

3- كان زواج الحبيب المصطفى من السيدة خديجة بتقدير الله تعالى، ولقد اختار الله سبحانه وتعالى لنبيه زوجة تناسبه وتؤازره، وتخفف عنه ما يصيبه، وتعينه على حمل تكاليف الرسالة وتعيش همومه⁽¹⁾.

قال الشيخ محمد الغزالي -رحمه الله-: وخديجة مثل طيب للمرأة التي تكمل حياة الرجل العظيم، إن أصحاب الرسالات يحملون قلوباً شديدة الحساسية، ويلقون غناً بالغاً من الواقع الذي يريدون تغييره، ويقاسون جهاداً كبيراً في سبيل الخير الذي يريدون فرضه، وهم أحوج ما يكونون إلى من يتعهد حياتهم الخاصة بالإيناس والترفيه، وكانت خديجة سبابة إلى هذه الخصال، وكان لها في حياة محمد صلى الله عليه وسلم أثر كريم⁽²⁾.

4- نرى أن النبي صلى الله عليه وسلم ذاق مرارة فقد الأبناء، كما ذاق من قبل مرارة فقد الأبوين، وقد شاء الله -وله الحكمة البالغة- ألا يعيش له صلى الله عليه وسلم أحد من الذكور حتى لا يكون مدعاة لافتتان بعض الناس بهم، وأدعائهم لهم النبوة، فأعطاه الذكور تكميلاً لفطرته البشرية، وقضاء لحاجات النفس الإنسانية، ولئلا ينتقص النبي في كمال رجولته شأنه، أو يتقول عليه متقول، ثم أخذهم في الصغر، وأيضاً ليكون ذلك عزاء وسلوى للذين لا يرزقون البنين، أو يرزقون ثم يموتون، كما أنه لون من ألوان الابتلاء، وأشد الناس بلاء الأنبياء⁽³⁾، وكان الله أراد للنبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل الرقة الحزينة جزءاً من كيانه؛ فإن الرجال الذين يسوسون الشعوب لا ينجحون إلى الجبروت، إلا إذا كانت نفوسهم قد طبعت على القسوة والأثرة، وعاشت في أفراح لا يخامرها كدر، أما الرجل الذي خبر الآلام فهو أسرع الناس إلى مواساة المحزونين ومداواة المجروحين⁽⁴⁾.

¹ (?) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (1/122، 123). (2) انظر: فقه السيرة للغزالي، ص 75.

³ (?) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (1/223، 224). (4) انظر: فقه السيرة، للغزالي ص 78.

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

5- يتضح للمسلم من خلال قصة زواج النبي صلى الله عليه وسلم من السيدة خديجة، عدم اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بأسباب المتعة الجسدية ومكملاتها، فلو كان مهتماً بذلك كبقية الشباب لطمع بمن هي أقل منه سنًا، أو بمن لا تفوقه في العمر، وإنما رغب فيها النبي صلى الله عليه وسلم لشرفها ومكانتها في قومها، فقد كانت تلقب في الجاهلية بالعفيفة الطاهرة.

6- وفي زواج النبي صلى الله عليه وسلم من السيدة خديجة ما يلجم السنة وأقلام الحاقدين على الإسلام وقوة سلطانه، من المستشرقين وعبيدهم العلمانيين، الذين ظنوا أنهم وجدوا في موضوع زواج النبي صلى الله عليه وسلم مقتلاً يصاب منه الإسلام، وصوروا النبي صلى الله عليه وسلم في صورة الرجل الشهواني الغارق في لذاته وشهواته، فنجد أن النبي صلى الله عليه وسلم عاش إلى الخامسة والعشرين من عمره في بيئة جاهلية، عفيف النفس، دون أن ينساق في شيء من التيارات الفاسدة التي تموج حوله، كما أنه تزوج من امرأة لها ما يقارب ضعف عمره، وعاش معها دون أن تمتد عينه إلى شيء مما حوله، وإن من حوله الكثير وله إلى ذلك أكثر من سبيل، إلى أن يتجاوز مرحلة الشباب، ثم الكهولة، ويدخل في سن الشيوخ، وقد ظل هذا الزواج قائماً حتى توفيت خديجة عن خمسة وستين عاماً، وقد ناهز النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة والسلام الخمسين من العمر دون أن يفكر خلالها بالزواج بأي امرأة أخرى، وما بين العشرين والخمسين من عمر الإنسان هو الزمن الذي تتحرك فيه رغبة الاستزادة من النساء والميل إلى تعدد الزوجات للدوافع الشهوانية.

ولكن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفكر في هذه الفترة بأن يضم إلى خديجة مثلاً من النساء: زوجة أو أمة، ولو أراد لكان الكثير من النساء والإماء طوعاً وبناه.

أما زواجه بعد ذلك من السيدة عائشة وغيرها من أمهات المؤمنين فإن لكل منهن قصة، ولكل زواج حكمة وسبب، يزيدان في إيمان المسلم بعظمة محمد صلى الله عليه وسلم ورفعة شأنه وكمال أخلاقه⁽¹⁾.

ثانياً: اشتراكه في بناء الكعبة الشريفة:

لما بلغ محمد صلى الله عليه وسلم خمساً وثلاثين سنة اجتمعت قريش لتجديد بناء الكعبة لما أصابها من حريق وسيل جارف صدع جدرانها، وكانت لا تزال كما بناها إبراهيم عليه السلام رضماً⁽²⁾ فوق القامة فأرادوا هدمها ليرفعوها ويسقفوها، ولكنهم هابوا هدمها، وخافوا منه، فقال الوليد بن المغيرة أنا أبدؤكم في هدمها، فأخذ المعول، ثم قام عليها وهو يقول: اللهم لم نزع، ولا نريد إلا الخير.

وهدم من ناحية الركنين: فتربص الناس تلك الليلة، وقالوا: ننظر،

¹ (1) انظر: فقه السيرة النبوية للبوطي ص 53، 54.

² (?) الرضم: حجارة منضودة بعضها على بعض من غير طين.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

فإن أصيب لم نهدم منها شيئاً، ورددناها كما كانت، وإن لم يصبه شيء فقد رضي الله ما صنعنا، فأصبح الوليد غادياً يهدم، وهدم الناس معه حتى انتهوا إلى حجارة حُصرة كالأسنمة⁽¹⁾ أخذ بعضها ببعض.

وكانوا قد جزؤوا العمل، وخصوا كل قبيلة بناحية، واشترك سادة قريش وشيوخها في نقل الحجارة ورفعها، وقد شارك النبي صلى الله عليه وسلم وعمه العباس في بناء الكعبة وكانا ينقلان الحجارة، فقال العباس للنبي صلى الله عليه وسلم: اجعل إزارك على رقبتك يقيك من الحجارة، فخر إلى الأرض⁽²⁾ وطمحت عيناه إلى السماء ثم أفاق فقال: «إزاري إزاري» فشد عليه إزاره⁽³⁾ فلما بلغوا موضع الحجر الأسود اختصموا فيه، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى، وكادوا يقتتلون فيما بينهم، لولا أن أبا أمية بن المغيرة قال: يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب المسجد، فلما توافقوا على ذلك دخل محمد صلى الله عليه وسلم فلما رآوه قالوا: هذا الأمين، قد رضينا، فلما أخبروه الخبر قال: «هلموا ثوباً؟» فاتوه به فوضع الحجر فيه بيديه ثم قال: «لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوا جميعاً» فرفعوه، حتى إذا بلغوا موضعه وضعه بيده ثم بنى عليه.

وأصبح ارتفاع الكعبة ثمانية عشر ذراعاً، ورفع بابها عن الأرض بحيث يصعد إليه بدرج، لئلا يدخل إليها كل أحد، فدخلوا من شأؤوا، وليمنعوا الماء من التسرب إلى جوفها، وأسند سقفها إلى ستة أعمدة من الخشب، إلا أن قريشاً قصرت بها النفقة الطيبة عن إتمام البناء على قواعد إسماعيل، فأخرجوا منها الحجر، وبنوا عليه جداراً قصيراً دلالة على أنه منها؛ لأنهم شرطوا على أنفسهم أن لا يدخل في بنائها إلا نفقة طيبة، ولا يدخلها مهر بغي، ولا بيع ربا، ولا مظلمة لأحد⁽⁴⁾.

دروس وعبر وفوائد:

1- بنيت الكعبة خلال الدهر كله أربع مرات على يقين:

فأما المرة الأولى منها: فهي التي قام بها إبراهيم عليه الصلاة والسلام، يعينه ابنه إسماعيل عليه الصلاة والسلام.

والثانية: فهي تلك التي بنتها قريش قبل البعثة، واشترك في بنائها النبي صلى الله عليه وسلم.

والثالثة: عندما احترق البيت من رميه بالمنجنيق في زمن يزيد بن معاوية بفعل الحصار الذي ضربه الحصين السكوني، على ابن الزبير حتى يستسلم، فأعاد ابن الزبير بناءها.

وأما الرابعة: في زمن عبد الملك بن مروان بعدما قتل ابن

(?) جمع سنام وهو أعلى ظهر البعير.

(?) ففعل ذلك فوق.

(?) رواه البخاري، كتاب الحج رقم 1582.

(?) انظر: وقفات تربوية ص 57، رسالة الأنبياء، عمر أحمد عمر، (30/3/29).

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

الزبير، حيث أعاده على ما كان عليه زمن النبي صلى الله عليه وسلم⁽¹⁾، لأن ابن الزبير باشر في رفع بناء البيت، وزاد فيه الأذرع الستة التي أخرجت منه، وزاد في طوله إلى السماء عشرة أذرع وجعل له بابين أحدهما يدخل منه والآخر يخرج منه، وإنما جراه على إدخال هذه الزيادة حديث عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا عائشة، لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية، لأمرت بالبيت فهدم، فأدخلت فيه ما أخرج منه، والزقته بالأرض، وجعلت له بابين باباً شرقياً وباباً غربياً فبلغت به أساس إبراهيم»⁽²⁾.

2- طريقة فض التنازع كانت موفقة وعادلة، ورضي بها الجميع وحقت دماء كثيرة، وأوقفت حروباً طاحنة، وكان من عدل حكمه أن رضيت به جميع القبائل، ولم تنفرد بشرف وضع الحجر قبيلة دون الأخرى، وهذا من توفيق الله لرسوله صلى الله عليه وسلم وتسديده قبل البعثة، إن دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم من باب الصفا كان قدراً من الله، لحل هذه الأزمة المستعصية، التي حلت نفسياً قبل أن تحل على الواقع، فقد أذعن الجميع لما يرتضيه محمد صلى الله عليه وسلم، فهو الأمين الذي لا يظلم وهو الأمين الذي لا يحابي ولا يفسد، وهو الأمين على البيت والأرواح والدماء⁽³⁾.

3- إن جاذبة تجديد بناء الكعبة قد كشفت عن مكانة النبي صلى الله عليه وسلم الأدبية في الوسط القرشي⁽⁴⁾، وحصل لرسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الحادثة شرفان، شرف فصل الخصومة ووقف القتال المتوقع بين قبائل قريش، وشرف تنافس عليه القوم وادخره الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ألا وهو وضع الحجر الأسود بيديه الشريفتين، وأخذه من البساط بعد رفعه ووضعه في مكانه من البيت⁽⁵⁾.

4- إن المسلم يجد في حادثة تجديد بناء الكعبة كمال الحفاظ الإلهي، وكمال التوفيق الرباني في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما يلاحظ كيف أن الله أكرم رسوله بهذه القدرة الهائلة على حل المشكلات بأقرب طريق وأسهله، وذلك ما تراه في حياته كلها صلى الله عليه وسلم وذلك معلم من معالم رسالته، فرسالته إيصال للحقائق بأقرب طريق، وحل للمشكلات بأسهل أسلوب وأكمل⁽⁶⁾.

ثالثاً: تهئية الناس لاستقبال نبوة محمد صلى الله عليه وسلم:
شاءت حكمة الله تعالى أن يعد الناس لاستقبال نبوة محمد صلى

1 (?) السيرة النبوية للبوطي، ص 57، 58. (2) البخاري: كتاب العلم رقم 126.

3 (?) انظر: السيرة النبوية لأبي فارس ص 125. (4) انظر: السيرة النبوية الصحيحة للعمرى (1/116).

5 (?) انظر: السيرة النبوية لأبي فارس، ص 125، 126. (6) انظر: الأساس في السنة وفقهها- السيرة النبوية (1/175).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

الله عليه وسلم بأمر منها:

1- بشارات الأنبياء بمحمد صلى الله عليه وسلم:

دعا إبراهيم عليه السلام ربه أن يبعث في العرب رسولاً منهم، فأرسل محمداً إجابة لدعوته، قال تعالى: **رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** [البقرة: 129] وذكر القرآن الكريم أن الله تعالى أنزل البشارة بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم في الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء السابقين فقال تعالى: **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَدْعُوهُمْ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ** [الأعراف: 157].

وبشر به عيسى عليه السلام، قال تعالى: **وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ** [الصف: 6].

وأعلم الله تعالى جميع الأنبياء ببعثته، وأمرهم بتبليغ أتباعهم بوجوب الإيمان به، واتباعه إن هم أدركوه⁽¹⁾ كما قال تعالى: **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَآخِذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَضْنَا قَالَ فاشهدوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ** [آل عمران: 81].

وقد وقع التحريف في نسخ التوراة والإنجيل، وحذف منهما التصريح باسم محمد صلى الله عليه وسلم إلا توراة السامرة، وإنجيل برنابا الذي كان موجوداً قبل الإسلام، وحرمت الكنيسة تداوله في آخر القرن الخامس الميلادي، وقد أيدته المخطوطات التي عثر عليها في منطقة البحر الميت حديثاً، فقد جاء في إنجيل برنابا العبارات المصرحة باسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم مثل ما جاء في الإصحاح الحادي والأربعين منه ونص العبارة: ((29) فاجتجب الله وطردهما الملاك ميخائيل من الفردوس [30] فلما التفت آدم رأى مكتوباً فوق الباب: لا إله إلا الله محمد رسول الله⁽²⁾).

قال ابن تيمية: «والأخبار بمعرفة أهل الكتاب بصفة محمد صلى الله عليه وسلم عندهم في الكتب المتقدمة متواترة عنهم» ثم قال: «ثم العلم بأن الأنبياء قبله بشروا به يُعلم من وجوه:

أحدهما: ما في الكتب الموجودة اليوم بأيدي أهل الكتاب.

الثاني: إخبار من وقف على تلك الكتب، ممن أسلم وممن لم

¹ (؟) انظر: دراسة تحليلية لشخصية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ص 101، 102.

² (؟) انظر: السيرة النبوية الصحيحة للعمرى (1/118).
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

يسلم، بما وجدوه من ذكره بها، وهذا مثل ما تواتر عن الأنصار، أن جيرانهم من أهل الكتاب كانوا يخبرون بمبعثه، وأنه رسول الله، وأنه موجود عندهم، وكانوا ينتظرونه، وكان هذا من أعظم ما دعا الأنصار إلى الإيمان به لما دعاهم إلى الإسلام حتى آمن الأنصار به وبإيعوه»⁽¹⁾.

فمن حديث سلمة بن سلامة بن وقش^١ وكان من أصحاب بدر قال: «كان لنا جار من يهود في بني عبد الأشهل، قال: فخرج علينا يومًا من بيته قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بيسير، فوقف على مجلس عبد الأشهل، قال سلمة: وأنا يومئذ من أحدث من فيه سنًا عليّ بردة مضطجعًا فيها بفناء أهلي، فذكر البعث والقيامة والحساب والميزان والجنة والنار، فقال ذلك لقوم، وكانوا أهل شرك وأصحاب أوثان، لا يرون أن بعثًا كائن بعد الموت».

فقالوا له: ويحك يا فلان، ترى هذا كائنًا أن الناس يُبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار، ويجزون فيها بأعمالهم؟ قال: نعم، والذي يُحلف به ولو أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور⁽²⁾ في الدنيا يحمونه، ثم يدخلونه إياه، فيطبق به عليه⁽³⁾ وأن ينجو من تلك النار غدا.

قالوا له: ويحك وما آية ذلك؟ قال: نبي يبعث من نحو هذه البلاد، وأشار بيده نحو مكة واليمن.

قالوا: ومتى نراه؟ قال: فنظر إليّ -وأنا من أحدثهم سنًا- فقال: إن يستنفذ هذا الغلام عمره يدركه.

قال سلمة: «فوالله ما ذهب الليل والنهار، حتى بعث الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم، وهو حي بين أظهرنا، فأمنّا به، وكفر به بغيا وحسدا فقلنا: ويلك يا فلان: ألسنت بالذي قلت لنا فيه ما قلت؟ قال: بلى: وليس به»⁽⁴⁾.

وقد ذكر ابن تيمية رحمه الله: «قد رأيت أنا من نسخ الزبور ما فيه تصريح بنبوّة محمد صلى الله عليه وسلم بأسمه، ورأيت نسخة أخرى من الزبور فلم أر ذلك فيها، وحينئذ فلا يمتنع أن يكون في بعض النسخ من صفات النبي صلى الله عليه وسلم ما ليس في أخرى»⁽⁵⁾.

وقد ذكر عبد الله بن عمرو^١ صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة فقال: «... والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، وحرراً

(1) انظر: الجواب الصحيح لابن تيمية (1/340).

(2) التنور: الفرن. (3) يطبق عليه: يغلق عليه.

(4) صحيح السيرة النبوية، إبراهيم العلي ص 31. (5) الجواب الصحيح (1/340).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

للأميين⁽¹⁾، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق⁽²⁾، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء⁽³⁾، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح به أعيناً عمياً، وأذاناً صماً، وقلوباً غلماً⁽⁴⁾.

ومن حديث كعب الأحبار قال: «إني أجد في التوراة مكتوباً: محمد رسول الله، لا فظ ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق، ولا يجزي السيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح إمامته الحمادون، يحمدون الله في كل منزلة، ويكبرونه على كل نجد، يأتزون إلى أنصافهم، ويوضئون أطرافهم، صفهم في الصلاة، وصفهم في القتال سواء، مناديهم ينادي في جو السماء، لهم في جوف الليل دوي كدوي النحل، مولده بمكة، ومهجره بطابة، ومملكه بالشام»⁽⁵⁾.

2- بشارات علماء أهل الكتاب بنبوته:

أخبر سلمان الفارسي ؓ في قصة إسلامه المشهورة عن راهب عمورية حين حضرته المنيّة قال لسلمان: «إنه قد أطل زمان نبي مبعوث بدين إبراهيم، يخرج بأرض العرب، مهاجرة إلى أرض بين حرتين بينهما نخل، به علامات لا تخفى، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل»⁽⁶⁾.

«ثم قصّ سلمان خبر قدومه إلى المدينة واسترقاقه ولقائه برسول الله صلى الله عليه وسلم حين الهجرة، وإهدائه له طعاماً على أنه صدقة، فلم يأكل منه الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم إهدائه له طعاماً على أنه هدية وأكله منه، ثم رؤيته خاتم النبوة بين كتفيه، وإسلامه على أثر ذلك»⁽⁷⁾.

ومن ذلك إخبار أحبار اليهود ورجالها بقرب مبعثه عليه الصلاة والسلام، ومن ذلك قصة أبي التيهان الذي خرج من بلاد الشام ونزل في بني قريظة ثم توفي قبل البعثة النبوية بسنتين، فإنه لما حضرته الوفاة قال لبني قريظة: يا معشر يهود، ما ترونه أخرجني من أرض الخمر والخمير - الشام - إلى أرض البؤس والجوع - يعني: الحجاز -؟ قالوا: أنت أعلم، قال: إني قد ممت هذه البلدة أتوكف - أنتظر - خروج نبي قد أطل زمانه، وكنت أرجو أن يبعث فاتبعه.

وقد شاع حديث ذلك، وانتشر بين اليهود وغيرهم حتى بلغ درجة القطع عندهم، وبناء عليه كان اليهود يقولون لأهل المدينة المنورة: إنه قد تقارب زمان نبي يبعث الآن، نقتلكم معه قتل عاد وإرم⁽⁸⁾، وكان ذلك الحديث سبباً في إسلام رجال من الأنصار وقد قالوا: «إنما دعانا

1 (?) حرزا للأميين: حفاظا لهم. (7) السخاب: رفع الصوت بالخصام.

3 (?) العوجاء: ملة إبراهيم التي غيرها العرب عن استقامتها.

4 (?) البخاري، كتاب التفسير رقم 4838. (3) صحيح السيرة النبوية ص 30.

6 (?) انظر: السيرة النبوية لابن كثير (1/300).

7 (?) انظر: السيرة النبوية الصحيحة للعمري (1/122).

8 (?) انظر: دراسة تحليلية، د. محمد قلعجي ص 107.

هدية الشبكة الليبية والكاظم بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

إلى الإسلام مع رحمة الله تعالى وهده، لما كنا نسمع من رجال اليهود، كنا أهل شرك أصحاب أوثان، وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا: إنه تقارب زمان نبي يبعث الآن، نقتلكم معه قتل عاد وإرم»⁽¹⁾.

وقد قال هرقل ملك الروم عندما استسلم رهبالة النبي صلى الله عليه وسلم: «وقد كنت أعلم أنه خارج، لم أكن أظن أنه منكم»⁽²⁾.

3- الحالة العامة التي وصل إليها الناس:

لخص الأستاذ الندوي الحال التي كان عليها العرب وغيرهم وقتذاك بقوله: كانت الأوضاع الفاسدة، والدرجة التي وصل إليها الإنسان في منتصف القرن السادس المسيحي أكبر من أن يقوم لإصلاحها مصلحون ومعلمون في أفراد الناس، فلم تكن القضية قضية إصلاح عقيدة من العقائد، أو إزالة عادة من العادات، أو قبول عبادة من العبادات، أو إصلاح مجتمع من المجتمعات، فقد كان يكفي له المصلحون والمعلمون الذين لم يخل منهم عصر ولا مصر.

ولكن القضية كانت قضية إزالة أنقاض الجاهلية، ووثنية تخريبية، تراكمت عبر القرون والأجيال، ودفنت تحتها تعاليم الأنبياء والمرسلين، وجهود المصلحين والمعلمين، وإقامة بناء شامخ مشيد البنيان، واسع الأرجاء، يسع العالم كله، وبؤوي الأمم كلها، قضية إنشاء إنسان جديد، يختلف عن الإنسان القديم في كل شيء، كأنه ولد من جديد، أو عاش من جديد قال تعالى: **(أَوْ مَنْ كَانَ مِنَّا فَأَخْتِنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)** [الأنعام: 122].

قضية اقتلاع جرثومة الفساد واستئصال شأفة الوثنية، واجتثاثها من جذورها، بحيث لا يبقى لها عين ولا أثر، وترسيخ عقيدة التوحيد في أعماق النفس الإنسانية، ترسيخاً لا يتصور فوقه، وغرس ميل إلى إرضاء الله وعبادته، وخدمة الإنسانية والانتصار للحق، يتغلب على كل رغبة، ويقهر كل شهوة، ويجرف كل مقاومة وبالجملّة الأخذ بحجز الإنسانية المنتحرة التي استجمعت قواها للوثوب في جحيم الدنيا والآخرة، والسلوك بها على طريق أولها سعادة، يحظى بها العارفون المؤمنون، وآخرها جنة الخلد التي وعد المتقون، ولا تصوير أبلغ وأصدق من قوله تعالى في معرض المن ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم⁽³⁾: **(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً قَالَتْ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ**

¹ (?) ابن هشام، بإسناد حسن (1/231). (2) انظر: صحيح السيرة النبوية ص 146.

³ (?) انظر: الأساس في السنة وفقهها السيرة النبوية، سعيد حوى (1/180)، 181.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

**فَأُصْبِحُوا مِنْكُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَيْهِ سَفَلَ حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ
فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (**
[آل عمران: 103].

4- إرهابات نبوته صلى الله عليه وسلم:

ومن إرهابات نبوته صلى الله عليه وسلم تسليم الحجر عليه قبل النبوة، فعن جابر بن سَمْرَةَ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن»⁽¹⁾. ومنها الرؤيا الصادقة وهي أول ما بدئ له من الوحي فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح⁽²⁾.

وحبب إليه صلى الله عليه وسلم العزلة والتحنث (التعبد) فكان يخلو في غار حراء وهو جبل يقع في الجانب الشمالي الغربي من مكة، ويتعبد فيه الليالي ذوات العدد، فتارة عشرة، وتارة أكثر من ذلك إلى شهر، ثم يعود إلى بيته فلا يكاد يمكث فيه قليلاً حتى يتزود من جديد لخلوة أخرى، ويعود الكرة إلى غار حراء، وهكذا إلى أن جاءه الوحي وهو في إحدى خلواته تلك⁽³⁾.

* * *

¹ (?) مسلم في الصحيح، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي وتسليم الحجر عليه قبل النبوة رقم 2277.

² (?) البخاري، كتاب بدء الوحي رقم 3.

³ (?) انظر: فقه السيرة النبوية للبوطي ص 60.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

الفصل الثاني نزول الوحي والدعوة السرية

المبحث الأول نزول الوحي على سيد الخلق أجمعين صلى الله عليه وسلم

كان النبي صلى الله عليه وسلم قد بلغ الأربعين من عمره وكان يخلو في غار حراء بنفسه، ويتفكر في هذا الكون وخالقه، وكان تعبده في الغار يستغرق ليالي عديدة حتى إذا نفذ الزاد عاد إلى بيته فتزود لليال أخرى، وفي نهار يوم الاثنين⁽¹⁾ من شهر رمضان جاءه جبريل بغتة لأول مرة داخل غار حراء⁽²⁾، وقد نقل البخاري في صحيحه حديث عائشة رضي الله عنها، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه -وهو التعبد- الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: «ما أنا بقارئ» قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني قال: اقرأ، فقلت: «ما أنا بقارئ» فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ فقلت: «ما أنا بقارئ» فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ) [العلق: 1: 4] فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال: «زملوني! زملوني» فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: «لقد خشيت على نفسي» فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل⁽³⁾ وتكسب المعدوم⁽⁴⁾، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق⁽⁵⁾، فانطلقت به خديجة، حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزي، ابن عم خديجة، وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي

1 (?) انظر: صحيح السيرة للعلي ص 67.
2 (?) انظر: السيرة النبوية الصحيحة للعمري (1/125).
3 (?) تحمل الكل: تنفق على الضعيف، واليتيم والعيال، والكل أصله: الثقل والإعياء.
4 (?) وتكسب المعدوم: تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك من نفائس الفوائد ومكارم الأخلاق.
5 (?) نوائب الحق: الكوارث والحوادث.
هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى: فقال له ورقة: هذا الناموس⁽¹⁾ الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعاً⁽²⁾، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أومخرجي هم؟» قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا⁽³⁾، ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي⁽⁴⁾»⁽⁵⁾.

عندما نتأمل في حديث السيدة عائشة يمكن للباحث أن يستنتج قضايا مهمة تتعلق بسيرة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم ومن أهمها:

أولاً: الرؤيا الصالحة:

ففي حديث عائشة رضي الله عنها أن أول ما بدئ به محمد صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة، وتسمى أحياناً بالرؤيا الصادقة، والمراد بها هنا رؤى جميلة ينشرح لها الصدر وتزكو بها الروح⁽⁶⁾ ولعل الحكمة من ابتداء الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالوحي بالمنام، أنه لو لم يبتدئه بالرؤيا، وأتاه الملك فجأة ولم يسبق له أن رأى ملكاً من قبل، فقد يصيبه شيء من الفزع، فلا يستطيع أن يتلقى منه شيئاً، لذلك اقتضت حكمة الله تعالى أن يأتيه الوحي أولاً في المنام ليتدرب عليه ويعتاده⁽⁷⁾ والرؤيا الصادقة الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة كما ورد في الحديث الشريف⁽⁸⁾ وقد قال العلماء: وكانت مدة الرؤيا الصالحة ستة أشهر، ذكره البيهقي، ولم ينزل عليه شيء من القرآن في النوم بل نزل كله يقظة.

والرؤيا الصالحة من البشرى في الحياة الدنيا فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: «أيها الناس، إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له»⁽⁹⁾.

فكان صلى الله عليه وسلم قبل نزول جبريل عليه السلام عليه بالوحي في غار حراء يرى الرؤى الجميلة فيصحو منشرح الصدر، متفتح النفس لكل ما في الحياة من جمال⁽¹⁰⁾، لقد أجمعت الروايات من حديث بدء الوحي أن أول ما بُدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة الصالحة، يراها في النوم فتجيء في اليقظة كاملة، واضحة كما رآها في النوم، لا يغيب عليه منها شيء

- 1 (?) الناموس: هو جبريل عليه السلام.
- 2 (?) جذعاً: الشاب القوي.
- 3 (3) مؤزراً: قوياً بالغا.
- 4 (?) فتر الوحي: تأخر نزوله.
- 5 (5) البخاري، كتاب بدء الوحي رقم 3.
- 6 (?) انظر: طريق النبوة والرسالة، حسين مؤنس ص 21.
- 7 (?) انظر: منامات الرسول صلى الله عليه وسلم، عبد القادر الشيخ إبراهيم ص 57.
- 8 (?) انظر: الرؤيا ضوابطها وتفسيرها، هشام الحمصي ص 7.
- 9 (?) ابن ماجه، كتاب تعبیر الرؤيا رقم 3899 حسن الإسناد.
- 10 (?) انظر: طريق النبوة والرسالة ص 22.

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

كانما نقشت في قلبه وعقله، وقد شبهت السيدة عائشة رضي الله عنها- وهي من أفصح العرب- ظهور رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا استيقظ بها من كمال وضوحها بظهور ضوء الصبح ينفلق عنه غيش الظلام، وهو تصوير بياني لا تنفلق دنيا العرب في ذرى فصاحتهم عن أبلغ منه⁽¹⁾.

ثانيًا: ثم حُب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه:

وقيل النبوة حُب إلى نفس النبي صلى الله عليه وسلم الخلوة، ليتفرغ قلبه وعقله وروحه إلى ما سيلقى إليه من أعلام النبوة، فاتخذ من غار حراء متعبدًا، لينقطع عن مشاغل الحياة ومخالطة الخلق، واستجماعًا لقواه الفكرية، ومشاعره الروحية، وإحساساته النفسية، ومداركه العقلية، تفرغًا لمناجاة مبدع الكون وخالق الوجود⁽²⁾ والغار الذي كان يتردد عليه الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم يبعث على التأمل والتفكير، تنظر إلى منتهى الطرف فلا ترى إلا جبالًا كأنها ساجدة متطامنة لعظمة الله، وإلا سماء صافية الأديم، وقد يرى من يكون فيه، مكة إذا كان حاد البصر⁽³⁾.

كانت هذه الخلوة التي حُببت إلى نفس النبي صلى الله عليه وسلم لوًا من الإعداد الخاص، وتصفية النفس من علائق المادية البشرية إلى جانب تعهده الخاص بالتربية الإلهية والتأديب الرباني في جميع أحواله، وكان تعبده صلى الله عليه وسلم قبل النبوة بالتفكير في بديع ملكوت السماوات، والنظر في آياته الكونية الدالة على بديع صنعه وعظيم قدرته، ومحكم تدبيره، وعظيم إبداعه⁽⁴⁾.

وقد أخذ بعض أهل السلوك إلى الله من ذلك، فكرة الخلوة مع الذكر والعبادة في مرحلة من مراحل السلوك، لتنوير قلبه وإزالة ظلمته وإخراجه من غفلته وشهوته وهفوته، ومن سنن النبي صلى الله عليه وسلم سنة الاعتكاف في رمضان⁽⁵⁾ وهي مهمة لكل مسلم سواء كان حاكمًا أو عالمًا، أو قائدًا، أو تاجرًا.. لتتقية الشوائب التي تعلق بالنفوس والقلوب، ونصح واقعنا على ضوء الكتاب والسنة، ونحاسب أنفسنا قبل أن نحاسب⁽⁶⁾.

ويمكن لأهل فقه الدعوة أن يعطوا لأنفسهم فترة من الوقت للمراجعة الشاملة والتوبة، والتأمل في واقع الدعوة وما هي عليه من قوة أو ضعف واكتشاف عوامل الخلل، ومعرفة الواقع بتفاصيله، خيره وشره.

وفي قول السيدة عائشة: «فيتحنث الليالي ذوات العدد» يقول الشيخ محمد عبد الله دراز: «هذا كناية عن كون هذه الليالي لم تصل

1 (2,?) انظر: محمد رسول الله، محمد صادق عرجون (1/254).

2 (3) انظر: السيرة النبوية لأبي شهية (1/256).

3 (4) انظر: محمد رسول الله، محمد صادق عرجون (1/469).

4 (5) انظر: الأساس في السنة وفقهها - السيرة النبوية، سعيد حوى (1/195).

6 (?) انظر: فقه السيرة للغضبان.

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

إلى نهاية القلة ولا إلى نهاية الكثرة، وما زال هذا الهدى الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة من التوسط والاقتصاد في الأعمال، شعارًا للملة الإسلامية ورمزًا للهدى النبوي الكريم بعد أن أرسله الله رحمة للعالمين»⁽¹⁾.

ثالثًا: حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاء الملك فقال: اقرأ.

قال: قلب: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: (**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ**) [العلق: 1-4].

لقد كانت هذه الآيات الكريمات المباركات أول شيء نزل من القرآن الكريم وفيها التنبيه على ابتداء خلق الإنسان من علق، وإن من كرم الله تعالى أن علم الإنسان ما لم يعلم، فشرفه وكرمه بالعلم، وهو القدر الذي امتاز به آدم عليه السلام على الملائكة، والعلم تارة يكون في الازدهان، وتارة يكون في اللسان، وتارة يكون بالكتابة بالبنان⁽²⁾ وبهذه الآيات كانت بداية نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لقد كان هذا الحادث ضخمًا، لقد عبر عنه الشهيد سيد قطب -رحمه الله- في ظلاله فقال: «إنه حادث ضخم، ضخم جدًا، ضخم إلى غير حد، ومهما حاولنا اليوم أن نحيط بضخامته، فإن جوانب كثيرة منه ستظل خارج تصورنا!

إنه حادث ضخم بحقيقته، وضخم بدلالته، وضخم بآثاره في حياة البشرية جميعًا، وهذه اللحظة التي تم فيها هذا الحادث تعد -بغير مبالغة- هي أعظم لحظة مرت بهذه الأرض في تاريخها الطويل. ما حقيقة هذا الحادث الذي تم في هذه اللحظة؟

حقيقته أن الله جل جلاله، العظيم الجبار القهار المتكبر، مالك الملك كله، قد تكرم -في عليائه- فأراد أن يرحم هذه الخليفة المسماة بالإنسان، القابعة في ركن من أركان الكون، لا يكاد يرى اسمه الأرض، وكرّم هذه الخليفة باختيار واحد منها ليكون ملتقى نوره الإلهي، ومستودع حكمته، ومهبط كلماته، وممثل قدره الذي يريده - سبحانه - بهذه الخليفة..»⁽³⁾.

كانت بداية الوحي الإلهي فيها إشادة بالقلم وخطره، والعلم ومنزلته، في بناء الشعوب والأمم وفيها إشارة واضحة بأن من أخص خصائص الإنسان العلم والمعرفة⁽⁴⁾.

وفي هذا الحادث العظيم تظهر مكانة ومنزلة العلم في الإسلام، فأول كلمة في النبوة تصل إلى رسول الله هي الأمر بالقراءة (**اقْرَأْ**)

1 (؟) المختار من كنوز السنة 19 ط 2، 1978، دار الأنصار / القاهرة.

2 (؟) انظر: تفسير ابن كثير (4/528).

3 (؟) في ظلال القرآن (6/3936) (4) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبه (1/260).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

يَا سَمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ([العلق: 1].)

وما زال الإسلام يحث على العلم ويأمر به ويرفع درجة أهله ويميزهم على غيرهم

قال تعالى: **(يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)** [المجادلة: 11] وقال سبحانه **(قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ)** [الزمر: 9].

إن مصدر العلم النافع من الله عز وجل، فهو الذي علم بالقلم، وعلم الإنسان ما لم يعلم، ومتى حادت البشرية عن هذا المنهج، وانفصل علمها عن التقيد بمنهج الله تعالى رجع علمها وبالأعلى عليها وسبباً في إبادة⁽¹⁾.

رابعاً: الشدة التي تعرض لها النبي صلى الله عليه وسلم ووصف ظاهرة الوحي:

لقد قام جبريل عليه السلام بضغط النبي صلى الله عليه وسلم مراراً حتى أجهده وأتعبه، وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقي من الوحي شدة وتعباً وثقلاً كما قال تعالى: **(إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا)** [المزمل: 5]. كان في ذلك حكمة عظيمة لعل منها: بيان أهمية هذا الدين وعظمته وشدة الاهتمام به، وبيان للأمة أن دينها الذي تتنعم به ما جاءها إلا بعد شدة وكرب⁽²⁾.

إن ظاهرة الوحي معجزة خارقة للسنن والقوانين الطبيعية، حيث تلقى النبي صلى الله عليه وسلم كلام الله (القرآن) بواسطة الملك جبريل (عليه السلام)؛ وبالتالي فلا صلة لظاهرة الوحي بالإلهام أو التأمل الباطني، أو الاستشعار الداخلي، بل إن الوحي يتم من خارج ذات النبي صلى الله عليه وسلم، وتنحصر وظيفته بحفظ الموحى وتبليغه، وأما بيانه وتفسيره فيتم بأسلوب النبي كما يظهر في أحاديثه وأقواله صلى الله عليه وسلم⁽³⁾.

إن حقيقة الوحي هي الأساس الذي تترتب عليه جميع حقائق الدين، بعقائده وتشريعاته وأخلاقه، ولذلك اهتم المستشرقون والملاحدة من قبلهم، بالطلعن والتشكيك في حقيقة الوحي، وحاولوا أن يؤولوا ظاهرة الوحي ويحرفوها عن حقيقتها عما جاءنا في صحاح السنة الشريفة، وحدثنا به المؤرخون الثقات، فقايل يقول: إن محمداً صلى الله عليه وسلم تعلم القرآن ومبادئ الإسلام من بحيرا الراهب، وبعضهم قال بأن محمداً كان رجلاً عصياً أو مصاباً بداء الصرع⁽⁴⁾.

والحقيقة تقول: إن محمداً عليه الصلاة والسلام وهو في

1 (?) انظر: الوحي وتبليغ الرسالة، د. يحيى يحيى ص 34. (2) نفس المصدر ص 30، 31.

3 (?) انظر: السيرة النبوية الصحيحة للعمري (1/129).

4 (?) انظر: فقه السيرة النبوية للبوطي ص 64.

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

غار حراء فوجئ جبريل أمامه براه بعينه، وهو يقول له: اقرأ، حتى يتبين أن ظاهرة الوحي ليست أمراً ذاتياً داخلياً مرده إلى حديث النفس المجرد، وإنما هو استقبال وتلقٍ لحقيقة خارجية لا علاقة لها بالنفس وداخل الذات، وضم الملك إياه ثم إرساله ثلاث مرات قائلاً في كل مرة: اقرأ، يعتبر تأكيداً لهذا التلقي الخارجي ومبالغة في نفي ما قد يتصور، من أن الأمر لا يعدو كونه خيلاً داخلياً فقط.

ولقد أصيب النبي صلى الله عليه وسلم بالرعب والخوف مما سمع ورأى، وأسرع إلى بيته يرجف فؤاده، وهذا يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن متشوقاً للرسالة التي سيكلف بتلقاها وتليغها للناس، وقد قال تعالى تأكيداً لهذا المعنى: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ) [الشورى: 52-53].

وقال تعالى (وَإِذَا تَنَادَىٰ عَلَيْهِمْ آتَايُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنِّي بِقرآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَن أَدَّلهُ مِن بَلَاءٍ نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحي إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ عَظِيمٌ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْنَاهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَسْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) [يونس: 15، 16].

لقد تساقطت آراء المشككين في حقيقة الوحي أمام الحديث الصحيح الذي حدثنا به السيدة عائشة رضي الله عنها، وقد استمر الوحي بعد ذلك يحمل الدلالة نفسها على حقيقة الوحي، وأنه ليس كما أراد المشككون.

وقد أجمل الدكتور البوطي هذه الدلالة فيما يلي:

1- التمييز الواضح بين القرآن والحديث، إذ كان يأمر بتسجيل الأول فوراً، وعلى حين يكتفي بأن يستودع الثاني ذاكرة أصحابه؛ لا لأن الحديث كلام من عنده لا علاقة للنبوة به، بل لأن القرآن موحى به إليه بنفس اللفظ والحروف بواسطة جبريل عليه السلام، أما الحديث فمعناه وحي من الله عز وجل، ولكن لفظه وتركيبه من عنده عليه الصلاة والسلام، فكان يحاذر أن يختلط كلام الله عز وجل الذي يتلقاه من جبريل بكلامه هو.

2- كان النبي صلى الله عليه وسلم يُسأل عن بعض الأمور، فلا يجيب عليها وربما مر على سكوته زمن طويل، حتى تنزل آية من القرآن في شأن سؤاله، وربما تصير الرسول في بعض الأمور على وجه معين، فتُنزل آيات من القرآن تصرفه عن ذلك الوجه، وربما انطوت على عتب أو لوم له.

¹ (1) انظر: فقه السيرة النبوية للبوطي، ص 64.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

3- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أميًا.. وليس من الممكن أن يعلم إنسان بواسطة المكاشفة النفسية حقائق تاريخية، كقصة يوسف عليه السلام، وأم موسى حينما ألقته وليدها في اليم، وقصة فرعون، ولقد كان هذا من جملة الحكم في كونه صلى الله عليه وسلم أميًا: (وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُونَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ يَمِينُكُمْ إِذَا لَزَبَتْ الْمُبْطِلُونَ) [العنكبوت: 48].

4- إن صدق النبي صلى الله عليه وسلم أربعين سنة مع قومه واشتهاره فيهم بذلك، يستدعي أن يكون صلى الله عليه وسلم من قبل ذلك صادقًا مع نفسه، ولذا فلا بد أن يكون قد قضى في دراسته لظاهرة الوحي على أي شك يخالل لعينه أو فكره، وكان هذه الآية جاءت ردًا لدراسته الأولى لشأن نفسه مع الوحي (فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونِ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) [يونس: 94].

ولهذا روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بعد نزول هذه الآية: «لا أشك ولا أسأل»⁽¹⁾.

خامسًا: أنواع الوحي:

تحدث العلماء عن أنواع الوحي فذكروا منها:

- 1- الرؤيا الصادقة: وكانت مبدأ وحيه صلى الله عليه وسلم، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، وقد جاء في الحديث «رؤيا الأنبياء وحي»، قال تعالى في حق إبراهيم عليه السلام: (يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ).
- 2- الإلهام: وهو أن ينفث الملك في روعه - أي قلبه من غير أن يراه- كما قال عليه الصلاة والسلام: «إن روح القدس نفث في روعي»⁽²⁾ أي: إن جبريل عليه السلام نفخ في قلبي: «أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب»⁽³⁾.
- 3- أن يأتيه مثل صلصلة الجرس، أي مثل صوته في القوة، وهو أشده، كما في حديث عائشة: أن الحارث بن عبد المطلب قال: «سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يأتيك الوحي؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «أحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشد علي، فيفصم عني وقد وعيت ما قال، وأحيانًا يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول»⁽⁴⁾.

4- ما أوحاه الله تعالى إليه، بلا وساطة ملك، كما كلم الله موسى بن عمران عليه السلام، وهذه المرتبة هي ثابتة لموسى قطعًا

1 (؟) أخرجه الطبراني 17906، 17908، بسنده عن قتادة، تفسير القرطبي، (8/340).

2 (؟) حديث صحيح بشواهده (زاد المعاد 1/78) مؤسسة الرسالة.

3 (؟) نفس المصدر (زاد المعاد 1/79). (4) البخاري، كتاب بدء الوحي رقم 2.

4 (5) انظر: الرؤى والأحلام في النصوص الشرعية، أسامة عبد القادر ص 108.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

بنص القرآن وثبوتها لنبينا صلى الله عليه وسلم في حديث الإسراء⁽¹⁾.

5- أنه يرى الملك في صورته التي خلق عليها، فيوحى إليه ما شاء الله تعالى أن يوحيه.

6- أنه صلى الله عليه وسلم كان يتمثل له الملك رجلاً، فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول له وفي هذه المرتبة كان يراه الصحابة أحياناً⁽²⁾. هذا ما قاله ابن القيم عن مراتب الوحي.

لقد كان نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بداية عهد جديد في حياة الإنسانية بعد ما انقطع، وتاهت البشرية في دياجير الظلام.

وكان وقع نزول الوحي شديداً على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما هو واضح من النص، بالرغم من أنه كان أشجع الناس وأقواهم قلباً، كما دلت على ذلك الأحداث خلال ثلاث وعشرين سنة، وذلك لأن الأمر ليس مخاطبة بشر لبشر، ولكنه كان مخاطبة عظيم الملائكة وهو يحمل كلام الله تعالى، ليستقبله من اصطفاة الله جل وعلا لحمل هذا الكلام وإبلاغه لعامة البشر.

ولقد كان موقفاً رهيباً ومسئولية عظيمة، لا يقوى عليها إلا من اختاره الله تبارك وتعالى لحمل هذه الرسالة وتبليغها⁽³⁾.

ومما يصور رهبة هذا الموقف ما جاء في هذه الرواية من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد خشيت على نفسي» وقول عائشة رضي الله عنها في هذا الحديث: (فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها قال: «زملوني زملوني» فزملوه حتى ذهب عنه الروع.

ومما يبين شدة نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخرجه الإمام البخاري ومسلم -رحمهما الله- من حديث عائشة رضي الله عنها: قالت: (ولقد رأيته -تعني رسول الله صلى الله عليه وسلم- ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقاً)⁽⁴⁾ وحديث عبادة بن الصامت قال: (كان نبي الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي كبر لذلك وتردد وجهه)⁽⁵⁾.

سادساً: أثر المرأة الصالحة في خدمة الدعوة:

كان موقف خديجة رضي الله عنها يدل على قوة قلبها، حيث لم تفزع من سماع هذا الخبر، واستقبلت الأمر بهدوء وسكينة، ولا أدل على ذلك من ذهابها فور سماعها الخبر إلى ورقة بن نوفل، وعرضت الأمر عليه⁽⁶⁾.

كان موقف خديجة رضي الله عنها من خبر الوحي يدل على سعة

1 (6) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، (1/33-34).

3 (?) انظر: التاريخ الإسلامي مواقف وعبر للحميدي (1/60).

4 (?) البخاري، كتاب بدء الوحي رقم 2، مسلم، كتاب الفضائل رقم 2333.

5 (?) مسلم، كتاب الفضائل رقم 2334.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

إدراكها، حيث قارنت بين ما سمعت، وواقع النبي صلى الله عليه وسلم، فادركت أن من جيل على مكارم الأخلاق لا يخزيه الله أبداً، فقد وصفته بأنه يصل الرحم، وكون الإنسان يصل أقاربه دليل على استعداده النفسي لبذل الخير والإحسان إلى الناس، فإن أقارب الإنسان هم المرأة الأولى لكشف أخلاقه، فإن نجح في احتواء أقاربه، وكسبهم بما له عليهم من معروف كان طبيعياً بأن ينجح في كسب غيرهم من الناس⁽¹⁾.

كانت أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها قد سارعت إلى إيمانها الفطري، وإلى معرفتها بسنن الله تعالى في خلقه، وإلى يقينها بما يملك محمد صلى الله عليه وسلم من رصيد الأخلاق، وفضائل الشرائع، ليس لأحد من البشر رصيد مثله في حياته الطبيعية التي يعيش بها مع الناس، وإلى ما ألهمت بسوابق العناية الربانية التي شهدت آياتها من حفاوة الله تعالى بمحمد صلى الله عليه وسلم في مواقف، لم تكن من مواقف النبوة والرسالة، ولا من إرهاصات المعجزة، وأعاجيبها الخارقة، ولكنها كانت من مواقف الفضائل الإنسانية السارية في حياة ذوي المكارم، من أصحاب المروءات في خاصة البشر⁽²⁾.

كانت موقنة بأن زوجها فيه من خصال الجيلة الكمالية ومحاسن الأخلاق الرصينة، وفضائل الشيم المرضية، وأشرف الشرائع العلية، وأكمل النحائز الإنسانية ما يضمن له الفوز، ويحقق له النجاح والفلاح، فقد استدلت بكلماتها العميقة على الكمال المحمدي⁽³⁾، فقد استنبطت خديجة رضي الله عنها من اتصاف محمد صلى الله عليه وسلم بتلك الصفات على أنه لن يتعرض في حياته للخزي قط؛ لأن الله تعالى فطره على مكارم الأخلاق، وضربت المثل بما ذكرته من أصولها الجامعة لكمالاتها.

ولم تعرف الحياة في سنن الكون الاجتماعية أن الله تعالى جمّل أحداً من عباده بفطرة الأخلاق الكريمة، ثم أذاقه الخزي في حياته، ومحمد صلى الله عليه وسلم بلغ من المكارم ذروتها، فطرة فطره الله عليها، لا تطاول ولا تسامى⁽⁴⁾.

ولم تكف خديجة رضي الله عنها بمكارم أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم دليلاً على نبوته، بل ذهبت إلى ابن عمها العالم الجليل ورقة بن نوفل - رحمه الله - الذي كان ينتظر ظهور نبي آخر الزمان، لما عرفه من علماء أهل الكتاب، على دنو زمانه، واقترب مبعثه، وكان لحديث ورقة أثر طيب في تثبيت النبي صلى الله عليه وسلم وتقوية قلبه، وقد أخبر صلى الله عليه وسلم بأن الذي خاطبه هو صاحب السر الأعظم الذي يكون سفيراً بين الله تعالى وأنبيائه عليهم

⁶ (?) انظر: التاريخ الإسلامي للحمدي (1/61). (5) انظر التاريخ الإسلامي للحمدي (1/64).

² (?) انظر: محمد رسول الله، محمد الصادق عرجون (1/307).
³ (?) انظر: محمد رسول الله، عرجون (1/307، 308). (3) نفس المصدر (1/232).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

الصلاة والسلام، ومن أشعار ورقة التي تدل على انتظاره لمبعث النبي صلى الله عليه وسلم قوله:

لَجِجْتَ وَكُنْتَ فِي الذِّكْرِ
لَهُمْ طَالَمَا بَعَثَ النَّشِيجَا
وَوَصَفٍ مِنْ خَدِيجَةٍ بَعْدَ
فَقَدَ طَالَ انْتِظَارِي يَا خَدِيجَا
بِطْنِ الْمَكْتَنِ (1) عَلَى
حَدِيثِكَ أَنْ أَرَى مِنْهُ خُرُوجَا
بِمَا خَبَرْتَنَا مِنْ قَوْلِ قَسْ
مِنَ الرِّهْبَانِ أَكْرَهُ أَنْ يَعُوجَا
بِأَنْ مُحَمَّدًا سَيَسُودُ فِينَا
وَيَخْصِمُ مَنْ يَكُونُ لَهُ حَجِيجَا (2)

لقد صدَّق ورقة بن نوفل برسالة النبي صلى الله عليه وسلم، وشهد له النبي عليه الصلاة والسلام بالجنة فقد جاء في رواية أخرجه الحاكم بإسناده عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تسبوا ورقة فإني رأيت له جنة أو جنتين» (3).

وعن عائشة رضي الله عنها أن خديجة رضي الله عنها سألت رسول الله عن ورقة فقال: «قد رأيته فرأيت عليه ثياباً بيضاً، فأحسبه لو كان من أهل النار لم يكن عليه ثياب بيض» قال الهيثمي: وروى أبو يعلى بسند حسن عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ورقة بن نوفل فقال: «أبصرته في بطنان الجنة وعليه السندس» (4).

لقد قامت خديجة رضي الله عنها بدور مهم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم لما لها من شخصية في مجتمع قومها، ولما جبلت عليه من الكفاءة في المجالات النفسية التي تقوم على الأخلاق العالية، من الرحمة والحلم والحكمة والحزم، وغير ذلك من مكارم الأخلاق، والرسول صلى الله عليه وسلم قد وفقه الله تعالى إلى هذه الزوجة المثالية؛ لأنه قدوة للعالمين وخاصة للدعاة إلى الله، فقيام خديجة بذلك الدور الكبير إعلام من الله تعالى لجميع حملة الدعوة الإسلامية بما يشرع لهم أن يسلكوه في هذا المجال من التأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يتحقق لهم بلوغ المقاصد العالية التي يسعون لتحقيقها (5).

إن السيدة خديجة رضي الله عنها مثال حسن، وقدوة رفيعة لزوجات الدعاة، فالداعية إلى الله ليس كباقي الرجال الذين هم بعيدون عن أعباء الدعوة، ومن الصعب أن يكون مثلهم في كل شيء، إنه صائب هم ورسالة، هم على ضياع أمته، وانتشار الفساد، وزيادة شوكة أهله، وهم لما يصيب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها

1 (?) المكتن: جانباً مكة، أو بطاها وظواهرها. (5) سيرة ابن هشام)

(192، 1/191).

3 (?) المستدرک (2/609) وقال: صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبي.

4 (2) مجمع الزوائد (9/416).

5 (?) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (1/69).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

من مؤامرات، وظلم وجوع، وإذلال، وما يصيب الدعاة منهم من تشريد وتضييق وتنكيل، وبعد ذلك هو صاحب رسالة واجب عليه تبليغها للآخرين، وهذا الواجب يتطلب وقتًا طويلاً يأخذ عليه أوقات نومه وراحته، وأوقات زوجته وأبنائه، ويتطلب تضحية بالمال والوقت والدنيا بأسرها ما دام ذلك في سبيل الله ومَرْضاته، وإن أوتيت الزوجة من الأخلاق والتقوى والجمال والحسب ما أوتيت، إنه يحتاج إلى زوجة تدرك واجب الدعوة وأهميته، وتدرك تمامًا ما يقوم به الزوج وما يتحمله من أعباء، وما يعانيه من مشاق، فتقف إلى جانبه تيسر له مهمته وتعينه عليها، لا أن تقف عائقا وشوكة في طريقه⁽¹⁾.

إن المرأة الصالحة لها أثر في نجاح الدعوة، وقد اتضح ذلك في موقف خديجة رضي الله عنها وما قامت به من الوقوف بجانب النبي صلى الله عليه وسلم وهو يواجه الوحي لأول مرة، ولا شك أن الزوجة الصالحة المؤهلة لحمل مثل هذه الرسالة لها دور عظيم في نجاح زوجها في مهمته في هذه الحياة، وبخاصة الأمور التي يعامل بها الناس، وإن الدعوة إلى الله تعالى هي أعظم أمر يتحمله البشر، فإذا وفق الداعية لزوجة صالحة ذات كفاءة فإن ذلك من أهم نجاحه مع الآخرين⁽²⁾ وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول: «الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة»⁽³⁾.

سابعًا: وفاء النبي صلى الله عليه وسلم للسيدة خديجة رضي الله عنها:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلاً عاليًا للوفاء ورد الجميل لأهله، فقد كان في غاية الوفاء مع زوجته المخلصة، في حياتها وبعد مماتها، وقد بشرها صلى الله عليه وسلم بيت في الجنة في حياتها، وأبلغها سلام الله جل وعلا، وسلام جبريل عليه السلام، فعن أبي هريرة ؓ قال: أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «يا رسول الله، هذه خديجة قد أتتك معها إناء فيه إدام -أو طعام أو شراب- فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها، عز وجل، ومني، وبشرها بيت في الجنة من قصب⁽⁴⁾ لا صخب فيه ولا نصب»⁽⁵⁾.

وتذكر عائشة رضي الله عنها وفاء النبي صلى الله عليه وسلم لخديجة بعد وفاتها بقولها: (ما غرت على أحد من نساء النبي صلى الله عليه وسلم ما غرت على خديجة، وما رأيتها، ولكن كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبيعها في صدائق خديجة، فربما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة؟ فيقول: «إنها كانت وكانت وكان لي منها الولد»⁽⁶⁾.

1 (?) انظر: وقفات تربوية من السيرة النبوية، البلالي ص 40.

2 (?) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (1/68).

3 (?) رواه مسلم رقم 1467، ص 1090، كتاب الرضاع. (3) يعني: من أولؤ أو ذهب.

5 (?) مسلم، كتاب فضائل الصحابة ص 1887، رقم 2432.

6 (?) البخاري، كتاب مناقب الأنصار (7/132).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

وأظهر صلى الله عليه وسلم البشاشة والسرور لأخت خديجة لما استأذنت عليه لتذكره خديجة، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرف استئذان خديجة⁽¹⁾ فارتاح لذلك، فقال: «اللهم هالة بنت خويلد» فغرت فقلت: وما تذكر من عجز من عجائز قريش حمراء الشدقين⁽²⁾ هلك في الدهر فأبدلك الله خيرًا منها⁽³⁾، وأظهر صلى الله عليه وسلم الحفاوة بامرأة كانت تأتيهم زمن خديجة وبين أن حفظ العهد من الإيمان⁽⁴⁾.

ثامناً: سنة تكذيب المرسلين:

(يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أَوْ مُخْرَجِيْ هُمْ؟» قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا)⁽⁵⁾ فقد بين الحديث سنة من سنن الأمم مع من يدعوهم إلى الله عز وجل وهي التكذيب والإخراج، كما قال تعالى عن قوم لوط: (فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ) (النمل: 56).

وكما قال قوم شعيب: (قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ) (الأعراف: 88). وقال تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأُوخِيَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ) (إبراهيم: 13).

تاسعاً: قوله «وفتر الوحي»:

تحدث علماء السيرة قديماً وحديثاً عن فترة الوحي، فقال الحافظ ابن حجر: وفتر الوحي عبارة عن تأخير مدة من الزمان، وكان ذلك ليذهب ما كان صلى الله عليه وسلم وجده من الروح، وليحصل له التشوق إلى العود⁽⁶⁾.

فعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال وهو يحدث- أي بحديث النبي صلى الله عليه وسلم- عن فترة الوحي: «بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فرعبت منه، فرجعت فقلت:

¹ (?) يعني لتشابه صوتيهما.
² (8) مسلم، كتاب فضائل الصحابة، ص 1889 رقم 2437. (9) أنظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (1/71).

⁵ (1) البخاري، كتاب الوحي، مسلم (204-2/197) الإيمان.

⁽²⁾ فتح الباري (1/36).

⁶ (3) البخاري، بدء الوحي رقم 4. (4) الروض الأنف للسهيلى، (434-2/433).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

زَمِّلُونِي فَأَنْزِلَ اللَّهُ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۖ قُمْ فَأَنْذِرْ ۚ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۚ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۚ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) [المدثر:1-5] فحمى
الوحي وتتابع»⁽¹⁾.

وقال صفى الرحمن المباركفوري: أما مدة فترة الوحي فاختلَفوا فيها على عدة أقوال، والصحيح أنها كانت أيامًا، وقد روى ابن سعد عن ابن عباس ما يفيد ذلك، وأما ما اشتهر من أنها دامت ثلاث سنين أو سنتين ونصف فليس بصحيح، وأما ما جاء بلاغًا أنه صلى الله عليه وسلم حزن حزنًا جعله يغدو ليردى من شواهق الجبال، وأن جبريل عليه السلام كان يظهر له في كل مرة ويبشّره بأنه رسول الله فمرسل ضعيف، كما أنه يتناقى مع عصمة النبي صلى الله عليه وسلم⁽²⁾.

المبحث الثاني الدعوة السَّـريَّة

أولاً: الأمر الرباني بتبليغ الرسالة:

عرف النبي صلى الله عليه وسلم معرفة اليقين أنه أصبح نبيا لله الرحيم الكريم، وجاء جبريل عليه السلام للمرة الثانية، وأنزل الله على نبيه قوله تعالى: (**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۖ قُمْ فَأَنذِرْ ۚ وَرَبُّكَ فَكَبِيرٌ ۝ وَيَتَابَكَ فَطَهِّرْ**) [المدثر: 1-4].

كانت هذه الآيات المتتابعة إيداعاً للرسول صلى الله عليه وسلم بأن الماضي قد انتهى بمنامه وهدوئه، وأنه أمامه عمل عظيم، يستدعي اليقظة والتشمير، والإنذار والإعذار، فليحمل الرسالة، وليوجه الناس، وليانس بالوحي، وليقو على عنائه فإنه مصدر رسالته وممدد دعوته⁽¹⁾.

وتعد هذه الآيات أول أمر بتبليغ الدعوة، والقيام بالتبعية، وقد أشارت هذه الآيات إلى أمور هي خلاصة الدعوة المحمدية، والحقائق الإسلامية التي بني عليها الإسلام كله، وهي الوجدانية، والإيمان باليوم الآخر، وتطهير النفوس، ودفع الفساد عن الجماعة، وجلب النفع⁽²⁾.

كانت هذه الآيات تهيئاً لعزيمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لينهض بعاء ما كلفه من تبليغ رسالات ربه، فيمضي قدماً بدعوته، لا يبالي العقبات والحواجز، كان هذا النداء المتلطف (**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ**) إيداعاً يشحذ العزائم، وتوديعاً لأوقات النوم والراحة، وجاء عقب هذا النداء الأمر الجازم بالنهوض (**قُمْ**) في عزيمة ناهضة وقوة حازمة، تتحرك في اتجاه تحقيق واجب التبليغ، وفي مجيء الأمر بالإنذار منفرداً عن التبشير في أول خطاب وجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعد فترة الوحي، إيداعاً بأن رسالته تعتمد على الكفاح الصبور، والجهاد المرير، ثم زادت الآيات في تقوية عزيمة النبي صلى الله عليه وسلم، وشدد أزره وحضه على المضي قدماً إلى غاية ما أمر به، غير غائبٍ بما يعترض طريقه من عقبات مهما يكن شأنها فليل له: (**وَرَبُّكَ فَكَبِيرٌ**) أي: لا تعظم شيئاً من أمور الخلق، ولا يتعاضمك منهم شيء، فلا تهيب فعلاً من أفعالهم، ولا تخشى أحداً منهم، ولا تعظم إلا ربك الذي تعهدك وأنت في أصلاب الآباء وأرحام الأمهات، فرباك على موائد فضله، ورباك بإحسانه وجوده، حتى أخرجك للناس نبياً ورَسُولاً، بعد أن أعدك خلقاً وخلقاً، لتحمل أمانة أعظم رسالاته، (**وَرَبُّكَ فَكَبِيرٌ**) فكل تعظيم وتكبير وإجلال حق لله تعالى وحده، لا يشاركه فيه أحد، أو شيء من مخلوقاته⁽³⁾.

وفي قوله: (**وَيَتَابَكَ فَطَهِّرْ**) فكأنه قيل له صلى الله عليه وسلم

1 (؟) انظر: فقه السيرة للغزالي ص 90.
2 (؟) انظر: دولة الرسول من التكوين إلى التمكن، د. كامل سلامة، ص 181.
3 (؟) انظر: محمد رسول الله، صادق عرجون (1/589، 590، 591).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

وسلم: فأنت على طهرك وتطهرك بفطرتك في كمال إنسانيتك بما جبلك الله عليه من أكرم مكارم الأخلاق، وبما حباك به من نبوته ليعذك بها ليومك هذا، أحوج إلى أن تزداد في تطهرك النفسي، فتزداد من المكارم في حياتك مع الناس والأشياء، فأنت اليوم رسول الله إلى العالمين، وكمال الرسالة في كمال الخلق الاجتماعي، صبراً، وحلماً، وعفواً، وإحساناً ودُؤوباً على الحد في تبليغ الدعوة إلى الله تعالى، ولا يثنيك إيذاء، ولا يفعدك عن الماضي إلى غايتك فادح البلاء⁽¹⁾.

وفي قوله: (**وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ**) فكأنه قيل له **صلى الله عليه وسلم:** ليكن قصدك ونيتك في ترك ما تركت، فطرة وطبعاً هَجَرَهُ تكليفاً وتعبدًا لتكون قدوة أمتك، وعنوان تطهرها بهداية رسالتك⁽²⁾.

ثانيًا: بدء الدعوة السرية:

بعد نزول آيات المدثر قام رسول الله **صلى الله عليه وسلم** يدعو إلى الله وإلى الإسلام سرًا، وكان طبيعيًا أن يبدأ بأهل بيته، وأصدقائه، وأقرب الناس إليه.

1- إسلام السيدة خديجة رضي الله عنها:

كان أول من آمن بالنبى **صلى الله عليه وسلم** من النساء، بل أول من آمن به على الإطلاق السيدة خديجة رضي الله عنها، فكانت أول من استمع إلى الوحي الإلهي من فم الرسول الكريم **صلى الله عليه وسلم**، وكانت أول من تلا القرآن بعد أن سمعته من صوت الرسول العظيم **صلى الله عليه وسلم**، وكانت كذلك أول من تعلم الصلاة عن رسول الله **صلى الله عليه وسلم**، فبيتها هو أول مكان تُلي فيه أول وحي نزل به جبريل على قلب المصطفى الكريم **صلى الله عليه وسلم** بعد غار حراء⁽³⁾.

كان أول شيء فرضه الله من الشرائع بعد الإقرار بالتوحيد إقامة الصلاة، وقد جاء في الأخبار حديث تعليم الرسول **صلى الله عليه وسلم** زوجه خديجة الوضوء والصلاة، حين افترضت على رسول الله؛ أتاه جبريل وهو بأعلى مكة فهمز له بعقبه في ناحية الوادي فانفجرت منه عين، فتوضأ جبريل عليه السلام، والرسول ينظر ليريه كيف الطهور للصلاة، ثم توضأ رسول الله **صلى الله عليه وسلم** كما رأى جبريل توضأ، ثم قام جبريل عليه السلام فصلى به وصلى النبي **صلى الله عليه وسلم** بصلاته، ثم انصرف جبريل عليه السلام فجاء رسول الله خديجة فتوضأ لها، يريها كيف الطهور للصلاة، كما أراه جبريل عليه السلام، فتوضأت كما توضأ رسول الله **صلى الله عليه وسلم** ثم صلى بها رسول الله **صلى الله عليه وسلم** كما صلى به جبريل عليه السلام⁽⁴⁾.

¹ (2، ؟) محمد رسول الله ص (1/592، 593).

² (3) انظر: المرأة في العهد النبوي، د. عصمة الدين كركر ص 36.

⁴ (?) انظر: ابن هشام (1/244)، من معين السيرة صالح الشامي ص 41.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

2- إسلام علي بن أبي طالب :

وبعد إيمان السيدة خديجة دخل علي بن أبي طالب في الإسلام، وكان أول من آمن من الصبيان، وكانت سنة إذ ذاك عشر سنين على أرجح الأقوال، وهو قول الطبري وابن إسحاق⁽¹⁾، وقد أنعم الله عليه بأن جعله يتربى في حجر رسوله صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام، حيث أخذه من عمه أبي طالب وضمه إليه.⁽²⁾ وكان علي ثالث من أقام الصلاة بعد رسول الله وبعد خديجة رضي الله عنها⁽³⁾.

وقد ذكر بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة، وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفياً من أبيه، ومن جميع أعمامه، وسائر قومه، فيصليان الصلوات فيها، فإذا أمسيا رجعا، ليضمهما ذلك البيت الطاهر التقى بالإيمان، المفعم بصدق الوفاء وكرم المنبت⁽⁴⁾.

3- إسلام زيد بن حارثة :

هو أول من آمن بالدعوة من الموالي⁽⁵⁾ حب النبي صلى الله عليه وسلم ومولاه، ومُتَّبَئِه: زيد بن حارثة الكلبي، الذي أثر رسول الله على والده وأهله، عندما جاءوا إلى مكة لشرائه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فترك رسول الله الأمر لحارثة فقال زيد لرسول الله: ما أنا بالذي أختار عليك أحداً، وأنت مني بمنزلة الأب والعم، فقال له والده وعمه: ويحك تختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك؟ قال: نعم، وإني رأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالذي أختار عليه أحداً أبداً⁽⁶⁾.

4- إسلام بنات النبي صلى الله عليه وسلم:

وكذلك سارع إلى الإسلام بنات النبي صلى الله عليه وسلم، كل من زينب، وأم كلثوم، وفاطمة ورقية، فقد تأثرن قبل البعثة بوالدهن صلى الله عليه وسلم في الاستقامة وحسن السيرة، والتنزّه عما كان يفعله أهل الجاهلية، من عبادة الأصنام والوقوع في الآثام، وقد تأثرن بوالدتهن، فأسرعن إلى الإيمان⁽⁷⁾، وبذلك أصبح بيت النبي صلى الله عليه وسلم أول أسرة مؤمنة بالله تعالى منقادة لشرعه في الإسلام، ولهذا البيت النبوي الأول مكانة عظيمة في تاريخ الدعوة الإسلامية، لما جباه الله به من مزايا وخصه بشرف الأسبقية في الإيمان وتلاوة القرآن وإقام الصلاة فهو:

- أول مكان ثلّي فيه وحي السماء بعد غار حراء.
- وهو أول بيت ضم المؤمنة الأولى سابقة السبق إلى الإسلام.

1 (?) السيرة النبوية لأبي شهبه (1/284). (2) ابن هشام (1/246).

3 (?) عيون الأثر، ابن سيد الناس (1/115).

4 (?) انظر: المرأة في العهد النبوي، د. عصمة الدين ص 42.

5 (?) يطلق المولى على السيد، وعلى المملوك الذي اعتق وهو المراد هنا.

6 (?) أنظر: دراسة تحليلية لشخصية الرسول د. محمد قلجعي ص 191.

7 (?) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبه (1/284).

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

- وهو أول بيت أقيمت فيه الصلاة.
- وهو أول بيت اجتمع فيه المؤمنون الثلاثة السابقون إلى الإسلام، خديجة وعلي وزيد بن حارثة.
- وهو أول بيت تعهد بالنصرة، ولم يتقاعس فيه فرد من أفراد كبارا أو صغارا عن مساندة الدعوة⁽¹⁾.

يحق لهذا البيت أن يكون قدوة، ويحق لربه أن تكون مثلاً ونموذجاً حياً لبيوت المسلمين ولنسائهم ورجال المؤمنين كافة، فالزوجة فيه طاهرة مؤمنة، مخلصه، وزيره الصدق والأمان، وابن العم المحضون والمكفول، مستجيب ومعضد ورفيق، والمتبني مؤمن صادق مساعد ومعين، والبنات مصدقات مستجيبات مؤمنات ممتثلات⁽²⁾.

وهكذا كان للبيت النبوي مكانته الأولى، والواجب يدعو إلى أن يكون قدوتنا والانموذج الذي نسير على هديه في المعاشرة، ومثالية السلوك بالصدق والتصديق، في الاستجابة والعمل لكل من آمن بالله رباً وبمحمد نبياً ورسولاً⁽³⁾.

إن الحقيقة البارزة في المنهج الرباني تشير إلى أهمية بناء الفرد الصالح والأسرة الصالحة، كأول حلقة من حلقات الإصلاح، والبناء، ثم المجتمع الصالح، ولقد تجلّت عناية الإسلام بالفرد المسلم وتكوينه ووجوب أن يسبق أي عمل آخر، فالفرد المسلم هو حجر الزاوية في أي بناء اجتماعي، ولما كانت الأسرة التي تستقبل الفرد منذ ولادته وتستمر معه مدة طويلة من حياته، بل هي التي تحيط به طوال حياته، فهي المحضن المتقدم الذي تتحدد به معالم الشخصية وخصائصها وصفاتها، كما أنها الوسيط بين الفرد والمجتمع، فإذا كان هذا الوسط سليماً قوياً أمد طرفيه -الفرد والمجتمع- بالسلامة والقوة⁽⁴⁾.

ولهذا اهتم الإسلام بالأسرة واتجه إليها، يضع لها الأسس التي تكفل قيامها ونموها نمواً سليماً، ويوجهها الوجهة الربانية لتكون حلقة قوية في بناء المجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية التي تسعى لصناعة الحضارة الربانية في دنيا الناس⁽⁵⁾.

5- إسلام أبي بكر الصديق :

كان أبو بكر الصديق ؓ أول من آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم من الرجال الأحرار، والأشراف، فهو من أخص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت عنده كبوة، وتردد ونظر،

1 (?) انظر: المرأة في العهد النبوي د. عصمة الدين ص43. (2) نفس المصدر ص45.

3 (?) نفس المصدر ص46.

4 (?) انظر: دولة الرسول من التكوين حتى التمكين، كامل سلامة ص208.

5 (?) نفس المصدر ص208.

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

إلا أبا بكر، ما عكم⁽¹⁾ حين دعوته ولا تردد فيه⁽²⁾، فأبو بكر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو حسنة من حسناته عليه الصلاة والسلام، لم يكن إسلامه إسلام رجل، بل كان إسلامه إسلام أمة، فهو في قريش كما ذكر ابن إسحاق في موقع العين منها:

- كان رجلاً مألَقاً لقومه محبباً سهلاً.
- وكان أنسب قريش لقريش، وأعلم قريش بها، وبما كان فيها من خير وشر.

• وكان رجلاً تاجراً.

• ذا خلق ومعرفة.

- وكان رجال قومه يأتونه وبألفونه لغير واحد من الأمر، لعلمه وتجارته، وحسن مجالسته⁽³⁾.

لقد كان أبو بكر كنزاً من الكنوز، ادخره الله تعالى لنبيه، وكان من أحب قريش لقريش، فذلك الخلق السميع الذي وهبه الله تعالى إياه، جعله من الموطئين أكنافا، من الذين يالفون ويؤلفون، والخلق السميع وحده عنصر كافٍ لألفة القوم، وهو الذي قال فيه عليه الصلاة والسلام: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر»⁽⁴⁾ وعلم الأنساب عند العرب، وعلم التاريخ هما أهم العلوم عندهم، ولدى أبي بكر الصديق النصيب الأوفر منهما، وقريش تعترف للصديق بأنه أعلمها بأنسابها، وأعلمها بتاريخها، وما فيه من خير وشر فالطبقة المثقفة ترتاد مجلس أبي بكر لتنهل منه علماً لا تجده عند غيره غزارة ووفرة وسعة، ومن أجل هذا كان الشباب النابهون، والفتيان الأذكياء يرتادون مجلسه دائماً، إنهم الصفوة الفكرية المثقفة التي تود أن تلقى عنده هذه العلوم، وهذا جانب آخر من جوانب عظمتها، وطبقة رجال الأعمال، ورجال المال في مكة، هي كذلك من رواد مجلس الصديق، فهو إن لم يكن التاجر الأول في مكة، فهو من أشهر تجارها، فأرباب المصالح هم كذلك قصاده، ولطيبته وحسن خلقه تلقى عوام الناس يرتادون بيته، فهو المضيف الدمث الخلق، الذي يفرح بضيوفه، ويأنس بهم، فكل طبقات المجتمع المكي تجد حظها عند الصديق رضوان الله عليه⁽⁵⁾ كان رصيده الأدبي والعلمي والاجتماعي في المجتمع المكي عظيماً، ولذلك عندما تحرك في دعوته للإسلام استجاب له صفوة من خيرة الخلق وهم:

- عثمان بن عفان في الرابعة والثلاثين من عمره.

1 (؟) ما تليث بل سارع. (2) انظر: السيرة النبوية لأبي شعبة (1/284).

2 (؟) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (1/371).

3 (؟) أورده الألباني في صحيح الجامع الصغير (2/8) ج3.

4 (؟) انظر: التربية القيادية للغضبان (1/115). (2) انظر: التربية القيادية (1/116).

5 هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

- عبد الرحمن بن عوف ؓ في الثلاثين من عمره.
 - سعد بن أبي وقاص ؓ وكان في السابعة عشرة من عمره.
 - والزبير بن العوام ؓ وكان في الثانية عشرة من عمره.
 - وطلحة بن عبيد الله ؓ وكان في الثالثة عشرة من عمره⁽¹⁾.
- كان هؤلاء الأبطال الخمسة أول ثمرة من ثمار الصديق أبي بكر ؓ، دعاهم إلى الإسلام فاستجابوا، وجاء بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرادى، فأسلموا بين يديه، فكانوا الدعامات الأولى التي قام عليها صرح الدعوة، وكانوا العدة الأولى في تقوية جانب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبهم أعزه الله وأيده، وتتابع الناس يدخلون في دين الله أفواجا، رجالاً ونساءً، وكان كل من هؤلاء الطلائع داعية إلى الإسلام، وأقبل معهم رعييل السابقين، الواحد، والاثنين، والجماعة القليلة، فكانوا على قلة عددهم كتيبة الدعوة، وحصن الرسالة لم يسبقهم سابق ولا يلحق بهم لاحق في تاريخ الإسلام⁽²⁾.
- إن تحرك أبي بكر ؓ في الدعوة إلى الله تعالى يوضح صورة من صور الإيمان بهذا الدين والاستجابة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم، صورة المؤمن الذي لا يقر له قرار، ولا يهدأ له بال، حتى يحقق في دنيا الناس ما آمن به، دون أن تكون انطلاقته دفعة عاطفية مؤقتة يسرعان ما تخدم وتذبل وتزول، وقد بقي نشاط أبي بكر وحماسه إلى أن توفاه الله جل وعلا لم يفتر أو يضعف أو يمل أو يعجز.
- ونلاحظ أن أصحاب الجاه لهم أثر كبير في كسب أنصار للدعوة، ولهذا كان أثر أبي بكر ؓ في الإسلام أكثر من غيره⁽³⁾.
- بعد أن كانت صحبة الصديق لرسول الله، مبنية على مجرد الاستئناس النفسي والخلقي، صارت الأنسة بالإيمان بالله وحده، وبالمؤازرة في الشدائد، واتخذ رسول الله عليه الصلاة والسلام من مكانة أبي بكر، وأنس الناس به ومكانته عندهم قوة لدعوة الحق، فوق ما كان له عليه الصلاة والسلام من قوة نفس، ومكانة عند الله وعند الناس⁽⁴⁾.
- ومضت الدعوة سرية وفردية على الاصطفاء، والاختيار للعناصر التي تصلح أن تتكون منها الجماعة المؤمنة، التي ستسعى لإقامة دولة الإسلام ودعوة الخلق إلى دين رب العباد والتي ستقيم حضارة ربانية ليس لها مثيل.

6- الدفعة الثانية:

جاء دور الدفعة الثانية، بعد إسلام الدفعة الأولى، فأول من أسلم من

² (?) انظر: محمد رسول الله، عرجون (1/533).

³ (?) انظر: الوحي وتبليغ الرسالة د. يحيى يحيى ص 62.

⁴ (?) انظر: خاتم النبيين لأبي زهرة ص 398.

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

هذه الدفعة: أبو عبيدة بن الجراح، وأبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن مخزوم بن مرة ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم (برة بنت عبد المطلب) وأخوه من الرضاع، والأرقم بن أبي الأرقم المخزومي، وعثمان بن مظعون الجمحي، وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وقدامة وعبد الله ابنا مظعون، وفاطمة بنت الخطاب بن نفيل أخت عمر بن الخطاب، وزوجة سعيد بن زيد، وأسماء بنت أبي بكر الصديق، وخباب بن الارت حليف بني زهرة⁽¹⁾.

7- الدفعة الثالثة:

أسلم عمير بن أبي وقاص أخو سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن مسعود بن الحارث بن شمع بن مخزوم.. بن هذيل، ومسعود بن القاري، وهو مسعود بن ربيعة، بن عمرو، بن سعيد بن عبد العزى، بن حمالة بن القارة.

وأسلم سليل بن عمرو، وأخوه حاطب بن عمرو، وعياش بن أبي ربيعة، وامراته أسماء بنت سلامة، وخنيس بن حذافة السهمي، وعامر بن ربيعة حليف آل الخطاب وعبد الله بن جحش وأخوه أحمد، وجعفر بن أبي طالب، وامراته أسماء بنت عميس، وحاطب بن الحارث، وامراته فاطمة بنت المجلل، وأخوه حطاب بن الحارث، وامراته فكيهة بنت يسار وأخوهما مَعْمَر بن الحارث، والسائب بن عثمان بن مظعون، والمطلب ابن أزهر، وامراته رملة بنت أبي عوف، والنخام بن عبد الله بن أسيد، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر، وفهيرة وأمه، وكان عبداً للطفيل بن الحارث بن سخيرة، فاشتراه الصديق وأعتقه، وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، وامراته أمينة بنت خلف، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، وواقد بن عبد الله بن عبد مناف، وخالد وعامر وعافل وإياس بنو البكير بن عبد ياليل، وعمار بن ياسر حليف بني مخزوم بن يقظة، وقال ابن هشام: عَنِّي من مَدْحَج. وصهيب بن سنان، هو (سابق الروم).

ومن السابقين إلى الإسلام: أبو ذر الغفاري، وأخوه أنيس، وأمه⁽²⁾.
ومن أوائل السابقين: بلال بن رباح الحبشي.
وهؤلاء السابقون من جميع بطون قريش، عدهم ابن هشام أكثر من أربعين نفراً⁽³⁾.
وقال ابن إسحاق: ثم دخل الناس في الإسلام أرسالاً من الرجال والنساء حتى فشا ذكر الإسلام في مكة، وتحدث به⁽⁴⁾.

1 (?) انظر: دولة الرسول من التكوين إلى التمكن، ص 212.
2 (?) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (1/287). (2) انظر: سيرة ابن هشام (1/245 إلى 262).

3
4 (?) المصدر السابق.

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

ويتضح من عرض الأسماء السابقة، أن السابقين الأولين إلى الإسلام كانوا خيرة أقوامهم، ولم يكونوا كما يقول بعض الباحثين في السيرة: إنهم من حثالة الناس، أو من الأرقاء الذين أرادوا استعادة حريتهم أو ما شابه ذلك - وجانب الصواب بعض كتاب السيرة لدى حديثهم عن السابقين الأولين إلى الإسلام، عندها وصفوهم بأن معظمهم كان خليطاً من الفقراء والضعفاء والأرقاء فما الحكمة في ذلك؟).

وبقولهم: كان رصيد هذه الدعوة بعد سنوات ثلاث من بدايتها، أربعين رجلاً وامراً، عامتهم من الفقراء والمستضعفين والموالي والأرقاء، وفي مقدمتهم أخلاط من مختلف الأعاجم: صهيب الرومي وبلال الحبشي).

إن البحث الدقيق يثبت أن مجموع من أشير إليهم بالفقراء والمستضعفين والموالي والأرقاء والأخلاط من مختلف الأعاجم هو ثلاثة عشر، ونسبة هذا العدد من العدد الكلي من الداخلين في الإسلام لا يقال «أكثرهم» ولا «معظمهم» ولا «عامتهم».

إن الذين أسلموا يومئذ لم يكن يدفعهم دافع دنيوي، وإنما هو إيمانهم بالحق الذي شرح الله صدورهم له، ونصرة نبيه صلى الله عليه وسلم، يشترك في ذلك الشريف والرقيق، والغني والفقير، ويتساوى في هذا أبو بكر وبلال وعثمان وصهيب⁽¹⁾، رضي الله عنهم.

ويقول الأستاذ صالح الشامي: نحن لا نريد أن ننفي وجود الضعفاء والأرقاء ولكن نريد أن ننفي أن يكونوا هم الغالبية - لأن هذا مخالف للحقائق الثابتة - ولو كانوا كذلك لكانت دعوة طبقية، يقوم فيها الضعفاء والأرقاء ضد الأقوياء وأصحاب السلطة والنفوذ، ككل الحركات التي تقاد من خلال البطون، إن هذا لم يدر بخلد أي من المسلمين وهو يعلن إسلامه، إنهم يدخلون في هذا الدين على اعتبارهم إخوة في ظل هذه العقيدة، عبادة لله، وأنه لمن القوة لهذه الدعوة أن يكون غالبية أتباعها في المرحلة الأولى بالذات من كرام أقوامهم، وقد أثروا في سبيل العقيدة أن يتحملوا أصنافاً من الهوان ما سبق لهم أن عانوها أو فكروا بها⁽²⁾.

لقد كان الإسلام ينساب إلى النفوس الطيبة، والعقول النيرة، والقلوب الطاهرة التي هياها الله لهذا الأمر، ولقد كان في الأوائل خديجة وأبو بكر وعلى وعثمان والزبير، وعبد الرحمن وطلحة، وأبو عبيدة وأبو سلمة والأرقم وعثمان بن مظعون، وسعيد بن زيد، وعبد الله بن جحش، وجعفر بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص، وفاطمة بنت الخطاب وخالد بن سعيد، وأبو حذيفة بن عتبة وغيرهم، رضي الله عنهم، وهم من سادة القوم وأشرفهم⁽³⁾.

1 (?) انظر: من معين السيرة صالح الشامي ص 40.
2 (2,?) انظر: من معين السيرة صالح الشامي، ص 40.
3

هؤلاء هم السابقون الأولون الذين سارعوا إلى الإيمان والتصديق بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم.

ثالثاً: استمرار النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة:

استمر النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته السرية، يستقطب عدداً من الاتباع والأنصار من أقاربه وأصدقائه، وخاصة الذين يتمكن من ضمهم في سرية تامة، بعد إقناعهم بالإسلام، وهؤلاء كانوا نعم العون والسند للرسول صلى الله عليه وسلم لتوسيع دائرة الدعوة في نطاق السرية، وهذه المرحلة العسيرة من حياة دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ظهرت فيها الصعوبة والمشقة في تحريك الرسول صلى الله عليه وسلم ومن آمن معه بالدعوة، فهم لا يخاطبون إلا من يأمنون من شره، ويثقون به، وهذا يعني أن الدعوة خطواتها بطيئة وحذرة، كما تقتضي صعوبة المواظبة على تلقي مطالب الدعوة من مصدرها، وصعوبة تنفيذها، إذا كان الداخل في هذا الدين ملزماً منذ البداية بالصلاة، ودراسة ما تيسر من القرآن -مثلاً- ولم يكن يستطيع أن يصلي بين ظهرائي قومه، ولا أن يقرأ القرآن، فكان المسلمون يتخفون في الشعاب والأودية إذا أرادوا الصلاة⁽¹⁾.

1- الحس الأمني:

إن من معالم هذه المرحلة، الكتمان والسرية حتى عن أقرب الناس، وكانت الأوامر النبوية على وجوب المحافظة على السرية واضحة وصارمة، وكان صلى الله عليه وسلم يكوّن من بعض المسلمين أسراً (مجموعات) وكانت هذه الأسر تختفي اختفاءً استعداداً وتدريباً، لا اختفاءً حين وهروب حسب ما تقتضيه التدبيرات، فبدأ الرسول عليه الصلاة والسلام ينظم أصحابه من أسر ومجموعات صغيرة، فكان الرجل يجمع الرجل والرجلين إذا أسلما، عند الرجل به قوة وسعة من المال، فيكونان معه ويصيان منه فضل طعامه، ويجعل منهم حلقات، فمن حفظ شيئاً من القرآن علم من لم يحفظ، فيكون من هذه الجماعات أسر أخوة، وحلقات تعليم.

إن المنهج الذي سار عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في تربية أتباعه هو: القرآن الكريم، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يربي أصحابه تربية شاملة في العقائد والعبادات والأخلاق والحس الأمني وغيرها؛ ولذلك نجد في القرآن الكريم آيات كريمة تحدثت عن الأخذ بالحس الأمني؛ لأن من أهم عوامل نهوض الأمة أن ينشأ الحس الأمني في جميع أفرادها، وخصوصاً في الصف المنظم الذي يدافع عن الإسلام، ويسعى لتمكينه في دنيا الناس، ولذلك نجد النواة الأولى للتربية الأمنية كانت في مكة، وتوسعت مع توسع الدعوة ووصولها إلى دولة.

ولا شك أن الصحابة كانوا يجمعون المعلومات عن مريدون دعوته

¹ (?) انظر: الغرباء الأولون، سلمان العودة.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

للإسلام وكانت القيادة تشرف على ذلك، ولذلك قام النبي صلى الله عليه وسلم بترتيب جهاز أمني رفيع يشرف على الاتصال المنظم بين القيادة والقواعد ليضمن تحقيق مبدأ السرية.

إن السيرة النبوية غنية في أبعادها الأمنية، منذ تربية الأفراد، وحتى بعد قيام الدولة، وتظهر الحاجة للحركات الإسلامية والدول المسلمة، لإيجاد أجهزة أمنية متطورة (في زمننا المعاصر) تحمي الإسلام والمسلمين من أعدائها اليهود والنصارى والملاحدة، وتعمل على حماية الصف المسلم في الداخل من اختراقات الأعداء فيه، وتجتهد لرصد أعمال المعارضين والمحاربين للإسلام، حتي تستفيد القيادة من المعلومات التي تقدمها لها أجهزتها المؤمنة الأمنية، ولا بد أن تؤسس هذه الأجهزة على قواعد منبعها القرآن الكريم والسنة النبوية، وتكون أخلاق رجالها قمة رفيعة تمثل صفات رجال الأمن المسلمين.

إن اهتمام المسلمين بهذا الأمر يجنبهم المفاجآت العدوانية «إذا عرفت العدو وعرفت نفسك، فليس هناك ما يدعوك إلى أن تخاف نتائج مائة معركة، وإذا عرفت نفسك، ولم تعرف العدو فإنك ستواجه الهزيمة في كل معركة»⁽¹⁾.

كان النبي صلى الله عليه وسلم يشرف بنفسه على تربية أصحابه في كافة الجوانب، ووزعهم في أسر، فمثلاً كانت فاطمة بنت الخطاب وزوجها سعيد بن زيد، وهو ابن عم عمر بن الخطاب رضي الله عنهم، كانوا في أسرة واحدة مع نعيم بن عبد الله النخاس بن عدي، وكان معلمهم خباب بن الارت، وكان اشتغالهم بالقرآن لا يقتصر من عليه تجويد تلاوته وضبط مخارج حروفه ولا على الاستكثار من سرده، والإسراع في قراءته، بل كان همهم دراسته وفهمه، ومعرفة أمره ونهيه والعمل به⁽²⁾.

كان النبي صلى الله عليه وسلم يهتم بالتخطيط الدقيق المنظم وبحسب لكل خطوة حسابها، وكان مدرّكاً تماماً أنه سيأتي اليوم الذي يؤمر فيه بالدعوة علناً وجهراً، وأن هذه المرحلة سيكون لها شدتها وقوتها، فحاجة الجماعة المؤمنة المنظمة تقتضي أن يلتقي الرسول المرابي مع أصحابه، فكان لا بد من مقر لهذا الاجتماع، فقد أصبح بيت خديجة رضي الله عنها لا يتسع لكثرة الأتباع، فوقع اختيار النبي وصحبه على دار الأرقم بن أبي الأرقم، إذ أدرك الرسول عليه الصلاة والسلام أن الأمر يحتاج إلى الدقة المتناهية في السرية والتنظيم، ووجوب التقاء القائد المرابي باتباعه في مكان آمن بعيد عن الأنظار، ذلك أن استمرار اللقاءات الدورية المنظمة بين القائد وجنوده، خير وسيلة للتربية العملية والنظرية، وبناء الشخصية القيادية الدعوية.

ومما يدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعد أتباعه

¹ (?) انظر: الغرباء الأولون، سلمان العودة، ص 311.

² (?) انظر: الدعوة الإسلامية، د. عبد الغفار محمد عبد العزيز ص 96.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

ليكونوا بناء الدولة وحملة الدعوة، وقادة الأمم، هو حرصه الشديد على هذا التنظيم السري الدقيق، فلو كان مجرد داعية لما احتاج الأمر إلى كل هذا.

ولو كان يريد مجرد إبلاغ الدعوة للناس لكان خير مكان في الكعبة حيث منتدى قريش كلها، ولكن الأمر -غير ذلك- فلا بد من السرية التامة في التنظيم، وفي المكان الذي يلتقي فيه مع أصحابه، وفي الطريقة التي يحضرون بها إلى مكان اللقاء⁽¹⁾.

2- دار الأرقم بن أبي الأرقم (مقر القيادة):

تذكر كتب السيرة أن اتخاذ دار الأرقم مقرًا لقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم كان بعد المواجهة الأولى، التي برز فيها سعد بن أبي وقاص. قال ابن إسحاق: «كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلوا ذهبوا في الشعاب، فاستخفوا بصلاتهم من قومهم، فبينما سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعب من شعاب مكة إذ ظهر عليه نفر من المشركين وهم يصلون، فناكروهم، وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم، فضرب سعد بن أبي وقاص يومئذ رجلًا من المشركين بلحي بعير فشجه، فكان أول دم أهرق في الإسلام»⁽²⁾.

أصبحت دار الأرقم السرية مركزًا جديدًا للدعوة يتجمع فيه المسلمون، ويتلقون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كل جديد من الوحي، ويستمعون له -عليه الصلاة والسلام- وهو يذكرهم بالله، ويتلو عليهم القرآن، ويضعون بين يديه كل ما في نفوسهم وواقعهم فيريهم، عليه الصلاة والسلام على عينه. كما تربى هو على عين الله عز وجل، وأصبح هذا الجمع هو قرة عين النبي صلى الله عليه وسلم⁽³⁾.

رابعًا: أهم خصائص الجماعة الأولى التي تربت على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم:

كانت الجماعة الأولى التي تربت على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قد برزت فيها خصائص مهمة جعلتها تتقدم بخطوات رصينة نحو صياغة الشخصية المسلمة، التي تقيم الدولة المؤمنة، وتصنع الحضارة الرائعة، فمن أبرز هذه الخصائص:

1- الاستجابة الكاملة للوحي، وعدم التقديم بين يديه:

إن العلم والفقه الصحيح الكامل في العقائد والشرائع والآداب وغيرها لا يكون إلا عن طريق الوحي المنزل، قرآنًا وسنة؛ والتزام الدليل الشرعي هو منهج

¹ (?) انظر: دولة الرسول من التكوين إلى التمكين ص 218.

² (?) انظر: ابن هشام (1/236). (3) انظر: التربية القيادية (1/198).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

الذين أنعم الله عليهم بالإيمان الصحيح⁽¹⁾ قال تعالى: (وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) [الأعراف: 181].

لقد كان الصحابة رضي الله عنهم أعظم من غيرهم انتفاعاً بالدليل والوحي، وتسليماً له، لأسباب عديدة، منها:

أ- نزاهة قلوبهم، وخلوها من كل ميل أو هوى غير ما جاءت به النصوص، واستعدادها التام لقبول ما جاء عن الله ورسوله والإذعان والانقياد له انقياداً مطلقاً، دون حرج ولا تردد، ولا إحجام.

ب- معاصرهم لوقت التشريع ونزول الوحي، ومصاحبتهم للرسول صلى الله عليه وسلم، ولذلك كانوا أعلم الناس بملايسات الأحوال التي نزلت النصوص فيها، والعلم بملايسات الواقعة أو النص من أعظم أسباب فقهه وفهمه وإدراك مغزاه.

ج- وكانت النصوص -قرآنًا وسنة- تأتي في كثير من الأحيان لأسباب تتعلق بهم -بصورة فردية، أو جماعية- فتخاطبهم خطاباً مباشراً، وتؤثر فيهم أعظم التأثير؛ لأنها تعالج أحداثاً واقعية، وتعقب في حينها، حيث تكون النفوس مشحونة بأسباب التأثير متهيئة لتلقي الأمر والاستجابة له.

فكانوا إذا سمعوا أحداً يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتدرته أبصارهم، كما يقول ابن عباس⁽²⁾.

2- التأثير الوجداني العميق بالوحي والإيمان:

كان الصحابة يتعاملون مع العلم الصحيح ليس كحقائق علمية مجردة يتعامل معها العقل فحسب، دون أن يكون لها علاقة بالقلب والجوارح، فقد أورثهم العلم بالله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله: محبته والتأله إليه، والشوق إلى لقائه، والتمتع بالنظر إلى وجهه الكريم في جنة عدن، وأورثهم تعظيمه، والخوف منه، والحذر من بأسه وعقابه، وبطشه ونقمته وأورثهم رجاء ما عنده، والطمع في جنته ورضوانه، وحسن الظن به، فأكملت لديهم بذلك آثار العلم بالله والإيمان به، وهذه المعاني الوجدانية هي المقصود الأعظم في تحصيل العلم، وإذا فقدت، فلا ينفع مع فقدها علم، بل هو ضرر في العاجل والآجل⁽³⁾.

وكان الصحابة فرساناً بالنهار، ورهباناً بالليل، لا يمنعهم علمهم وإيمانهم وخشوعهم لله من القيام بشؤونهم الدنيوية، من بيع، وشراء، وحرث، ونكاح، وقيام على الأهل والأولاد وغيرهم فيما يحتاجون.

خامساً: شخصية النبي صلى الله عليه وسلم وأثرها في صناعة القادة:

¹ (?) انظر صفة الغرباء، سلمان العودة ص 83. ² (2) نفس المصدر ص 94.

³ (?) انظر: صفة الغرباء ص 97.

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

كانت دار الأرقم بن أبي الأرقم أعظم مدرسة للتربية والتعليم عرفت بالبشرية، كيف لا، وأستاذها هو رسول الله **صلى الله عليه وسلم** أستاذ البشرية كلها، وتلاميذها هم الدعاة والهداة، والقادة الربانيون، الذين حرروا البشرية من رق العبودية وأخرجوهم من الظلمات إلى النور، بعد أن رباهم الله تعالى على عينة تربية غير مسبقة ولا ملحقة⁽¹⁾.

في دار الأرقم وفق الله تعالى رسوله إلى تكوين الجماعة الأولى من الصحابة، حيث قاموا بأعظم دعوة عرفت بالبشرية.

لقد استطاع الرسول المربي الأعظم **صلى الله عليه وسلم** أن يربي في تلك المرحلة السرية، وفي دار الأرقم أفاض الرجال الذين حملوا رؤية التوحيد، والجهاد والدعوة فدانت لهم الجزيرة، وقاموا بالفتوحات العظيمة في نصف قرن.

كانت قدرة النبي **صلى الله عليه وسلم** فائقة في اختيار العناصر الأولى للدعوة في خلال السنوات الثلاث الأولى من عمر الدعوة، وتربيتهم وإعدادهم إعداداً خاصاً ليؤهلهم لاستلام القيادة، وحمل الرسالة، فالرسالات الكبرى والأهداف الإنسانية العظمى لا يحملها إلا أفاض الرجال، وكبار القادة، وعمالقة الدعاة.

كانت دار الأرقم مدرسة من أعظم مدارس الدنيا وجامعات العالم، التقى فيها الرسول المربي بالصفوة المختارة من الرعيّل الأول (السابقين الأولين) فكان ذلك اللقاء الدائم تدريباً عملياً لجنود المدرسة على مفهوم الجندية والسمع والطاعة والقيادة وأدائها وأصولها، ويشحذ فيه القائد الأعلى جنده وأتباعه بالثقة بالله والعزيمة والإصرار، وبأخذهم بالتركية والتهذيب، والتربية والتعليم، كان هذا اللقاء المنظم يشحذ العزائم، ويقوي الهمم، ويدفع إلى البذل والتضحية والإيثار⁽²⁾.

كانت نقطة البدء في حركة التربية الربانية الأولى لقاء المدعو بالنبي **صلى الله عليه وسلم**، فيحدث للمدعو تحول غريب، واهتداء مفاجئ بمجرد اتصاله بالنبي **صلى الله عليه وسلم**، فيخرج المدعو من دائرة الظلام إلى دائرة النور، ويكتسب الإيمان ويطرح الكفر، ويقوى على تحمل الشدائد والمصائب في سبيل دينه الجديد وعقيدته السمحة.

كانت شخصية رسول الله **صلى الله عليه وسلم** المحرك الأول للإسلام، وشخصيته **صلى الله عليه وسلم** تملك قوى الجذب والتأثير على الآخرين، فقد صنعه الله على عينة، وجعله أكمل صورة لبشر في تاريخ الأرض، والعظمة دائماً تُحب، وتحاط من الناس بالإعجاب، ويلتف حولها المعجبون، يلتصقون بها التصاقاً بدافع الإعجاب والحب،

¹ (?) انظر: دولة الرسول من التكوين إلى التمكن ص 219.

² (?) المصدر السابق ص 220.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يضيف إلى عظمتة تلك، أنه رسول الله، متلقي الوحي من الله، ومبلغه إلى الناس، وذلك بعد آخر له أثر في تكيف مشاعر ذلك المؤمن تجاهه، فهو لا يحبه لذاته فقط كما يحب العظماء من الناس، ولكن أيضاً لتلك النفحة الربانية التي تشمله من عند الله، فهو معه في حضرة الوحي الإلهي المكرم، ومن ثم يلتقي في شخص الرسول صلى الله عليه وسلم البشر العظيم والرسول العظيم، ثم يصبحان شيئاً واحداً في النهاية، غير متميز البداية ولا النهاية، حب عميق شامل للرسول البشر، أو للبشر الرسول، ويرتبط حب الله بحب رسوله ويمتزجان في نفسه، فيصبحان في مشاعره هما نقطة ارتكاز المشاعر كلها، ومحور الحركة الشعورية والسلوكية كلها كذلك.

كان هذا الحب -الذي حرك الرعيل الأول من الصحابة- هو مفتاح التربية الإسلامية ونقطة ارتكازها ومنطلقها الذي تنطلق منه⁽¹⁾.

سادساً: المادة الدراسية في دار الأرقم:

كانت المادة الدراسية التي قام بتدريسها النبي صلى الله عليه وسلم في دار الأرقم القرآن الكريم، فهو مصدر التلقي الوحيد، فقد حرص الحبيب المصطفى على توحيد مصدر التلقي وتفرد به، وأن يكون القرآن الكريم وحده هو المنهج والفكرة المركزية التي يتربى عليها الفرد المسلم، والأسرة المسلمة، والجماعة المسلمة، وكان روح القدس ينزل بالآيات غضة طرية على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيسمعها الصحابة من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم مباشرة، فتسكب في قلوبهم، وتتسرب في أرواحهم، وتجري في عروقهم مجرى الدم، وكانت قلوبهم وأرواحهم تتفاعل مع القرآن وتتفاعل به، فيتحول الواحد منهم إلى إنسان جديد، بقيمه ومشاعره، وأهدافه، وسلوكه وتطلعاته، لقد حرص الرسول صلى الله عليه وسلم حرصاً شديداً على أن يكون القرآن الكريم وحده هو المادة الدراسية، والمنهج الذي تتربى عليه نفوس أصحابه، ولا يختلط تعليمه بشيء من غير القرآن⁽²⁾.

لقد تلقى الرعيل الأول القرآن الكريم بجدية ووعي، وحرص شديد، على فهم توجيهاته، والعمل بها بدقة تامة، فكانوا يلتمسون من آياته ما يوجههم في كل شأن من شؤون حياتهم الواقعية، والمستقبلية.

فنشأ الرعيل الأول على توجيهات القرآن الكريم، وجاءوا صورة عملية لهذه التوجيهات الربانية، فالقرآن كان هو المدرسة الإلهية، التي تخرج فيها الدعاة والقادة الربانيون، ذلك الجيل الذي لم تعرف له البشرية مثيلاً من قبل ومن بعد، لقد أنزل الله القرآن الكريم على قلب رسوله، لينشئ به أمة وقيم به دولة، وينظم به مجتمعاً، وليربي

¹ (?) انظر: منهج التربية الإسلامية، محمد قطب ص 34، 35.

² (?) انظر: دولة الرسول من التكوين إلى التمكين ص 225.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

به ضمائِر وأخلاقًا وعقولاً، وببني به عقيدة وتصورًا وأخلاقًا، ومشاعِر، فخرَج الجماعة المسلمة الأولى التي تفوقت على سائر المجتمعات في جميع المجالات، والعقدية، والروحية والخلقية، والاجتماعية والسياسية والحربية⁽¹⁾.

سابعًا: الأسباب في اختيار دار الأرقم:

كان اختيار دار الأرقم لعدة أسباب منها:

1- أن الأرقم لم يكن معروفًا بإسلامه، فما كان يخطر ببال أحد أن يتم لقاء محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه بداره.

2- أن الأرقم بن الأرقم   من بني مخزوم، وقبيلة بني مخزوم هي التي تحمل لواء التناقص والحرب ضد بني هاشم. فلو كان الأرقم معروفًا بإسلامه فلا يخطر في البال أن يكون اللقاء في داره؛ لأن هذا يعني أنه يتم في قلب صفوف العدو.

3- أن الأرقم بن أبي الأرقم كان فتى عند إسلامه، فلقد كان في حدود السادسة عشرة من عمره، ويوم تفكر قريش في البحث عن مركز التجمع الإسلامي، فلن يخطر في بالها أن تبحث في بيوت الفتيان الصغار من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بل يتجه نظرها وبحثها إلى بيوت كبار أصحابه، أو بيته هو نفسه عليه الصلاة والسلام.

فقد يخطر على ذهنهم أن يكون مكان التجمع على الأغلب في دور بني هاشم، أو في بيت أبي بكر   أو غيره، ومن أجل هذا نجد أن اختيار هذا البيت كان في غاية الحكمة من الناحية الأمنية، ولم نسمع أبداً أن قريشاً داهمت ذات يوم هذا المركز وكشفت مكان اللقاء⁽²⁾.

ثامناً: من صفات الرعيل الأول:

كانت الفترة الأولى من عمر الدعوة، تعتمد على السرية والفردية، وكان التخطيط النبوي دقيقاً ومنظماً، وكان تخطيطاً سياسياً محكماً، فما كان اختيار رسول الله صلى الله عليه وسلم لدار الأرقم لمجرد اجتماع المسلمين فيها لسماع نصائح ومواظب وإرشادات، وإنما كانت مركزاً للقيادة، ومدرسة للتعليم والتربية والإعداد والتأهيل للدعوة والقيادة، بالتربية الفردية العميقة الهادئة، وتعهد بعض العناصر والتركيز عليها تركيزاً خاصاً، لتأهيلها لأعباء الدعوة والقيادة، فكان الرسول المربي قد حدد لكل فرد من هؤلاء عمله بدقة وتنظيم حكيم، اشترك في ذلك الكل، الكل يعرف دوره المنوط به، والكل يدرك طبيعة الدعوة والمرحلة التي تمر بها، والكل ملتزم جانب الحيطة والحذر والسرية والانضباط التام⁽³⁾.

¹ (?) نفس المصدر ص335. (2) انظر: المنهج الحركي للغضبان (1/49).

³ (?) انظر: دولة الرسول من التكوين إلى التمكن، ص237. هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

كان بناء الجماعة المؤمنة في الفترة المكية يتم بكل هدوء وتدرج وسريّة، وكان شعار هذه المرحلة هو توجيه المولى عز وجل المتمثل في قوله تعالى: (**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تَطْعَ مَنْ أَغْلَيْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا**) [الكهف: 28].

فالآية الكريمة تأمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يصبر على تقصير وأخطاء المستجيبين لدعوته، وأن يصبر على كثرة تساؤلاتهم، خاصة إن كانت خاطئة، وأن يصبر على تردهم في قبول التوجيهات، وأن يجتهد في تصبيرهم على فتنة أعداء الدعوة، وأن يوضح لهم طبيعة طريق الدعوة، وأنها شاقة، وأن لا يغرر به مغرر ليعده عنهم، وأن لا يسمع فيهم منتقضا، ولا يطيع فيهم متكبرا، أغفل الله قلبه عن حقيقة الأمور وجوهرها⁽¹⁾.

إن الآيات الكريمة السابقة من سورة الكهف تصف لنا بعض صفات الجماعة المسلمة الأولى والتي من أهمها:

أ- الصبر في قوله تعالى: (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ): إن كلمة الصبر تتردد في القرآن الكريم وفي أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، ويوصي الناس بها بعضهم بعضا، وتبلغ أهميتها أن تصير صفة من أربع لفتنة الناجية من الخسران.

قال تعالى: (**وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**) [العصر] فحكم المولى عز وجل على جميع الناس بالخسران إلا من أتى بهذه الأمور الأربعة:

1- الإيمان بالله. 2- العمل الصالح.

3- التواصي بالحق. 4- التواصي بالصبر.

لأن نجاه الإنسان لا تكون إلا إذا أكمل الإنسان نفسه بالإيمان والعمل الصالح، وأكمل غيره بالنصح والإرشاد، فيكون قد جمع بين حق الله، وحق العباد، «والتواصي بالصبر كذلك ضرورة؛ فالقيام على الإيمان والعمل الصالح، وحراسة الحق والعدل من أعسر ما يواجه الفرد والجماعة، ولا بد من الصبر على جهاد النفس، وجهاد الغير، والصبر على الأذى والمشقة، والصبر على تبجح الباطل، والصبر على طول الطريق وبطء المراحل، وانطماس المعالم وبعد النهاية»⁽²⁾.

ب- كثرة الدعاء والإلحاح على الله: وهذا يظهر في قوله تعالى: (**يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ**) فالدعاء باب عظيم، فإذا فتح للعبد تابعت عليه الخيرات، وإنهالت عليه البركات، فلا بد من تربية الأفراد الذين يعدون لحمل الرسالة وأداء الأمانة، على حسن

¹ (?) انظر: الطريق إلى جماعة المسلمين، حسين بن محسن ص 170.

² (?) انظر: الطلال (6/3968).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

الصلة بالله، وكثرة الدعاء؛ لأن ذلك من أعظم وأقوى عوامل النصر⁽¹⁾.

ج- الإخلاص: ويظهر في قوله تعالى: (**يُرِيدُونَ وَجْهَهُ**)، ولا بد عند إعداد الأفراد إعداداً ربانياً أن يتربى المسلم على أن تكون أقواله، وأعماله، وجهاده كله لوجه الله وابتغاء مرضاته، وحسن مثوبته، من غير نظر إلى مغنم، أو جاه، أو لقب، أو تقدم، أو تأخر، وحتى يصبح جندياً من أجل العقيدة والمنهج الرباني ولسان حاله قوله تعالى: (**قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**) (الأنعام: 162-163)

إن الإخلاص ركن من أركان قبول العمل، ومعلوم أن العمل عند الله لا يقبل إلا بالإخلاص وتصحيح النية وبموافقة السنة والشرع.

د- الثبات: ويظهر في قوله تعالى: (**وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**) (الكهف: 28).

وهذا الثبات المذكور فرع عن ثبات أعم، ينبغي أن يتسم به الداعية الرباني، قال تعالى: (**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَصَى نَجْهَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا**) (الأحزاب: 23).

ففي الآيات الكريمة ثلاث صفات، إيمان، ورجولة، وصدق، وهذه العناصر مهمة للثبات على المنهج الحق؛ لأن الإيمان يبعث على التمسك بالقيم الرفيعة والتشبث بها، ويبعث على التضحية بالنفس ليبقى المبدأ الرفيع، والرجولة محركة للنفس نحو هذا الهدف غير مهتمة بالصغائر والصغار، وإنما دائماً دافعة نحو الهدف الأسمى، والمبدأ الرفيع، والصدق يحول دون التحول أو التغيير أو التبدل، ومن ثم يورث هذا كله الثبات الذي لا يتلون معه الإنسان، وإن رأى شعاع السيف على رقبتة، أو رأى حبل المشنقة ينتظره، أو رأى الدنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها.

ولا شك أن اللبنة التي تعد لحمل الدعوة، وإقامة الدولة، وصناعة الحضارة تحتاج إلى الثبات الذي يعين على تحقيق الأهداف السامية، والغايات الجميلة والقيم الرفيعة⁽²⁾.

هذه من أهم الصفات التي اتصفت بها الجماعة المؤمنة الأولى.

تاسعاً: انتشار الدعوة في بطون قريش وعالميتها:

كان انتشار الإسلام في المرحلة السرية، في سائر فروع قريش بصورة متوازنة دون أن يكون ثقل كبير لأي قبيلة، وهذه الظاهرة مخالفة لطبيعة الحياة القبلية آنذاك. وهي إذا أفقدت الإسلام الاستفادة الكاملة من التكوين القبلي والعصبة لحماية الدعوة

¹ (?) انظر: فقه التمكن في القرآن الكريم ص221.

² (?) انظر: دعوة الله بين التكوين والتمكن، د. علي جريشة ص91، 92.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

الجديدة ونشرها، فإنها في الوقت نفسه لم تؤلب عليها العشائر الأخرى بحجة أن الدعوة تحقق مصالح العشيرة التي انتمت إليها وتعلي من قدرها على حساب العشائر الأخرى، ولعل هذا الانفتاح المتوازن على الجميع أغان في انتشار الإسلام في العشائر القرشية العديدة دون تحفظات متصلة بالعصية، فأبو بكر الصديق من (تيم)، وعثمان بن عفان من (بني أمية)، والزبير بن العوام من (بني أسد)، ومصعب بن عمير من (بني عبد الدار)، وعلي بن أبي طالب من (بني هاشم)، وعبد الرحمن بن عوف من (بني زهرة)، وسعيد بن زيد من (بني عدي)، وعثمان بن مظعون من (بني جُمَح)، بل إن عددًا من المسلمين في هذه المرحلة لم يكونوا من قريش، فعبد الله بن مسعود من (هذيل)، وعتبة بن غزوان من (مازن)، وعبد الله بن قيس من (الأشعرين)، وعمار بن ياسر من (عنس) من مدحج، وزيد بن حارثة من (كلب)، والطفيل بن عمرو من (دوس)، وعمرو بن عبسة من (سليم)، وصهيب النمرى من (بني النمر بن قاسط)، لقد كان واضحاً أن الإسلام لم يكن خاصاً بمكة⁽¹⁾.

لقد بشق النبي صلى الله عليه وسلم طريقه بكل تخطيط ودقة، وأخذ بالأسباب مع التوكل على الله تعالى، فاهتم بالتربية العميقة، والتكوين الدقيق، والتعليم الواسع، والاحتياط الأمني، والانسباب الطبيعي في المجتمع، والإعداد الشامل للمرحلة التي بعد السرية، لأنه عليه الصلاة والسلام يعلم أن الدعوة إلى الله لم تنزل لتكون دعوة سرية، يخاطب بها الفرد بعد الفرد، بل نزلت لإقامة الحجة على العالمين، وإنقاذ من شاء الله إنقاذه من الناس من ظلمات الشرك والجاهلية، إلى نور الإسلام والتوحيد، ولذلك كشف الله تعالى عن حقيقة هذه الدعوة وميدانها، منذ خطواتها الأولى، حيث إن القرآن المكي بين شمول الدعوة وعالميتها: قال تعالى: (**إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ**) [ص: 87].

وقال تعالى: (**وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ**) [القلم: 52].

إن الدعوة جاءت لتخاطب البشر، كل البشر، ولتنقذ منهم من سبقت له من الله الحسنی، وهذا يعني أن الدعوة جاءت ومن خصائصها، الإعلان والصدع، والبلاغ، والبيان، والإنذار، وتحمل ما يترتب على هذا من التكذيب، والإيذاء والقتل.

إن استسرار النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته أول الأمر، إنما هو حال استثنائي لظروف وملابسات خاصة، وهي ظروف بداية الدعوة وضعفها وغربتها، وينبغي أن يفهم هذا ضمن هذا الإطار.

وإن كان الكتمان والاستسرار سياسة مصلحية في كثير من أمور الإسلام في الحرب والسلام، فهو كذلك في موضوع الدعوة، فالاستسرار بها كان لضرورة فرضها الواقع، وإلا فالأصل هو بيان دين الله وشرعه، وحكمه لكل الناس، أما الاستسرار بما سوى ذلك من

¹ (?) انظر: السيرة النبوية الصحيحة للعمرى (1/133).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

الوسائل والخطط والتفصيلات، فهو أمر مصلحي، خاضع للنظر والاجتهاد البشري، إذ لا يترتب عليه كتمان للدين، ولا سكون عن حق، ولا يتعلق به بيان، ولا بلاغ، ومن ذلك مثلاً معرفة عدد الأتباع المؤمنين بالدعوة، فهذا أمر مصلحي لا يخل بقضية البلاغ والنيابة، التي نزلت الكتب وبعثت الرسل من أجلها، فيمكن أن يظل سرّاً متى كانت المصلحة في ذلك مع القيام بأمر الدعوة والتبليغ؛ ولهذا فإن النبي **صلى الله عليه وسلم** حتى بعد أن صدع بدعوته، وأبذر الناس وأعلن النبوة، ظل يخفي أشياء كثيرة، لا تؤثر على مهمة البلاغ والبيان كعدد أتباعه، وأين يجتمع بهم؟ وما هي الخطط التي يتخذونها إزاء الكيد الجاهلي⁽¹⁾.

* * *

¹ (?) انظر: الغرباء الأولون ص 124 : 126.
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

المبحث الثالث

البناء العقدي في العهد المكي

أولاً: فقه النبي صلى الله عليه وسلم في التعامل مع السنن:

إن بناء الدول وتربية الأمم والنهوض بها يخضع لقوانين وسنن ونواميس تتحكم في مسيرة الأفراد والشعوب والأمم والدول، وعند التأمل في سيرة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم نراه قد تعامل مع السنن والقوانين بحكمة وقدرة فائقة.

إن السنن الربانية هي أحكام الله تعالى الثابتة في الكون، وعلى الإنسان في كل زمان ومكان، وهي كثيرة جداً، والذي يهمنا منها في هذا الكتاب ما يتعلق بحركة النهوض تعلقاً وثيقاً.

إن المتدبر لآيات القرآن الكريم يجدها حافلة بالحديث عن سنن الله تعالى، التي لا تبدل ولا تتغير، ويجد عناية ملحوظة بإبراز تلك السنن وتوجيه النظر إليها واستخراج العبرة منها، والعمل بمقتضاياتها لتكوين المجتمع المسلم المستقيم على أمر الله، والقرآن الكريم حينما يوجه أنظار المسلمين إلى سنن الله تعالى في الأرض، فهو بذلك يردهم إلى الأصول التي تجري وفقها، فهم ليسوا بدعاً في الحياة، فالنواميس التي تحكم الكون والشعوب والأمم والدول والأفراد جارية لا تتخلف، والأمور لا تمضي جزافاً، والحياة لا تجري في الأرض عبثاً، وإنما تتبع هذه النواميس، فإذا درس المسلمون هذه السنن، وأدركوا مغازيها، تكشفت لهم الحكمة من وراء الأحداث، وتبينت لهم الأهداف من وراء الوقائع، وأطمأنوا إلى ثبات النظام الذي تتبعه الأحداث، أو إلى وجود الحكمة الكامنة وراء هذا النظام، واستشرفوا خط السير على ضوء ما كان في ماضي الطريق، ولم يعتمدوا على مجرد كونهم مسلمين، لينالوا النصر والتمكين بدون الأخذ بالأسباب المؤدية إليه⁽¹⁾.

والسنن التي تحكم الحياة واعدة، فما وقع منها من زمان مضى، وسيقع في كل زمان⁽²⁾.

والمسلمون أولى أن يدركوا سنن ربهم، المبرزة لهم في كتاب الله وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، حتى يصلوا إلى ما يرجون من عزة وتمكين «فإن التمكين لا يأتي عفواً ولا ينزل اعتباراً، ولا يخبط عشواء، بل إن له قوانينه التي سجلها الله تعالى في كتابه الكريم؛ ليعرفها عباده المؤمنون، ويتعاملوا معها على بصيرة»⁽³⁾.

«إن من شروط التعامل المنهجي السليم مع السنن الإلهية والقوانين الكونية في الأفراد والمجتمعات والأمم، هو أن نفهم، بل نفقه فقهًا شاملاً رشيداً هذه السنن، وكيف تعمل ضمن الناموس

² (1، ؟) نفس المصدر (1/478).

³ (؟) انظر: جيل النصر المنشود للقرضاوي، ص 15.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

الإلهي أو ما نعبر عنه بـ«فقه السنن» ونستنبط منها على ضوء فقها لها القوانين الاجتماعية، والمعادلات الحضارية⁽¹⁾.

يقول الأستاذ البنا في منهجية التعامل مع السنن:

«لا تصادموا نواميس الكون فإنها غلبة، ولكن غالبوها، واستخدموها، وحولوا تيارها، واستعينوا ببعضها على بعض، وترقبوا ساعة النصر وما هي منكم ببعيد»⁽²⁾.

ونلاحظ عدة أمور مهمة:

- 1- عدم المصادمة.
- 2- المغالبة.
- 3- الاستخدام.
- 4- التحويل.
- 5- الاستعانة ببعضها على بعض.
- 6- ترقب ساعة النصر⁽³⁾.

إن ما وصل إليه الأستاذ البنا يدل على دراسته العميقة للسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، وتجارب الشعوب، والأمم، ومعرفة صحيحة للواقع الذي يعيشه وتوصيف سليم للداء والدواء.

إن حركة الإسلام الأولى التي قادها النبي صلى الله عليه وسلم في تنظيم جهود الدعوة، وإقامة الدولة، وصناعة الإنسان النموذجي الرباني الحضاري خضعت لسنن وقوانين قد ذكرت بعضها بنوع من الإيجاز، كاهمية القيادة في صناعة الحضارات، وأهمية الجماعة المؤمنة المنظمة في مقاومة الباطل، وأهمية المنهج الذي تستمد منه العقائد والأخلاق والعبادات، والقيم والتصورات، ومن سنن الله الواضحة فيما ذكر سنة التدرج وهي من سنن الله تعالى في خلقه وكونه، وهي من السنن الهامة التي يجب على الأمة أن تراعيها وهي تعمل للنهوض والتمكين لدين الله.

ومنطلق هذه السنة أن الطريق طويل، لا سيما في هذا العصر الذي سيطرت فيه الجاهلية، وأخذت أهبتها واستعدادها، كما أن الشر والفساد قد تجذر في الشعوب واستئصاله يحتاج إلى تدرج.

فقد بدأت الدعوة الإسلامية الأولى متدرجة، تسير بالناس سيرًا دقيقًا، حيث بدأت بمرحلة الاصطفاء والتأسيس، ثم مرحلة المواجهة والمقاومة، ثم مرحلة النصر والتمكين، وما كان يمكن أن تبدأ هذه جميعها في وقت واحد، وإلا كانت المشقة والعجز، وما كان يمكن كذلك أن تقدم واحدة منها على الأخرى، وإلا كان الخلل والإرباك⁽⁴⁾.

واعتبار هذه السنة في غاية الأهمية «ذلك أن بعض العاملين في حقل الدعوة الإسلامية يحسبون أن التمكين يمكن أن يتحقق بين

1 (?) انظر: المشروع الإسلامي لنهضة الأمة - قراءة في فكر البنا، ص 58.

2 (?) انظر: رسالة المؤتمر الخامس، ص 127.

3 (?) انظر: المشروع الإسلامي لنهضة الأمة، ص 58.

4 (?) انظر: التمكين للأمة الإسلامية ص 227. (2) انظر: آفات على الطريق (1/57) وما بعدها.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

عشية وضحاها، ويريدون أن يغيروا الواقع الذي تحياه الأمة الإسلامية في طرفة عين، دون النظر في العواقب، ودون فهم للظروف والملابسات المحيطة بهذا الواقع ودون إعداد جيد للمقدمات أو للأساليب والوسائل»⁽¹⁾

«إننا إذا درسنا القرآن الكريم والسنة المطهرة دراسة عميقة علمنا كيف، وبأي تدرج وانسجام تم التغيير الإسلامي في بلاد العرب، ومنها إلى العالم كله على يد النبي صلى الله عليه وسلم... فلقد كانت الأمور تسير رويدًا رويدًا حسب مجراها الطبيعي حتى تستقر في مستقرها الذي أراده الله رب العالمين..»⁽²⁾

«وهذه السنة الربانية في رعاية التدرج ينبغي أن تتبع في سياسة الناس، وعندما يراد تطبيق الإسلام في الحياة، وأبستناف حياة إسلامية متكاملة يكون التمكين ثمرتها، فإذا أردنا أن نقيم مجتمعًا إسلاميًا حقيقًا، فلا نتوهم أن ذلك يمكن أن يتحقق بقرار يصدر من رئيس، أو ملك، أو من مجلس قيادي أو برلماني، إنما يتحقق ذلك بطريق التدرج، أي بالإعداد، والتهيئة الفكرية، والنفسية، والاجتماعية.

وهو نفس المنهج الذي سلكه النبي صلى الله عليه وسلم لتغيير الحياة الجاهلية إلى الحياة الإسلامية، فقد ظل ثلاثة عشر عامًا في مكة، كانت مهمته الأساسية فيها تنحصر في تربية الجيل المؤمن، الذي يستطيع أن يحمل عبء الدعوة، وتكاليف الجهاد لحمايتها ونشرها في الآفاق، ولهذا لم تكن المرحلة المكية مرحلة تشريع بقدر ما كانت مرحلة تربية وتكوين»⁽³⁾.

ثانيًا: سنة التغيير وعلاقتها بالبناء العقدي:

من السنن الهامة على طريق النهضة: السنة التي يقرها قول الله تعالى: (**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِّنْ أَلٍ**) [الرعد: 11] وارتباط هذه السنة الربانية بالتمكين للأمة الإسلامية واضح غاية الوضوح، ذلك أن التمكين لا يمكن أن يتأتى في ظل الوضع الحالي للأمة الإسلامية، فلا بد من التغيير، كما أن التمكين لن يتحقق لأمة ارتضت لنفسها حياة المذلة والتخلف، ولم تحاول أن تغير ما حل بها من واقع، وأن تتحرر من أسرهِ⁽⁴⁾.

إن التغيير الذي قاده النبي صلى الله عليه وسلم بمنهج الله تعالى بدأ بالنفس البشرية، وصنع منها الرجال العظماء، ثم انطلق بهم ليحدث أعظم تغيير في شكل المجتمع، حيث نقل الناس من الظلمات إلى النور، ومن الجهل إلى العلم، ومن التخلف إلى التقدم، وأنشأ بهم أروع حضارة عرفتها الحياة⁽⁵⁾.

2 (?) انظر: التمكين للأمة الإسلامية - نقلا عن المودودي، ص 229.

3 (?) انظر: الخصائص العامة للإسلام، ص 168 بتصرف يسير.

4 (?) انظر: التمكين للأمة الإسلامية، ص 210.

5 (?) انظر: نفوس ودروس في إطار التصوير القرآني ص 367 لتوفيق محمد سبع. هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

لقد قام النبي صلى الله عليه وسلم - بمنهجه القرآني- بتغيير في العقائد والأفكار والتصور، وعالم المشاعر والأخلاق في نفوس أصحابه، فتغير ما حوله في دنيا الناس، فتغيرت المدينة، ثم مكة، ثم الجزيرة، ثم بلاد فارس والروم، في حركة عالمية تسبح وتذكر خالقها بالغدو والأصال.

كان اهتمام المنهج القرآني في العهد المكي بجانب العقيدة، فكان يعرضها بشتى الأساليب، فغمرت قلوبهم معاني الإيمان، وحدث لهم تحول عظيم. قال تعالى موضحاً ذلك الارتقاء العظيم: (**أَوْ مِّنْ كَانَ مِثْلًا قَاحِشًا وَخَلَّيَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مِّثْلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**) [الأنعام: 122].

ثالثاً: تصحيح الجانب العقدي لدى الصحابة:

كان تصور الصحابة -رضي الله عنهم- لله قبل البعثة تصوراً فيه قصور ونقص، فهم ينحرفون عن الحق في أسمائه وصفاته (**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْرَؤُنَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**) [الأعراف: 180] فجاء القرآن الكريم لترسيخ العقيدة الصحيحة، وتثبيتها في قلوب المؤمنين، وإيضاحها للناس أجمعين، ذلك بيان توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، والإيمان بكل ما أخبر الله به من الملائكة والكتاب والنبين والقدر خيره وشره، واليوم الآخر وإثبات الرسالة للرسول عليهم السلام، والإيمان بكل ما أخبروا به⁽¹⁾.

وتربى الرعيل الأول رضوان الله عليهم على فهم صفات الله وأسمائه الحسنى، وعبدوه بمقتضاها فَعَظُمَ الله في نفوسهم، وأصبح رضاه سبحانه غاية مقصدهم وسعيهم، واستشعروا مراقبته لهم في كل الأوقات⁽²⁾.

إن التربية النبوية الرشيدة للأفراد على التوحيد هي الأساس الذي قام عليه البناء الإسلامي وهي المنهجية الصحيحة التي سار عليها الأنبياء والمرسلون من قبل.

وقد آتت تربية الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه ثمارها المباركة، فتطهر الصحابة في الجملة مما يضاد توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، فلم يحتكموا إلا إلى الله وحده ولم يطيعوا غير الله، ولم يتبعوا أحداً على غير مرضاة الله، ولم يحبوا غير الله كحب الله، ولم يخشوا إلا الله، ولم يتوكلوا إلا على الله، ولم يلتجئوا إلا إلى الله، ولم يدعوا دعاء المسألة والمغفرة إلا لله وحده، ولم يذبحوا إلا لله، ولم يندروا إلا لله، ولم يستغيثوا إلا بالله ولم يستعينوا- فيما لا يقدر عليه إلا الله- إلا بالله

¹ (?) انظر: أهمية الجهاد في نشر الدعوة، علي العلياني ص 47.

² (?) انظر: المصدر السابق، ص 53.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

وحده، ولم يركعوا أو يسجدوا أو يحجوا أو يطوفوا أو يتعبدوا إلا لله وحده، ولم يشبهوا الله لا بالمخلوقات ولا بالمعدومات بل نزهوه غاية التنزيه⁽¹⁾.

وكما رشح القرآن المكي في قلوب الصحابة رضي الله عنهم العقيدة الصحيحة،
حول التوحيد بأنواع، وحول الرسول صلى الله عليه وسلم والرسالة،
صحح عقيدتهم حول سائر أركان الإيمان الأخرى.

رابعًا: وصف الجنة في القرآن الكريم وأثره على الصحابة:

ركز القرآن المكي على اليوم الآخر غاية التركيز، فقل أن توجد سورة مكية لم يذكر فيها بعض أحوال يوم القيامة وأحوال المنعمين وأحوال المعذبين، وكيفية حشر الناس ومحاسبتهم وحتى لكان الإنسان ينظر إلى يوم القيامة رأي العين.

1- الجنة لا مثل لها:

وقد جاءت الآيات الكريمة مبينة وواصفة للجنة، بما لا يمكن أن يكون له مثل في الكون، فأثر ذلك في نفوس الصحابة أيما تأثير.
إن نعيم الجنة شيء أعده الله لعباده المتقين، نابع من كرم الله وجوده وفضله، ووصف لنا المولى عز وجل شيئاً من نعيمها، ألا أنه ما أخفاه الله عنا من نعيم شيء عظيم لا تدركه العقول، ولا تصل إلى كنهه الأفكار قال تعالى: (**قَلَّا نَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**) [السجدة: 16-17].

2- أفضل ما يعطاه أهل الجنة:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، يقول تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة، وتنجنا من النار؟ قال: فيرفع الحجاب، فينظرون إلى وجه الله، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم تبارك وتعالى» وجاء في رواية أخرى: ثم تلا هذه الآية: (**الَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهُهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**) [يونس: 26]⁽²⁾.

إن التصور البديع للجنان والاعتقاد الجازم بها مهم في نهضة أمتنا، فعندما تحيا صورة الجنان في نفوس أفراد الأمة، يندفعون لمرضات الله تعالى ويقدمون الغالي والنفيس ويتخلصون من الوهن وكراهة الموت، وتتفجر في نفوسهم طاقات هائلة تمدهم بعزيمة وإصرار، ومثابرة على إعزاز دين الله.

¹ (?) انظر: أهمية الجهاد في نشر الدعوة، ص 54، 55.

² (?) مشكاة المصابيح للبعوي (3/88). (2) انظر: الوسطية في القرآن الكريم ص 402.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

خامسًا: وصف النار في القرآن الكريم وأثره في نفوس الصحابة:

كان الصحابة يخافون الله تعالى ويخشونه ويرجون، وكانت لتربية الرسول **صلى الله عليه وسلم** أثر في نفوسهم عظيم، وكان المنهج القرآني الذي سار عليه رسول الله **صلى الله عليه وسلم** يفعل الأفاعيل في نفوس الصحابة؛ لأن القرآن الكريم وصف أهوال يوم القيامة ومعالمتها من قبض الأرض ودكها، وطى السماء، ونسف الجبال، وتفجير البحار وتسجيرها، وموران السماء وانفطارها، وتكوير الشمس، وخسوف القمر، وتناثر النجوم، وصّور القرآن الكريم حال الكفار وذلتهم وهوانهم وحسرتهم وبأسهم وإحباط أعمالهم، وتحدث القرآن الكريم عن حشر الكفار إلى النار، ومرور المؤمنين على الصراط، وخلص المؤمنين من المنافقين⁽¹⁾ وكان لهذا الحديث أثره العظيم في نفوس الصحابة، وصور القرآن الكريم ألوان العذاب في النار فأصبح الرعيل الأول يراها رأي العين.

سادسًا: مفهوم القضاء والقدر وأثره في تربية الصحابة رضي الله عنهم:

اهتم القرآن الكريم في الفترة المكية بقضية القضاء والقدر، قال تعالى: (**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**) [القمر: 49]، وكان **صلى الله عليه وسلم** يغرس في نفوس الصحابة مفهوم القضاء والقدر. فكان للفهم الصحيح، والاعتقاد الراسخ في قلوب الصحابة لحقيقة القضاء والقدر، ثمار نافعة ومفيدة، عادت عليهم بخيرات الدنيا والآخرة، فمن تلك الثمرات:

- 1- أداء عبادة الله عز وجل.
 - 2- الإيمان بالقدر طريق الخلاص من الشرك؛ لأن المؤمن يعتقد أن النافع والضار، والمعز والمذل، والرافع والخافض هو الله وحده سبحانه وتعالى.
 - 3- الشجاعة والإقدام، فإيمانهم بالقضاء والقدر جعلهم يوقنون أن الأجل بيد الله تعالى وأن لكل نفس كتابًا.
 - 4- الصبر والاحتساب ومواجهة الصعاب.
 - 5- سكون القلب وطمأنينة النفس وراحة البال.
 - 6- عزة النفس والقناعة والتحرر من رق المخلوقين.
- إن ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر كثيرة وهذه من باب الإشارة. ولم تقتصر تربية الرسول **صلى الله عليه وسلم** لأصحابه على تعليمهم أركان الإيمان الستة المتقدمة، بل صحح عندهم كثيرًا من المفاهيم والتصورات والاعتقادات، عن الإنسان والحياة والكون والعلاقة بينهما، ليسير المسلم على نور من الله، يدرك هدف وجوده

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

في الحياة، ويحقق ما أراد الله منه غاية التحقيق، ويتحرر من الوهم والخرافات⁽¹⁾.

سابعًا: معرفة الصحابة لحقيقة الإنسان:

إن القرآن الكريم عرّف الإنسان بنفسه بعد أن عرفه بربه وباليوم الآخر، ويجب على تساؤلات الفطرة، من أين؟ وإلى أين؟ وهي تساؤلات تفرض نفسها على كل إنسان سوي، وتلج في طلب الجواب⁽²⁾.

وبين القرآن الكريم للصحابة الكرام حقيقة نشأة الإنسانية وأصولهم التي يرجعون إليها، وما هو المطلوب منهم في هذه الحياة؟ وما هو مصيرهم بعد الموت؟

ثامنًا: تصور الصحابة لقصة الشيطان مع آدم عليه السلام:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلال المنهج القرآني، يحدثهم عن قصة الشيطان مع آدم ويشرح لهم حقيقة الصراع بين الإنسان مع عدوه اللدود، الذي حاول إغواء أبيهم آدم عليه السلام من خلال الآيات الكريمة مثل قوله تعالى: **(يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكَ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ أَنَّهُمَا إِن يَتَرَكَهُمَا هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ)** [الأعراف: 27].

كانت الآيات الكريمة التي تحدثت عن قصة آدم وصراعه مع الشيطان، قد علمت الرعيل الأول قضايا مهمة في مجال التصور والاعتقاد والأخلاق فمنها:

- 1- أن آدم هو أصل البشر.
- 2- جوهر الإسلام الطاعة المطلقة لله.
- 3- قابلية الإنسان للوقوع في الخطيئة.
- 4- خطيئة آدم تعلم المسلم ضرورة التوكل على ربه.
- 5- ضرورة التوبة والاستغفار.
- 6- الاحتراز من الحسد والكبر.
- 7- إبليس هو العدو الأول لآدم وزوجه وذريتهما.

من الوسائل التي استخدمها الصحابة الكرام لمحاربة الشيطان، التخاطب بحسن الكلام امتثالاً لقول الله تعالى: **(وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا)** [الإسراء: 53].

هذه صورة موجزة عن حقيقة إبليس وتصور الصحابة رضي الله عنهم لهذا العدو اللعين.

تاسعًا: نظرة الصحابة إلى الكون والحياة وبعض المخلوقات:

¹ (?) انظر أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية، ص 59.
² (?) انظر: منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، (2/54).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

ظل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم الصحابة كتاب الله تعالى ويربيهم على التصور الصحيح، في قضايا العقائد، والنظر السليم للكون والحياة من خلال الآيات القرآنية الكريمة، فبين بدء الكون ومصيره. وقرر القرآن الكريم حقائق عن الحيوان، لا تقل في الأهمية والدقة عن الحقائق التي قررها في كل جوانب الكون والحياة.

وهكذا نظم القرآن الكريم أفكار وتصورات الرعيل الأول عن الكون وما فيه من مخلوقات وعجائب، وعن حقيقة هذه الحياة الفانية، واستمر النبي صلى الله عليه وسلم في غرس حقيقة المصير، وسبيل النجاة والفوز، سيسعى بكل ما أوتي من قوة ووسيلة لسلوك السبيل، حتى يظفر غداً بهذه النجاة وذلك الفوز، وركز صلى الله عليه وسلم في هذا البيان على جانب مهم هو:

أن هذه الحياة الدنيا مهما طاللت فهي إلى زوال، وأن متاعها مهما عظم، فإنه قليل حقير.

إن كثيراً من العاملين في مجال الدعوة بهتت في نفوسهم حقيقة أن الدنيا لهو ولعب وغرور، لأنهم انغمسوا في هذه الحياة الدنيا ومتاعها، وشغفتهم حبا، فهم يلهثون وراءها، وكلما حصل على شيء من متاعها طلب المزيد، فهو لا يشبع ولا يقنع، بسبب التصاقه بالدنيا وإنها لكارثة عظيمة على الدعوة والتهوض بالامة، أما التمتع بهذه الحياة في حدود ما رسمه الشرع واتخاذها مطية للآخرة، فذلك فعل محمود.

* * *

المبحث الرابع البناء التعبدى والأخلاقي في العهد المكي

أولاً: تزكية أرواح الرعيل الأول بأنواع العبادات:

رَبَّنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ عَلَى تَزْكِيَةِ أَرْوَاحِهِمْ وَأَرْشَادِهِمْ إِلَى الطَّرِيقِ الَّتِي تَسَاعِدُهُمْ عَلَى تَحْقِيقِ ذَلِكَ الْمَطْلَبِ مِنْ خِلَالِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَمِنْ أَهْمِهَا:

- 1- التدبر في كون الله ومخلوقاته، وفي كتاب الله تعالى.
- 2- التأمل في علم الله الشامل وإحاطته الكاملة بكل ما في الكون، بل ما في عالم الغيب والشهادة.
- 3- عبادة الله عز وجل، من أعظم الوسائل لتربية الروح وأجلها قدراً، إذ العبادة غاية التذلل لله سبحانه ولا يستحقها إلا الله وحده.

والعبادات التي تسمو بالروح وتطهر النفس نوعان:

أ- النوع الأول: العبادات المفروضة كالطهارة، والصلاة، والصيام، والزكاة، والحج وغيرها.

ب- النوع الثاني: العبادات بمعناها الواسع، ويشمل كل شيء يَتَوَلَّى به التقرب إلى الله سبحانه وتعالى فهو عبادة يثاب صاحبها، وتربى روحه تربية حسنة⁽¹⁾.

إن تزكية الروح بالصلاة وتلاوة القرآن، وذكر الله تعالى، والتسبيح له سبحانه أمر مهم في الإسلام، فإن النفس البشرية إذا لم تتطهر من أدراكها وتتصل بخالقها لا تقوم بالتكاليف الشرعية الملقاة عليها، والعبادة والمداومة عليها تعطي الروح وقوداً وزاداً ودفعاً قوياً إلى القيام بما تؤمر به.

إن الصلاة تأتي في مقدمة العبادات التي لها أثر عظيم في تزكية روح المسلم، ولعل من أبرز أثارها التي أصابت الرعيل الأول:

1- الاستجابة لأمر الله تعالى وإظهار العبودية له سبحانه: وقد أثنى الله تعالى على عباده المؤمنين الذين استجابوا لأمره، فقال عز وجل: (**وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**) [الشورى: 38].

وكان الرعيل الأول يرى أن لكل عمل من أعمال الصلاة عبودية خاصة وتأثيراً في النفس وتزكية للروح.

¹ (?) فقه الدعوة، عبد الحليم محمود (1/471، 472).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

2- مناجاة العبد ربه: وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهداً من مشاهد هذه المناجاة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبي ما سأل، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله تعالى: حمدني عبدي. وإذا قال: الرحمن الرحيم، قال الله تعالى: أثني علي عبدي. وإذا قال: مالك يوم الدين، قال: مجدني عبدي. فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين، قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبي ما سأل. فإذا قال: أهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال: هذا لعبدي ولعبي ما سأل»⁽¹⁾

3- طمأنينة النفس وراحتها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر صلى⁽²⁾ وقد جعلت قرة عينه في الصلاة⁽³⁾، وقد علم الرسول صلى الله عليه وسلم الصحابة كثيراً من السنن والنوافل ليزدادوا صلة بربهم، وتأمين بها نفوسهم، وتصيح الصلاة سلاحاً مهماً لحل همومهم ومشاكلهم.

4- الصلاة حاجز عن المعاصي: قال تعالى: (ائْتِ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ) [العنكبوت: 45].

كان الصحابة رضي الله عنهم عندما يؤدون صلاتهم تستريح بها نفوسهم، وتمدهم بقوة دافعة لفعل الخيرات والابتعاد عن المنكرات، فكانت لهم سبباً منيعاً حماهم من الوقوع في المعاصي⁽⁴⁾.

ثانياً: التربية العقلية:

كانت تربية النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه شاملة؛ لأنها مستمدة من القرآن الكريم، الذي خاطب الإنسان ككل، يتكون من الروح، والجسد، والعقل، فقد اهتمت التربية النبوية بتربية الصحابي على تنمية قدرته في النظر والتأمل والتفكير والتدبر؛ لأن ذلك هو الذي يؤهله لحمل أعباء الدعوة إلى الله، وهذا مطلب قرآني.

ولذلك وضع القرآن الكريم منهجاً لتربية العقل، سار عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم لتربية أصحابه ومن أهم نقاط هذا المنهج:

1- تجريد العقل من المسلمات المبنية على الظن والتخمين، أو التبعية والتقليد.

2- إلزام العقل بالتحري والتثبت.

3- دعوة العقل إلى التدبر والتأمل في نواميس الكون.

(?) مسلم، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، رقم 395.
(?) أبو داود في الصلاة، رقم 1319. (3) الحاكم (2/160) وأقره الذهبي.

(?) انظر: منهج الإسلام في تزكية النفس (1/227).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

- 4- دعوة العقل إلى التأمل في حكمة ما شرع الله.
 5- دعوة العقل إلى النظر إلى سنة الله في الناس عبر التاريخ البشري، ليتعظ الناظر في تاريخ الآباء والأجداد والأسلاف، ويتأمل في سنن الله في الأمم والشعوب والدول.

ثالثاً: التربية الجسدية:

حرص النبي صلى الله عليه وسلم على تربية أصحابه جسدياً، واستمد أصول تلك التربية من القرآن الكريم، بحيث يؤدي الجسم وظيفته التي خلق لها من دون إسراف أو تقتير، ودون محاباة لطاقة من طاقاته على حساب طاقة أخرى.
 لذلك ضبط القرآن الكريم حاجات الجسم البشري على النحو التالي:

- 1- ضبط حاجته إلى الطعام والشراب.
 - 2- وضبط حاجته إلى الملابس والماوى، بأن أوجب من اللباس ما يستر العورة، ويحفظ الجسم من عادات الحر والبرد، وندب إلى ما يكون زينة عند الذهاب إلى المسجد.
 - 3- وضبط الحاجة إلى المأوى.
 - 4- وضبط حاجته إلى الزواج والأسرة بإباحة النكاح، بل إيجابه في بعض الأحيان وتحريم الزنا والمخادنة، واللواط.
 - 5- وضبط حاجته إلى التملك والسيادة، وأباح التملك للمال والعقار وفق ضوابط شرعية.
 - 6- وضبط الإسلام السيادة بتحريم الظلم والعدوان والبغي.
 - 7- وضبط حاجته إلى العمل والنجاح، بأن جعل من اللازم أن يكون العمل مشروعاً، وغير ضار بأحد من الناس، ونادى على المسلمين أن يعملوا في هذه الدنيا ما يكفل لهم القيام بعبء الدعوة والدين، وما يدخرون عند الله سبحانه.
 - 8- وحذر سبحانه من الدعة والبطر، والاغترار بالنعمة.
- هذه بعض الأسس التي قامت عليها التربية النبوية للأجسام، حتى تستطيع أن تتحمل أثقال الجهاد، وهموم الدعوة وصعوبة الحياة.
- ### رابعاً: تربية الصحابة على مكارم الأخلاق، وتنقيتهم من الرذائل:

إن الأخلاق الرفيعة جزء مهم من العقيدة، فالعقيدة الصحيحة لا تكون بغير خلق وقد ربي رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابته على مكارم الأخلاق بأساليب متنوعة.
 فعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من شيء أثقل في

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق، وإن الله تعالى ليغض الفاحش البذيء»⁽¹⁾.

وسئل رسول الله عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ فقال: «تقوى الله، وحسن الخلق»⁽²⁾ وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار؟ فقال: «الفم والفرج»⁽³⁾.

إن الأخلاق ليست شيئاً ثانوياً في هذا الدين، وليست محصورة في نطاق معين من نطاقات السلوك البشري، إنما هي الترجمة العملية للاعتقاد والإيمان الصحيح؛ لأن الإيمان ليس مشاعر مكنونة في داخل الضمير فحسب، إنما هو عمل سلوكي ظاهر كذلك، بحيث يحق لنا حين لا نرى ذلك السلوك العملي، أو حين نرى عكسه، أن نتساءل أين الإيمان إذن؟ وما قيمته إذا لم يتحول إلى سلوك⁽⁴⁾؟

ولذلك نجد القرآن الكريم يربط الأخلاق بالعقيدة ربطاً قوياً والأمثلة على ذلك كثيرة⁽⁵⁾.

لقد تربى الصحابة رضي الله عنهم على أن العبادة نوع من الأخلاق؛ لأنها من باب الوفاء لله، والشكر للنعمة، والاعتراف بالجميل، والتوقير لمن هو أهل التوقير والتعظيم، وكلها من مكارم الأخلاق⁽⁶⁾، فكانت أخلاق الصحابة ربانية، باعثها الإيمان بالله، وحاديها الرجاء في الآخرة وغرضها رضوان الله ومثوبته.

إن الأخلاق في التربية النبوية شيء شامل يعم كل تصرفات الإنسان وكل أحاسيسه ومشاعره وتفكيره، فالصلاة لها أخلاق، هي: الخشوع، والكلام له أخلاق، هي: الإعراض عن اللغو، والجنس له أخلاق، هي: الالتزام بحدود الله وحرماته، والتعامل مع الآخرين له أخلاق، هي: التوسط بين التقدير والإسراف، والحياة الجماعية لها أخلاق، هي: أن يكون الأمر شورى بين الناس، والغضب له أخلاق، هي: العفو والصفح، ووقوع العدوان من الأعداء يستتبعه أخلاق، هي: الانتصار أي رد العدوان، وهكذا لا يوجد شيء واحد في حياة المسلم ليست له أخلاق تكيفه ولا شيء واحد ليست له دلالة أخلاقية مصاحبة.

إن الله سبحانه وتعالى، قد جعل التوحيد، أي: إفراد الله بالعبادة على رأس هذا المنهج الخلقي الذي رسمته آيات سورة الإسراء [38:23] مدحاً وذمّاً؛ لأن التوحيد له في الحقيقة جانب أخلاقي أصيل، إذ الاستجابة إلى ذلك ترجع إلى خلق العدل والإنصاف، والصدق مع

1 (?) الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق رقم 2002 «حسن صحيح».

2 (?) الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق رقم 2004 «صحيح غريب».

3 (?) أنظر: دراسات قرآنية، لمحمد قطب، ص 130.

4 (?) أنظر آيات سورة (المؤمنون - الآيات: 1-11)، وسورة (الأعنام - الآيات: 151-153)، وسورة (الرعد - الآيات: 19-22) وسورة (الإسراء - الآيات: 23-38) وغيرها.

5 (?) أنظر: الوسطية في القرآن الكريم ص 591.

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

النفس، كما أن الإعراض عن ذلك يرجع في الحقيقة إلى بؤرة سوء الأخلاق في المقام الأول، مثل الكبر عن قبول الحق، والاستكبار عن اتباع الرسل غرورًا وأنفة، أو الولوع بالمراء، والجدل بالباطل مغالية وتطالعًا للظهور، أو تقليدًا وجمودًا على الإلف والعرف مع ضلاله وبهتانه، وكلها -وأمثالها- أخلاق سوء تهلك أصحابها، وتصدهم عن الحق بعد ما تبين، وعن سعادة الدارين مع استيقان أنفسهم بأن طريق الرسل هو السبيل إليها.

خامسًا: تربية الصحابة على مكارم الأخلاق من خلال القصص القرآني:

إن القصص القرآني غني بالمواعظ والحكم والأصول العقدية، والتوجيهات الأخلاقية، والأساليب التربوية، والاعتبار بالأمم والشعوب، والقصص القرآني ليس أمورًا تاريخية لا تفيد إلا المؤرخين، وإنما هي أعلى وأشرف وأفضل من ذلك؛ فالقصص القرآني مملوء بالتوحيد، والعلم، ومكارم الأخلاق، والحجج العقلية، والتبصرة والتذكرة، والمحاورات العجيبة.

وأضرب لك مثلاً من قصة يوسف -عليه السلام- متأملاً في جانب الأخلاق التي عرضت في مشاهدتها الرائعة، قال علماء الأخلاق والحكماء: «لا ينتظم أمر الأمة إلا بمصلحين، ورجال أعمال قائمين، وفضلاء مرشدين هادين، لهم شروط معلومة وأخلاق معهودة، فإن كان القائم بالأعمال نبياً فله أربعون خصلة ذكروها، كلها آداب وفضائل بها يسوس أمته، وإن كان رئيساً فاضلاً، اكتفوا من الشروط الأربعين بعضها، وسيدنا يوسف -عليه السلام- حاز من كمال المرسلين وجمال النبيين، ولقد جاء في سيرته هذه ما يتخذة عقلاء الأمم هدياً لاختيار الأكفاء في مهام الأعمال، إذ قد حاز الملك والنبوة، ونحن لا قبل لنا بالنبوة لانقطاعها، وإنما نذكر ما يليق بمقام رئاسة المدينة الفاضلة، ولنذكر منها اثنتي عشرة خصلة هي أهم خصال رئيس المدينة الفاضلة، لتكون ذكري لمن يتفكر في القرآن وتنبهًا للمتعلمين الساعين للفضائل»⁽¹⁾.

أهم ما شرطه الحكماء في رئيس المدينة الفاضلة:

1- العفة عن الشهوات، ليضبط نفسه وتتوافر قوته النفسية: (**كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**) [يوسف: 24].

2- الحلم عند الغضب، ليضبط نفسه (**قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ**) [يوسف: 77].

¹ (?) انظر: تفسير القاسمي، (9/310).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

3- وضع اللبن في موضعه، والشدة في موضعها: (وَلَمَّا جَهَرَهُمْ بِجَهَارِهِمْ قَالَ أَتُنُونِي بِأَنْ لَكُمْ مِنْكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ. فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ) [يوسف: 59، 60] فبداية الآية لين، ونهايتها للشدة.

4- ثقته بنفسه بالاعتماد على ربه: (قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ) [يوسف: 55].

5- قوة الذاكرة، ليمنه تذكر ما غاب ومضي له سنون، ليضبط السياسات، ويعرف للناس أعمالهم: (وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ) [يوسف: 58].

6- جودة المصوِّرة والقوة المخيلة حتى تأتي بالأشياء تامة الوضوح: (إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ) [يوسف: 4].

7- استعداده للعلم، وجهه له، وتمكنه منه: (وَابْتِغِ مَلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ) [يوسف: 38] (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) [يوسف: 101].

8- شففته على الضعفاء وتواضعه مع جلال قدره وعلو منصبه، فخطب الفتيين المسجونين بالتواضع فقال: (يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) [يوسف: 39] وحادثهما في أمور دينهما وديناهما بقوله: (قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُزَنُّونَهُ إِلَّا نَتَنَكَّهُ بِنَازِلِهِ) [يوسف: 37] والثاني بقوله: (إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ) [يوسف: 37] وشهدا له بقولهما: (تَبَنَّى بِنَازِلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنْ الْمُحْسِنِينَ) [يوسف: 36].

9- العفو مع المقدرة: (قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)

[يوسف: 92].

10- إكرام العشيرة: (إِذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ) [يوسف: 93].

11- قوة البيان والفصاحة بتعبير رؤيا الملك، واقتداره على الأخذ بأفئدة الراعي والرعية والهوقة، ما كان هذا إلا بالفصاحة المبنية على الحكمة والعلم: (فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مِكِينٌ أَمِينٌ) [يوسف: 54].

12- حسن التدبير (قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُّوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ) [يوسف: 47]

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

تالله، ما أجمل القرآن، وما أبهج العلم.

لا شك أن العلاقة بين القصص القرآني والأخلاق متينة؛ لأن من أهداف القصص القرآني التذكير بالأخلاق الرفيعة التي تفيد الفرد، والأسرة، والجماعة والدولة، والأمة، والحضارة، كما أن من أهداف القصص القرآني التغير من الأخلاق الذميمة التي تكون سبباً في هلاك الأمم والشعوب.

لقد استخدم المنهاج النبوي أساليب التأثير والاستجابة، والالتزام في تربيته للصحة، لكي يحول الخلق من دائرة النظريات إلى صميم الواقع التنفيذي والعمل التطبيقي سواء كانت اعتقادية، كمراقبة الله تعالى ورجاء الآخرة، أو عبادية كالشعائر التي تعمل على تربية الضمائر، وصقل الإرادات، وتزكية النفس. ومع تطور الدعوة الإسلامية ووصولها إلى الدولة أصبحت هناك حوافز إلزامية تأتي من خارج النفس متمثلة في:

أ- التشريع:

الذي وضع لحماية القيم الخلقية، كشرائع الحدود والقصاص، التي تحمي الفرد والمجتمع من رذائل البغي على الغير: (بالقتل أو السرقة) وانتهاك الأعراض، (بالزنى، والقذف) أو البغي على النفس وإهدار العقل: (بالخمر، والمسكرات المختلفة).

ب- سلطة المجتمع:

التي تقوم على أساس ما أوجبه الله تعالى من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتناصح بين المؤمنين، ومسئولية بعضهم على بعض، وقد جعل الله تعالى هذه المسئولية قرينة الزكاة، والصلاة، وطاعة الله ورسوله: (**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**) [التوبة: 71].

بل جعلها المقوم الأصلي لخيرية هذه الأمة: (**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**) [آل عمران: 110].

وقد ظهرت هذه السلطة وأثرها في الفترة المدنية.

ج- سلطة الدولة:

التي وجب قيامها، وأقيمت على أسس أخلاقية وطيدة، ولزمها أن تقوم على رعاية هذه الأخلاق وبثها في سائر أفرادها ومؤسساتها،

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

وتجعلها من مهام وجودها ومبرراته⁽¹⁾.

وبذلك اجتمع للخلق الإسلامي أطراف الكمال كلها، وأصبح للمجتمع النبوي نظام واقعي مثالي بسبب الالتزام بالمنهج الرباني. هذه بعض الخطوط في البناء العقائدي والروحي والأخلاقي في الفترة المكية، ولقد أتت هذه التربية أكلها فقد كان ما ينوف على العشرين من الصحابة الكرام الخمسين الأوائل السابقين إلى الإسلام مارسوا مسؤوليات قيادية بعد توسع الدعوة وانطلاقها في عهد النبي **صلى الله عليه وسلم** وبعد وفاته وأصبحوا القادة الكبار للأمة، وعشرون آخرون منهم معظمهم استشهدوا أو ماتوا على عهد رسول الله **صلى الله عليه وسلم**، فكان في الرعيل الأول أعظم شخصيات الأمة علي الإطلاق، كان فيه تسعة من العشرة المبشرين بالجنة، وهم أفضل الأمة بعد رسول الله **صلى الله عليه وسلم**، ومنهم نماذج ساهمت في صناعة الحضارة العظيمة بتضحياتهم الجسيمة، كعمار بن ياسر، وعبد الله بن مسعود، وأبي ذر، وجعفر بن أبي طالب، وغيرهم رضي الله عنهم، وكان من هذا الرعيل أعظم نساء الأمة خديجة رضي الله عنها، ونماذج عالية أخرى، مثل أم الفضل بنت الحارث، وأسماء ذات النطاقين، وأسماء بنت عميس، وغيرهن.

لقد أتيح للرعيل الأول أكبر قدر من التربية العقدية والروحية، والعقلية والأخلاقية.. على يد مربّي البشرية الأعظم محمد **صلى الله عليه وسلم**، فكانوا هم حداة الركب، وهداة الأمة⁽²⁾، فقد كان رسول الله **صلى الله عليه وسلم** يزيهم ويربيهم وينقيهم من أوضار الجاهلية، فإذا كان السعيد الذي فاز بفضل الصحة من رأى رسول الله **صلى الله عليه وسلم** ولو مرة واحدة في حياته وأمن به، فكيف بمن كان الرفيق اليومي له، ويتلقى منه، ويتبع من نوره، ويتغذى من كلامه ويتربى على عينه⁽³⁾.

* * *

¹ (?) المنهاج القرآني في التشريع، ص433. (2) انظر: التربية القيادية للغضبان (1/201).

³ (?) نفس المصدر (202، 1/203). هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

الفصل الثالث الجهر بالدعوة وأساليب المشركين في محاربتها

المبحث الأول الجهر بالدعوة

بعد الإعداد العظيم الذي قام به النبي صلى الله عليه وسلم لتربية أصحابه، وبناء الجماعة المسلمة المنظمة الأولى على أسس عقدية، وتعبدية وخلقية رفيعة المستوى، جان موعد إعلان الدعوة بنزول قول الله تعالى: **(وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ۖ وَخَفِصْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)**

[الشعراء: 214، 215].

فجمع قبيلته صلى الله عليه وسلم وعشيرته، ودعاهم علانية إلى الإيمان بالله واحد، وخوفهم من العذاب الشديد إن عصوه، وأمرهم بإنقاذ أنفسهم من النار، وبين لهم مسؤولية كل إنسان عن نفسه⁽¹⁾.

عن ابن عباس ؓ قال: لما نزلت **(وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)** صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادي: «يا بني فهر، يا بني عدي» ليطون قريش - حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب، وقريش، فقال: «أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟» قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً، قال: «فإنني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟ فنزلت **(تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ)**⁽²⁾ وفي رواية - ناداهم بطناً بطناً، ويقول لكل بطن: «أنقذوا أنفسكم من النار....» ثم قال: «يا فاطمة أنقذي نفسك من النار» فإني لا أملك لكم من الله شيئاً غير أن لكم رحماً سائلاً ببلالها⁽³⁾.

كان القرشيون وإقعين عمليين، فلما رأوا محمداً صلى الله عليه وسلم وهو الصادق الأمين، قد وقف على جبل يرى ما أمامه، وينظر إلى ما وراءه، وهم ما يرون إلا ما هو أمامهم، فهداهم إنصافهم وذكاؤهم إلى تصديقه، فقالوا: نعم.

ولما تمت هذه المرحلة الطبيعية البدائية، وتحققت شهادة المستمعين، قال رسول

1 (?) رسالة الأنبياء، عمر أحمد عمر (3/46).

2 (?) البخاري- كتاب التفسير- سورة الشعراء ورقمه (4770)، الآيتان من سورة المسد (1، 2).

3 (?) مسلم، كتاب الإيمان [348- (204)].

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

الله صلى الله عليه وسلم: «فإنني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» وكان ذلك تعريفاً بمقام النبوة، وما ينفرد به من علم بالحقائق الغيبية والعلوم الوهية، وموعظة وإنذاراً، في حكمة وبلاغة، لا نظير لهما في تاريخ الديانات والنبوات، فلم تكن طريق أقصر من هذا الطريق، ولا أسلوب أوضح من هذا الأسلوب، فسكت القوم⁽¹⁾ ولكن أبا لهب قال: تبا لك سائر اليوم أما دعوتها إلا لهذا؟.. وبهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد وضع للامة أسس الإعلام، فقد اختار مكاناً عالياً وهو الجبل ليقف عليه، وينادي على جميع الناس فيصل صوته إلى الجميع، وهذا ما تفعله محطات الإرسال في عصرنا الحديث، لتزيد من عمليات الانتشار الإذاعي، ثم اختار لدعوته الأساس المتين لبنى عليه كلامه وهو الصدق؛ وبهذا يكون صلى الله عليه وسلم قد علم رجال الإعلام والدعوة أن الاتصال بالناس بهدف إعلامهم أو دعوتهم، يجب أن يعتمد وبصفة أساسية على الثقة التامة بين المرسل والمستقبل، أو بين مصدر الرسالة والجمهور الذي يتلقى الرسالة، كما أن المضمون أو المحتوى يجب أن يكون صادقاً لا كذب فيه⁽²⁾.

«ومن الطبيعي أن يبدأ الرسول صلى الله عليه وسلم دعوته العلنية بإنذار عشيرته الأقربين، إذ أن مكة بلد توغلت فيه الروح القبلية، فبدء الدعوة بالعشيرة، قد يعين على نصرته وتأييده وحمايته، كما أن القيام بالدعوة في مكة لا بد أن يكون له أثر خاص، لما لهذا البلد من مركز ديني خطير، فجلبها إلى حظيرة الإسلام لا بد أن يكون له وقع كبير على بقية القبائل، على أن هذا لا يعني أن رسالة الإسلام كانت في أدوارها الأولى محدودة بقريش؛ لأن الإسلام كما يتجلى من القرآن الكريم اتخذ الدعوة في قريش خطوة أولى لتحقيق رسالته العالمية»⁽³⁾ فقد جاءت الآيات المكية تبين عالمية الدعوة، قال تعالى: **(تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا)** (الفرقان: 1).

وقال تعالى: **(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)** (الأنبياء: 107). وقال تعالى: **(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)** (سبأ: 28).

ثم جاءت مرحلة أخرى بعدها، فأصبح يدعو فيها كل من يلتقي به من الناس على اختلاف قبائلهم وبلدانهم ويتبع الناس في انديتهم، ومجامعهم ومحافلهم، وفي المواسم ومواقف الحج، ويدعو من لقيه من حر وعبد، وقوي وضعيف، وغني وفقير⁽⁴⁾، حين نزول قوله تعالى: **(فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْمَلُونَ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَصِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ)** (الحجر: 94).

1 (?) انظر: السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي ص 138.

2 (?) انظر: الحرب النفسية ضد الإسلام، د. عبد الوهاب كجيل، ص 121.

3 (?) انظر: دراسات في السيرة، عماد الدين خليل، ص 66.

4 (?) انظر: رسالة الأنبياء (3/48، 49).

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

[97-94].

كانت النتيجة لهذا الصدع هي الصد والإعراض والسخرية والإيذاء والتكذيب، والكيد المدبر المدروس، وقد اشتد الصراع بين النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه، وبين شيوخ الوثنية وزعمائها، وأصبح الناس في مكة يتناقلون أخبار ذلك الصراع في كل مكان، وكان هذا في حد ذاته مكسباً عظيماً للدعوة، ساهم فيه أشد وألد أعدائها، ممن كان يشيعون في القبائل قالة السوء عنها، فليس كل الناس يسلمون بدعاوي زعماء الكفر والشرك.

كانت الوسيلة الإعلامية في ذلك العصر تناقل الناس للأخبار مشافهة، وسمع القاضي والدائي بنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم، وصار هذا الحدث العظيم حديث الناس في المجالس ونوادي القبائل، وفي بيوت الناس⁽¹⁾.

أهم اعتراضات المشركين:

كانت أهم اعتراضات زعماء الشرك موجهة نحو وحدانية الله تعالى، والإيمان باليوم الآخر، ورسالة النبي صلى الله عليه وسلم، والقرآن الكريم الذي أنزل عليه من رب العالمين.

وفيما يلي تفصيل لهذه الاعتراضات والرد عليها:

أولاً: اعتراضهم على الوحدانية:

لم يكن كفار مكة ينكرون بأن الله خلقهم وخلق كل شيء: قال تعالى: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) [لقمان: 25]. لكنهم كانوا يعبدون الأصنام، ويزعمون أنها تقربهم إلى الله، قال تعالى: (أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ) (2) [الزمر: 3].

وقد انتقلت عبادة الأصنام إليهم من الأمم المجاورة لهم، ولهذا قابلوا الدعوة إلى التوحيد بأعظم إنكار وأشد استغراب⁽³⁾ قال تعالى: (وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَابٌ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا خِتِلَاقٌ) [ص: 4-7].

ولم يكن تصورهم لله تعالى ولعلاقته بخلقه صحيحاً، إذ كانوا يزعمون أن لله تعالى صاحبة من الجن، وأنها ولدت الملائكة، وأن

¹ (1) انظر: الغرباء الأولون، ص 167 (2) زلفى: قربي.

² (3) انظر: رسالة الأنبياء (3/52).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

الملائكة بنات الله - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

فكانت الآيات تنزل مبيّنة أن الله عز وجل خلق الجن والملائكة كما خلق الإنس، وأنه لم يتخذ وليداً، ولم تكن له صاحبة، قال تعالى: (**وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجَنِّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَفُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ۖ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أُنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**) [الأنعام: 100-101].

ومبيّنة أن الجن يقرون لله بالعبودية، وينكرون أن يكون بينهم وبينه علاقة نسب: (**وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجَنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُخْضَرُونَ**) [الصفات: 158].

ومطالبة المشركين باتباع الحق وعدم القول بالظنون والأوهام: (**إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُوعَنَّ الْمَلَائِكَةُ تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ ۖ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَسْمَعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ الظَّنُّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا**) [النجم: 27-28].

وموضحة أنه لا يعقل أن يمنح الله المشركين البنين، ويكون له بنات، وهن أدنى قيمة في رأيهم من البنين: (**أَفَأَصْنَعُكُمْ رَبِّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاتًا لِّتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا**) [الإسراء: 40].

ومحملة المشركين مسئولية أقوالهم التي لا تقوم على دليل: (**وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاتًا لِّشَهَادَةِ خَلْقِهِمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ**) [الزخرف: 19].

ثانياً: كفرهم بالآخرة:

أما دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان باليوم الآخر، فقد قابلها المشركون بالسخرية والتكذيب: (**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنْبِتُكُمْ إِذَا مَرَفْتُمْ كُلَّ مُمْرِقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ حَدِيدٍ ۖ أَفَتَرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ كَيْدًا أَمْ بِهِ جُنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ**) [سبا: 7-8].

فقد كانوا ينكرون بعث الموتى: (**وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ**)

[الأنعام: 29].

ويقسمون على ذلك بالإيمان المغلظة، (**وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَنْتَعِ اللَّهُ مِنْ يَمُوتٍ بَلَىٰ وَوَعْدًا عَلَيْهِ خَقًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۖ لَيُنبِئَنَّ لَهُمَ الَّذِي يُخْلِفُونَ فِيهِ وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ**) [النحل: 38، 39].

وكانوا يظنون أنه لا توجد حياة في غير الدنيا، ويطلبون إحياء آبائهم ليصدقوا بالآخرة: قال تعالى: (**وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا**)

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

تَمُوتُ وَتَجِيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۖ وَإِذَا تُنْزِلُ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اأْتُوا بِآيَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۖ قُلِ اللَّهُ يُخَيِّكُم تِمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَحْجَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۖ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُؤْمَذُ يَخْسِرُ الْمُبْطِلُونَ)
[الجمانية: 24-27].

وفاتهم أن الذي خلقهم أول مرة قادر على أن يحييهم يوم القيامة، قال مجاهد وغيره: جاء أبي بن خلف ⁽¹⁾ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده عظم رميم، وهو يفتته ويذروه في الهواء، وهو يقول: يا محمد أترغم أن الله يبعث هذا؟ قال صلى الله عليه وسلم: «نعم يُمِيتُك الله تعالى، ثم يبعثك، ثم يحشرُك إلى النار» ونزلت هذه الآيات ⁽²⁾ (أَوْ لَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ۖ وَصَرَبَ لَنَا مِثْلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُخْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۖ قُلْ يُخْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) (يس: 77-79).

كانت أساليب القرآن الكريم في إقناع الناس بالبعث اعتمدت على خطاب العقل، والأنسجام مع الفطرة، والتجاوب مع القلوب، فقد ذكر الله عباده أن حكمته تقتضي بعث العباد للجزاء والحساب، فإن الله خلق الخلق لعبادته، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب، لبيان الطريق الذي به يعبدونه ويطيعونه ويتبعون أمره ويجتنبون نهيه، فمن العباد من رفض الاستقامة على طاعة الله، وطغى وبغى، أفليس بعد أن يموت الطالح والصالح، ولا بد أن يجزي الله المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، قال تعالى: (أَفَتَجْعَلِ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ۚ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۚ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ۚ إِنْ لَكُمْ فِيهِ لَمَّا تَخَيَّرُونَ) [الفلم: 35-38] إن الملاحظة الذين ظلموا أنفسهم هم الذين يظنون الكون خلق عبثاً وباطلاً لا لحكمة، وأنه لا فرق بين مصير المؤمن المصلح والكافر المفسد، ولا بين التقي والفاجر ⁽³⁾، قال تعالى: (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ۚ أَمْ تَجْعَلِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ تَجْعَلِ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ) [ص: 27، 28].

وضرب القرآن الكريم للناس الأمثلة في إحياء الأرض بالنبات، وإن الذي أحيا الأرض بعد موتها قادر على إعادة الحياة إلى الجثث الهامدة والعظام البالية (فَانظُرْ إِلَى أَنْبَارٍ رَحِمَتِ اللَّهُ كَيْفَ يُخْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُخْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى

¹ (?) وفي رواية عن ابن عباس أنه العاص بن وائل. (2) تفسير ابن كثير (3/581).

²

³ (?) انظر: الوسطية في القرآن الكريم ص 402.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

كُلَّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ([الروم: 50].

وذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه إحياء بعض الأموات في هذه الحياة الدنيا، فأخبر الناس في كتابه عن أصحاب الكهف، بأنه ضرب على أذانهم في الكهف ثلاثمائة وتسع سنين، ثم قاموا من رقدتهم بعد تلك الأزمان المتطاولة، قال تعالى: **(ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْجَزْبِينِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا)** [الكهف: 12]. **(وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا)** [الكهف: 19]. **(وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَارْدَاؤُا تِسْعًا)** [الكهف: 25] وغير ذلك من الأدلة والبراهين التي استخدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم في مناظراته مع زعماء الكفر والشرك.

ثالثاً: اعتراضهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم:

اعترضوا على شخص الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد كانوا يتصورون أن الرسول لا يكون بشراً مثلهم، وأنه ينبغي أن يكون ملكاً، أو مصحوباً بالملائكة: **(وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا)** [الإسراء: 94]. **(وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَفُصِّي الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ)** [الأنعام: 8]. **(وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَكُنْ تُبْشِرُنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ)** [الأنعام: 9] أي لو بعثنا إلى البشر رسولاً من الملائكة لكان على هيئة الرجل يمكنهم مخاطبته والأخذ عنه، ولو كان كذلك لالتبس عليهم الأمر كما هم يلبسون على أنفسهم في قبول رسالة البشر⁽¹⁾، وكانوا يريدون رسولاً لا يحتاج إلى طعام وسعى في الأسواق: **(وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ خَنزٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مُتَشَبِّهًا)** [الفرقان: 7].
[8] وكانهم لم يسمعون بأن الرسل جميعاً كانوا يأكلون ويسعون ويعملون **(وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا أَنْهُمْ لِيَأْكُلُوا الطَّعَامَ وَيَمْشُوا فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَضْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا)**⁽²⁾ [الفرقان: 20].

ويريدون أن يكون الرسول كثير المال كبيراً في أعينهم: **(وَقَالُوا لَوْلَا تَنْزِيلُ هَذَا الْقُرْآنِ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْشِ عَظِيمٍ)** [الزخرف: 31]. يريدون الوليد بن المغيرة بمكة وعروة بن مسعود الثقفي بالطائف⁽³⁾.

¹ (?) تفسير ابن كثير (2/124).
² (?) تفسير ابن كثير (4/126، 127).
³ (2) اختبرنا بعضكم ببعض.
(4) انظر: رسالة الأنبياء (3/57).
هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

ونسبوا إلى رسول صلى الله عليه وسلم إلى الجنون: (وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۖ لَوْ مَا تَأْتِيْنَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) [الحجر: 6,7] (أَوَى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ۖ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ) [الدخان: 13, 14]

ورد الله عليهم بقوله: (مَا أَنْتَ بِنِعْمَةٍ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ) [القلم: 2]

كما نسبوه إلى الكهانة والشعر: (فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ۖ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ تَتَّبِعُهُ بِهِ رَبِّبَ الْمَثُونِ) [الطور: 29, 30].

كما أنهم كانوا يعلمون أنه لا ينظم الشعر، وأنه راجح العقل، وأن ما يقوله بعيد عن سجع الكهان وقول السحرة⁽¹⁾.

ونسبوه صلى الله عليه وسلم إلى السحر والكذب: (وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ) [ص: 4]. (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمْعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمْعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الطَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ۖ) [الأنعام: 10] (وَلَقَدْ اسْتَهْزَأُ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) [الأنعام: 10] وتعلموا أن المشركين لا يكذبون شخصه، ولكنهم يكذبون رسالته، ويدفعون آيات الله بتلك الأقاويل⁽²⁾: (قَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُ لِيُخْزِنَكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الطَّالِمِينَ بَيَاتٍ اللَّهُ يَخْذُلُونَ) [الأنعام: 33].

رابعًا: موقفهم من القرآن الكريم:

كذلك لم يصدقوا أن القرآن الكريم منزل من الله واعتبروه ضربًا من الشعر الذي كان ينظمه الشعراء، مع أن كل من قارن بين القرآن وبين أشعار العرب يعلم أنه مختلف عنها: (وَمَا عَلَّمَاهُ الشَّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ۖ لِيُذَكِّرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ) [يس: 69, 70] وكيف يكون القرآن شعرًا وقد نزل فيه ذم للشعراء الذين يضلون الناس، ويقولون خلاف الحقيقة⁽³⁾: (وَالشَّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ۖ أَلَمْ تَرَأَهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهيمُونَ ۖ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ) [الشعراء: 224-226].

فهو كلام الله المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم وليس

⁽¹⁾ انظر: رسالة الأنبياء (3/58). (2) نفس المصدر (3/59).

هدية الشبكة الليبية والكاظم بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

شبيهاً بقول الشعراء، ولا يقول الكهان: (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۖ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمِنُونَ ۚ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ۚ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ) [الحاقة: 40-43].

وقد أدرك الشعراء قبل غيرهم أن القرآن الكريم ليس شعراً⁽¹⁾ ومن فرط تكذيبهم وعنادهم قالوا: إن محمداً يتعلم القرآن من رجل أعجمي⁽²⁾ كان غلاماً لبعض بطون قريش، وكان يباعاً يبيع عند الصفا، وربما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يجلس إليه ويكلمه بعض الشيء، وذلك كان أعجمي اللسان لا يعرف من العربية إلا اليسير، بقدر ما يرد جواب الخطاب فيما لا بد منه، ولهذا قال تعالى (وَلَقَدْ تَعَلَّمَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ) [النحل: 103].

أي فكيف يتعلم من جاء بهذا القرآن من فصاحته وبلاغته ومعانيه التامة الشاملة من رجل أعجمي؟ لا يقول هذا من له أدنى مسكة من العقل⁽³⁾.

واعترضوا على طريقة نزول القرآن، فطلبوا أن ينزل جملة واحدة، مع أن نزوله مفرقاً أدعى لتشيت قلوب المؤمنين به وتيسير فهمه وحفظه وامثاله: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا) [الفرقان: 32].

فلما اعترض المشركون على القرآن، وعلى من أنزل عليه بهذه الاعتراضات تحداهم الله بأن يأتيوا بمثله، وأعلن عن عجز الإنس والجن مجتمعين عن ذلك: (قُلْ لِّئِنْ أَجْمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) [الإسراء: 88].

بل هم عاجزون عن أن يأتيوا بعشر سور مثله: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۚ فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) [هود: 13، 14].

وجتى السورة الواحدة هم عاجزون عنها: (وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن مِّصْدَقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۚ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [يونس: 37-38].

¹ (3) نفس المصدر (3/59) (4) انظر: تهذيب السيرة)

(90، 1/74)

³ (?) انظر: تفسير ابن كثير (2/586).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

فعجزهم مع أن الفصاحة كانت من سجايهم، وكانت أشعارهم
ومعلقاتهم في قمة البيان دليل على أن القرآن كلام الله الذي لا
يشبهه شيء في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله وأقواله، وكلامه لا
يشبه كلام المخلوقين⁽⁴⁾.

* * *

⁴(1) انظر: رسالة الأنبياء (3/66).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

المبحث الثاني سنة الابتلاء

الابتلاء - بصفة عامة - سنة الله في خلقه، وهذا واضح في
تقارير القرآن الكريم، قال تعالى: (**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ
الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوكُمْ فِيمَا
آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**) [الأنعام: 165]
وقال سبحانه: (**إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا
لِّيَبْلُوكُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**) [الكهف: 7] وقال جل شأنه: (**إِنَّا
خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نَطْقَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا
بَصِيرًا**) [الإنسان: 2].

الابتلاء مرتبط بالتمكين ارتباطاً وثيقاً، فلقد جرت سنة الله تعالى
ألا يُمكن لأمة إلا بعد أن تمر بمراحل الاختبار المختلفة، وإلا بعد أن
ينصهر معدنها في بوتقة الأحداث، فيميز الله الخبيث من الطيب، وهي
سنة جارية على الأمة الإسلامية لا تتخلف، فقد شاء الله تعالى أن
يبتلي المؤمنين ويختبرهم، ليمحص إيمانهم ثم يكون لهم التمكين في
الأرض بعد ذلك، ولذلك جاء هذا المعنى على لسان الإمام الشافعي
حين سأل رجل: أيهما أفضل للمرء، أن يُمكن أو يبتلى؟ فقال الإمام
الشافعي: لا يمكن حتى يبتلى، فإن الله تعالى ابتلى نوحاً وإبراهيم،
وموسى وعيسى، ومحمداً صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فلما
صبروا مكنتهم، فلا يظن أحد أن يخلص من الألم البتة⁽¹⁾.

حكمة الابتلاء وفوائده:

للابتلاء حكم كثيرة من أهمها:

1- تصفية الصفوف:

جعل الله الابتلاء وسيلة لتصفية نفوس الناس، ومعرفة المحق
منهم والمبطل؛ وذلك لأن المرء قد لا يكشف في الرخاء، لكنه يكشفه
الشدة، قال تعالى: (**أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا
وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ**) [العنكبوت: 2].

2- تربية الجماعة المسلمة:

وفي هذا يقول سيد قطب رحمه الله: «ثم إنه الطريق الذي لا
طريق غيره لإنشاء الجماعة، التي تحمل هذه الدعوة وتنهض
بتكاليها، طريق التربية لهذه الجماعة، وإخراج مكنوناتها من الخير
والقوة والاحتمال، وهو طريق المزاولة العملية للتكاليف، والمعرفة
الواقعية لحقيقة الناس وحقيقة الحياة، ذلك ليثبت على هذه الدعوة
أصلب أصحابها عوداً، فهؤلاء هم الذين يصلحون لحملها، إذن بالصبر

¹ (?) الفوائد لابن القيم، ص 283.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

عليها، فهم عليها مؤتمنون»⁽¹⁾.

3- الكشف عن خبايا النفوس:

وفي هذا المعنى يقول صاحب الظلال: «والله يعلم حقيقة القلوب قبل الابتلاء، ولكن الابتلاء يكشف في عالم الواقع ما هو مكشوف لعلم الله، مغيب عن علم البشر، فيحاسب الناس إذن على ما يقع من عملهم لا على مجرد ما يعلمه سبحانه من أمرهم، وهو فضل من الله من جانب، وعدل من جانب، وتربية للناس من جانب، فلا يأخذوا أحداً إلا بما استعلن من أمره وبما حققه فعله، فليسوا بأعلم من الله بحقيقة قلبه»⁽²⁾.

4- الإعداد الحقيقي لتحمل الأمانة:

وفي هذا المعنى يقول صاحب الظلال: «وما بالله - حاشا لله - أن يعذب المؤمنين بالابتلاء، وأن يؤذيهم بالفتنة، ولكنه الإعداد الحقيقي لتحمل الأمانة، فهي في حاجة إلى إعداد خاص لا يتم إلا بالمعاناة العملية للمشاق، وإلا بالاستعلاء الحقيقي على الشهوات، وإلا بالصبر الحقيقي على الآلام، وإلا بالثقة الحقيقية في نصر الله وثوابه على الرغم من طول الفتنة وشدة الابتلاء، والنفوس تصهرها الشدائد، فتتنفي عنها الخبث وتستجيش كامن قواها المذخورة فتستيقظ وتتجمع، وتطرقها بعنف وشدة فيشتد عودها ويصلب ويصقل، وكذلك تفعل الشدائد بالجماعات، فلا يبقى صامداً إلا أصلها عوداً وأقواها طبيعة، وأشدّها اتصالاً بالله، وثقة فيما عنده من الحسنيين النصر أو الأجر، وهؤلاء هم الذين يسلمون الراية في النهاية مؤتمنين عليها بعد الاستعداد والاختبار»⁽³⁾.

5- معرفة حقيقة النفس:

وفي هذا المعنى يقول صاحب الظلال: «وذلك لكي يعرف أصحاب الدعوة حقيقتهم هم أنفسهم، وهم يزاوون الحياة والجهاد مزاولة عملية واقعية، ويعرفوا حقيقة النفس البشرية وخباياها، حقيقة الجماعات والمجتمعات، وهم يرون كيف تصطرع مبادئ دعوتهم مع الشهوات في أنفسهم، وفي أنفس الناس، ويعرفون مداخل الشيطان إلى هذه النفوس، ومزالق الطريق ومسارب الضلال»⁽⁴⁾.

6- معرفة قدر الدعوة:

وفي هذا المعنى يقول صاحب الظلال: «وذلك لكي تعز هذه الدعوة عليهم، وتغلو بقدر ما يصيبهم في سبيلها من غث وبلاء، ويقدر ما يضحون في سبيلها من عزيز وغالٍ، فلا يفرطوا فيها بعد ذلك مهما كانت الأحوال»⁽⁵⁾.

1 (?) في ظلال القرآن (2/180).
2 نفس المصدر (6/387).
3 (?) نفس المصدر (6/389).
5 (?) في ظلال القرآن (2/180).
193 (2) انظر: فقه السيرة النبوية، ص 192.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

7- الدعاية لها:

فصبر المؤمنين على الابتلاء دعوة صامته لهذا الدين وهي التي تدخل الناس في دين الله، ولو وهنوا أو استكانوا لما استجاب لهم أحد، لقد كان الفرد الواحد يأتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يأتيه أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يمضي إلى قومه يدعوهم، ويصبر على تكذيبهم وأذاهم، ويتابع طريقه حتى يعود بقومه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم⁽¹⁾. وسنرى ذلك في الصفحات القادمة إن شاء الله.

8- جذب بعض العناصر القوية إليها:

وأمام صمود المسلمين وتضحياتهم، تتوق النفوس القوية إلى هذه العقيدة، ومن خلال الصلابة الإيمانية تكبر عند هذه الشخصيات الدعوة وحاملوها، فيسارعون إلى الإسلام دون تردد، وأعظم الشخصيات التي يعتز بها الإسلام دخلت إلى هذا الدين من خلال هذا الطريق⁽²⁾.

9- رفع المنزلة والدرجة عند الله، وتكفير السيئات:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما يصيب المؤمن من شوكة فما فوقها إلا رفعه الله بها درجة، وحط عنه خطيئة»⁽³⁾ فقد يكون للعبد درجة عند الله تعالى لا يبلغها بعمله فيبتليه الله تعالى حتى يرفعه إليها، كما أن الابتلاء طريق لتكفير سيئات المسلم⁽⁴⁾.

كما أن للابتلاء فوائد عظيمة منها: معرفة عز الربوبية وقهرها، معرفة ذل العبودية وكسرها، الإخلاص، الإجابة إلى الله والإقبال عليه، التضرع والدعاء، الحلم عمن صدرت عنه المصيبة، العفو عن صاحبها، الصبر عليها، الفرح بها لأجل فوائدها، الشكر عليها، رحمة أهل البلاء ومساعدتهم على بلوهم، معرفة قدر نعمة العافية والشكر عليها، ما أعده الله تعالى على هذه الفوائد من ثواب الآخرة على اختلاف مراتبها، وغير ذلك من الفوائد. ومن أراد التوسع فليراجع كتاب فقه الابتلاء⁽⁵⁾.

(?) انظر: فقد السيرة النبوية، ص 193، 194.
 (3) مسلم شرح النووي (6/127، 128) كتاب البر والصلة، باب ثواب المؤمن.
 (4) انظر: التمكن للامة الإسلامية ص 244، وانظر: فقه الابتلاء، محمد أبو صعيلىك ص 8: 11.
 (5) انظر: فقه الابتلاء، محمد أبو صعيلىك، ص 15: 28.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

المبحث الثالث أساليب المشركين في محاربة الدعوة

أجمع المشركون على محاربة الدعوة التي عزّت واقعهم الجاهلي، وعابت ألهمهم وسفهت أحلامهم، أي آراءهم وأفكارهم، وتصوراتهم عن الله والحياة والإنسان والكون، فاتخذوا العديد من الوسائل والمحاولات لإيقاف الدعوة وإسكات صوتها، أو تحجيمها وتحديد مجال انتشارها.

أولاً: محاولة قريش لإبعاد أبي طالب عن مناصرة وحماية رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا: إن ابن أخيك هذا قد آذانا في نادينا ومسجدنا فأنه عنا، فقال أبو طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إن بني عمك هؤلاء زعموا أنك تؤذيهم في ناديتهم ومسجدهم، فأنته عن أذاهم، فخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ببصرم إلى السماء فقال: «ترون هذه الشمس؟» قالوا: نعم، قال: «فما أنا بأقدر أن أدع ذلك منكم على أن تشعلوا منها بشعلة» وفي رواية: «والله ما أنا بأقدر أن أدع ما بعثت به من أن يشعل أحد من هذه الشمس شعلة من نار» فقال أبو طالب: «والله ما كذب ابن أخي قط، فارجعوا راشدين»⁽¹⁾، وحاولت قريش مرات عديدة الضغط على رسول الله صلى الله عليه وسلم بواسطة عائلته ولكنها فشلت.

ذاع أمر حماية أبي طالب لابن أخيه، وتصميمه على مناصرته وعدم خذلانه، فاشتد ذلك على قريش غمًا وحسدًا ومكرًا، فمشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة، فقالوا له: «يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد، أنهد فتى في قريش، وأجملهم، فلك عقله»⁽²⁾ ونصره، واتخذوه ولدًا فهو لك، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذي خالف دينك، ودين آبائك، وفرق جماعة قومك وسفه أحلامنا، فنقتله فإنما هو رجل برجل» قال: «والله لبئس ما تسومونني أتعطوني ابنكم أغذوه لكم وأعطيتكم ابني فتقتلونه، هذا والله ما لا يكون أبدًا»⁽³⁾.

وإن المرء ليسمع عجبًا، ويقف مذهولاً أمام مروءة أبي طالب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد ربط أبو طالب مصيره بمصير ابن أخيه محمد صلى الله عليه وسلم، بل واستفاد من كونه زعيم بني هاشم أن ضم بني هاشم وبني المطلب إليه في حلف واحد على الحياة والموت، تأييدًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلمهم ومشركهم على السواء،⁽⁴⁾ وأجار ابن أخيه محمدًا إجارة مفتوحة لا

¹ (?) صحيح السيرة النبوية، إبراهيم العلي، ص 78. (2) فلك عقله: أي ديتة إذا قتل.

² (3) البداية والنهاية (3/48).

⁴ (?) انظر: فقه السيرة النبوية، ص 184.

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

تقبل التردد أو الإحجام، كانت هذه الأعراف الجاهلية والتقاليد العربية تسخر من قبل النبي صلى الله عليه وسلم لخدمة الإسلام، وقد قام أبو طالب حين رأى قريشاً تصنع ما تصنع في بني هاشم وبني المطلب، فدعاهم إلى ما هو عليه، من منع رسول الله صلى الله عليه وسلم والقيام دونه، فاجتمعوا إليه وقاموا معه وأجابوه إلى ما دعاهم إليه، إلا ما كان من أبي لهب عدو الله اللعين.

فلما رأى أبو طالب من قومه ما سره من جهدهم معهم، وحديثهم عليه، جعل يمدحهم، ويذكر قديمهم، ويذكر فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم، ومكانه منهم ليشد لهم رأيهم، وليحدبوا معه على أمره فقال:

إذا اجتمعت يوماً قريش	فعبد مناف سرها وصميها
وإن حصلت أشراف عبد	ففي هاشم أشراقها وقديمها
وإن فحّرت يوماً فإن محمداً	هو المصطفى من سر
تداعت قريش غثها وثمينها	علينا فلم تظفر وطاشت
وكنا قديماً لا نُقر ظلامه	تُقيمها ⁽¹⁾

وحين حاول أبو جهل أن يخفر جوار أبي طالب تصدى له حمزة، فشجه بقوسه، وقال له: تشتم محمداً وأنا على دينه، فرد ذلك إن استطعت.

إنها ظاهرة فذة أن تقوم الجاهلية بحماية من يسب آلهتها، ويعيب دينها، ويسفه أحلامها، وباسم هذه القيم يقدمون المهج والأرواح، ويخوضون المعارك والحروب، ولا يُمنّ محمد صلى الله عليه وسلم بسوء.

ولما خشي أبو طالب دهماء العرب أن يركبوه مع قومه، قال قصيدته التي تعوذ فيها بحرمة مكة، وبمكانه منها، وتودد فيها لأشراف قومه، وهو على ذلك يخبرهم في ذلك من شعره أنه غير مُسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا تاركه لشيء أبداً حتى يهلك دونه فقال:

ولما رأيت القوم لا ود فيهم	وقد قطعوا كل العرى والوسائل
وقد صارحونا بالعداوة	وقد طاوعوا أمر العدو المزائل
وقد حالفوا قوماً علينا أظنّه	يعضون غيظاً خلفنا بالأنامل

¹(1) السيرة النبوية لابن هشام (1/269) (2) سمراء: كناية عن الرمح. هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

بسمراء⁽¹⁾ سمحة
وأبيض غضب⁽²⁾ من ترات
وأحضرت عند البيت رهطي
وأخوته،
وتعوذ بالبيت وبكل المقدسات التي فيه، وأقسم بالبيت بأنه لن
يسلم محمداً ولو سالت الدماء أنهاراً واشتدت المعارك مع بطون
قريش:
كذبتهم وبيت الله بُتري
حولته⁽⁴⁾
ولما نطاعن دونه وتناضل
ونذهل عن أبنائنا والحلائل⁽⁵⁾
وينهض قوم في الحديد
نهوض الروايا⁽⁶⁾ تحت ذات
وقرّع زعماء بني عبد مناف بأسمائهم لخدلانهم إياه، فلعتبة بن
ربيعة يقول:
فعتبة لا تسمع بنا قول
دغاوول⁽⁷⁾
ولأبي سفيان بن حرب يقول:
ومر أبو سفيان عني معرضاً
كما مَرَّ قَيْلٌ⁽⁸⁾ من عظام
يفر إلى نجد وبرد مياهاه
بغاغل⁽⁹⁾
وللمطعم بن عدي سيد بني نوفل يقول:
أمطعم لم أخلك في يوم
ولا معظم عند الأمور الجلائل
أمطعم إن القوم ساموك
بوائل⁽¹⁰⁾
جزى الله عنا عبد شمس
عقوبة شر عاجلاً غير آجل⁽¹¹⁾
لقد كان كسب النبي صلى الله عليه وسلم عمه في صف الدفاع
عنه، نصرًا عظيمًا، وقد استفاد صلى الله عليه وسلم من العرف
القبلي فتمتع بحماية العشيرة، ومنع من أي اعتداء يقع عليه، وأعطى

1 (3) أبيض غضب: كناية عن السيف.
2 (?) السيرة النبوية لابن هشام (1/273)
3 (?) ونسلمه حتى نصرع حوله: أي كذبتهم أن نسلمه قبل أن نصرع حوله.
4 (?) الحلائل: الزوجات.
5 للساقية.
6
7 (?) الدغاوول: الدواهي.
8 (6) قيل: الرئيس الكبير في اليمن.
9 (?) انظر: فقه السيرة النبوية ص 212. (8) بوائل: ناج.
11 (?) انظر: فقه السيرة النبوية، ص 212.
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

حرية التحرك والتفكير، وهذا يدل على فهم النبي صلى الله عليه وسلم للواقع الذي يتحرك فيه، وفي ذلك درس بالغ للدعاة إلى الله تعالى، للتعامل مع بيئتهم ومجتمعاتهم والاستفادة من القوانين والأعراف والتقاليد لخدمة دين الله.

ثانيًا: محاولة تشويه دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم:

قام مشركو مكة بمحاولة تشويه دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولذلك نظمت قريش حربًا إعلامية ضده لتشويهه، قادها الوليد بن المغيرة، حيث اجتمع مع نفر من قومه، وكان ذا سن فيهم، وقد حضر موسم الحج فقال لهم: يا معشر قريش إنه قد حضر الموسم، وإن وفود العرب ستقدم عليكم، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأيًا واحدًا، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضًا، ويرد قولكم بعضه بعضًا.

- فقالوا: فأنت يا أبا عبد شمس، فقل وأقم لنا رأيًا نقول به.
- قال: بل أنتم قولوا أسمع.
- فقالوا: نقول كاهن.
- فقال: ما هو بكاهن، لقد رأيت الكهان فما هو بزمزمة⁽¹⁾ الكاهن وسجعه.
- فقالوا: نقول مجنون.
- فقال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو تخنقه، ولا تخالجه ولا وسوسته.
- فقالوا: نقول شاعر.
- فقال: ما هو بشاعر، قد عرفنا الشعر برجزه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشعر.
- قالوا: فنقول ساحر.
- قال: ما هو بساحر، لقد رأينا السحار وسحرهم، فما هو بنفته، ولا عقده.

- قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟
قال: والله إن لقوله لحلاوة وإن أصله لعذق⁽²⁾ وإن فرعه لجناة⁽³⁾، وما أنتم بقائلين من هذا شيئًا إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول لأن تقولوا: ساحر، فقولوا: ساحر يفرق بين المرء وبين أبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجه، وبين المرء وعشيرته⁽⁴⁾.

فأنزل الله تعالى في الوليد: (**ذَرْنِي وَمَنْ خَلَفْتُ وَحِيدًا ۖ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ۖ وَبَنِينَ شُهُودًا ۖ وَمَهْدَتْ لَهُ تَمْهِيدًا ۖ**)

¹ (؟) الزمزمة: كلام خفي لا يسمع.
² (؟) العذق: النخلة.
³ (؟) الجناة: ما يجني من الثمر.
⁴ (؟) السير والمغازي لابن إسحاق، ص 150، 151، تهذيب السيرة (1/64، 65).
هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۖ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ۚ سَأَرْزُقُكَ
صَعُودًا ۚ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۖ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۖ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ
يُؤْتِرُ ۖ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۖ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۖ فَفَالَ إِنَّ
هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ۚ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۖ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ)
[المدرثر: 11-26].

ويتضح من هذه القصة أن الحرب النفسية المضادة للرسول صلى الله عليه وسلم لم تكن توجه اعتباطاً، وإنما كانت تعد بإحكام ودقة بين زعماء الكفار، وحسب قواعد معينة، هي أساس القواعد المعمول بها في تخطيط الحرب النفسية في العصر الحديث، كاختيار الوقت المناسب، فهم يختارون وقت تجمع الناس في موسم الحج، والاتفاق وعدم التناقض، وغير ذلك من هذه الأسس حتى تكون حملتهم منظمة، وبالتالي لها تأثير على وفود الحجيج، فتؤتي ثمارها المرجوة منها، ومع اختيارهم للزمان المناسب، فقد اختاروا أيضاً مكاناً مناسباً حتى تصل جميع الوفود القادمة إلى مكة⁽¹⁾، ويتضح من هذا الخبر عظمة النبي صلى الله عليه وسلم وقوته في التأثير بالقرآن على سامعيه، فالوليد بن المغيرة كبير قريش ومن أكبر ساداتهم، ومع ما يحصل عادة للكبراء من التكبر والتعظيم فإنه قد تأثر بالقرآن، ورق له، واعترف بعظمته ووصفه بذلك الوصف البالغ⁽²⁾ وهو في حالة استجابة لنداء العقل، ولم تستطع تلك الحرب الإعلامية المنظمة أن تحاصر دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل استطاع محمد صلى الله عليه وسلم أن يخرق حصار الأعداء، الذين لم يكتفوا بتنفيذ ساكني مكة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتشويه سمعته عندهم، بل صاروا يتلقون الوافدين إليهم ليسموا أفكارهم، وليحولوا بينهم وبين سماع كلامه، والتأثر بدعوته، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم النجاح في دعوته، بليغاً في التأثير على من خاطبه، حيث يؤثر على من جالسه بهيئته وسمته ووقاره، قبل أن يتكلم، ثم إذا تحدث أسر سامعيه بمنطقة البالغ المتمثل في العقل السليم، والعاطفة الجياشة بالحب والصفاء، والنية الخالصة في هداية الأمة، بوحى الله تعالى⁽³⁾. ومن أبرز الأمثلة على قوته في التأثير بالكلمة المعبرة والأخلاق الكريمة، وقدرته على اختراق الجدار الحديدي الذي حاول زعماء مكة ضربه عليه، ما كان من موقفه مع ضماد الأزدي، وعمر بن الطفيل الدوسي، وأبي ذر، وعمر بن عبسة رضي الله عنهم.

1- إسلام ضماد الأزدي :

وفد ضماد الأزدي إلى مكة، وتأثر بدعاوى المشركين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى استقر في نفسه أنه مصاب بالجنون،

1 (?) انظر: الحرب النفسية ضد الإسلام، د. عبد الوهاب كحيل، ص 103.

2 (?) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي، (1/123).

3 (?) انظر التاريخ الإسلامي للحميدي، (1/127: 137).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

كما يتهمه بذلك زعماء مكة، وكان ضماد من أزد شنوءة، وكان يعالج من الجنون، فلما سمع ببغواء مكة يقولون إن محمدًا صلى الله عليه وسلم مجنون فقال: لو أني رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي.

قال: فلقبه، فقال: يا محمد إنني أرقى من هذه الريح، وإن الله يشفي على يدي من شاء. فهل لك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ومن يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد».

قال: فقال: أعد علي كلماتك هؤلاء، فأعادهن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات، قال: فقال: لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء، ولقد بلغن قاموس البحر⁽¹⁾ فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: «هات يدك أبياعك على الإسلام» قال: فبايعه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وعلى قومك»، قال: وعلى قومي.

وعندما قامت دولة الإسلام في المدينة، وكانت سرايا رسول الله تبعث، فمروا على قوم ضماد، فقال صاحب البصرة للجيش: هل أصبتم من هؤلاء شيئاً؟ فقال رجل من القوم: أصبت منهم مطهرة، فقال: ردوها. فإن هؤلاء قوم ضماد⁽²⁾.

دروس وفوائد:

أ- دعاية قريش وتشويه شخص الرسول صلى الله عليه وسلم، واتهامه بالجنون حمل ضمادًا على السير للرسول صلى الله عليه وسلم من أجل رقيته، فكانت الحرب الإعلامية المكية ضد الرسول صلى الله عليه وسلم سببًا في إسلامه وإسلام قومه.

ب- تتضح صفتا الصبر والحلم في شخص النبي صلى الله عليه وسلم فقد عرض ضماد على رسول الله صلى الله عليه وسلم معالجته من مرض الجنون، وهذا موقف يثير الغضب، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم استقبل الأمر بحلم وهدوء، مما أثار إعجاب ضماد واحترامه لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

ج- أهمية هذه المقدمة التي يستفتح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض خطبه، فقد اشتملت على تعظيم الله وتمجيده، وصرف العبادة له سبحانه، ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرًا ما يجعلها بين يدي خطبه ومواعظه.

د- تأثر ضماد بفصاحة الرسول صلى الله عليه وسلم وقوة بيانه؛ لأن حديث الرسول صلى الله عليه وسلم انبعث من قلب مليء إيمانًا وبقينًا وحكمة، فاصبح حديثه يصل إلى القلوب ويجذبها إلى الإيمان.

¹ (?) قاموس البحر: معناه وسطه، أو لجته أو قعره الأقصى.

² (?) مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة رقم 868.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

هـ- في سرعة إسلام ضماد دليل على أن الإسلام دين الفطرة، وإن النفوس إذا تجردت من الضغوط الداخلية والخارجية فإنها غالبًا تتأثر وتستجيب، إما بسماع قول مؤثر، أو الإعجاب بسلوك قويم.

و- حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على انتشار دعوته، حيث رأى في ضماد صدق إيمانه، وحماسه للإسلام، وقوة اقتناعه به، فدفعه ذلك إلى أخذ البيعة منه لقومه.

ز- وفي هذا بيان واضح لأهمية الدعوة إلى الله تعالى، حيث جعلها النبي صلى الله عليه وسلم قرينة الالتزام الشخصي، فقد بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الالتزام بالدين، فلم يكتف رسول الله بذلك بل أخذ منه البيعة على دعوة قومه إلى الإسلام.

ح- حفظ المعروف والود لأهل السابقة والفضل «ردوها فإن هؤلاء من قوم ضماد»⁽¹⁾.

ط- في الحديث بعض الوسائل التربوية التي استعملها النبي صلى الله عليه وسلم مع ضماد كالتأني في الحديث، وأسلوب الحوار، والتوجيه المباشر، وتظهر بعض الصفات في شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم كمرب، كالحلم والصبر، والتشجيع على الإكثار من الخيرات.

2- إسلام عمرو بن عَبَّسة ؓ:

قال عمرو بن عبسة السلمي: كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة، وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان، فسمعت برجل بمكة يخبر أخبارًا فقعدت على راحلتي فقدمت عليه، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفياً، جراء عليه قومه، فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة فقلت له: ما أنت؟ قال: «أنا نبي» فقلت: وما نبي؟ قال: «أرسلني الله» فقلت: وبأي شيء أرسلك؟ قال: «أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يوحد الله لا يُشرك به شيء» قلت له: فمن معك على هذا؟ قال: «حر وعبد» قال: ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن آمن به فقلت: إني متبعك قال: «إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا، ألا ترى حالي وحال الناس؟ ولكن أرجع إلى أهلك، فإذا سمعت بي قد ظهرت فاتني».

قال فذهبت إلى أهلي، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، وكنت في أهلي، فجعلت أتخير الأخبار وأسأل الناس حين قدم المدينة، حتى قدم عليّ نفر من أهل يثرب من أهل المدينة فقلت: ما فعل هذا الرجل الذي قدم المدينة؟ فقالوا: الناس إليه سراع، وقد أراد قومه قتله فلم يستطيعوا ذلك، فقدمت المدينة فدخلت عليه، فقلت: يا رسول الله أتعرفني؟ قال: «نعم. أنت الذي لقيتني بمكة».

¹ (?) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (1/132، 133) وانظر: الوحي وتبليغ الرسالة، د. يحيى اليحيى، ص 111: 113

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

وذكر بقية الحديث وفيه أنه سأله عن الصلاة والوضوء⁽¹⁾.

دروس وعبر:

أ- عمرو بن عبسة كان من الحنفاء المنكرين لعبادة غير الله تعالى في الجاهلية.

ب- كانت الحروب الإعلامية الضروس التي شنتها قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم سبباً في تتبع عمرو بن عبسة لأخبار الرسول صلى الله عليه وسلم.

ج- جرأة وشدة قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد وجده عمرو بن عبسة مستخفياً وقومه جرأ عليه.

د- الأدب في الدخول على أهل الفضل والمنزلة، قال عمرو بن عبسة: «فتلطفت حتى دخلت عليه».

هـ- الرسالة المحمدية تقوم على ركيزتين: حق الله، وحق الخلق قال صلى الله عليه وسلم: «أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان». وفي هذا دليل على أهمية صلة الأرحام حيث كان هذا الخلق العظيم الصق ما يكون بدعوة الإسلام، مع إقترانه بالدعوة إلى التوحيد، وقد ظهر في هذا البيان الهجوم على الأوثان بقوة، مع أنها كانت أقدس شيء عند العرب، وفي هذا دلالة على أهمية إزالة معالم الجاهلية، وأن دعوة التوحيد لا تستقر ولا تنتشر إلا بزوال هذه المعالم.

و- وفي اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم المبكر بإزالة الأوثان مع عدم قدرته على تنفيذ ذلك في ذلك الوقت دلالة على أن أمور الدين لا يجوز تأخير بيانها للناس بحجة عدم القدرة على تطبيقها، فالذين يبنون للناس من أمور الدين ما يستطيعون تطبيقه بسهولة وأمن، ويحجمون عن بيان أمور الدين التي يحتاج تطبيقها إلى شيء من المواجهة والجهاد، هؤلاء دعوتهم ناقصة، ولم يقتدوا برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي واجه الجاهلية وطغاتها وهو في قلة من أنصاره، والسيادة في بلده لأعدائه⁽²⁾.

ز- حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على أمان صحابته وتوفير الجو الآمن، والسير بهم إلى بر الأمان وإبعادهم عن التعرض للمضايقات، قال لعمرو بن عبسة: «إنك لا تستطيع يومك هذا».

ح- تذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحوال أصحابه وعدم نسيان مواقفهم، قال: «أنت الذي لقيتني بمكة».

ط- لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعطي كل من أسلم قائمة بأسماء أتباعه، فهذا ليس للسائل منه مصلحة ولا يتعلق به بلاغ؛ ولذلك لما سأل عمرو بن عبسة عمن تبعه قال: «حر وعبد» وهذه تورية كما قال ابن كثير: بأن هذا اسم جنس فهم منه عمرو أنه

¹ (?) انظر: صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين. رقم 832.
² (?) انظر: التاريخ الإسلامي، (1/109) للحميدي. (2) انظر: الوحي وتبليغ الرسالة، ص 106: 109.

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

اسم عين⁽¹⁾.

ي- في قوله صلى الله عليه وسلم: «ارجع إلى أهلِكَ، فإذا سمعت بي ظهرت فاتني» نأخذ منه درسًا في الدعوة: إن تكديس المردين والأعضاء حيث المحنة والإيذاء ليس هو الأصل، فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوجه نحو الرجوع إلى الأقوام، وأمر كما نرى بالهجرة إلى الحبشة، فذلك تخفيف عن المسلمين وإبعاد لهم عن مواطن الخطر وستر لقوة المسلمين، وإعطاء فرصة للقائد حتى لا ينشغل، وضمان للسرية، وإفادة للمكان المرسل إليه، وإعداد للمستقبل وملاحظة لضمان الاستمرار وتجنب الاستئصال⁽²⁾.

وممن أسلم بسبب الحرب الإعلامية ضد الرسول صلى الله عليه وسلم الطفيل بن عمرو الدوسي، وجاءت قصته مفصلة في كتب السيرة، ويرى الدكتور أكرم ضياء العمري أنه لم يثبت منها إلا أنه دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم للالتجاء إلى حصن دوس المنيع فأبى رسول الله ذلك⁽³⁾ وأشارت رواية صحيحة إلى أن الطفيل دعا قومه إلى الإسلام ولقي منهم صدودًا حتى طلب الطفيل من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو عليهم، لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لهم بالهداية⁽⁴⁾ وكان الرسول أنذ بالمدينة المنورة⁽⁵⁾.

3- إسلام الحصين والد عمران رضي الله عنهما:

جاءت قريش إلى الحصين -وكانت تعظمه- فقالوا له: كلم لنا هذا الرجل، فإنه يذكر ألهتنا، ويسبهم، فجاءوا معه حتى جلسوا قريبًا من باب النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «أوسعوا للشيخ» وعمران وأصحابه متوافرون فقال حصين: ما هذا الذي بلغنا عنك، أنك تشتم ألهتنا، وتذكرهم، وقد كان أبوك حصينة⁽⁶⁾ وخيرًا؟ فقال: «يا حصين، إن أبي وأباك في النار، يا حصين، كم تعبد من إله؟» قال: سبعًا في الأرض، وواحدًا في السماء، فقال: «فإذا أصابك الضر من تدعو؟» قال: الذي في السماء، قال: «فإذا هلك المال من تدعو؟» قال: الذي في السماء، قال: «فيستجيب لك وحده وتشركهم معه، أرضيته في الشكر أم تخاف أن يغلب عليك؟» قال: ولا واحدة من هاتين، قال: وعلمت أني لم أكلم مثله، قال: «يا حصين، أسلم تسلم» قال: إن لي قومًا وعشيرة، فماذا أقول؟ قال: «قل: اللهم أستهديك لأرشد أمري وزدني علمًا ينفعني» فقالها حصين فلم يقم حتى أسلم، فقام إليه عمران فقبل رأسه ويديه ورجليه، فلما رأى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم

2 (?) انظر: الأساس في السنة (1/126) سعيد حوى.
3 (?) صحيح مسلم (1/109).
4 (3) صحيح البخاري فتح البخاري (6/107).

5 (?) السيرة النبوية، ابن كثير (2/76) انظر: السيرة النبوية الصحيحة للدكتور العمري (1/146).

6 (?) حصينة: يعني عاقلاً متحصناً بدين آبائه وأجداده، ومعتقداتهم، انظر: النهاية لابن الأثير (1/234).

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

وسلم بكى، وقال: «بكيت من صنع عمران دخل حصين وهو كافر فلم يقم إليه عمران، ولم يلتفت ناحيته، فلما أسلم قضى حقه فدخلني من ذلك الرقة» فلما أراد حصين أن يخرج قال لأصحابه: «قوموا فشيّعوه إلى منزله» فلما خرج من سدة الباب رآته قريش، فقالوا: صبا وتفرقوا عنه»⁽¹⁾.

ولعل الذي حدا بالحصين والد عمران أن يسلم بهذه السرعة، سلامة فطرته، وحسن استعداداته من ناحية، وقوة حجة الرسول صلى الله عليه وسلم وسلامة منطقته من ناحية أخرى⁽²⁾.

ونلاحظ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استخدم أسلوب الحوار مع الحصين، لغرس معاني التوحيد في نفسه ونسف العقائد الباطلة التي كان يعتقد بها.

4- إسلام أبي ذر :

كان أبو ذر منكرًا لحال الجاهلية، ويأبى عبادة الأصنام، وينكر على من يشرك بالله، وكان يصلي لله قبل إسلامه ثلاث سنوات، دون أن يخص قبلة بعينها بالتوجه، ويظهر أنه كان على نهج الإحناف، ولما سمع بالنبي صلى الله عليه وسلم قدم إلى مكة وكره أن يسأل عنه حتى أدركه الليل، فاضطجع فراه علي فعرف أنه غريب فاستضافه ولم يسأله عن شيء، ثم غادره صباحًا إلى المسجد الحرام فمكث حتى أمسى، فراه علي فاستضافه لليلة ثانية، وحدث مثل ذلك في الليلة الثالثة، ثم سأل عن سبب قدومه، فلما استوثق منه أبو ذر أخبره بأنه يريد مقابلة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال له علي: فإنه حق وهو رسول الله، فإذا أصبحت فاتبعني، فإني إن رأيت شيئًا أخاف عليك قمت كاني أريق الماء، فإن مضيت فاتبعني، فتبعه وقابل الرسول صلى الله عليه وسلم واستمع إلى قوله فأسلم، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتوك أمري» فقال: والذي نفسي بيده لأصرخن بها بين ظهرانيهم، فخرج حتى أتى المسجد، فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وثار القوم حتى أضجعوه، فأتى العباس بن عبد المطلب فحذرهم من انتقام غفار، والتعرض لتجارته التي تمر بديارهم إلى الشام، فأنقذه منهم⁽³⁾. وكان أبو ذر قبل مجيئه قد أرسل أخاه، ليعلم له علم النبي صلى الله عليه وسلم، ويسمع من قوله ثم يأتيه، فانطلق الأخ حتى قدمه وسمع من قوله، ثم رجع إلى أبي ذر فقال له: رأيته بأمر بمكارم الأخلاق، وكلامًا ما هو بالشعر، فقال: ما شفيتني⁽⁴⁾ مما أردت⁽⁵⁾ وعزم على الذهاب بنفسه لرسول الله صلى

1 (?) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (1/337) وعنه نقل الشيخ محمد يوسف في: حياة الصحابة (1/75، 76).

2 (?) انظر: فقه الدعوة الفردية، د. السيد محمد نوح ص 104.

3 (?) صحيح البخاري (فتح الباري) (7/173).

4 (?) ما شفيتني مما أردت: ما بلغتني غرضي وأزلت عني همي.

5 (?) صحيح السيرة النبوية، إبراهيم العلي، ص 83.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

الله عليه وسلم، فقال أخوه له: «وكن على حذر من أهل مكة فإنهم قد شنقوا له وتجهموا»⁽¹⁾.

دروس وعبر وفوائد:

* شيوع ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين القبائل، وأكثر من ساهم في ذلك مشركو قريش، بما اتخذوه من منهج التحذير والتشويه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولما جاء به، حتى وصل ذكره قبيلة غفار.

* تميز أبي ذر بأنه رجل مستقل في رأيه، لا تؤثر عليه الإشاعات، ولا تستغزه الدعايات، فيقبل كل ما تنشره قريش؛ ولذلك أرسل أخاه يسيتوثق له من خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيداً عن التأثيرات الإعلامية.

* شدة اهتمام أبي ذر بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم فلم يكتف بالمعلومات العامة التي جاء بها أخوه أنيس بل أراد أن يقف على الحقيقة بعينها، حيث إن مجال البحث ليس عن رجل يأمر بالخير فحسب، وإنما عن رجل يذكر أنه نبي؛ ولذلك تحمل المشاق والمتاعب وشظف العيش، والغربة عن الأهل والوطن في سبيل الحق، فأبو ذر ترك أهله واكتفى من الزاد بجراب، وارتحل إلى مكة لمعرفة أمر النبوة⁽²⁾.

* التأني والترث في الحصول على المعلومة: حيث تأنى أبو ذر لما يعرفه من كراهية قريش لكل من يخاطب الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا التأني تصرف أممي تقتضيه حساسية الموقف، فلو سأل عنه لعلمت به قريش، وبالتالي قد يتعرض للأذى والطرده، ويخسر الوصول إلى هدفه، الذي من أجله ترك مضارب قومه، وتحمل في سبيله مصاعب ومشاق السفر.

* الاحتياط والحذر قبل النطق بالمعلومة: حين سأل عليّ أبا ذر عن أمره وسبب مجيئه إلى مكة، لم يخبره بالرغم من أنه استضافه ثلاثة أيام، إمعاناً في الحذر، فاشتراط عليه قبل أن يخبره أن يكتف عنه، وفي الوقت ذاته أن يرشده فهذا غاية في الاحتياط، وتم ما أراه.

* التغطية الأمنية للتحرك: تم الاتفاق بين علي وأبي ذر رضي الله عنهما على إشارة أو حركة معينة، كأنه يصلح نعله، أو كأنه يريق الماء، وذلك عندما يرى عليّ من يترصدهما، أو يراقبهما، فهذه تغطية أمنية لتحركهم اتجاه المقر (دار الأرقم). هذا إلى جانب أن أبا ذر كان يسير على مسافة من علي، فيعد هذا الموقف احتياطاً، وتحسباً لكل طارئ قد يحدث أثناء التحرك.

* هذه الإشارات الأمنية العابرة تدل على تفوق الصحابة رضي الله

¹ (?) صحيح مسلم (4/1923) وشنقوا له: أي أبغضوه، وانظر: السيرة النبوية الصحيحة للعمري (1/145).

² (?) انظر: الوحي وتبليغ الرسالة، د. يحيى اليحيى ص 91: 93. هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

عنهم في الجوانب الأمنية، وعلى مدى توافر الحس الأمني لديهم، وتغلغله في نفوسهم، حتى أصبح سمة مميزة لكل تصرف من تصرفاتهم الخاصة والعامة، فأتت تحركاتهم منظمة ومدروسة، فما أوجنا لمثل هذا الحس الذي كان عند الصحابة، بعد أن أصبح للأمن في عصرنا أهمية بالغة في زوال واستمرار الحضارات⁽³⁾، وأصبحت له مدارس الخاصة وتقنياته المتقدمة، وأساليبه ووسائله المتطورة، وأجهزته المستقلة، وميزانياته ذات الأرقام الكبيرة، وأضحت المعلومات عامة والمعلومات الأمنية خاصة، تباع بأعلى الأثمان، ويضحي في سبيل الحصول عليها بالنفس إذا لزم الأمر.

وما دام الأمر كذلك فعلى المسلمين الإهتمام بالناحية الأمنية، حتى لا تصبح قضايانا مستباحة للأعداء، وأسرارنا في متناول أيديهم⁽¹⁾.
* صدق أبي ذر في البحث عن الحق، ورجاحة عقله وقوة فهمه، فقد أسلم بعد عرض الإسلام عليه.

* حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم وإهتمامه بأمن أصحابه وسلامتهم: حيث أمر أبا ذر بالرجوع إلى أهله وكتمان أمره حتى يظهره الله.

* شجاعة أبي ذر وقوته في الحق: فقد جهر بإسلامه في نوادي قريش، ومجتمعاتهم تحدياً لهم وإظهاراً للحق⁽²⁾، وكأنه فهم أن أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالكتمان ليس على الإيجاب بل على سبيل الشفقة عليه، فأعلمه بأنه به قوة على ذلك؛ ولهذا أقره النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك، وبؤخذ منه جواز قول الحق عند من يخشى منه الأذية لمن قاله، وإن كان السكوت جائزاً، والتحقيق أن ذلك مختلف باختلاف الأحوال والمقاصد، وبحسب ذلك يترتب وجود الأجر وعدمه⁽³⁾.

* كان موقف أبي ذر مفيداً للدعوة، وساهم في مقاومة الحرب النفسية التي يشتتها قريش ضد الرسول صلى الله عليه وسلم، وكانت ضربة معنوية أصابت كفار مكة في الصميم، بسبب شجاعة ورجولة أبي ذر وقدرته على التحمل، فقد سالت الدماء من جسده ثم عاد مرة أخرى للصدع بالشهادة.

* مدافعة العباس عن المسلمين، وسعيه لتخليص أبي ذر من أذى قريش، دليل على تعاطفه مع المسلمين، وكان أسلوبه في رد الاعتداء يدل على خبرته بنفوس كفار مكة، حيث حذرهم من الأخطار التي ستواجهها تجارتهم عندما تمر بديار غفار⁽⁴⁾.

³ (?) انظر: في السيرة النبوية قراءة لجوانب الحذر والحماية، د. إبراهيم علي، ص 58، 59.
¹ (?) انظر: دروس في الكتمان، محمود خطاب، ص 9. (3) انظر: الوحي وتبليغ الرسالة ص 95.
³ (?) انظر: فتح الباري (7/134). (5) انظر: الوحي وتبليغ الرسالة، ص 94، 95.

* امثل أبو ذر للترتيبات الأمنية التي اتخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة، فمع تعلق أبي ذر بالرسول صلى الله عليه وسلم وحب له وحرصه على لقائه، إلا أنه امثل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في مغادرة مكة إلى قومه، واهتم بصلاح وهداية الأهل، ودعوتهم للإسلام، فبدأ بأخيه، وأمه وقومه.

* أثر أبي ذر الدعوي على قومه وقدرته على هدايتهم وإقناعهم بالإسلام، ومع ذلك فلا يصلح للإمارة، روى مسلم في صحيحه عن أبي ذر: قلت: يا رسول الله ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي ثم قال: «يا أبا ذر إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها»⁽¹⁾. فلكل شخص مجاله الذي سخره الله فيه، وميدانه الذي يقوم بواجبه فيه، فلا يعني أنه نجح في الدعوة، وإقناع الناس أنه يصلح لكل شيء.

* تفويض أبي ذر الإمامة إلى سيد غفار (أيما بن رَحْصَة) ومع تقدم أبي ذر عليه في الإسلام وعلو منزلته، يدل على مهارة إدارية، وهي عدم جمع كل الأعمال في يده، وتقدير الناس وإنزالهم منازلهم⁽²⁾.

* نجاح أبي ذر الباهر في الدعوة: حيث أسلمت نصف غفار، وأسلم نصفها الثاني بعد الهجرة⁽³⁾.

لقد فشلت محاولات التشويه والحرب الإعلامية، والحجر الفكري الذي كان الكفار يمارسونه على الدعوة الإسلامية في بداية عهدها؛ لأن صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أقوى من أصواتهم، ووسائله في التبليغ كانت أبلغ من وسائلهم، وثباته على مبدئه السامي، كان أعلى بكثير مما كان يتوقعه أعداؤه، فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يجلس في بيته، ولم ينزو في زاوية من زوايا المسجد الحرام، ليستخفي بدعوته، وليقي نفسه من سهام أعدائه المسمومة، بل إنه غامر بنفسه، فكان يخرج في مضارب العرب، قبل أن يفدوا مكة، وكان يجهر بتلاوة القرآن في المسجد الحرام، ليسمع من كان في قلبه بقية من حياة، وأثارة من حرية وإباء، فيتسرب نور الهدى إلى مجامع لبه، وسويداء قلبه⁽⁴⁾، وكان من هؤلاء ضماد الأزدي، وعمرو بن عبسة، وأبي ذر الغفاري، والطفيل بن عمرو الدوسي، وحصين والد عمران بن الحصين رضي الله عنهم، وهذا دليل قاطع، وبرهان ساطع، على فشل حملات التشويه التي شنتها قريش ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعلياً أن نعتبر ونستفيد من الدروس والعبر.

ثالثاً: ما تعرض له رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى

(?) مسلم، كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة (3/1457) رقم 1825.

(?) انظر: الوحي وتبليغ الرسالة، ص 100.

(?) انظر: السيرة النبوية الصحيحة للعمري (1/45).

(?) التاريخ الإسلامي للحميدي (1/144).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

والتعذيب:

لم يفتر المشركون عن أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم، منذ أن صدع بدعوته إلى أن خرج من بين أظهرهم، وأظهره الله عليهم، ويدل على مبلغ هذا الأذى تلك الآيات الكثيرة التي كانت تنزل عليه في هذه الفترة تأمره بالصبر، وتدله على وسائله وتهيئه عن الحزن، وتضرب له أمثلة من واقع إخوانه المرسلين، مثل قوله تعالى: (**وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا**) [المزمل: 10]. وقوله: (**فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا**) [الإنسان: 24]. وقوله: (**وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ**) [النمل: 70]. وقوله: (**مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَدُوٌّ مَّغْفِرَةٌ وَدُوٌّ عِقَابٍ أَلِيمٍ**) [فصلت: 43].

وهذه أمثلة تدل على ما تعرض له صلى الله عليه وسلم من الإيذاء:

1- قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه⁽¹⁾ بين أظهركم؟ قال: فقل: نعم، فقال: والآت والعزى، لئن رأيته بفعل ذلك لأطان على رقبته، أو لأعفرن وجهه في التراب، قال: فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي، زعم ليطا على رقبته، قال: فما فجئهم⁽²⁾ منه إلا وهو ينكص على عقبيه⁽³⁾ ويتقي يديه، قال: فقل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخنقًا من نار وهو لا وأجنحة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا»⁽⁴⁾.

وفي حديث ابن عباس قال: كان النبي يصلي فجاء أبو جهل: فقال: (ألم أنهك عن هذا؟ ألم أنهك عن هذا؟ ألم أنهك عن هذا؟) فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم فزيره⁽⁵⁾ فقال: أبو جهل: إنك لتعلم ما بها نادٍ أكثر مني، فأنزل الله تعالى (**فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۖ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ**) [العلق: 17، 18] قال ابن عباس: لو دعا نادية لأخذته زبانية الله⁽⁶⁾.

2- وعن ابن مسعود: «بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي عند الكعبة، وجمع من قريش في مجالسهم إذ قال قائل منهم: ألا تنظرون إلى هذا المرائي؟ أيكم يقوم إلى جزور آل فلان، فيعمد إلى فرثها ودمها وسبلاها، فيجيء به ثم يمهله حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه؟ فانبعث أشقاها، فلما سجد رسول الله صلى

1 (?) يعفر وجهه: أي يسجد ويلصق وجهه بالعفر وهو التراب.

2 (?) فجئهم: بغتهم.

3 (?) عقبيه: رجع يمشي إلى الوراء.

4 (?) مسلم، كتاب صفات المنافقين، باب قوله (**إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَإِطْعَىٰ**) رقم 2797.

5 (?) زيره: نهره.

6 (?) غريب.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

الله عليه وسلم وضعه بين كتفيه، وثبت النبي صلى الله عليه وسلم ساجدًا، فضحكوا حتى مال بعضهم إلى بعض من الضحك، فانطلق منطلق إلى فاطمة عليها السلام -وهي جويرة- فأقبلت تسعى، وثبت النبي صلى الله عليه وسلم حتى ألقته عنه، وأقبلت عليهم تسبهم، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة قال: «اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش» ثم سمى: «اللهم عليك بعمر بن هشام، وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط، وعمارة بن الوليد» قال ابن مسعود: فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب⁽¹⁾ -قليب بدر-، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وأتبع أصحاب القليب لعنة»⁽²⁾.

وقد بينت الروايات الصحيحة الأخرى أن الذي رمى الفرث عليه هو عقبة بن أبي معيط، وأن الذي حرصه هو أبو جهل⁽³⁾، وأن المشركين تأثروا لدعوة الرسول، وشق عليهم الأمر؛ لأنهم يرون أن الدعوة بمكة مستجابة⁽⁴⁾.

3- اجتماع الملاء من قريش وضربهم الرسول صلى الله عليه وسلم: اجتمع أشرف قريش يومًا في الحجر، فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط، سفه أحلامنا وسب الهتنا، لقد صبرنا منه على أمر عظيم، فبينما هم في ذلك طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا وثبة رجل واحد، وأحاطوا به يقولون: أنت الذي تقول كذا وكذا - لما كان يقول من عيب الهتهم ودينهم - فيقول: «نعم، أنا الذي أقول ذلك»، ثم أخذ رجل منهم بمجمع رداءه، فقام أبو بكر -دونه وهو يبكي ويقول: اتقتلون رجلاً أن يقول: ربي الله⁽⁵⁾.

4- كان أبو لهب عم النبي صلى الله عليه وسلم من أشد الناس عداوة له، وكذلك كانت امرأته أم جميل من أشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم، وكانت تسعى بالإفساد بينه وبين الناس بالنميمة، وتضع الشوك في طريقه، والقدر على بابه فلا عجب أن نزل فيهما قول الله تعالى: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۖ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۖ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۖ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۖ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ) [المسد] فحين سمعت ما نزل فيها وفي زوجها من القرآن أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس عند الكعبة، ومعه أبو بكر الصديق، وفي يدها فهر من حجارة، فلما وقفت عليهما قالت: يا أبا بكر، أين صاحبك؟ فقد بلغني أنه يهجوني، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه. ثم

1 (?) القليب: البئر المفتوحة.
2 (?) البخاري (فتح الباري 1/594) مسلم (3/1420).
3 (?) صحيح مسلم (3/1420).
4 (?) انظر: السيرة النبوية الصحيحة للعمرى (1/149).
5 (?) انظر: صحيح السيرة النبوية، إبراهيم العلي من طرق أخرى، ص 96.
هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

انصرف، فقال أبو بكر: يا رسول الله أما تراها رأيتك؟ فقال: «لقد أخذ الله ببصرها عني»، وكانت تنشد:

مذمم أينا.. ودينه قلينا.. وأمره عصينا..

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفرح؛ لأن المشركين يسبون مذممًا يقول: «ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم، يشتمون مذممًا ويلعنون مذممًا وأنا محمد»⁽¹⁾.

وقد بلغ من أمر أبي لهب أنه كان يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأسواق والمجامع، ومواسم الحج ويكذبه⁽²⁾.

هذا بعض ما لاقاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من أذية المشركين، وقد ختم المشركون أذاهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمحاولة قتله في أواخر المرحلة المكية⁽³⁾. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر ما لاقاه من أذى قريش قبل أن ينال الأذى أحدًا من أتباعه يقول: «لقد أخفت في الله عز وجل وما يخاف أحد، ولقد أوذيت في الله وما يؤذي أحد، ولقد أتت علي ثلاثون من بين يوم وليلة وما لي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه إبط بلال»⁽⁴⁾.

ومع ما له صلى الله عليه وسلم من عظيم القدر ومنتهى الشرف، إلا أنه قد حظي من البلاء بالجمل الثقيل، والعناء الطويل، منذ أول يوم صدع فيه بالدعوة، ولقد لقي النبي صلى الله عليه وسلم من سفهاء قريش أذى كثيرًا، فكان إذا مر على مجالسهم بمكة استهزءوا به، وقالوا ساخرين: هذا ابن أبي كبشة⁽⁵⁾ يكلم من السماء، وكان أجدهم يمر على الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول له ساخرًا: أما كلمت اليوم من السماء؟⁽⁶⁾.

ولم يقتصر الأمر على مجرد السخرية والاستهزاء والإيذاء النفسي، بل تعداه إلى الإيذاء البدني، بل قد وصل الأمر إلى أن يبصق عدو الله أمية بن خلف في وجه النبي صلى الله عليه وسلم⁽⁷⁾، وحتى بعد هجرته عليه السلام إلى المدينة لم تتوقف حدة الابتلاء والأذى، بل أخذت خطأ جديدًا بظهور أعداء جدد، فبعد أن كانت العداوة تكاد تكون مقصورة على قريش بمكة، صار له صلى الله عليه وسلم أعداء من المنافقين المجاورين بالمدينة، ومن اليهود والفرس والروم، وأحلافهم، وبعد أن كان الأذى بمكة شتمًا وسخرية، وحصارًا، وضربًا، صار مواجهة عسكرية مسلحة، حامية الوطيس، فيها كفر وفساد وطعن، فكان ذلك بلاء في الأموال والأنفس على السواء⁽⁸⁾، وهكذا

¹ (?) صحيح البخاري (فتح الباري 6/554، 555).

² (1) انظر: السيرة النبوية لأبي شعبة (1/293).

³ (?) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (1/153).

⁴ (?) سنن الترمذي (4/645) صححه الألباني صحيح الجامع (5001).

⁵ (?) والد الرسول صلى الله عليه وسلم من الرضاعة. (5) الروض الأنف (2/33) وما بعدها.

⁷ (?) المصدر السابق نفسه (2/48) (7) زاد البقين لأبي شنبه ص 137.

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

كانت فترة رسالته **صلى الله عليه وسلم** وحياته سلسلة متصلة من المحن والابتلاء، فما وهن لما أصابه في سبيل الله، بل صبر واحتسب حتى لقي ربه ⁽⁹⁾.

لقد واجه الرسول **صلى الله عليه وسلم** من الفتن والأذى والمحن ما لا يخطر على بال، في مواقف متعددة، وكان ذلك على قدر الرسالة التي حملها، ولذلك استحق المقام المحمود، والمنزلة الرفيعة عند ربه، وقد صبر على ما أصابه، إشفاقاً على قومه أن يصيبهم مثل ما أصاب الأمم الماضية من العذاب، وليكون قدوة للدعاة والمصلحين ⁽¹⁾، فإذا كان الاعتداء الأثيم، قد نال رسول الله **صلى الله عليه وسلم** فلم يعد هناك أحد، لكرامته، هو أكبر من الابتلاء والمحنة، وتلك سنة الله في الدعوات. فعن أبي سعيد الخدري \square قلت: يا رسول الله أي الناس أشد بلاءً؟ قال: «الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلًا اشتد بلاءه، وإن كان في دينه رقة ابتلي حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة» ⁽²⁾.

رابعًا: ما تعرض له أصحاب رسول الله **صلى الله عليه وسلم** من الأذى والتعذيب:

1- ما لاقاه أبو بكر الصديق \square :

تحمل الصحابة رضوان الله عليهم من البلاء العظيم ما تنوء به الرواسي الشامخات وبذلوا أموالهم ودماءهم في سبيل الله، وبلغ بهم الجهد ما شاء الله أن يبلغ، ولم يسلم أشرف المسلمين من هذا الابتلاء، فلقد أودى أبو بكر \square ، وُحُثي على رأسه التراب، وضرب في المسجد الحرام بالنعال، حتى ما يعرف وجهه من أنفه، وحُمِلَ إلى بيته في ثوبه، وهو ما بين الحياة والموت ⁽³⁾. فقد روت عائشة رضي الله تعالى عنها، أنه لما اجتمع أصحاب النبي **صلى الله عليه وسلم** وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً أُلح أبو بكر \square على رسول الله **صلى الله عليه وسلم** في الظهور، فقال: «يا أبا بكر إنا قليل» فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول الله **صلى الله عليه وسلم**، وتفرق المسلمون في نواحي المسجد كل رجل في عشيرته، وقام أبو بكر في الناس خطيباً ورسول الله **صلى الله عليه وسلم** جالس، فكان أول خطيب دعا إلى الله تعالى وإلى رسوله **صلى الله عليه وسلم**، وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين، فضربوهم في نواحي المسجد ضرباً شديداً، ووطئ أبو بكر وضرب ضرباً شديداً، ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ويحرفهما لوجهه، ونزا على بطن أبي بكر \square ، حتى ما يعرف وجهه من أنفه، وجاءت بنو تميم

9 (?) انظر: التمكن للأمة الإسلامية ص 243.

1 (?) انظر: محنة المسلمين في العهد المكي، د. سليمان السويكت، ص 197.

2 (?) ابن ماجه باب الصبر على البلاء رقم الحديث 4023.

3 (?) التمكن للأمة الإسلامية، ص 243.

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

يتعادون، فأجلت المشركين عن أبي بكر، وحملت بنو تيم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله، ولا يشكون في موته، ثم رجعت بنو تيم فدخلوا المسجد وقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة، فرجعوا إلى أبي بكر فجعل أبو قحافة (والده) وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتى أجاب، فتكلم آخر النهار، فقال: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فمساوا منه بالسنتهم وعدلوه، وقالوا لأمه أم الخير: انظري أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إياه، فلما خلت به ألحت عليه، وجعل يقول: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالت: والله ما لي علم بصاحبك، فقال: اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه، فخرجت حتى جاءت أم جميل، فقالت: إن أبا بكر يسالك عن محمد بن عبد الله. فقالت: ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله، وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلي ابنك، قالت: نعم، فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعاً دقاً، فدنّت أم جميل وأعلنت بالصياح، وقالت: والله إن قومًا نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر، إنني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم، قال: فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: هذه أملك تسمع، قال: فلا شيء عليك منها، قالت: يسالم صالح. قل: أين هو؟ قالت: في دار الأرقم، قال: فإن لله علي أن لا أذوق طعمًا ولا أشرب شرباً أو آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمهلت حتى إذا هدت الرجل وسكن الناس، خرجت به يتكئ عليهما، حتى أدخلناه على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: فأكب عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله، وأكب عليه المسلمون، ورفق له رسول الله صلى الله عليه وسلم رقة شديدة، فقال أبو بكر: بابي وأمي يا رسول الله، ليس بي بأس إلا ما نال الفاسق من وجهي، وهذه أُمِّي برة بولدها، وأنت مبارك فادعها إلى الله، وادع الله لها، عسى الله أن يستنقذها بك من النار، قال: فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودعاها إلى الله فأسلمت⁽¹⁾.

دروس وعبر وفوائد:

أ- حرص أبي بكر ﷺ على إعلان الإسلام، وإظهاره أمام الكفار، وهذا يدل على قوة إيمانه وشجاعته، وقد تحمل الأذى العظيم حتى إن قومه كانوا لا يشكون في موته.

ب- مدى الحب الذي كان يكنه أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث إنه - وهو في تلك الحال الحرجة - يسأل عنه ويلج إلحاحاً عجيباً في السؤال، ثم يحلف ألا يأكل ولا يشرب حتى يراه، كيف يتم ذلك وهو لا يستطيع النهوض بل المشي؟ ولكنه الحب في الله، والعزائم التي تقهر الصعاب، وكل مصاب في سبيل الله ومن أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم هين ويسير.

ج- إن العصية القبلية كان لها في ذلك الحين دور في توجيه الأحداث والتعامل مع الأفراد حتى مع اختلاف العقيدة، فهذه قبيلة أبي

¹ (?) السيرة النبوية لابن كثير (4/39: 441) البداية والنهاية (3/30).
هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

بكر تهدد بقتل عتبة إن مات أبو بكر⁽¹⁾.

د- الحس الأمني لأم جميل -رضي الله عنها- فقد برز في عدة تصرفات لعل من أهمها:

* إخفاء الشخصية والمعلومة عن طريق الإنكار:

عندما سألت أم الخير أم جميل، عن مكان الرسول صلى الله عليه وسلم أنكرت أنها تعرف أبا بكر ومحمد بن عبد الله، فهذا تصرف حذر سليم، إذ لم تكن أم الخير ساءتذ مسلمة، وأم جميل كانت تخفي إسلامها، ولا تود أن تعلم به أم الخير، وفي ذات الوقت أخفت عنها مكان الرسول صلى الله عليه وسلم مخافة أن تكون عينا لقريش⁽²⁾.

* استغلال الموقف لإيصال المعلومة:

فأم جميل أرادت أن تقوم بإيصال المعلومة بنفسها لأبي بكر، وفي ذات الوقت لم تظهر ذلك لأم الخير إمعاناً في السرية والكتمان، فاستغلت الموقف لصالحها قائلة: «إن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك فعلت»، وقد عرضت عليها هذا الطلب بطريقة تنم عن الذكاء وحسن التصرف، فقولها: «إن كنت تحبين» وهي أمه وقولها: «إلى ابنك» ولم تقل لها: إلى أبي بكر، كل ذلك يحرك في أم الخير عاطفة الأمومة، فغالباً ما ترضخ لهذا الطلب، وهذا ما تم بالفعل، حيث أجابها بقولها: «نعم» وبالتالي نجحت أم جميل في إيصال المعلومة بنفسها.

* استغلال الموقف في كسب عطف أم أبي بكر:

يبدو أن أم جميل حاولت أن تكسب عطف أم الخير، فاستغلت وضع أبي بكر الذي يظهر فيه صريحاً دنيئاً، فأعلنت بالصياح، وسببت من قام بهذا الفعل بقولها: «إن قوماً نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر» فلا شك أن هذا الموقف من أم جميل يشفي بعض غليل أم الخير، من الذين فعلوا ذلك بابنها، فقد تكن شيئاً من الحب لأم جميل، وبهذا تكون أم جميل كسبت عطف أم الخير وثقتها، الأمر الذي يسهل مهمة أم جميل في إيصال المعلومة إلى أبي بكر⁽³⁾.

* الاحتياط والتأني قبل النطق بالمعلومة:

لقد كانت أم جميل في غاية الحيلة والحذر، من أن تتسرب هذه المعلومة الخطيرة عن مكان قائد الدعوة، فهي لم تطمئن بعد إلى أم الخير؛ لأنها ما زالت مشرقة آنذاك، وبالتالي لم تأمن جانبها، لذا ترددت عندما سألتها أبو بكر، عن حال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له: «هذه أمك تسمع؟» فقال لها: لا شيء عليك منها، فأخبرته ساعتها بأن الرسول صلى الله عليه وسلم سالم صالح⁽⁴⁾، وزيادة في الحيلة والحذر والتكتم لم تخبره بمكانه، إلا بعد أن سألتها

¹ (?) انظر: محنة المسلمين في العهد المكي، ص 79.

² (?) انظر: السيرة النبوية قراءة لجوانب الحذر والحماية، ص 50.

⁴ (?) المصدر السابق، ص 51.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

عنه قائلا: أين هو؟ فأجابته في دار الأرقم.

* تخير الوقت المناسب لتنفيذ المهمة:

حين طلب أبو بكر ⁂ الذهاب إلى دار الأرقم، لم تستجب له أم جميل على الفور، بل تأخرت عن الاستجابة، حتى إذا هدأت الرجل وسكن الناس، خرجت به ومعها أمه يتكئ عليهما، فهذا هو أنسب وقت للتحرك وتنفيذ هذه المهمة حيث تنعدم الرقابة من قبل أعداء الدعوة، مما يقلل من فرص كشفها، وقد نفذت المهمة بالفعل دون أن يشعر بها الأعداء، حتى دخلت أم جميل وأم الخير بصحبة أبي بكر إلى دار الأرقم، وهذا يؤكد أن الوقت المختار كان أنسب الأوقات⁽¹⁾.

د- قانون المنحة بعد المحنة، حيث أسلمت أم الخير أم أبي بكر، بسبب رغبة الصديق في إدخال أمه إلى حظيرة الإسلام، وطلبه من الرسول صلى الله عليه وسلم الدعاء لها، لما رأى من برها به، وقد كان حريصاً على هداية الناس الآخرين فكيف بأقرب الناس إليه⁽²⁾.

هـ- إن من أكثر الصحابة الذين تعرضوا لمحنة الأذى والفتنة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبا بكر الصديق ⁂ نظراً لصحيته الخاصة له، والتصاقه به في المواطن التي كان يتعرض فيها للأذى من قومه، فينبري الصديق مدافعاً عنه وقادياً إياه بنفسه، فيصبيه من أذى القوم وسفهمهم، هذا مع أن الصديق يعتبر من كبار رجال قريش المعروفين بالعقل والإحسان⁽³⁾.

2- بلال رضي الله عنه:

تضاعف أذى المشركين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأصحابه، حتى وصل إلى ذروة العنف، وخاصة في معاملة المستضعفين من المسلمين، فنكلت بهم لتفتنهم عن عقيدتهم وإسلامهم، ولتجعلهم عبرة لغيرهم، ولتنفيس عن حقدّها، وغضبها، بما تصبه عليهم من العذاب.

قال عبد الله بن مسعود ⁂: «أول من أظهر الإسلام سبعة، رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر، وعمار، وأمّه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد، فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فممنعه الله بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر فممنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فلبسوههم أدرع الحديد، وصهروهم في الشمس، فما منهم إنسان إلا وقد أتاهاهم على ما أرادوا إلا بلال، فإنه هانت عليه نفسه في الله وهان على قومه، فأعطوه الولدان، وأخذوا يطوفون به شعاب مكة، وهو يقول: أحد أحد»⁽⁴⁾.

لم يكن لبلال ⁂ ظهر يسنده، ولا عشيرة تحميه، ولا سيوف تذود

¹ (؟) نفس المصدر، ص 50: 52، وقد استفدت من هذا الكتاب في هذه الدروس الأمنية.

² (؟) أنظر: محنة المسلمين في العهد المكي، ص 79. (3) نفس المصدر، ص 75.

⁴ (؟) مسند أحمد (1/404) بإسناد حسن.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

عنه، ومثل هذا الإنسان في المجتمع الجاهلي المكي، يعادل رقمًا من الأرقام، فليس له دور في الحياة إلا أن يخدم ويطيع، ويباع ويشترى كالسائبة، أما أن يكون له رأي، أو يكون صاحب فكر، أو صاحب دعوة، أو صاحب قضية، فهذه جريمة شنعاء في المجتمع الجاهلي المكي تهز أركانه وتزلزل أقدامه، ولكن الدعوة الجديدة التي سارع لها الفتيان، وهم يتحدثون تقاليد وأعراف آبائهم الكبار لامست قلب هذا العبد المرمي المنسي، فأخرجته إنسيًا جديدًا على الوجود⁽¹⁾، فقد تفجرت معاني الإيمان في أعماقه بعد أن آمن بهذا الدين، وانضم إلى محمد صلى الله عليه وسلم وإخوانه في موكب الإيمان العظيم، وها هو الآن يتعرض للتعذيب من أجل عقيدته ودينه، فقصد وزير رسول الله صلى الله عليه وسلم الصديق، موقع التعذيب وفاوض أمية بن خلف وقال له: «ألا تتقي الله في هذا المسكين؟ حتى متى! قال: أنت الذي أفسدته فأنقذه مما ترى، فقال أبو بكر: أفعل، عندي غلام أسود أجلد منه وأقوى على دينك أعطيك به، قال: قد قبلت، فقال: هو لك فأعطاه أبو بكر الصديق غلامه ذلك وأخذه فأعتقه»⁽²⁾، وفي رواية: اشتراه بسبع أواق، أو باريعين أوقية ذهبًا⁽³⁾، ما أصبر بلالًا وما أصلبه، فقد كان صادق الإسلام، طاهر القلب، ولذلك صلب، ولم تكن قناته أمام التحديات وأمام صنوف العذاب، وكان صبره وثباته مما يغيظهم ويزيد حنقهم، خاصة أنه كان الرجل الوحيد من ضعفاء المسلمين الذي ثبت على الإسلام فلم يوات الكفار فيما يريدون، مرددًا كلمة التوحيد بتحد صارخ، وهانت عليه نفسه في الله وهان على قومه⁽⁴⁾.

وبعد كل محنة منحة فقد تخلص بلال من العذاب والنكال، وتخلص من أسر العبودية، وعاش مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بقية حياته ملازمًا له، ومات راضيًا عنه مبشرًا إياه بالجنة، فقد قال صلى الله عليه وسلم لبلال: «... فإني سمعت خشف نعليك بين يدي في الجنة»⁽⁵⁾.

وأما مقامه عند الصحابة فقد كان عمر يقول: «أبو بكر سيدنا، وأعنت سيدنا» يعني بلالًا⁽⁶⁾.

وأصبح منهج الصديق في فك رقاب المستضعفين، ضمن الخطة التي تبنتها القيادة الإسلامية لمقاومة التعذيب الذي نزل بالمستضعفين، فمضى يضع ماله في تحرير رقاب المؤمنين المنضمين إلى هذا الدين الجديد من الرق: (.. ثم أعنت معه على الإسلام قبل أن يهاجر إلى المدينة ست رقاب، بلال سابعهم:

(1) انظر: التربية القيادية (1/136).
(2) السيرة النبوية لابن هشام (1/394).
(3) انظر: التربية القيادية (1/140).

(4) انظر: محنة المسلمين في العهد المكي ص 92.
(5) صحيح مسلم (2/1910) رقم الحديث 2458.
(6) الطبقات الكبرى لابن سعد (3/232) ورجاله ثقات. (7) السيرة النبوية لابن هشام (1/393).

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

عامر بن فهيرة شهد بدرًا وأحدًا، وقتل يوم بئر معونة شهيدًا، وأم عيسى، وزئيرة وأصيب بصرها حين أعتقها، فقالت قريش: ما أذهب بصرها إلا الآلات والعزى، فقالت: «كذبوا وبیت الله ما تضر الآلات والعزى وما تنفعان، فرد الله بصرها»⁽¹⁾ وأعتق النهدي وبناتها وكانت لامرأة من بني عبد الدار فمّر بهما، وقد بعثتهما سيدتهما بطحين لها وهي تقول: والله لا أعتقكما أبدًا: فقال أبو بكر: حلّ⁽²⁾ يا أم فلان، فقالت: حل أنت، أفسدتهم فأعتقهم، قال: فبكم هما؟ قالت: يكذا وكذا، قال: قد أخذتهما وهما حرتان، أرجعا إليها طحينها، قالتا: أو نفرغ منه يا أبا بكر ثم نرده إليها؟ قال: وذلك إن شئتما»⁽³⁾.

وهنا وقفة تأمل ترينا كيف سوّى الإسلام بين الصديق والجاريّتين حتى خاطبته، خطاب الند للند، لا خطاب المسود للسيد، وتقبل الصديق على شرفه وجلالته في الجاهلية والإسلام منهما ذلك، مع أنه له يدًا عليهما بالعتق، وكيف صقل الإسلام الجاريّتين حتى تخلّقتا بهذا الخلق الكريم، وكان يمكنهما وقد أعتقتا وتحررتا من الظلم، أن تدعا لها طحينها يذهب أدراج الرياح، أو يأكله الحيوان والطير، ولكنهما أبتا، تفضلاً، إلا أن تفرغا منه وترداه إليها⁽⁴⁾.

ومر الصديق بجارية بني مؤمل، حي من بني عدي بن كعب، وكانت مسلمة، وعمر بن الخطاب يعذّبها لتترك الإسلام، وهو يومئذ مشرك وهو يضربها، حتى إذا ملّ قال: إني أعتذر إليك، إني لم أتركك إلا عن ملالة فتقول: كذلك فعل الله بك، فابتاعها أبو بكر فأعتقها⁽⁵⁾.

هكذا كان واهب الجريات، ومحرر العبيد، شيخ الإسلام الوقور، الذي عرف بين قومه بأنه يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكل، ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق، لم يغمس في إثم في جاهليته، أليف مألوف، يسيل قلبه رقة ورحمة على الضعفاء، والأرقاء، أنفق جزءًا كبيرًا من ماله في شراء العبيد وأعتقهم لله، وفي الله، قبل أن تنزل التشريعات الإسلامية المحبة في العتق، والواعدة عليه أجزل الثواب⁽⁶⁾.

كان المجتمع المكي يتندر بأبي بكر الذي يبذل هذا المال كله لهؤلاء المستضعفين، أما في نظر الصديق، فهؤلاء إخوانه في الدين الجديد، فكل واحد من هؤلاء لا يساوي عنده مشركي الأرض وطغاتها، وبهذه العناصر وغيرها تبنى دولة التوحيد، وتصنع حضارة الإسلام

(1) حل: تحلّي من يمينك. (2) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (1/393).

(3) انظر: السيرة النبوية لأبي شعبة (1/346). (4) السيرة النبوية لابن هشام (1/393).

(5) انظر: السيرة النبوية لأبي شعبة (1/345). (6) انظر: التربية القيادية (1/342).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

الرائدة والرائعة⁽¹⁾، ولم يكن الصديق يقصد بعمله هذا محمداً، ولا جاهاً، ولا دنيا، وإنما كان يريد وجه الله ذا الجلال والإكرام، لقد قال له أبوه ذات يوم: «يا بني إني أراك تعتق رقاً ضعافاً، فلو أنك إذ فعلت اعتقت رجلاً جليلاً يمنعوك، ويقومون دونك؟ فقال أبو بكر: يا أبت إني إنما أريد ما أريد لله عز وجل فلا عجب إذا كان الله سبحانه أنزل في شأن الصديق قرآناً يتلى إلى يوم الدين، قال تعالى: (فَأَمَّا مَنِ اعْتَغَىٰ وَآتَقَىٰ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ وَأَمَّا مَنِ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ وَأَمَّا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ فَأَنْذَرْنَكُمْ نَارًا تَلْطَىٰ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْرَىٰ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ) (2) [الليل: 5-21].

كان هذا التكافل بين أفراد الجماعة الإسلامية الأولى، قمة من قمم الخير والعطاء، وأصبح هؤلاء العبيد بالإسلام أصحاب عقيدة وفكرة، يناقشون بها وينافحون عنها، ويجاهدون في سبيلها، وكان إقدام أبي بكر على شرائهم ثم إعتاقهم دليلاً على عظمة هذا الدين، ومدى تغلغله في نفسية الصديق، وما أحوج المسلمين اليوم أن يحيوا هذا المثل الرفيع، والمشاعر السامية ليتم التلاحم والتعايش، والتعاقد بين أبناء الأمة التي يتعرض أبناؤها للإبادة الشاملة من قبل أعداء العقيدة والدين.

3- عمار بن ياسر وأبوه وأمه رضي الله عنهم:

كان والد عمار بن ياسر من بني عنس من قبائل اليمن، قدم مكة وأخواه الحارث ومالك يطلبون أحاً لهم، فرجع الحارث ومالك إلى اليمن، وأقام ياسر بمكة، وحالف أبا حذيفة بن المغيرة المخزومي،⁽³⁾ فزوجه أبو حذيفة أمة له يقال لها: سمية بنت خياط، فولدت له عماراً، فاعتقه أبو حذيفة الذي لم يلبث أن مات، وجاء الإسلام فأسلم ياسر وسمية وعمار، وأخوه عبد الله بن ياسر، فغضب عليهم مواليهم بنو مخزوم غضباً شديداً صبوا عليهم العذاب صبا، كانوا يخرجونهم إذا حميت الظهرية فيعذبونهم برمضاء مكة⁽⁴⁾ ويقلبونهم ظهراً لبطن،⁽⁵⁾ فيمر عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم وهم يعذبون فيقول: «صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة»⁽⁶⁾ وجاء أبو جهل إلى سمية فقال لها: ما أمنت بمحمد إلا لأنك عشقته لجماله، فأغلظت له القول،

² (?) سيرة ابن هشام (1/319)، تفسير الألوسي (30/152).

³ (?) انظر: أنساب الأشراف للبلاذري (1/100، 157). (3) السيرة النبوية لابن هشام (2/68).

⁵ (?) بهجة المحافل للعامري (1/92). (5) صحيح السيرة النبوية، إبراهيم العلي، ص 97، 98.

⁶

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

فطعنها بالحربة في ملمس العفة فقتلها، فهي أول شهيدة في الإسلام رضي الله عنها،⁽¹⁾ وبذلك سطرت بهذا الموقف الشجاع أعلى وأعلى ما تقدمه امرأة في سبيل الله، لتبقى كل امرأة مسلمة، حتى يرث الله الأرض ومن عليها ترنو إليها ويهفو قلبها في الاقتداء بها، فلا تبخل بشيء في سبيل الله، بعد أن جادت سمية بنت خياط بدمها في سبيل الله⁽²⁾.

وقد جاء في حديث عثمان ؓ قال: «أقبلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذاً بيدي نتمشي بالبطحاء، حتى أتى على آل عمار بن ياسر، فقال أبو عمار: يا رسول الله الدهر هكذا؟ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «اصبر»، ثم قال: «اللهم اغفر لآل ياسر، وقد فعلت»⁽³⁾ ثم لم يلبث ياسر أن مات تحت العذاب.

لم يكن في وسع النبي صلى الله عليه وسلم أن يقدم شيئاً لآل ياسر، رموز الفداء والتضحية، فليسوا بأرقاء حتى يشتريهم ويعتقهم، وليست لديه القوة ليستخلصهم من الأذى والعذاب، فكل ما يستطيعه صلى الله عليه وسلم أن يزف لهم البشري بالمغفرة والجنة، ويحثهم على الصبر، لتصبح هذه الأسرة المباركة قدوة للأجيال المتلاحقة، ويشهد الموكب المستمر على مدار التاريخ هذه الظاهرة «صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة»⁽⁴⁾.

أما عمار ؓ فقد عاش بعد أهله زمناً يكابد من صنوف العذاب ألواناً، فهو يصنف في طائفة المستضعفين الذين لا عشائر لهم بمكة تحميهم، وليست لهم منعة ولا قوة، فكانت قريش تعذبهم في الرمضاء بمكة أنصاف النهار، ليرجعوا عن دينهم، وكان عمار يعذب حتى لا يدري ما يقول⁽⁵⁾، ولما أخذه المشركون ليعذبوه لم يتركوه حتى سب النبي صلى الله عليه وسلم، وذكر الهتهم بخير، فلما أتى النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما وراءك؟» قال: شر، والله ما تركني المشركون حتى نلت منك وذكرت الهتهم بخير، قال: «كيف تجد قلبك؟» قال: مطمئناً بالإيمان، قال: «فإن عادوا فعد»⁽⁶⁾، ونزل الوحي بشهادة الله تعالى على صدق إيمان عمار، قال تعالى: (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْنَاهُمْ عَذَابٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [النحل: 106] وقد حضر المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم⁽⁷⁾.

وفي حادثتي بلال وعمار فقه عظيم يتراوح بين العزيمة والرخصة، يحتاج من الدعاة أن يستوعبوه، ويضعوه في إطاره الصحيح، وفي

1 (?) انظر: محنة المسلمين في العهد المكي، ص 99. (7) التربية القيادية (1/217).

3 (?) صحيح السيرة النبوية ص 98. (2) التربية القيادية (1/217، 218).

5 (?) انظر: محنة المسلمين في العهد المكي، ص 100.

6 (?) انظر: فقه السيرة للقرطبي، ص 103. (5) المصدر السابق، ص 103.

7

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

معاييره الدقيقة دون إفراط أو تفريط.

4- سعد بن أبي وقاص :

تعرض للفتنة من قبل والدته الكافرة، فامتنعت عن الطعام والشراب، حتى يعود إلى دينها. قال ابن كثير: «قال الطبراني في كتاب العشرة إن سعدًا قال: أنزلت في هذه الآية: (**وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا**) [العنكبوت: 8].

قال: كنت رجلاً بَرًّا بأمي فلما أسلمتُ قالت: يا سعد: ما هذا الدين الذين أراك قد أحدثت، لتدعَ دينك هذا، أو لا أكل ولا أشرب حتى أموت فتعير بي، فيقال: يا قاتل أمه، فقلت: لا تفعلني يا أمه فإنني لا أدع ديني لشيء، فمكثت يومًا وليلة لم تأكل، فأصبحت قد جهدت، فمكثت يومًا آخر وليلة أخرى لم تأكل، فأصبحت قد اشتد جهدها، فلما رأيت ذلك قلت يا أمه تعلمين والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسًا نفسًا ما تركت ديني هذا لشيء، فإن شئت فكلي وإن شئت لا تأكلي، فأكلت⁽¹⁾.

وروى مسلم: أن أم سعد حلفت ألا تكلمه أبدًا حتى يكفر بدينه، ولا تأكل ولا تشرب، قالت: زعمت أن الله وذاك بوالديك، وأنا أمك وأنا أمرك بهذا، قال: مكثت ثلاثًا حتى عشي عليها من الجهد، فقام ابن لها يقال له: عُمارة فسقاها فجعلت تدعو على سعد، فأنزل الله عز وجل في القرآن الكريم هذه الآية: (**وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي...**) وفيها (**وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا**).

قال: فكانوا إذا أرادوا أن يطعموها شجروا فاهها بعضا ثم أوجروها⁽²⁾، فمحنة سعد محنة عظيمة، وموقفه موقف فذ يدل على مدى تغلغل الإيمان في قلبه، وأنه لا يقبل فيه مساومة مهما كانت النتيجة⁽³⁾.

ومن خلال تتبع القرآن المكي نجد أنه رغم قطع الولاء سواء في الحب أو النصرة بين المسلم وأقاربه الكفار، فإن القرآن أمر بعدم قطع صلتهم وبرهم والإحسان إليهم ومع ذلك فلا ولاء بينهم؛ لأن الولاء لله ورسوله ودينه والمؤمنين⁽⁴⁾.

5- مصعب بن عمير :

كان مصعب بن عمير أنعم غلام بمكة، وأجوده حلة، وكان أبواه يحبانها، وكانت أمه مليئة كثيرة المال تكسوه أحسن ما يكون من الثياب وأرقه، وكان أعطر أهل مكة، يلبس الحضرمي من النعال⁽⁵⁾.

1 (?) تفسير ابن كثير (3/446). (2) صحيح مسلم (2/1877، 1878).

3 (?) انظر: محنة المسلمين في العهد المكي، ص 106.

4 (?) انظر: الولاء والبراء، محمد القحطاني، ص 174، 175.

5 (?) الطبقات الكبرى (3/116).

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

وبلغ من شدة كلف أمه به أنه يبست وقعب الحيس⁽¹⁾ عند رأسه فإذا استيقظ من نومه أكل⁽²⁾، ولما علم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الإسلام في دار الأرقم بن أبي الأرقم دخل عليه فأسلم وصدق به، وخرج فكنم إسلامه خوفاً من أمه وقومه، فكان يختلف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سرّاً، فبصر به عثمان بن طلحة⁽³⁾ يصلي، فأخبر أمه وقومه، فأخذوه وحبسوه، فلم يزل محبوساً حتى خرج إلى أرض الحبشة في الهجرة الأولى⁽⁴⁾.

قال سعد بن أبي وقاص: لقد رأيت جاهد في الإسلام جهداً شديداً حتى لقد رأيت جلده يتحشّف، أي يتطاير، تحشّف جلد الحية عنها، حتى إن كنا لنعرضه على قتيبا فنحمله مما به من الجهد⁽⁵⁾. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما ذكره قال: «ما رأيت بمكة أحداً أحسن لمة ولا أرق حلة ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير»⁽⁶⁾، ومع كل ما أصابه من بلاء ومحنة ووهن في الجسم والقوة، وجفاء من أقرب الناس إليه، لم يقصر عن شيء مما بلغه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخير، والفضل، والجهاد في سبيل الله تعالى، حتى أكرمه الله تعالى بالشهادة يوم أحد⁽⁷⁾.

يعتبر مصعب نموذجاً من تربية الإسلام للمتربين الشباب، للمنعمين من أبناء الطبقات الغنية المرفهة، لأبناء القصور والمال والجاه، للمعجبين بأشخاصهم، المبالغين في تأنقهم، الساعين وراء مظاهر الحياة كيف تغيرت؟ ووقف بعد إسلامه قوياً لا يضعف ولا يتكاسل ولا يتخاذل، ولا تقهره نفسه وشهواته فيسقط في جحيم الأنعيم الخادع⁽⁸⁾.

لقد ودع ماضيه بكل ما فيه من راحة ولذة وهناءة، يوم دخل هذا الدين وباع تلك البيعة، وكان لا بد له من المرور في درب المحنة لكي يصقل إيمانه ويتعمق يقينه، وكان مصعب مطمئناً راضياً رغم ما حوله من جبروت ومخاوف، ورغم ما نزل به من البؤس والفقر والعذاب، ورغم ما فقده من مظاهر النعم والراحة⁽⁹⁾، فقد تعرض لمحنة الفقر، ومحنة فقد الوجاهة والمكانة عند أهله، ومحنة الأهل والأقارب والعشيرة، ومحنة الجوع والتعذيب، ومحنة الغربة والابتعاد عن الوطن، فخرج من كل تلك المحن منتصراً بدينه وإيمانه، مطمئناً

1 (?) القعب: القدح الغليظ، والحيس: تمر وأقط وسمين تخلط وتعجن.
2 (?) الروض الأنف (2/195). (8) سير أعلام النبلاء للذهبي (3/10-12).

4 (?) انظر: محنة المسلمين في العهد المكي ص 107. (2) السير والمغازي لابن إسحاق ص 193.

6 (?) الطبقات الكبرى (3/116). (4) انظر: محنة المسلمين في العهد المكي ص 108.

8 (?) انظر: مصعب بن عمير الداعية المجاهد، محمد بريغش ص 105.
9 (?) المصدر السابق نفسه، ص 105: 107. (7) انظر: مصعب بن عمير الداعية المجاهد، ص 126.

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

أعمق الاطمئنان، ثابتاً أقوى الثبات⁽¹⁾ ولنا معه وقفات في المدينة بإذن الله تعالى.

6- خباب بن الأرت :

كان خباب قيناً⁽²⁾، وأراد الله له الهداية مبكراً، فدخل في الإسلام قبل دخول دار الأرقم بن أبي الأرقم⁽³⁾، فكان من المستضعفين الذين عذبوا بمكة لكي يردد عن دينه، وصل به العذاب بأن ألصق المشركون ظهره بالأرض على الحجارة المحماة حتى ذهب ماء مَنته⁽⁴⁾.

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يألف خباباً ويتردد عليه بعد أن أسلم، فلما علمت مولاته بذلك، وهي أم أنمار الخزاعية، أخذت حديدة قد أحمتها، فوضعتها على رأسه، فشكا خباباً ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «اللهم انصر خباباً»، فأشتكت مولاته رأسها، فكانت تعوي مع الكلاب، ف قيل لها: اكتوي، فجاءت إلى خباب ليكوبها، فكان يأخذ الحديدة قد أحماها فيكوي بها رأسها، وإن في ذلك لعبرة لمن أراد أن يعتبر، ما أقرب فرج الله ونصره من عباده المؤمنين الصابرين، فأنظر كيف جاءت إليه بنفسها تطلب منه أن يكوبها على رأسها⁽⁵⁾، ولما زاد ضغط المشركين على ضعفاء المسلمين ولقوا منهم شدة، جاء خباب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، فقال له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا، فقعد الرسول صلى الله عليه وسلم وهو محمر وجهه، قال: «كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه، فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»⁽⁶⁾.

وللشيخ سلمان العودة حفظه الله تعليق لطيف على هذا الحديث: يا سبحان الله ماذا جرى حتى أحمر وجه المصطفى صلى الله عليه وسلم، وقعد من ضجعته؟ وخاطب أصحابه بهذا الأسلوب القوي المؤثر، ثم عاتبهم على الاستعجال؟

لأنهم طلبوا الدعاء منه صلى الله عليه وسلم؟

كلا: حاشاه من ذلك، وهو الرءوف الرحيم بأمته.

إن أسلوب الطلب: ألا تدعو لنا؟ ألا تستنصر لنا؟ يوحى بما وراءه وأنه صادر من قلوب أمصها العذاب، وأنهكها الجهد، وهدتها البلوى

2 (?) قيناً: حداً.
3 (9) سير أعلام النبلاء (2/479).

4 (?) انظر: محنة المسلمين في العهد المكي، ص 95.

5 (1) انظر: محنة المسلمين في العهد المكي، ص 96.

6 (?) البخاري، مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي وأصحابه (4/238).

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

فهي تلمس الفرج العاجل، وتستبطن النصر، فتستدعيه.
 وهو **صلى الله عليه وسلم** يعلم أن الأمور مرهونة بأوقاتها،
 وأيسابها، وأن قيل النصر البلاء، فالرسول يتلى ثم تكون لها العاقبة. (**حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ وَطَلَبُوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا خَاءَهُمْ نَصْرًا فَنَجَّىٰ مَن نَّشَاءُ وَلَا يَرُدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ**)
 [يوسف: 110].

ويلبس عليه السلام من واقع أصحابه وملابسات أحوالهم، برمهم
 بالعذاب الذي يلاقون، حتى يفتنوا عن دينهم، ويستعلي عليهم الكفرة،
 ويموت منهم من يموت تحت التعذيب.

وقد لا يكون من الميسور أن يدرك المرء، بمجرد قراءة النص،
 حقيقة الحال التي كانوا عليها حين طلبوا منه عليه الصلاة والسلام
 الدعاء والاستنصار، ولا أن يعرف المشاعر والإحساسات التي كانت
 تثور في نفوسهم إلا أن يعيش حالاً قريباً من حالهم ويعاني في سبيل
 الله بعض ما عانوا.

لقد كان **صلى الله عليه وسلم** يربهم على:

أ- التأسي بالسابقين من الأنبياء والمرسلين وأتباعهم، في تحمل
 الأذى في سبيل الله ويضرب لهم الأمثلة في ذلك.

ب- التعلق بما أعده الله في الجنة للمؤمنين الصابرين من النعيم،
 وعدم الاغترار بما في أيدي الكافرين من زهرة الحياة الدنيا.

ج- التطلع للمستقبل الذي ينصر الله فيه الإسلام في هذه الحياة
 الدنيا، ويذل فيه أهل الذل والعصيان.

وثمة أمر آخر كبير ألا وهو: أنه **صلى الله عليه وسلم** مع هذه
 الأشياء كلها كان يخطط ويستفيد من الأسباب المادية المتعددة لرفع
 الأذى والظلم عن أتباعه، وكف المشركين عن فتنهم، وإقامة الدولة
 التي تجاهد في سبيل الدين، وتتيح الفرصة لكل مسلم أن يعبد ربه
 حيث شاء، وتزيل الحواجز والعقبات التي تعترض طريق الدعوة إلى
 الله⁽¹⁾.

وقد تحدث خباب ؓ عن بعض ما كان يلقون من المشركين من
 عنف، وسوء معاملة ومساومة على الحقوق، حتى يعودوا إلى الكفر،
 قال: كنت قريباً وكان لي على العاص بن وائل دين، فأتيته أنقاضاه،
 فقال لي: لا أقضيك حتى تكفر بمحمد، فقلت: لن أكفر حتى تموت ثم
 تبعث، قال: فإني إن مت ثم بعثت جئتني، ولي ثم مال وولد
 فأعطيتك، فأنزل الله: (**أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ
 مَالًا وَوَلَدًا**) إلى قوله (**فَرَدًّا**)⁽²⁾.

وذكر أن عمر بن الخطاب ؓ في خلافته سأل خباباً عما لقي في

¹ (?) انظر: الغرباء الأولون، ص 145، 146. (2) مسند أحمد (5/111).

ذات الله تعالى، فكشف خباب عن ظهره، فإذا هو قد برص، فقال عمر: ما رأيت كالיום، فقال خباب: يا أمير المؤمنين لقد أوقدوا لي ناراً ثم سلقوني فيها، ثم وضع رجله على صدري فما أتقيت الأرض أو قال: برد الأرض - إلا بظهري، وما أطفأ تلك النار إلا شحمي⁽¹⁾.

7- عبد الله بن مسعود :

كان منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم في معاملته للناس حكيماً، وكان يعامل الأكابر وزعماء القبائل بلطف وترفق، وكذلك الصبيان الصغار، فهذا ابن مسعود يتحدثنا عن لقائه اللطيف برسول الله صلى الله عليه وسلم: كنت غلاماً يافعاً أرى عنما لعقبة بن أبي معيط فمر بي

رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر فقال: «يا غلام هل من لبن؟» قلت: نعم ولكنني مؤتمن، قال: «فهل من شاة لم ينز عليها فحل؟» فأتيته بشاة فمسح ضرعها فنزل لبن فحلبه في إناء فشرب وسقى أبا بكر، ثم قال للضرع: «أقلص»، فقلص قال: ثم أتيته بعد هذا فقلت: يا رسول الله علمني من هذا القول، قال: فمسح رأسي وقال: «يرحمك الله فإنك غليم معلم»⁽²⁾.

وهكذا كان مفتاح إسلامه كلمتين عظيمتين: الأولى قالها عن نفسه، «إني مؤتمن»، والثانية كانت من الصادق المصدوق حيث قال له: «إنك غليم معلم» ولقد كان لهاتين الكلمتين دور عظيم في حياته، وأصبح فيما بعد من أعيان علماء الصحابة -رضوان الله عليهم- ودخل عبد الله في ركب الإيمان، وهو يمخر بحار الشرك في قلعة الأصنام، فكان واحداً من أولئك السابقين الذين مدحهم الله في قرآنه العظيم⁽³⁾. قال عنه ابن حجر: «أحد السابقين الأولين، أسلم قديماً، وهاجر الهجرتين، وشهد بدرًا والمشاهد بعدها، ولازم النبي صلى الله عليه وسلم وكان صاحب نعليه»⁽⁴⁾.

أول من جهر بالقرآن الكريم:

بالرغم من أن ابن مسعود كان حليفاً وليس له عشيرة تحميه، ومع أنه كان ضئيل الجسم، دقيق الساقين، فإن ذلك لم يحل دون ظهور شجاعته وقوة نفسه، وله مواقف رائعة في ذلك، منها ذلك المشهد المثير في مكة، وإبان الدعوة وشدة وطأة قريش عليها، فلقد وقف على ملئهم وجهه بالقرآن، ففرغ به أسماعهم المقفلة وقلوبهم المغلفة⁽⁵⁾ فكان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة: اجتمع يوماً أصحاب رسول الله فقالوا: والله ما سمعت

1 (?) الروض الأنف (2/98).
2 (?) البداية والنهاية (3/32)، سير أعلام النبلاء (1/465).
3 (?) انظر: عبد الله بن مسعود، عبد الستار الشيخ، ص 43.
4 (?) الإصابة، (6/214).
5 (?) انظر: عبد الله بن مسعود، ص 45.

قريش هذا القرآن يجر لها به قط، فمن رجل يسمعهموه؟ فقال عبد الله بن مسعود: أنا، قالوا: إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه، قال: دعوني فإن الله سيمنعني. قال: فعدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى، وقريش في أدبيتها، حتى قام عند المقام ثم قرأ: **(يَسْمِ اللّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ)** رافعا بها صوته **(الرَّحْمَنُ عِلْمُ الْقُرْآنِ)** قال: ثم استقبلها يقرؤها، قال: فتاملوه فجعلوا يقولون: ماذا قال ابن أم عبد؟ قال: ثم قالوا: إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد، فقاموا إليه فجعلوا يضربونه في وجهه، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ، ثم أنصرف إلى أصحابه وقد أثروا في وجهه، فقالوا له: هذا الذي خشينا عليك، فقال: ما كان أعداء الله أهون عليّ منهم الآن، ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها، قالوا: لا، حسبك، قد أسمعتمهم ما يكرهون⁽¹⁾.

وبهذا كان عبد الله بن مسعود أول من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله **صلى الله عليه وسلم**، ولا غرو أن هذا العمل الذي قام به عبد الله يعتبر تحدياً عملياً لقريش، التي ما كانت لتحمل مثل هذا الموقف، ويلاحظ جرأة عبد الله عليهم بعد هذه التجربة على الرغم مما أصابه من أذى⁽²⁾.

8- خالد بن سعيد بن العاص :

كان إسلام خالد قديماً، لرؤيا رآها عند أول ظهور النبي **صلى الله عليه وسلم**، إذ رأى كأنه وقف على شفير النار، وهناك من يدفعه فيها، والرسول يلتزمه لئلا يقع، ففرغ من نومه، معتقداً أن هذه الرؤيا حق، فقصها على أبي بكر الصديق، فقال له: أريد بك خيراً هذا رسول الله **صلى الله عليه وسلم** فاتبعه، فذهب إليه فأسلم، وأخفى إسلامه خوفاً من أبيه، لكن أباه علم لما رأى كثرة تغييه عنه، فبعث إخوته الذين لم يكونوا قد أسلموا بعد في طلبه، فجيء به، فأنيه وضربه بمقرعة أو عصا كانت في يده حتى كسرهما على رأسه، ثم حبسه بمكة، ومنع إخوته من الكلام معه، وحذرهم من عمله، ثم ضيق عليه الخناق فأجاعه، وقطع عنه الماء ثلاثة أيام، وهو صابر محتسب، ثم قال له أبوه: والله لأمنعك القوت، فقال خالد: إن منعني فإن الله يرزقني ما أعيش به، وأنصرف إلى رسول الله **صلى الله عليه وسلم** فكان يكرمه، ويكون معه، ثم رأى أن يهاجر إلى الحبشة مع من هاجر إليها من المسلمين في المرة الثانية⁽³⁾.

9- عثمان بن مظعون :

لما أسلم عدا عليه قومه بنو جمح فأذوه، وكان أشدهم عليه وأكثرهم إيذاء له أمية بن خلف؛ ولذلك قال بعد أن خرج إلى الحبشة

¹ (?) انظر: ابن هشام (1/314، 315) أسد الغابة (3/385، 386).
² (?) انظر: محنة المسلمين في العهد المكي، ص88. (3) انظر: سير أعلام النبلاء (1/260).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

يعاتبه⁽¹⁾:

أأخرجتني من بطن مكة وأسكنتني في صرح بيضاء تقذع
تريش نبالاً لا يواتيك ريشها وتبري نبالاً ريشها لك أجمع
وحاربت أقواماً كراماً أعزة وأهلك أقواماً بهم كنت تفزع
ستعلم إن نابتك يوماً ملمة وأسلمك الأوباش ما كانت تصنع

وبقي عثمان بن مظعون فترة في الحبشة، لكنه لم يلبث أن عاد منها ضمن من عاد من المسلمين في المرة الأولى، ولم يستطع أن يدخل مكة إلا بجوار من الوليد بن المغيرة، حيث ظل يغدو في جواره أمناً مطمئناً، فلما رأى ما يصيب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من البلاء، وما هو فيه من العافية أنكر ذلك على نفسه، وقال: والله إن غدوي ورواحي أمنا بجوار رجل من أهل الشرك وأصحابي وأهل ديني يلقيون من البلاء والأذى في الله ما لا يصيني لنقص كبير في نفسي⁽²⁾، فذهب إلى الوليد بن المغيرة وقال له: يا أبا عبد شمس وقت ذمتك، وقد رددت إليك جوارك، فقال: لم يا ابن أخي؟ فإعلك أوديت، أو انتهكت، قال: لا، ولكني أرضى بجوار الله تعالى ولا أريد أن أستجير بغيره، قال: فانطلق إلى المسجد فارد علي جوار علانية، كما أجرتك علانية، فانطلقا إلى المسجد فرد عليه جواره أمام الناس، ثم انصرف عثمان إلى مجلس من مجالس قريش فجلس معهم، وفيهم لييد بن ربيعة⁽³⁾ الشاعر ينشدهم فقال لييد: (ألا كل شيء ما خلا الله باطل) فقال عثمان: صدقت، واستمر لييد في إنشاده فقال: (وكل نعيم لا محالة زائل) فقال عثمان: كذبت، نعيم الجنة لا يزول، قال لييد: يا معشر قريش، والله ما كان يؤذى جليسكم فمتى حدث هذا فيكم؟ فقال رجل من القوم: إن هذا سفيه في سفهاء معه قد فارقوا ديننا، فلا تجدن في نفسك من قوله، فرد عليه عثمان حتى شرى أمرهما، فقام إليه ذلك الرجل فلطم عينه فاخضرت، والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان، فقال: أما والله يا ابن أخي إن عينك لغنية عما أصابها، ولقد كنت في ذمة منيعة، فقال عثمان: والله إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها في الله، وإني لفي جوار من هو أعز منك وأقدر يا أبا عبد شمس، ثم عرض عليه الوليد الجوار مرة أخرى فرفض⁽⁴⁾.

وهذا يدل على مدى قوة إيمانه، ورغبته في الأجر، والمثوبة عند

¹ (4) السيرة النبوية للذهبي، ص112.
² (?) السيرة النبوية لابن هشام (2/120). (2) انظر: طبقات الشعراء لابن سلام، ص48، 49.
⁴ (?) السير والمغازي لابن إسحاق، ص178: 180. (4) صحيح البخاري (4/265).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

الله، ولذلك لما مات، رأت امرأة في المنام أن له عيئًا تجري، فجاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال: «ذلك عمله»⁽¹⁾.

وغير ذلك من الصحابة الكرام تعرض للتعذيب، وهكذا نرى أولئك الرهط من الشباب القرشي، قد أقبلوا على دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم واستجابوا لها والتفوا حول صاحبها، على الرغم من مواقف آبائهم وذويعهم وأقربائهم المتشددة تجاههم، فضحوا بكل ما كانوا يتمتعون به من امتيازات قبل دخولهم في الإسلام، وتعرضوا للفتنة رغبة فيما عند الله تعالى من الأجر والثواب، وتحملوا أذى كثيرًا، وهذا فعل الإيمان في النفوس، عندما يخالطها فتستهيئ بكل ما يصيبها من عنت وحرمان، إذا كان ذلك يؤدي إلى الفوز برضا الله تعالى وجنته.

هذا، ولم يكن التعذيب والأذى مقصورًا على رجال المسلمين دون نسائهم، وإنما طال النساء أيضًا قسطن كبير من الأذى والعنت بسبب إسلامهن كسمية بنت خياط وفاطمة بنت الخطاب ولبيبة جارية بني المؤمل، وزنيرة الرومية، والنهدية وابنتها، وأم عيسى، وحمامة أم بلال وغيرهن⁽²⁾.

خامسًا: حكمة الكف عن القتال في مكة واهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بالبناء الداخلي:

كان المسلمون يرغبون في الدفاع عن أنفسهم، ويبدو أن الموقف السلمي أغاظ بعضهم وخاصة الشباب منهم، وقد أتى عبد الرحمن بن عوف وأصحابه إلى النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فقالوا: يا نبي الله كنا في عزة ونحن مشركون، فلما آمنا صرنا أذلة قال: «إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا القوم»⁽³⁾ وتعرض بعض الباحثين للحكمة الربانية في عدم فرضية القتال في مكة ومن هؤلاء الأستاذ سيد قطب -رحمه الله تعالى- فقد قال: لا نجزم بما نتوصل إليه لأننا حينئذ نتألى على الله ما لم يبين لنا من حكمة، ونفرض أسبابًا وعللاً قد لا تكون هي الأسباب والعلل الحقيقية، أو وقد تكون.

ذلك أن شأن المؤمن أمام أي تكليف، أو أي حكم من أحكام الشريعة، هو التسليم المطلق؛ لأن الله سبحانه هو العليم الخبير، وإنما نقول هذه الحكمة والأسباب من باب الاجتهاد، وعلى أنه مجرد احتمال؛ لأنه لا يعلم الحقيقة إلا الله، ولم يحددها هو لنا وبطلعنا عليها بنص صريح⁽⁴⁾. ومن هذه الأسباب والحكم والعلل بإيجاز:

1- أن الكف عن القتال في مكة، ربما لأن الفترة المكية كانت فترة تربية وإعداد في بيئة معينة، لقوم معينين، وسط ظروف معينة، ومن أهداف التربية في مثل هذه البيئة: تربية الفرد العربي على الصبر، على ما لا يصبر عليه عادة، من الضيم حين يقع عليه أو على

² (?) انظر: محنة المسلمين في العهد المكي ص 116، 117.
³ (?) انظر: السيرة النبوية الصحيحة، (1/158). (3) الطلال: (2/714).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

من يلوذون به، ليخلص من شخصه ويتجرد من ذاته، فلا يندفع لأول مؤثر، ولا يهتاج لأول مهيج، ومن ثم يتم الاعتدال في طبيعته وحركته، ثم تربيته على أن يتبع نظام المجتمع الجديد بأوامر القيادة الجديدة، حيث لا يتصرف إلا وفق ما تأمره -مهما يكن مخالفاً لمألوفه وعاداته- وقد كان هذا هو حجر الأساس في إعداد شخصية العربي المسلم لإنشاء (المجتمع المسلم).

2- وربما كان ذلك أيضاً؛ لأن الدعوة السلمية، أشد أثراً وأنفذ في مثل بيئة قريش ذات العنجهية والشرف، والتي قد يدفعها القتال معها -في مثل هذه الفترة- إلى زيادة العناد، ونشأة ثارات دموية جديدة، كثارات العرب المعروفة أمثال داحس والغبراء وحرب البسوس، وجينذ يتحول الإسلام من دعوة إلى ثارات، تنسى معها فكرته الأساسية.

3- وربما كان ذلك أيضاً اجتناباً لإنشاء معركة ومقتلة داخل كل بيت، فلم تكن هناك سلطة نظامية عامة هي التي تعذب المؤمنين، وإنما كان ذلك موكولاً إلى أولياء كل فرد، ومعنى الإذن بالقتال، في مثل هذه البيئة، أن تقع معركة ومقتلة في كل بيت ثم يقال: هذا هو الإسلام، ولقد قيلت حتى والإسلام يأمر بالكف عن القتال، فقد كانت دعاية قريش في المواسم، إن محمداً يفرق بين الوالد وولده، فوق تفريقه لقومه وعشيرته، فكيف لو كان كذلك يأمر الولد بقتل الوالد، والمولى بقتل الولي؟

4- وربما كان ذلك أيضاً، لما يعلمه الله، من أن كثيراً من المعاندين الذين يفتنون المسلمين عن دينهم ويعذبونهم، هم بأنفسهم سيكونون من جند الإسلام المخلص، بل من قادته، ألم يكن عمر بن الخطاب من بين هؤلاء؟

5- وربما كان ذلك أيضاً؛ لأن النخوة العربية في بيئة قبلية من عاداتها أن تثور للمظلوم الذي يحتمل الأذى، ولا يتراجع، وبخاصة إذا كان الأذى واقعاً على كرام الناس فيهم، وقد وقعت ظواهر كثيرة تثبت صحة هذه النظرة في هذه البيئة، فابن الدغنة⁽¹⁾ لم يرض أن يترك أبا بكر وهو رجل كريم يهاجر ويخرج من مكة، ورأى في ذلك عاراً على العرب، وعرض عليه جواره وحمايته، وآخر هذه الظواهر نقض صحيفة الحصار لبنى هاشم في شعب أبي طالب.

6- وربما كان ذلك أيضاً لقلة عدد المسلمين حينئذ، وانحصارهم في مكة، حيث لم تبلغ الدعوة إلى بقية الجزيرة أو بلغت ولكن بصورة متناثرة، حيث كانت القبائل تقف على الحياد من معركة داخلية بين قريش، وبعض أبنائها، لتري ماذا يكون مصير الموقف، ففي مثل هذه الحالة قد تنتهي المعركة المحدودة إلى قتل المجموعة المسلمة القليلة، حتى ولو قتلوا هم أضعاف من سيقتل منهم، ويبقى الشرك

¹ (?) ابن الدغنة: رجل جاهلي أجاز أبي بكر عندما أخرجه قومه وأراد الهجرة إلى الحبشة، انظر: الإصابة (2/344).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

ولا يقوم للإسلام في الأرض نظام، ولا يوجد له كيان واقعي، وهو دين جاء ليكون منهج حياة ونظام دنيا وأخرة.

7- إنه لم تكن هناك ضرورة قاهرة ملحة، لتجاوز هذه الاعتبارات كلها، والأمر بالقتال، ودفع الأذى؛ لأن الأمر الأساسي في هذه الدعوة، كان قائمًا ومحققًا وهو (وجود الدعوة)، ووجودها في شخص الداعية محمد صلى الله عليه وسلم، وشخصه في حماية سيوف بني هاشم، فلا تمتد إليه يد إلا وهي مهددة بالقطع، ولذلك لا يجرؤ أحد على منعه من إبلاغ الدعوة وإعلانها في ندوات قريش حول الكعبة، ومن فوق جبل الصفا، وفي الاجتماعات العامة، ولا يجرؤ أحد على سجنه أو قتله، أو أن يفرض عليه كلامًا بعينه يقوله.

إن هذه الاعتبارات كلها -فيما نحسب- كانت بعض ما اقتضت حكمة الله - معه- أن يأمر المسلمين بكف أيديهم، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، لتتم تربيتهم وإعدادهم، وليقف المسلمون في انتظار أمر القيادة، في الوقت المناسب، وليخرجوا أنفسهم من المسألة كلها، فلا يكون لذواتهم فيها حظ، لتكن خالصة وفي سبيل الله⁽¹⁾.

وقد تعلم الصحابة من القرآن الكريم فقه المصالح والمفاسد، وكيفية التعامل مع

هذا الفقه من خلال الواقع، قال تعالى: (وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا
اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى
رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ) [الأنعام: 108].

وهكذا تعلم الصحابة رضي الله عنهم، أن المصلحة إن أدت إلى مفسدة أعظم تترك⁽²⁾، وفي هذا تهذيب أخلاقي، وسمو إيماني، وترفع عن مجارة السفهاء الذين يجهلون الحقائق، وتخلو أفئدتهم من معرفة الله وتقديسه، وقد ذكر العلماء بأن الحكم باق في الأمة على كل حال، فمتى كان الكافر في منعة، وغير خاضع لسلطان الإسلام والمسلمين، وخيف أن يسب الإسلام أو النبي صلى الله عليه وسلم أو الله عز وجل، فلا يحل لمسلم أن يسب صليانهم، ولا دينهم، ولا كنائسهم، ولا يتعرض إلى ما يؤدي إلى ذلك؛ لأنه فعل بمنزلة التحريض على المعصية، وهذا نوع من المवादعة، ودليل على وجوب الحكم بسد الذرائع⁽³⁾.

والناظر في الفترة المكية، والتي كانت ثلاثة عشر عامًا، كلها في تربية وإعداد وعرس كمفاهيم لا إله إلا الله، يدرك ما لأهمية هذه

1 (؟) الولاء والبراء، محمد الفحطاني، لخص نقاطًا من الظلال ص 169: 171، وفي ظلال القرآن (2/714، 715) وفي معالم في الطريق (ص 69: 71).
2 (؟) انظر: التفسير المنير للزحيلي (7/325). (3) المصدر السابق نفسه، (7/326).
3

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

العقيدة من شأن في عدم الاستعجال، واستباق الزمن، فالعقيدة بحاجة إلى عرس يتعهد بالرعاية والعناية والمداومة، بحيث لا يكون للعجلة والفوضى فيها نصيب، وما أجدر الدعاة إلى الله أن يقفوا أمام تربية المصطفى صلى الله عليه وسلم، لأصحابه على هذه العقيدة وقفة طويلة، فيأخذوا منها العبرة والأسوة؛ لأنه لا يقف في وجه الجاهلية أيًا كانت قديمة أو حديثة أم مستقبلية، إلا رجال اختلطت قلوبهم ببشاشة العقيدة الربانية، وتعمقت جذور شجرة التوحيد في نفوسهم⁽¹⁾.

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أصحابه بضبط النفس والتحلي بالصبر، وكان يربي أصحابه على عينه، ويوجههم نحو توثيق الصلة بالله، والتقرب إليه بالعبادة، وقد نزلت الآيات في المرحلة المكية: **(يَا أَيُّهَا الْمُزْمِلُ ۖ فَمِ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا ۖ نِصْفَهُ أَوْ انْقِصَ مِنْهُ قَلِيلًا ۖ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا)** [المزمل: 1-4]. فقد أرشدت سورة المزمل الصحابة إلى حاجة الدعاة إلى قيام الليل، والدوام على الذكر، والتوكل على الله في جميع الأمور، وضرورة الصبر، ومع الصبر الهجر الجميل، والاستغفار بعد الأعمال الصالحة.

كانت الآيات الأولى من سورة المزمل تأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يخصص شطرًا من الليل للصلاة، وقد خيره الله تعالى أن يقوم للصلاة نصف الليل، أو يزيد عليه، أو ينقص منه، فقام النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه معه قريبًا من عام، حتى ورمت أقدامهم، فنزل التخفيف عنهم، بعد أن علم الله منهم اجتهادهم في طلب رضاه، وتشجيعهم لتنفيذ أمره ومبتغاه، فرحمهم ربهم فخفف عنهم، فقال: **(إِنْ رَبُّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ تُخِصُّهُ فَبَاتَ عَلَيْكُمْ قَافِرُونَ مَا تَنْسَرُ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْسِي وَأَخْرُوجَ يُضْرَبُونَ فِي الْأَرْضِ يُنْتَعُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَخْرُوجَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَافِرُونَ مَا تَنْسَرُ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا يَقْدِّمُوا لأنفسكم مِنْ خَيْرٍ تُحَدِّثُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)** [المزمل: 20].

كان امتحانهم في الفرش، ومقاومة النوم، ومألوفات النفس، لتربيتهم على المجاهدة، وتحريرهم من الخضوع لاهواء النفس، تمهيدًا لحمل زمام القيادة والتوجيه في عالمهم، إذ لا بد من إعداد روحي عالٍ لهم، وقد اختارهم الله لحمل رسالته، وأتتمنهم على دعوته، واتخذ منهم شهداء على الناس، فالعشرات من المؤمنين في هذه المرحلة التاريخية كانت أمامهم المهمات العظيمة في دعوة الناس إلى

¹ (?) انظر: الولاء والبراء، ص 171.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

إلتوحيد، وتخليصهم من الشرك، وهي مهمة عظيمة يقدر على تنفيذها أولئك الذين: (**تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا**). وقد وصف الله قيام الليل والصلاة فيه وقراءة القرآن تزيلاً - أي مع البيان والتؤدة - بقوله: (**إِنَّ تَأْسِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا**) فهو أثبت أثراً في النفس مع سكون الليل وهدأة الخلق، حيث تخلو من شواغلها وتفرغ للذكر، والمناجاة بعيداً عن علائق الدنيا وشواغل النهار وبذلك يتحقق الاستعداد اللازم لتلقي الوحي الإلهي (**إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا**)، والقول الثقيل هو القرآن الكريم، وقد ظهر أثر هذا الإعداد الدقيق للمسلمين الأوائل في قدرتهم على تحمل أعباء الجهاد وإنشاء الدولة بالمدينة، وفي إخلاصهم العميق للإسلام وتضحيتهم من أجل إقامته في دنيا الناس ونشره بين العالمين⁽¹⁾.

لقد كان النبي **صلى الله عليه وسلم** مهتماً بجهته الداخلية، وحريصاً على تعبئة أصحابه بالعقيدة القوية التي لا تتزعزع ولا تلين، وكان هذا مبعثاً لروح معنوية مرتفعة وقوية للدفاع وتحمل العذاب والأذى في سبيل الدعوة، وأصبحت الجماعة الأولى وحدة متماسكة لا تؤثر فيها حملات العدو النفسية، ولا تجد لها مكاناً في هذه الجماعة عن طريق المؤاخاة بين المسلمين، فقد أصبحت رابطة الأخوة في الله تزيد على رابطة الدم والنسب، وتفضلها في الدين الإسلامي، وتعايش الرعيل الأول بمعاني الأخوة الرفيعة القائمة على الحب والمودة والإيثار، وكانت أحاديث رسول الله **صلى الله عليه وسلم** تفعل فعلها في نفوس الصحابة، فكان **صلى الله عليه وسلم** يحث المسلمين على الأخوة والترابط والتعاون وتفريغ الكرب لا لشيء إلا لرضى الله سبحانه، لا نظير خدمة مقابلة أو نحو ذلك، وإنما يفعل المسلم ذلك ابتغاء وجه الله وحده، وهذه المبادئ هي سر استمرار الأخوة الإسلامية، وتماسك المجتمع الإسلامي⁽²⁾، وبين لهم الرسول **صلى الله عليه وسلم** في الحديث القدسي الذي يرويه عن ربه سبحانه وتعالى: «**المتحابون في جلالي، لهم منابر من نور يغطبهم النبيون والشهداء**»⁽³⁾.

وهكذا أصبحت الأخوة الصادقة من مقاييس الأعمال، وأصبحت المحبة في الله من أفضل الأعمال، ولها أفضل الدرجات عند الله، وحذر الرسول **صلى الله عليه وسلم** المسلمين من أن تهون عليهم هذه الرابطة، ووضع لهم أساس الحفاظ عليها، فقال لهم: «**لا تباعضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً**»⁽⁴⁾.

واستعان النبي **صلى الله عليه وسلم** في ربط المجتمع الداخلي، وتوحيد جهته لتكون قوية في مواجهة الحرب النفسية الموجهة

1 (?) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (1/160).

2 (?) انظر: الحرب النفسية ضد الإسلام، د. عبد الوهاب كحيل، ص 128.

3 (?) أخرجه الترمذي وصححه، كتاب الزهد (4/515) رقم 2390.

4 (?) البخاري، كتاب الأدب، رقم 6076، (7/119).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

ضدها، بالمساواة بين أفراد هذه الجبهة وإعطائهم الحرية، فهم لا يدخلون إلى هذا المجتمع إلا بالحرية، ثم كانت لهم في داخله حرية الرأي، وحرية التعبير والمشورة، أتى محمد صلى الله عليه وسلم بمبدأ المساواة بين جميع الناس، الحاكم والمحكوم، والغني والفقير، وبين جميع الطبقات، وقد كان لهذا المبدأ العظيم أكبر الأثر في نفوس أتباع النبي صلى الله عليه وسلم، وجعلهم يتحابون ويتماسكون ويفتدون بأرواحهم ويدافعون عنه بكل ما أوتوا من قوة وعزيمة، فهو صلى الله عليه وسلم لم يقر تفاوتاً بين البشر، بسبب مولد أو أصل، أو حسب أو نسب أو وراثة، أو لون. والاختلاف في الأنساب والأجناس والألوان، لا يؤدي إلى اختلاف في الحقوق والواجبات أو العبادات، فالكل أمام الله سواسية، وعندما طلب أشرف مكة من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم مجلساً غير مجلس العبيد والضعفاء حتى لا يضمهم وإياهم مجلس واحد، بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن جميع الناس متساوون في تلقي الوحي والهداية، ورفض كفار مكة وسادتها في ذلك الوقت أن يجلسوا مع العبيد، ومن يعتبرونهم ضعفاء أذلاء من أتباع محمد صلى الله عليه وسلم، فنزل القرآن الكريم بقوله تعالى: (**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا يُطِيعُ مَنْ أَغْوَيْنَا وَلَقَدْ كَرَّمْنَا وَاتَّبَعِ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ قَرْطَبًا ۖ وَقِيلَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَصَنَ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَعِينُوا يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ يَتَسَوَّى الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا) [الكهف: 28، 29]** بل إن النبي صلى الله عليه وسلم لما أعرض عن ابن أم مكتوم الأعمى، منشغلاً بمحاورة بعض الأشراف، عاتبه الله أشد العتاب، وكان من أكبر أساليب النبي صلى الله عليه وسلم في ربطه المجتمع الإسلامي وتوحيده، وتقويته للجبهة الداخلية، وجعلها قوية البنيان متماسكة، ما دعا إليه صلى الله عليه وسلم من التكافل المادي، والمعنوي بين المسلمين، ليعين منهم القوي الضعيف، وليعطف الغني على الفقير، ولم يترك صلى الله عليه وسلم ثغرة واحدة تنفذ منها الحرب النفسية إلى هذا الصف الإسلامي الأول، وأصبحت الجماعة الأولى صخرة عظيمة، تحطمت عليها كل الجهود والخطط التي بذلها زعماء مكة للقضاء على الدعوة⁽¹⁾.

سادساً: أثر القرآن الكريم في رفع معنويات الصحابة:

كان للقرآن الكريم أثر عظيم في شد أزهر المؤمنين من جانب، وتوعده الكفار بالعذاب من جانب آخر، مما كان له وقع القنابل على نفوسهم، وقد كان دفاع القرآن الكريم عن الصحابة يتمثل في نقطتين:

¹ (?) انظر: الحرب النفسية ضد الإسلام، ص 125: 140.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

الأولى: حث الرسول صلى الله عليه وسلم على رعايتهم وحسن مجالستهم واستقبالهم، ومعاتبتهم على بعض المواقف التي ترك فيها بعض الصحابة لانشغاله بأمر الدعوة أيضاً.

الثانية: التخفيف عن الصحابة بضرب الأمثلة والقصاص لهم، من الأمم السابقة، وأنبيائها، وكيف لاقوا من قومهم الأذى، والعذاب، ليصبروا ويستخفوا بما يلاقون، وأيضاً بمدح بعض تصرفاتهم، ثم بوعدهم بالثواب والنعيم المقيم في الجنة، وكذلك بالتنديد بأعدائهم الذين كانوا يذيقونهم الألم والأذى⁽¹⁾.

أما النقطة الأولى: حينما كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس في المسجد مع المستضعفين من أصحابه: خباب وعمار، وابن فكيهة يسار مولى صفوان بن أمية، وصهيب وأشباههم، فكانت قريش تهزأ بهم، وقال الكفار بعضهم لبعض: هؤلاء أصحابه كما ترون، ثم يقولون هؤلاء من الله عليهم من بيننا بالهدى والحق، لو كان ما جاء به محمد خيراً ما سبقنا هؤلاء إليه، وما خصهم الله به دوننا⁽²⁾.

ورد الله سبحانه وتعالى على استهزاء هؤلاء الكفار مبيناً لهم أن رضا الله لبعض عباده، لا يتوقف على منزلته ولا مكانته بين الناس في الدنيا، كما يؤكد لرسوله صلى الله عليه وسلم هذا المفهوم، حتى لا يتأثر بما يقوله الكفار، من محاولات الانتقاص من شأن هؤلاء الصحابة ومبينا له أيضاً مكانتهم فيقول الله تبارك وتعالى: (وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ) وَكَذَلِكَ قَتَلْنَا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (الأنعام: 52-54).

وهكذا بين الله لرسوله شأن هؤلاء الصحابة وقيمتهم ومنزلتهم التي يجهلها أو يتجاهلها الكفار، ويحاولون أن ينالوا منها، بل ويزيد الله على ذلك أن ينهى الرسول عن طردهم، كما يأمر بحسن تحييتهم، ويأمره أيضاً أن يبشرهم بأن الله سبحانه، قد وعد بمغفرة ذنوبهم بعد توبتهم.

كيف تكون الروح المعنوية لهؤلاء، كيف يجدون الأذى من الكفار بعد ذلك، إنهم يفرحون بهذا الأذى الذي وصلوا بسببه إلى هذه المنازل العظيمة⁽³⁾.

ثم نرى عتاب الله لرسوله صلى الله عليه وسلم في آيات تتلى

¹ (?) انظر: الحرب النفسية ضد الإسلام، ص 269. (3) نفس المصدر، ص 270، 271.

³ (?) انظر: الحرب النفسية ضد الإسلام، ص 270، 271. (2) نفس المصدر، ص 271.

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

إلى يوم القيامة، وكان هذا العتاب في شأن رجل فقير أعمى من الصحابة، أعرض عنه الرسول صلى الله عليه وسلم مرة واحدة، ولم يجبه على سؤاله لانشغاله بدعوة بعض أشراف مكة⁽¹⁾.

فينزل قول الله تعالى: (عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِي أَوْ يَذْكَرُ فَتُبَعِّدُ الذِّكْرَى أَمَّا مَنْ اسْتَعْجَى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكِي أَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى) [عبس: 1-10].

إنه لا مجال للامتيازات في دعوة الحق بسبب الحسب والنسب، أو المال والجاه، فهي إنما جاءت لتأصيل النظرة إلى الإنسان وبيان وحدة الأصل، وما تقتضيه من المساواة والتكافؤ، من هنا يمكن تعليل شدة أسلوب العتاب الذي وجهه الله تعالى لرسوله للاهتمام الكبير الذي أظهره لأبي بن خلف، على حساب استقباله لابن أم مكتوم الضعيف، فابن أم مكتوم يرجح في ميزان الحق على البلايين من أمثال أبي بن خلف⁽²⁾ لعنه الله.

وكانت لهذه القصة دروس وعبر، استفاد منها الرعيل الأول، ومن جاء بعدهم من المسلمين ومن أهم هذه الدروس، الإقبال على المؤمنين، على الدعاة البلاغ، وليس عليهم الهداية، في قصة الأعمى دليل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلو لم يكن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم رسول الله لكتم هذه الحادثة، ولم يخبر الناس بها لما فيها من عتاب له صلى الله عليه وسلم ولو كان كاتمًا شيئًا من الوحي لكتم هذه الآيات وآيات قصة زيد وزينب بنت جحش⁽³⁾، فعلى الدعاة تقديم أهل الخير والإيمان⁽⁴⁾.

أما النقطة الثانية: في دفاع القرآن الكريم عن الصحابة، فقد كانت بالتخفيف عنهم، وكانت أهم وسائل التخفيف بإظهار أن هذا الأذى الذي يلحقه لم يكن فريدًا من نوعه، وإنما حدث قبل ذلك مثله وأشد منه كانت القصص التي تتحدث عن حياة الرسل في القرآن الكريم من لدن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى -عليهم السلام- تشيئًا للمسلمين ولروح التضحية والصبر فيهم من أجل الدين وبينت لهم القدوة الحسنة التي كانت في العصور القديمة من أنجح الوسائل في ميادين الإعلام والتربية والتعليم، والعلاقات العامة، فالقصص القرآني يحوي الكثير من العبر والحكم والأمثال.

كان أيضًا من أساليب القرآن في تخفيفه عن الصحابة والدفاع عنهم أسلوبه في مدحهم ومدايح أعمالهم في القرآن الكريم، يقرؤها الناس إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، كما حدث مع الصديق لما اعتق سيع رقاب من الصحابة لينقذهم من الأذى والتعذيب، في نفس

² (?) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (1/167) مع تصرف في العدد بدل مائة

بلايين.

³ (?) تفسير ابن عطية (15/316)، القاسمي (17/54).

⁴ (?) انظر: المستفاد من قصص القرآن، عبد الكريم زيدان (2/89).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

الوقت الذي يندد فيه بأمية بن خلف الذي كان يعذب بلال بن رباح، فالقرآن بدستوره الأخلاقي قد قدم قواعد الثواب والعقاب وشجع المؤمنين وحذر المخالفين، وحمل هذا التنديد مغزى عميقاً، فقد أثار الطريق للصحابة، وكان غمة وكرهاً على نفوس الكفار المترددين، إذ جاء قول الله تعالى: **(فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَبَ وَتَوَلَّى وَسَمِعْتُهَا الْأُنْقَى الَّذِي يُوْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى)** (الليل: 14-21).

وكذلك خلد القرآن ثبات وفد نصارى نجران على الإسلام، رغم استهزاء الكفار ومحاولاتهم لصددهم عن الإسلام، لذا نزلت فيهم بعض الآيات كما يذكر بعض المؤرخين⁽¹⁾ قال تعالى: **(الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الْكِتَابِ هُمْ بِهِ يُكَذِّبُونَ وَرَبُّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ)** [القصص: 52-54].

وكانت الآيات بعد ذلك تبشر الصحابة بالثواب العظيم وبالنعيم المقيم في الجنة، جزاء بما صبروا وما تحملوا من الأذى، وتشجيعاً لهم على الاستمرار في طريق الدعوة غير مباليين بما يسمعون وما يلاقونه، فالنصر والغلبة لهم في النهاية كما بين لهم النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديثه، وكما بين لهم القرآن، كما بين القرآن الكريم في نفس الوقت مصير أعدائهم كفار مكة قال: **(إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ)** [غافر: 51، 52].

وبين فضل تمسكهم بالقرآن وإيمانهم به، قال تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ لِيُؤْفِقَهُمْ أَجْرَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ)** [فاطر: 29، 30].

وبين سبحانه فضل التمسك بعبادته رغم الأذى والتعذيب، وبين جزاء الصبر على ذلك قال تعالى: **(أَمَّنْ هُوَ قَائِمٌ أَيْمَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْأَخَذَ وَيَرْجُو رَحْمَةً رَبِّهِ فَلِ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ كُلُّ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ)** [الزمر: 9، 10].

وهكذا كان القرآن الكريم يخفف عن الصحابة ويدافع عنهم، ويحصنهم ضد الحرب النفسية، وبذلك لم تؤثر تلك الحملات ووسائل التعذيب على قلوب الصحابة؛ بفضل المنهج القرآني، والأساليب

¹ (?) انظر: السيرة النبوية لابن كثير (2/4).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

النبوية الحكيمة، لقد تحطمت كل أساليب المشركين في محاربة الرسول **صلى الله عليه وسلم** وأصحابه أمام العقيدة الصحيحة، والمنهج السليم الذي تشربه الرعية الأول.

سابعًا: أسلوب المفاوضات:

اجتمع المشركون يومًا، فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر، والكهانة والشعر، فليات هذا الرجل الذي فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وعاب ديننا، فليكلّمه، ولينظر ماذا يردّ عليه؟ فقالوا: ما نعلم أحدًا غير عتبة بن ربيعة، فقالوا: أنت يا أبا الوليد، فاتاه عتبة فقال: يا محمد أنت خير أم عبد المطلب؟ فسكت رسول الله **صلى الله عليه وسلم**، قال: فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت، وإن كنت تزعم أنك خير منهم، فتكلم حتى نسمع قولك، إنا وإله ما رأينا سحلة قط أشام على قومك منك، فرقت جماعتنا، وشتت أمرنا، وعبت ديننا، وفضحتنا في العرب حتى لقد طار فيهم: أن في قريش ساحرًا، وأن في قريش كاهنًا، والله ما نتظر إلا مثل صيحة الحبل، أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى.

أبها الرجل: إن كان إنما بك الحاجة، جمعنا لك من أموالنا، حتى تكون أغنى قريش رجلًا، وإن كان إنما بك - الباه - فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجك عشرا، فقال رسول الله **صلى الله عليه وسلم** «فرغت؟» قال: نعم، فقال رسول الله: (**حمّ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۖ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**) إلى أن بلغ (**فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ**) فقال عتبة: حسبك، ما عندك غير هذا؟ قال: «لا» فرجع إلى قريش فقالوا: ما وراءك؟ قال: ما تركت شيئا أرى أنكم تكلمونه إلا كلمته، قالوا: فهل أجابك؟ فقال: نعم⁽¹⁾. وفي رواية ابن إسحاق: فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورأيتني قد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة. يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوا، فوالله ليكون لقوله الذي سمعت منه نيا عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم، وكنتم أبعد الناس به، قالوا: سحره والله يا أبا الوليد بلسانه، قال: هذا رأيي فاصنعوا ما بدا لكم⁽²⁾.

دروس وعبر وفوائد:

أ- لم يدخل الرسول **صلى الله عليه وسلم** في معركة جانبية حول أفضليته على أبيه وجده أو أفضليتهما عليه، ولو فعل ذلك لقضي الأمر دون أن يسمع عتبة شيئا.

¹ (?) البداية والنهاية لابن كثير (3/68، 69). (2) السيرة النبوية لابن هشام (1/294).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

ب- لم يخض **صلى الله عليه وسلم** معركة جانبية حول العروض المغربية، وغضبه الشخصي لهذا الاتهام، إنما ترك ذلك كله لهدف أبعد، وترك عقبة يعرض كل ما عنده، وبلغ من أدبه **صلى الله عليه وسلم** أن قال: «أفرغت يا أبا الوليد؟» فقال: نعم⁽¹⁾.

ج- كان جواب رسول الله **صلى الله عليه وسلم** جاسمًا، إن اختياره لهذه الآيات لدليل على حكمته، وقد تناولت الآيات الكريمة قضايا رئيسية منها: إن هذا القرآن تنزيل من الله، بيان موقف الكافرين وإعراضهم، بيان مهمة الرسول، وأنه بشر، بيان أن الخالق واحد هو الله، وأنه خالق السماوات والأرض، بيان تكذيب الأمم السابقة وما أصابها، وإنذار قريش صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود⁽²⁾.

د- خطورة المال، والجاه، والنساء على الدعاة، فكم سقط من الدعاة على الطريق تحت بريق المال، وكم عرضت الآلاف من الأموال على الدعاة ليكفوا عن دعوتهم، والذين ثبتوا أمام إغراء المال هم المقتدون بالنبى **صلى الله عليه وسلم**، وخطورة الجاه واضحة؛ لأن الشيطان في هذا المجال يزين ويغوي بطرق أكبر وأمكر وأفجر. والداعية الرباني هو الذي يتأسى برسول الله **صلى الله عليه وسلم** في حركته وأقواله وأفعاله، ولا ينسى الهدف الذي عاش له ويموت من أجله: (**قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**)

[الأنعام: 162، 163]، وأما النساء فقد قال **صلى الله عليه وسلم**: «ما تركت فتنة على أمتي أضرب على الرجال من النساء»⁽³⁾ سواء كانت زوجة تثبط الهمة عن الدعوة والجهاد، أو تسليط بعض الفاجرات عليه ليسقطنه في شباكهن، أو في تهيئة أجواء البغي والإثم والمجون ليرتادها خطوة بعد خطوة، أيًا كانت، فإنها فتنة عظيمة في الدين، فها هي قريش تعرض على رسول الله **صلى الله عليه وسلم** نساءها، يختار عشراً منهن، أجملهن وأحسنهن يكن زوجات له، إن كان عاجزاً عن الزواج من أكثر من واحدة، إن خطر المرأة حين لا تستقيم على منهج الله، أشد من خطر السيف المصلت على الرقاب⁽⁴⁾، فعلى الدعاة أن يقتدوا بسيد الخلق، ويتذكروا دائماً قول يوسف عليه السلام: (**قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَضْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْهَاطِلِينَ**) **فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**) [يوسف: 33-34].

هـ- تأثر عتبة من موقف النبي **صلى الله عليه وسلم**: وكان هذا التأثير واضحاً لدرجة أن أصحابه أقسموا على ذلك التأثير قبل أن

1 (?) انظر: التحالف السياسي في الإسلام، منير الغضبان ص33.
2 (?) انظر: معين السيرة للشامي، ص75. (5) صحيح الجامع الصغير (5/138).
4 (1) انظر: فقه السيرة النبوية للغضبان، ص169. (2) انظر: السيرة النبوية قراءة لجوانب الحذر، ص87.
هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

يخبرهم، فبعد أن كان العدو ينوي القضاء على الدعوة، إذا به يدعو لعكس ذلك، فيطلب من قريش أن تخلي بين محمد صلى الله عليه وسلم وما يريد⁽¹⁾.

و- استمع الصحابة لما حدث بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين عتبة، وكيف رفض حبسهم صلى الله عليه وسلم كل عروضه المغرية، فكان ذلك درسًا تربويًا خالط أحشائهم، تعلموا منه الثبات على المبدأ، والتمسك بالعقيدة، ووضع المغريات تحت أقدام الدعاة.

ز- تعلم الصحابة من الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الحلم ورحابة الصدر، فقد استمع صلى الله عليه وسلم إلى ترهات عتبة بن ربيعة ونيله منه وقوله عنه: (إن في قريش ساحرًا)، و(إن في قريش كاهنًا)، (ما رأينا سخلة أشأم على قومك منك)، و(إن كان بك رأي من الجن) فقد أعرض عنه صلى الله عليه وسلم وأغض عن هذا السباب بحيث لا يصرفه ذلك دعوته وتبليغه إياها لسيد بني عبد شمس، فقد كانت كل كلمة تصدر من سيد الخلق صلى الله عليه وسلم مبدأ يحتذى، وكل تصرف دينيًا يتبع، وكل إغضاء خلقًا يتأسى به⁽²⁾.

وذكرت بعض كتب السيرة بأن قيادات مكة دخلوا في مفاوضات بعد ذلك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرضوا عليه إغراءات تلين أمامها القلوب البشرية ممن أراد الدنيا، وطمع في مغانمها إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ موقفًا حاسمًا في وجه الباطل دون مراوغة أو مdahنة، أو دخول في دهاء سياسي، أو محاولة وجود رابطة استعطاف أو استلطاف مع زعماء قريش⁽³⁾، لأن قضية العقيدة تقوم على الوضوح والصراحة والبيان بعيدة عن المdahنة والتنازل؛ ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما بي ما تقولون، ما جئتكم بما جئتكم به أطلب أموالكم، ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً، وأنزل علي كتاباً وأمرني أن أكون لكم بشيرًا ونذيرًا فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم من الدنيا والآخرة، وإن تردوا علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم»⁽⁴⁾.

بهذا الموقف الإيماني الثابت رجع كيدهم في نحورهم، وثبتت قضية من أخطر قضايا العقيدة الإسلامية وهي خلوص العقيدة من أي شائبة غريبة عنها سواء في جوهرها أو في الوسيلة الموصلة إليها⁽⁵⁾.

لكم دينكم ولي دين

ولما رأى المشركون صلابة المسلمين واستعلاءهم بدينهم، ورفعة نفوسهم فوق كل باطل، ولما بدأت خطوط اليأس في نفوسهم من

1
2 (?) انظر: التربية القيادية (1/304). (4) انظر: الوفود في العهد المكي، لعلي الأسطل، ص 37.

3
4 (?) السيرة النبوية لابن هشام (1/296,295) التربية القيادية (1/305).
5 (?) تاريخ صدر الإسلام، عبد الرحمن الشجاع، ص 39.

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

أن المسلمين يستحيل رجوعهم عن دينهم سلكوا مهزلة أخرى من مهازلهم الدالة على طيش أحلامهم، ورعونتهم الحمقاء، فأرسلوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم الأسود بن عبد المطلب، والوليد بن المغيرة، وأمّية بن خلف، والعاص بن وائل، فقالوا: يا محمد، هلم فلنعبد ما تعبد، وتعبد ما نعبد، فنشترك نحن وأنت في الأمر، فإن كان الذي تعبد خيرًا مما نعبد، كنا قد أخذنا بحظنا منه، وإن كان ما نعبد خيرًا مما تعبد كنت قد أخذت بحظك منه»⁽¹⁾. فأنزل الله فيهم: (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينٌ) [الكافرون].

ومثل هذه السورة آيات أخرى تشابهها في إعلان البراء من الكفر وأهله، مثل قوله تعالى: (وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيءُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ) [يونس: 41]. وقوله تعالى (قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا آتِيكُمْ أَهْوَاءُكُمْ قَدْ صِلْتُ إِيَّاهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْلُونَ بِهِ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ) [الأنعام: 56، 57].

ولقد بينت سورة الكافرون بأن طريق الحق واحد لا عوج فيه، ولا فجاج له، إنه العبادة الخالصة لله وحده رب العالمين، فنزلت هذه السورة على الرسول صلى الله عليه وسلم للمفاصلة الحاسمة بين عبادة وعبادة، ومنهج ومنهج، وتصور وتصور، وطريق وطريق، نعم نزلت نفيًا بعد نفي، وجزمًا بعد جزم، وتوكيدًا بعد توكيد، بأنه لا لقاء بين الحق والباطل، ولا اجتماع بين النور والظلام، فالاختلاف جوهري كامل يستحيل معه اللقاء على شيء في منتصف الطريق، والأمر لا يحتاج إلى مداينة أو مراوغة، نعم فالأمر هنا ليس مصلحة ذاتية، ولا رغبة عابرة، ولا سماً في غسل، وليس الدين لله والوطن للجميع كما تزعم الجاهلية المعاصرة، ويدعي المنافقون والمستغربون الذين يتبعون الضالين والمغضوب عليهم، ولا كما يعتقد الملحدون أعداء الله سبحانه في كل مكان، كان الرد حاسماً على زعماء قريش المشركين، ولا مساومة، ولا مشابهة، ولا حلول وسط، ولا ترصيات شخصية، فإن الجاهلية جاهلية والإسلام إسلام، في كل زمان ومكان، والفارق بينهم بعيد كالفرق بين التبر والتراب، والسبيل الوحيد هو الخروج عن الجاهلية بجملتها إلى الإسلام بجملته عبادة وحكما، وإلا فهي البراءة التامة والمفاصلة الكاملة والحسم الصريح بين الحق والباطل في كل زمان (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينٌ)⁽²⁾.

¹ (؟) ابن هشام (1/362).

² (؟) انظر: في ظلال القرآن (6/3991).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

وجاء وفد آخر بعد فشل الوفد السابق، يتكون من عبد الله بن أبي أمية، والوليد بن المغيرة، ومكرز بن حفص، وعمر بن عبد الله بن أبي قيس، والعاص بن عامر⁽¹⁾ جاء ليقدّم عرضاً آخر للتنازل عن بعض ما في القرآن، فطلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن ينزع من القرآن ما يغيظهم من ذمّ الهتهم، فأنزل الله لهم جواباً حاسماً، قال تعالى: (وَإِذَا بُنِي عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنَّتُمْ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أُتِيعَ إِلَّا مَا يُوْحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ) [يونس: 15].

وهذه الوفود والمفاوضات تبين مدى الفشل الذي أصاب زعماء قريش في عدم حصولها على التنازل الكلي عن الإسلام، الأمر الذي جعلها تلجأ إلى طلب الحصول على شيء من التنازل، ويلاحظ أن التنازل الذي طلبوه في المرة الأولى، أكبر مما طلبوه في المرة الثانية، وهذا يدل على تدرجهم في التنازل من الأكبر إلى الأصغر، عليهم يجدون أذناً صاغية لدى قائد الدعوة، كما أنهم كانوا يغيرون الأشخاص المتفاوضين، فالذين تفاوضوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم في المرة الأولى غير الذين تفاوضوا معه في المرة الثانية، ما خلا الوليد بن المغيرة وذلك حتى لا تتكرر الوجوه، وفي ذات الوقت تنوع الكفاءات، والعقول المفاوضة، فربما أثر ذلك في نظرهم بعض الشيء، وفي هذا درس للدعاة إلى يوم القيامة؛ بأن لا تنازل عن الإسلام ولو كان هذا التنازل شيئاً يسيراً، فالإسلام دعوة ربانية ولا مجال فيها للمساومة إطلاقاً، مهما كانت الأسباب والدوافع، والمبررات (وعلى الدعاة اليوم الحذر من مثل هذه العروض، والإغراءات المادية، التي قد لا تعرض بطريق مباشر، فقد تأخذ شكلاً غير مباشر، في شكل وظائف عليا، أو عقود عمل مجزية، أو صفقات تجارية مربحة، وهذا ما تخطط له المؤسسات العالمية المشبوهة لصرف الدعاة عن دعوتهم وبخاصة القياديين منهم، وهناك تعاون تام في تبادل المعلومات بين هذه المؤسسات التي تعمل من مواقع متعددة لتدمير العالم الإسلامي)⁽²⁾ ولقد جاء في التقرير الذي قدمه (ريتشارد ب. ميشيل) أحد كبار العاملين في مجال الشرق الأوسط، لرصد الصحة الإسلامية، وتقديم النصح بكيفية ضربها، جاء في هذا التقرير: وضع تصور لخطة جديدة يمكن من خلالها تصفية الحركات الإسلامية، فكان من بين فقرات هذا التقرير فقرة خاصة بإغراء قيادات الدعوة، فاقترح لتحقيق ذلك الإغراء ما يلي:

أ- تعيين من يمكن إغراؤهم بالوظائف العليا، حيث يتم شغلهم بالمشروعات الإسلامية فارغة المضمون، وغيرها من الأعمال التي

1 (?) أسباب النزول للواحي، ص 200، ونور اليقين للخضري، ص 61.

2 (?) في السيرة النبوية، قراءة لجوانب الحذر والحماية، ص 89.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

تستنفذ جهدهم، وذلك مع الإغداق عليهم أدبيًا وماديًا، وتقديم تسهيلات كبيرة لذويهم، وبذلك يتم استهلاكهم محليًا، وفصلهم عن قواعدهم الجماهيرية.

ب- العمل على جذب ذوي الميول التجارية والاقتصادية، إلى المساهمة في المشروعات ذات الأهداف المشبوهة، التي تقام في المنطقة العربية لمصالح أعدائها.

ج- العمل على إيجاد فرص عمل، وعقود مجزية في البلاد العربية الغنية، الأمر الذي يؤدي إلى بعدهم عن النشاط الإسلامي⁽¹⁾.

فالتدبير في النقاط الثلاث السابقة، يلاحظ أنها إغراءات مادية غير مباشرة، وبنظرة فاحصة للعالم الإسلامي اليوم، نلاحظ أن هذه النقاط تنفذ بكل هدوء، فقد أشغلت المناصب العليا بعض الدعاة، واستهلكت بعض الدول العربية الغنية جمًّا غفيرًا من الدعاة، وألهمت التجارة بعضهم⁽²⁾.

ثامناً: أسلوب المجادلة ومحاولة التعجيز:

كان النبي صلى الله عليه وسلم قد أقام الحجج والبراهين والأدلة على صحة دعوته، وكان صلى الله عليه وسلم يتقن اختيار الأوقات، وانتهاز الفرص والمناسبات، ويقوى على الرد على الشبهات مهما كان نوعها، وقد استخدم في مجادلاته مع الكفار أساليب كثيرة، إستنبطها من كتاب الله تعالى في إقامة الحجة العقلية، واستخدام الأقيسة المنطقية، واستحضار التفكير والتأمل، ومن الأساليب التي استخدمها صلى الله عليه وسلم مع كفار مكة:

1- أسلوب المقارنة:

وذلك بعرض أمرين: أحدهما هو الخير المطلوب الترغيب فيه، والآخر هو الشر المطلوب التهيب منه، وذلك باستثارة العقل، للتفكير في كلا الأمرين، وعاقبتهم الوصول -بعد المقارنة- إلى تفضيل الخير وأتباعه:

قال تعالى: (أَوْ مَن كَانَ مِثْلًا فَأَخِيَّتَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مِّثْلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [الأنعام: 122].

قال ابن كثير في تفسيره: «هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن الذي كان ميثاً أي: في الضلالة هالكا حائرًا، فأحياه الله، أي: أحيى قلبه بالإيمان وهده له ووفقه لاتباع رسوله»⁽³⁾.

2- أسلوب التقرير:

¹ (?) مجلة المجتمع الكويتية، عدد رقم 428، 17 صفر 1399هـ، نقلا عن السيرة النبوية قراءة لجوانب الحذر والحماية.
² (?) أنظر: في السيرة النبوية قراءة لجوانب الحذر والحماية، ص91.
³ (?) تفسير ابن كثير (2/172).

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

وهو أسلوب يؤول بالمرء بعد المحاكمة العقلية، إلى الإقرار بالمطلوب، الذي هو مضمون الدعوة، قال تعالى: (**أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ**) **أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ**) **أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيِّطِرُونَ**) **أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ**) **أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ**) **أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ**) **أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ**) **أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ**) **أَمْ لَهُمْ آلِهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ**) **وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ**) **فَذَرَهُمْ حَتَّى يَلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ**) [الطور: 35-45].

قال ابن كثير في تفسيره: «هذا المقام في إثبات الربوبية وتوحيد الألوهية، فقال تعالى (**أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ**) أي أوجدوا من غير موجد؟ أم هم أوجدوا أنفسهم؟ أي لا هذا ولا هذا، بل الله هو الذي خلقهم وأنشأهم بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكوراً»⁽¹⁾.

وهذه الآية في غاية القوة من حيث الحجة العقلية؛ لأن وجودهم هكذا من غير شيء أمر ينكره منطق الفطرة ابتداءً، ولا يحتاج إلى جدال كثير أو قليل، أما أن يكونوا هم الخالقين لأنفسهم فأمر لم يدعوه، ولا يدعيه مخلوق، وإذا كان هذان الفرضان لا يقومان بحكم منطق الفطرة، فإنه لا يبقى سوى الحقيقة التي يقولها القرآن. وهي أنهم من خلق الله جميعاً من خلق الله الواحد الذي لا يشاركه أحد»⁽²⁾ والتعبير بالفطرة مضمون الأمر المقرر بداهة في العقل.

3- أسلوب الإمرار والإبطال:

وهو أسلوب قوي في إفحام المعاندين أصحاب الغرور والصلف، بإمرار أقوالهم، وعدم الاعتراض على بعض حججهم الباطلة، منعاً للجدل والنزاع خلوصاً إلى الحجة القاطعة تدمغهم وتبطل بها حجتهم تلك، فتبطل الأولى بالتبع، وفي قصة موسى عليه السلام مع فرعون، نموذج مطول لهذا الأسلوب، حيث أعرض موسى عن كل اعتراض وشبهة أوردها فرعون، ومضى إلى إبطال دعوى الألوهية لفرعون من خلال إقامة الحجة العقلية الظاهرة على ربوبية الله والألوهية الله⁽³⁾، وذلك في الآيات من سورة الشعراء قال تعالى: (**قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ**) **قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنُومَ مُوقِنِينَ**) **قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ**) **قَالَ رَبِّكُمْ**

(1) تفسير ابن كثير (4/244).

(2) في ظلال القرآن (6/3399).

(3) انظر: مقومات الداعية الناجح، د. علي بادحدح، ص 59: 68، الأساليب السابقة من هذا الكتاب.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولَى ۖ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ۖ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ۖ قَالَ لَنْ نَحْدُثَ إِلَيْهَا غَيْرِي لَاجْعَلَنَّاكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ) (الشعراء: 23-29).

وهكذا كانت الأساليب القرآنية الكريمة، هي الركيزة في مجادلة رسول الله صلى الله عليه وسلم للمشركين، ولما احتار المشركون في أمر الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم يكونوا على استعداد في تصديقه أنه رسول من عند الله، ليس لأنهم يكذبونه، وإنما عنادًا وكفرًا، كما قال تعالى: **(قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ)** (الأنعام: 33).

لذلك هداهم تفكيرهم المعوج أن يطلبوا من الرسول عليه السلام مطالب، ليس الغرض منها التأكد من صدق النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن غرضهم منها التعنت والتعجيز، وهذا ما طلبوه من الرسول عليه الصلاة والسلام:

أ- أن يفجر لهم من الأرض ينبوعا: أي يجري لهم الماء عيونًا جارية.

ب- أو تكون له جنة من نخيل وأعناب يفجر الأنهار خلالها تَفْجِيرًا، أي تكون له حديقة فيها النخل والعنب، والأنهار تتفجر بداخلها.

ج- أو يسقط السماء كسفًا: أي يسقط السماء قطعًا كما سيكون يوم القيامة.

د- أو يأتي بالله والملائكة قبيلاً.

هـ- أو يكون له بيت من زخرف: أي ذهب.

و- أو يرقى في السماء: أي يتخذ سلمًا يرتقي عليه ويصعد إلى السماء.

ز- إنزال كتاب من السماء يقرؤونه، يقول مجاهد: أي مكتوب فيه إلى كل واحد صحيفة، هذا كتاب من الله لفلان ابن فلان تصحح موضوعة عند رأسه⁽¹⁾.

ح- لبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو لهم فيسير لهم الجبال، ويقطع الأرض، ويبعث من مضى من آبائهم من الموتى⁽²⁾.

إن عملية طلب الخوارق والمعجزات هي خطة متبعة على مدى تاريخ البشرية الطويل، ورغم حرص النبي صلى الله عليه وسلم على إيمان قومه، وتفانيه في ذلك، لكن التربية الربانية التي تلقاها من ربه، والآدب النبوي الذي تادب عليه، جعله يرفض طلب المعجزة⁽³⁾ وإنما كانت إجابته **صلى الله عليه وسلم:**

¹ (?) انظر: المعوقون للدعوة الإسلامية، د. سميرة محمد، ص 171، 172.

² (?) انظر: التربية القيادية (1/311)، (3) نفس المصدر (1/311).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

«ما بهذا بعثت إليكم، إنما جئتكم من الله بما بعثني به، وقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم، فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي، أصبر لأمر الله تعالى حتى يحكم الله بيني وبينكم»⁽¹⁾.

وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله حزينًا أسفًا لما فاتته مما طمع فيه من قومه حين دعوته، ولما رأى من مبادئهم إياه،⁽²⁾ وقد ذكر الله سبحانه وتعالى هذه التعتات والرد عليها في قوله سبحانه (وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ۖ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَجِيلٍ وَعَنْبٌ فَتَفْجُرَ الْأَنْهَارَ خَلَالِهَا تَفْجِيرًا ۖ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا رَعِمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ۖ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا تُفَرِّقُ فِيهِ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتَ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ۖ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبَعَتِ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ۖ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ۖ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا) [الأنعام: 90-96].

سُوزِلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَةٌ بِمِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَقَلَمَ يَنَاسُ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ)⁽³⁾

[الرعد: 31].

إن الحكمة في أنهم لم يجابوا لما طالبوا، لأنهم لم يسألوا مسترشدين وجادين، وإنما سألوا متعنتين ومستهزئين، وقد علم الحق سبحانه أنهم لو عاينوا وشاهدوا ما طلبوا لما آمنوا، ولجأوا في طغيانهم يعمهون، ولظلموا في غيهم وضلالهم يترددون. قال سبحانه: (وَأَقْسِمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ۖ وَنَقَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا وَأَنْبَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۖ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَهُمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَخَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلًا مَا كَانُوا لَيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ) [الأنعام: 109-111].

¹ (?) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (1/459). (5) انظر: السيرة النبوية لأبي شعبة (1/317).

³ (?) يعني لو أن هناك قرآنًا بهذه المثابة لكان هذا القرآن الكريم، فهو ليس له مثل لا من قبل ولا من بعد، جواب (لو) محذوف دل عليه المقام.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

ولهذا اقتضت الحكمة الإلهية والرحمة الربانية ألا يجابوا على ما سألوا؛ لأن سنته سبحانه أنه إذا طلب قوم آيات فاجبوا، ثم لم يؤمنوا، عذبهم عذاب الاستئصال كما فعل بغاد وثمود وقوم فرعون.

وليس أدل على أن القوم كانوا متعنتين وساخرين، ومعوقين لا جادين، من أن عندهم القرآن وهو آية من الآيات، وبينه الكينات، ولذلك لما سألوا ما إقترحوا من هذه الآيات وغيرهم رد عليهم سبحانه⁽¹⁾ بقوله: (وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا بَذِيرٌ مُّبِينٌ ۖ أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۖ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) [العنكبوت: 50-52].

وقد ذكر عبد الله بن عباس⁽²⁾ رواية مفادها: أن قريشا قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهباً ونؤمن بك، قال: وتفعلون؟ قالوا: نعم، قال فدعاه: فاتاه جبريل فقال: إن ربك - عز وجل - يقرأ عليك السلام، ويقول إن شئت أصبح لهم الصفا ذهباً، فمن كفر بعد ذلك منهم عذبتهم عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين، وإن شئت فتحت لهم أبواب التوبة، والرحمة، فقال: بل ياب التوبة والرحمة، فأنزل الله تعالى: (وَمَا مَتَعْنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَإِنتَبَا ثُمَّودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا) [الإسراء: 59]⁽²⁾.

لقد كان هدف زعماء قريش من تلك المطالب، هو شن حرب إعلامية ضد الدعوة والداعية، والتأمر على الحق، كي تبتعد القبائل العربية عنه صلى الله عليه وسلم؛ لأنهم يطالبون بأمور يدركون أنها ليست طبيعة هذه الدعوة؛ ولهذا أصروا عليها، بل لقد صرحوا بأن لو تحقق شيء من ذلك فلن يؤمنوا أيضاً بهذه الدعوة، وهذا كله محاولة منهم لإظهار عجز الرسول صلى الله عليه وسلم واتخاذ ذلك ذريعة لمنع الناس عن اتباعه⁽³⁾.

تاسعاً: دور اليهود في العهد المكي واستعانة مشركي مكة بهم:

تحدث القرآن الكريم عن بني إسرائيل طويلاً في سور كثيرة، بلغت خمسين سورة في المرحلة المكية، وفي المرحلة المدنية، كان دور اليهود كبيراً في محاولة إطفاء نور الله، والقضاء على دعوة الإسلام، وعلى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم تحظ ملة من الملل؛ ولا قوم من الأقوام بالحديث عنهم بمثل هذا الشمول،

¹ (?) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبه (1/320، 321).

² (?) صحيح السيرة النبوية، ص 90.

³ (?) انظر: الوفود في العهد المكي، ص 40: 51.

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

وهذه التفصيلات ما حظي به اليهود، وحديث القرآن عنهم يتسم بمنهج دقيق يتناسب مع المراحل الدعوية التي مرت بها دعوة الإسلام، فقد جاءت الآيات الكريمة تشير إلى أن غفلة المشركين عن الحق الذي جاء به رسول الله **صلى الله عليه وسلم** وعدم اكتراثهم به وبدعوته، له نماذج بشرية تقدمتهم، مثل عاد وثمود وفرعون وبنو إسرائيل وقوم تبع، وأصحاب الرس⁽¹⁾

عندما وجدت قريش نفسها عاجزة أمام دعوة الحق، وكان المعبر عن هذا العجز، النضر بن الحارث الذي صرح قائلاً: «يا معشر قريش إنه والله قد نزل بكم أمر ما أوتيتم له بحيلة بعد.. فانظروا في شأنكم، فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم» فقررروا بعد ذلك إرسال النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط، إلى أحبار اليهود بالمدينة، لمعرفة حقيقة هذه الدعوة، لا لكي يتبعوها، ولكن لإدراكهم أن اليهود قد يمدونهم بأشياء تظهر عجز الرسول **صلى الله عليه وسلم** لمعرفة زعماء مكة بحقد اليهود المنصب على الأنبياء جميعاً وأصحاب الحق أينما كانوا، كانت بعثة المصطفى **صلى الله عليه وسلم** صدمة قوية لليهود؛ وذلك لأنهم عاشوا في جزيرة العرب على حلم توارثوه طوال السنين الماضية، وهو أنه سيبعث نبي مخلص في ذلك الزمان والمكان، فرجوا أن يكون منهم، أملين أن يخلصهم من الفرقة والشتات الذي كانوا فيه⁽²⁾.

كان التقارب بين معسكر الكفر والشرك مع اليهود، ينسجم مع أهدافهم المشتركة للقضاء على دعوة الإسلام، ولذلك زودوا الوفد المكي ببعض الأسئلة محاولة لتعجيز النبي **صلى الله عليه وسلم**.

عن ابن عباس قال: بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار اليهود بالمدينة، فقالوا لهم: سلوهم عن محمد، وصفوا لهم صفته، وأخبروهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجوا حتى قدما المدينة، فسألا أحبار يهود عن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** ووصفا لهم أمره وبعض قوله، وقالوا: إنكم أهل التوراة، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا، قال: فقالت لهم أحبار يهود: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقول، فروا فيه رأيكم: سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم؟ فإنه قد كان لهم حديث عجيب، وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح، ما هو؟ فإن أخبركم بذلك فإنه نبي فاتبعوه، وإن هو لم يخبركم فهو رجل متقول فاصنعوا في أمره ما بدا لكم.

فأقبل النضر وعقبة حتى قدما مكة على قريش فقالوا: يا معشر قريش، قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، قد أمرنا أحبار يهود أن

¹ (?) معالم قرآنية في الصراع مع اليهود، ص 30، 31، مصطفى مسلم.
² (?) انظر: اليهود في السنة المطهرة، د. عبد الله الشقاري (1/188).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

نسأله عن أمور، فأخبروهم بها، فجاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا محمد، أخبرنا، فسألوه عما أمروهم به، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: أخبركم غداً بما سألتهم عنه، ولم يستثن⁽¹⁾ فأنصرفوا عنه، فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة لا يحدث الله إليه في ذلك وحياً، ولا يأتيه جبريل عليه السلام، حتى أرجف أهل مكة وقالوا: وعدنا محمدًا غداً واليوم خمس عشرة، قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه، وحتى أحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث الوحي عنه، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة، ثم جاءه جبريل عليه السلام من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف فيها معانيبه إياه على حزنه عليهم، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطواف، وقول الله عز وجل: (**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**) .

كانت سورة الكهف قد احتوت على الإجابة لأسئلتهم، وإشارة إلى أن كهفًا من غناية الله سوف يأوي هؤلاء المستضعفين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، كما أوى الكهف الجبلي الفتية المؤمنين الفارين بدينهم من الفتنة.

وأن نفوسًا ستبش في وجوه هذه العصابة، من أنصار دين الله في يثرب، بالقرب من الذين عاضدوا قريشًا في شكهم، وحاولوا معهم طمس نور الحق بتلقينهم المنهج التعجيزي في التثبت في أمر النبوة، وهو منهج غير سليم، فمتى كانت الأسئلة التعجيزية وسيلة التحقق من صدق الرسالة وصاحبها، فهذا نبي الله موسى عليه السلام وهو من أعظم أنبياء بني إسرائيل لم يعلم تأويل الأحداث الثلاثة التي جرت أمامه، وانكر على الخضر تصرفاته، على الرغم من تعهده أن لا يسأله عن شيء حتى يحدث له منه ذكرًا، على الرغم من كل ذلك لم تؤثر الأحداث وما دار حولها في نبوة موسى عليه السلام بشئًا، ولم يشكك بنو إسرائيل في نبوته، فلم يجعلوا مثل هذه الأسئلة أسلوبةً للتحقق من صدق الرسالة⁽²⁾.

جعل الله هذم المناسبة وسيلة للإشارة إلى قرب الفرج للعصابة المؤمنة ليجدوا مأوى كما وجد الفتية المأوى، وليبش في وجوههم أهل المدينة كما بش أهل المدينة في وجه هؤلاء الفتية، ثم ذهبوا إليهم ليكرمهم وليخلدوا ذكراهم⁽³⁾.

عاشراً: الحصار الاقتصادي والاجتماعي في آخر العام السابع من البعثة:

ازداد إيذاء المشركين من قريش، أمام صبر الرسول صلى الله

(?) أي: لم يقل: (إن شاء الله).

(?) انظر: مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، ص 189.

(?) انظر: تأملات في سورة الكهف للشيخ أبي الحسن الندوي، ص 46، وانظر: معالم قرآنية في الصراع مع اليهود، ص 61.

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

عليه وسلم والمسلمين على الأذى وإصرارهم على الدعوة إلى الله، وإزاء قشور الإسلام في القبائل، وبلوغ الأذى قمته في الحصار المادي والمعنوي، الذي ضربته قريش ظلمًا وعدوانًا على النبي **صلى الله عليه وسلم** وأصحابه، ومن عطف عليهم من قرابتهم⁽¹⁾.

قال الزهري: «ثم إن المشركين اشتدوا على المسلمين كأشد ما كانوا، حتى بلغ المسلمين الجهد، واشتد عليهم البلاء، واجتمعت قريش في مكرها، أن يقتلوا رسول الله **صلى الله عليه وسلم** علانية، فلما رأى أبو طالب عمل القوم جمع بني عبد المطلب، وأمرهم أن يدخلوا رسول الله **صلى الله عليه وسلم** شعبهم، ويمنعوه ممن أراد قتله، فاجتمعوا على ذلك مسلمهم وكافرهم، فمنهم من فعله حمية، ومنهم من فعله إيمانًا وبقيةً، فلما عرفت قريش أن القوم قد منعوا رسول الله **صلى الله عليه وسلم**، فاجمعوا أمرهم ألا يجالسوهم ولا يبيعوهم ولا يدخلوا بيوتهم حتى يسلموا رسول الله **صلى الله عليه وسلم** للقتل، وكتبوا في مكرهم صحيفة وعهودًا ومواثيق، لا يتقبلوا من بني هاشم أبدًا صلحًا، ولا يأخذهم بهم رافة حتى يسلموه للقتل⁽²⁾.

وفي رواية: ... على ألا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم، ولا يبيعوهم شيئًا ولا يبتاعوا منهم، ولا يدعوا سببًا من أسباب الرزق يصل إليهم، ولا يقبلوا منهم صلحًا، ولا تأخذهم بهم رافة، ولا يخالطوهم، ولا يجالسوهم، ولا يكلموهم، ولا يدخلوا بيوتهم، حتى يسلموا إليهم رسول الله للقتل، ثم تعاهدوا وتوثقوا على ذلك، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم⁽³⁾.

فلبث بنو هاشم في شعبهم ثلاث سنين، واشتد عليهم البلاء والجهد، وقطعوا عنهم الأسواق، فلا يتركوا طعامًا يقدم من مكة ولا بيعًا إلا بادروهم إليه فاشتروه، يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم رسول الله **صلى الله عليه وسلم**⁽⁴⁾.

وكان أبو طالب إذا أخذ الناس مضاجعهم أمر رسول الله **صلى الله عليه وسلم** فأتى فراشه، حتى يراه من أراد به مكرًا أو غائلة، فإذا نام الناس أخذ ابنه أو إخوانه أو بني عمه، فاضطجع على فراش رسول الله **صلى الله عليه وسلم**، وأمر رسول الله أن يأتي بعض فرشهم فيرقدها⁽⁵⁾.

واشتد الحصار على الصحابة، وبني هاشم، وبني المطلب، حتى اضطروا إلى أكل ورق الشجر، وحتى أصيبوا بظلف العيش وشدته، إلى حد أن أحدهم يخرج ليبول فيسمع بقعقة شيء تحته، فإذا هي

¹ (?) انظر: ظاهرة الإرجاء، د. سفر الحوالي (1/50).

² (?) تفاصيل قصة الشعب وما تخللها من أحداث، دلائل النبوة للبيهقي (2/80).

³ (85) السيرة النبوية لابن كثير (2/43: 71) الروض الأنف (2/101: 129).
⁴ (?) السيرة النبوية لابن هشام (1/350)، زاد المعاد (2/46)، الكامل في التاريخ (2/87).

⁵ (?) انظر: ظاهرة الإرجاء (1/51).

⁵ (1) انظر: فقه السيرة النبوية للغضبان، ص 180.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

قطعة من جلد بعير فيأخذها فيغسلها، ثم يحرقها ثم يسحقها، ثم يستفها، ويشرب عليها الماء فيتقوى بها ثلاثة أيام⁽¹⁾، وحتى لتسمع قريش صوت الصبية يتضاغون من وراء الشعب من الجوع⁽²⁾.

فلما كان رأس ثلاث سنين، قيض الله سبحانه وتعالى لنقض الصحيفة أناساً من أشراف قريش، وكان الذي تولى الانقلاب الداخلي لنقض الصحيفة هشام بن عمرو الهاشمي، فقصده زهير بن أبي أمية المخزومي، وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب، فقال له: يا زهير، أقد رضيت أن تأكل الطعام، وتلبس الثياب وتنكح النساء، وأخوالك حيث قد علمت؟ لا يتاعون، ولا يتناغ منهم، ولا ينكحون ولا ينكح إليهم، أما إنني أحلف بالله لو كانوا أخوال أبي الحكم بن هشام، ثم دعوته إلى مثل ما دعائك إليهم منهم، ما أجابك إليه أبداً، قال: ويحك يا هشام فماذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد، والله لو كان معي رجل آخر لقمتم في نقضها، فقال له: قد وجدت رجلاً، قال: من هو؟ قال: أنا، فقال له زهير: أبغنا ثالثاً.

فذهب إلى المطعم بن عدي، فقال له: أقد رضيت أن يهلك بطنان من بني عبد مناف، وأنت شاهد على ذلك، موافق لقريش فيهم؟ أما والله لو أمكنتموهم من هذه لتجدهم إليها منكم سراعاً قال: ويحك فماذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد قال: قد وجدت لك ثانياً: قال من؟ قال: أنا، قال: أبغنا ثالثاً: قال: قد فعلت، قال: من؟ قال زهير بن أبي أمية، فقال أبغنا رابعاً، فذهب إلى أبي البخترى بن هشام، فقال له نحو ما قال للمطعم بن عدي، فقال له: ويحك وهل نجد أحد يعين على ذلك؟ قال: نعم، زهير بن أبي أمية، والمطعم بن عدي، وأنا، فقال: أبغنا خامساً، فذهب إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد، فكلمه وذكر له قرابته وحقهم، فقال له: وهل على هذا الأمر الذي تدعوني إليه من أحد؟ قال نعم، ثم سمى له القوم، فأتعدوا خطم الحجون ليلاً بأعلى مكة، فاجتمعوا هناك، وأجمعوا أمرهم، وتعاقدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقضوها، وقال زهير: أنا أبدؤكم فأكون أول من يتكلم، فلما أصبحوا غدوا إلى أنديتهم، وغدا زهير بن أبي أمية عليه حلة، فطاف بالبيت سبغاً، ثم أقبل على الناس فقال: أناكل الطعام، ونلبس الثياب، وبنو هاشم هلكت لا يتاعون، ولا يتناغ منهم، والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الطالمة، فقال أبو جهل، وكان في ناحية المسجد: كذبت والله لا تشق، فقال زمعة ابن الأسود: أنت والله أكذب ما رخصنا كتابتها حين كتبت، فقال أبو البخترى: صدق زمعة لا نرضى ما كتبت فيها، ولا نقر به، فقال المطعم بن عدي: صدقتما، وكذب من قال غير ذلك، نبرأ من الله منها ومما كتب فيها، وقال هشام بن عمرو نحواً من ذلك؟ فقال أبو جهل: هذا أمر قضى بليل، نشوور فيه في غير هذا المكان، وأبو طالب جالس في ناحية المسجد لا يتكلم.

¹ (?) انظر: الغراء الأولون ص 148، نقلا عن حلية الأولياء ترجمة رقم 7.

² (?) المصدر السابق نفسه، ص 148.

هدية الشبكة الليبية والكاآب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

وقام المعظم بن عدي إلى الصحيفة ليشقها، فوجد الأرضة قد أكلتها إلا (باسمك اللهم) (1)، وروى ابن إسحاق أن الله عز وجل أرسل على الصحيفة الأرضة فلم تدع فيها اسمًا لله عز وجل إلا أكلته، وبقي فيها الظلم والقطعية والبهتان وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك عمه فذهب أبو طالب إلى قومه وأخبرهم بذلك، وقال لهم: فإن كان كاذبًا فلکم علي أن أدفعه إليکم تقتلونه، وإن كان صادقًا فهل ذلك ناهيكم عن تظاهركم علينا؟ فأخذ عليهم الموائيق وأخذوا عليه، فلما نشروها فإذا هي كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المعظم بن عدي وهشام بن عمرو: نحن براء من هذه الصحيفة القاطعة العادية الظالمة، ولن نمالي أحدًا في فساد أنفسنا وأشرافنا، وتتابع على ذلك ناس من أشرف قريش فخرجوا من الشعب (2).

دروس وعبر وفوائد:

- 1- إن مشركي بني هاشم وبني المطلب تضامنوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وحموه كآثر من أعراف الجاهلية، ومن هنا ومن غيره نأخذ أنه يسع المسلم أن يستفيد من قوانين الكفر فيما يخدم الدعوة، على أن يكون ذلك مبنياً على فتوى صحيحة من أهلها (3).
- 2- إن حقوق الإنسان في عصرنا ضمان للمسلم، والحرية الدينية في كثير من البلدان يستفاد منها، وقوانين كثيرة من أقطار العالم تعطي للمسلمين فرضاً وعلى المسلمين أن يستفيدوا من ذلك وغيره من خلال موزانات دقيقة (4).
- 3- من المهم أن تعلم بأن حماية أقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم له، لم تكن حماية للرسالة التي بعث بها، وإنما كانت لشخصه من الغريب، وإذا أمكن أن تستغل هذه الحماية من قبل المسلمين كوسيلة من وسائل الجهاد والتغلب على الكافرين والرد لمكائدهم وعدوانهم فأنعم بذلك من جهد مشكور وسبيل ينتبهون إليها (5).
- 4- انتصر أبو طالب في غزو المجتمع القرشي بقصائده الضخمة، التي هزت كيانه هزاً وتحرك لنقض الصحيفة من ذكرنا من قبل، أولئك الخمسة الذين يمتون بصلة قرابة أو رحم لبني هاشم، وبني المطلب وإستطاعوا أن يرفعوا هذا الظلامة، وهذا الحيف عن المسلمين وأنصارهم وحلفائهم وخططوا له ونجحوا فيه وفي هذا الموقف إشارة إلى أن كثيراً من النفوس، والتي تبدو في ظاهر الأمر من أعمدة الحكم الجاهلي، قد تملك في أعماقها رفقاً لهذا الظلم والبغي، وتستغل الفرصة المناسبة لإزاحته، وعلى أبناء المسلمين أن يهتموا بهذه الشرائح، وينفذوا إلى أعماقها، وتوضح لهم حقيقة القرآن

1 (?) انظر: السيرة النبوية لابن كثير (2/43: 50، 67: 69)

2 (?) السير والمغازي لابن إسحاق ص 156: 162.

3 (?) انظر: الأساس في السنة وفقها - السيرة النبوية، سعيد حوى، (1/264).

4 (?) المصدر السابق نفسه، ص 264.

5 (1) انظر: فقه السيرة النبوية، للبوطي، ص 88.

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الاواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

الكريم، والسنة النبوية الشريفة، وتبين لها طبيعة العداء بين الإسلام واليهود والصليبيين والعلمانية، فقد يستفاد منهم في خدمة الإسلام⁽¹⁾.

5- وظاهرة أبي لهب تستحق الدراسة والعناية؛ لأنها تتكرر في التاريخ الإسلامي، فقد يجد الدعاة من أقرب جلفائهم من يقلب لهم ظهر المجن، ويبالغ في إيذاء الدعاة، وحربهم أكثر بكثير يلقونه من خصومهم الألداء الأشداء⁽²⁾.

6- كانت تعليمات الرسول **صلى الله عليه وسلم** لأفراد المسلمين ألا يواجهوا العدو، وأن يضبطوا أعصابهم، فلا يشعلوا فتيل المعركة، أو يكونوا وقودها، وإن أعظم تربية في هذه المرحلة هي صبر أبطال الأرض على هذا الأذى، دون مقاومة. حمزة وعمر، وأبو بكر وعثمان، وغيرهم رضي الله عنهم، سمعوا وأطاعوا، فلقوا كل هذا الأذى وهذا الحقد، وهذا الظلم، فكفوا أيديهم، وصبروا ليس على حادثة واحدة فقط، أو يومًا واحدًا فقط بل ثلاث سنين عجاف، تحترق أعصابهم ولا يسمح لهم برمية سهم أو شجرة رأس⁽³⁾.

7- أثبتت الأحداث عظمة الصف المؤمن، في التزامه بأوامر قائده، وبعده عن التصرفات الطائشة، فلم يكن شيء أسهل من اغتيال أبي جهل، وإشعال معركة غير مدروسة لا يعلم إلا الله مداها، وغير متكافئة.

8- كانت الدعوة الإسلامية تحقق انتصارات رائعة في الحبشة، وفي نجران، وفي أزد شنوءة، وفي دؤس، وفي غفار، وكانت تتم في خط واضح، سيكون سندًا للإسلام والمسلمين ومراكز قوى يمكن أن تتحرك في اللحظة الحاسمة، وامتدادات للدعوة تتجاوز حدود مكة الصلدة المستعصية.

9- كانت هذه السنوات الثلاثة للجيل الرائد، زادًا عظيمًا في البناء والتربية، حيث ساهم بعضه في تحمل الأم الجوع والخوف، والصبر على الابتلاء، وضبط الأعصاب، والضغط على النفوس والقلوب، ولجم العواطف عن الانفجار.

10- كانت بعض الشخصيات في الصف المشترك، تبني في داخلها بالتربية النبوية، وتتأثر بعظمة شخصية النبي **صلى الله عليه وسلم**، وتتفاعل في أعماقها مع المبادئ التي يقدمها الدين الجديد، لكن سيطرة الملأ وسطوة الكبراء، كانت تحول دون إبراز هذا التفاعل وهذا الحب وهذه التربية، وختام قصة الصحيفة تقدم لنا أجلى بيان عن ذلك⁽⁴⁾.

11- قيام الحجج الدامغة والبراهين الساطعة، والمعجزات الخارقة لا يؤثر في أصحاب الهوى وعبد المصالح والمنافع؛ لأنهم

¹ (?) انظر: فقه السيرة النبوية للغضبان، ص 185. (3) المرجع السابق، ص 186.

³ (?) انظر: التربية القيادية (1/371).

⁴ (1) التربية القيادية (1/384، 385). (2) السيرة النبوية لأبي فارس، ص 167. هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

يلغون عقولهم عن التدبر، ويصمون آذانهم عن سماع الحق، ويغمضون أعينهم عن النظر والتأمل والاهتداء إلى الحق بعد قيام الأدلة عليه، فلقد أخبرهم أبو طالب بما أخبر به الرسول **صلى الله عليه وسلم** بما حدث للصحيفة من أكل الأرضة لها وبقاء اسم الله فقط (باسمك اللهم) ورأوا ذلك بأم أعينهم فما آمن منهم أحد، إنه الهوى الذي يغطي عن الحق، ويصم الأذان عن سماعه⁽¹⁾.

12- كانت حادثة المقاطعة الاقتصادية والاجتماعية سبباً في خدمة الدعوة والدعاية لها بين قبائل العرب، فقد ذاع الخبر في كل القبائل العربية من خلال موسم الحج، ولفت أنظار جميع الجزيرة العربية إلى هذه الدعوة التي يتحمل صاحبها وأصحابه الجوع والعطش والعزلة لكل هذا الوقت، أثار ذلك في نفوسهم أن هذه الدعوة حق، ولولا ذلك لما تحمل صاحب الرسالة وأصحابه كل هذا الأذى والعذاب.

13- أثار هذا الحصار سخط العرب على كفار مكة لقسوتهم على بني هاشم وبني المطلب، كما أثار عطفهم على النبي **صلى الله عليه وسلم** وأصحابه، فما أن انفك الحصار حتى أقبل الناس على الإسلام، وحتى ذاع أمر هذه الدعوة وتردد صدها في كل بلاد العرب، وهكذا ارتد سلاح الحصار الاقتصادي على أصحابه، وكان عاملاً قوياً من عوامل انتشار الدعوة الإسلامية عكس ما أراد زعماء الشرك تماماً⁽²⁾.

14- كان لوقوف بني هاشم وبني المطلب مع رسول الله وتحملهم معه الحصار الاقتصادي والاجتماعي أثر في الفقه الإسلامي، حيث إن سهم ذوي القربى من الخمس يعطى لبني هاشم وبني المطلب، ويوضح ابن كثير هذا الحكم لدى تفسيره قوله تعالى: (**وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّبَيُّاتِ وَالْجُمُعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**) [الأنفال: 41].

فيقول: «وأما سهم ذوي القربى، فإنه يصرف إلى بني هاشم، وبني المطلب؛ لأن بني المطلب وازروا بني هاشم في الجاهلية، وفي أول الإسلام، ودخلوا معهم في الشعب غضباً لرسول الله **صلى الله عليه وسلم** وحماية لهم، مسلمهم طاعة لله ورسوله وكافرهم حمية للعشيرة وأنفة وطاعة لأبي طالب، وأما بنو عبد شمس، وبنو نوفل، وإن كانوا بني عمهم، فلم يوافقوهم على ذلك، بل حاربوهم وناذبوهم ومالؤوا بطون قريش على حرب الرسول **صلى الله عليه وسلم**، ولهذا كان ذم أبي طالب لهم في قصيدته اللامية أشد من غيرهم لشدة قربهم.. وفي بعض الروايات هذا الحديث: «إنهم لم يفارقونا في جاهلية ولا إسلام» وهذا قول جمهور العلماء إنهم بنو هاشم وبنو

² (?) انظر: الحرب النفسية ضد الإسلام، د. عبد الوهاب كحيل، ص101.
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

المطلب»⁽¹⁾.

15- لما أذن الله بنصر دينه، وإعزاز رسوله، وفتح مكة، ثم حجة الوداع، كان النبي صلى الله عليه وسلم يؤثر أن ينزل في حَيْفِ بني كنانة ليتذكر ما كانوا فيه من الضيق والاضطهاد، فيشكر الله على ما أنعم عليه من الفتح العظيم، ودخولهم مكة، التي أخرجوا منها، وليؤكد قضية انتصار الحق واستعلائه، وتمكين الله لأهله الصابرين،⁽²⁾ فعن أسامة بن زيد قال: قلت يا رسول الله أين تنزل غدًا؟ في حجته، قال: «وهل ترك لنا عقيل من لا؟» ثم قال: «نحن نازلون غداً بخيف بني كنانة، المحصب، حيث قاسمت قريش على الكفر» وذلك أن بني كنانة حالفت قريشاً على بني هاشم، أن لا يبايعوهم، ولا يؤوهم، قال الزهري: والخيف الوادي⁽³⁾.

16- على كل شعب في أي وقت، يسعى لتطبيق شرع الله عليه، أن يضع في حسبانته احتمالات الحصار والمقاطعة من أهل الباطل، فالكفر ملة واحدة. فعلى قادة الأمة الإسلامية تهيئة أنفسهم وأتباعهم لمثل هذه الظروف، وعليهم وضع الحلول المناسبة لها إذا حصلت، وأن تفكر بمقاومة الحصار بالبدائل المناسبة، كي تتمكن الأمة من الصمود في وجه أي نوع من أنواع الحصار⁽⁴⁾.

* * *

1 (?) تفسير ابن كثير، (2/312).
 2 (?) انظر: الغرباء الأولون، ص 149.
 3 (?) البخاري، كتاب الجهاد 180، باب إذا أسلم قوم في دار الحرب (4/33).
 4 (?) انظر: في السيرة النبوية قراءة في جوانب الحذر والحماية، ص 98.
 هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

الفصل الرابع هجرة الحبشة ومحنة الطائف ومنحة الإسراء

المبحث الأول تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع سنة الأخذ بالأسباب

من السنن الربانية التي تعامل معها النبي صلى الله عليه وسلم سنة الأخذ بالأسباب، والأسباب جمع سبب، وهو كل شيء توصل به إلى غيره، وسنة الأخذ بالأسباب مقررّة في كون الله تعالى، بصورة واضحة، فلقد خلق الله هذا الكون بقدرته، وأودعه من القوانين والسنن، ما يضمن استقراره واستمراره، وجعل المسببات مرتبطة بالأسباب بعد إرادته تعالى، فأرسى الأرض بالجبّال، وأنبت الزرع بالماء... وغير ذلك.

ولو شاء الله رب العالمين، لجعل كل هذه الأشياء وغيرها -بقدرته المطلقة- غير محتاجة إلى سبب، ولكن هكذا اقتضت مشيئة الله تعالى وحكمته، الذي يريد أن يوجه خلقه إلى ضرورة مراعاة هذه السنة ليستقيم سير الحياة على النحو الذي يريده سبحانه، وإذا كانت سنة الأخذ بالأسباب مبرزة في كون الله تعالى بصورة واضحة، فإنها كذلك مقررّة في كتاب الله تعالى، ولقد وجه الله عباده المؤمنين إلى وجوب مراعاة هذه السنة في كل شؤونهم الدنيوية، والأخروية سواء، قال تعالى (**وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**) [التوبة: 105].

وقال تعالى: (**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**) [الملك: 15].

ولقد أخبرنا القرآن الكريم أن الله تعالى طلب من السيدة مريم أن تباشر الأسباب وهي في أشدّ حالات ضعفها قال تعالى: (**وَهَـٰذَا إِلَيْكَ يَدْعُ النَّحْلَ تَسَاقِطَ عَلَيْكَ رُطْبًا خَمِيًّا**) [مريم: 25].

وهكذا يؤكد الله تعالى على ضرورة مباشرة الأسباب في كل الأمور والأحوال.

ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان أوعى الناس بهذه السنة الربانية، فكان -وهو يؤسس لبناء الدولة الإسلامية- يأخذ بكل ما في وسعه من أسباب، ولا يترك شيئاً يسيراً جزافاً وقد لمسنا ذلك فيما مضى وسنلمس ذلك فيما بقي بإذن الله تعالى.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

وكان عليه الصلاة والسلام يوجه أصحابه دائماً إلى مراعاة هذه السنة الربانية في أمورهم الدنيوية والأخروية على السواء⁽¹⁾.

التوكل على الله والأخذ بالأسباب:

التوكل على الله تعالى لا يمنع من الأخذ بالأسباب، فالمؤمن يتخذ الأسباب من باب الإيمان بالله وطاعته فيما يأمر به من اتخاذها، ولكنه لا يجعل الأسباب هي التي تنشئ النتائج فيتوكل عليها.

إن الذي ينشئ النتائج كما ينشئ الأسباب هو قدر الله، ولا علاقة بين السبب والنتيجة في شعور المؤمن، اتخاذ السبب عبادة بالطاعة، وتحقيق النتيجة قدر من الله مستقل عن السبب لا يقدر عليه إلا الله؛ وبذلك يتحرر شعور المؤمن من التعبد للأسباب والتعلق بها، وفي الوقت ذاته هو يستوفيها بقدر طاقته، لينال ثواب طاعة الله في استيفائها⁽²⁾.

ولقد قرر النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة ضرورة الأخذ بالأسباب، مع التوكل على الله تعالى، كما نبه عليه السلام على عدم تعارضهما.

بروي أنس بن مالك ؓ أن رجلاً وقف بناقته على باب المسجد وهم بالدخول، فقال يا رسول الله، أرسل راحلتي وأتوكل؟- وكأنه كان يفهم أن الأخذ بالأسباب ينافي التوكل على الله تعالى، فوجه النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن مباشرة الأسباب أمر مطلوب ولا ينافي بحال من الأحوال التوكل على الله تعالى ما صدقت الكنية في الأخذ بالأسباب- فقال له صلى الله عليه وسلم: «بل قيدها وتوكل»⁽³⁾.

وهذا الحديث من الأحاديث التي تبين أنه لا تعارض بين التوكل والأخذ بالأسباب، بشرط عدم الاعتقاد في الأسباب، والاعتماد عليها ونسيان التوكل على الله، وروي عمر ابن الخطاب ؓ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطائاً»⁽⁴⁾.

وفي هذا الحديث الشريف حث على التوكل مع الإشارة إلى أهمية الأخذ بالأسباب، حيث أثبت الغدو والرواح للطير مع ضمان الله تعالى الرزق لها.

ولا بد للأمة الإسلامية أن تدرك أن الأخذ بالأسباب للوصول إلى التمكين أمر لا محيص عنه، وذلك بتقرير الله تعالى حسب سنته التي لا تتخلف، ومن رحمة الله تعالى أنه لم يطلب من المسلمين فوق ما يستطيعونه من الأسباب، ولم يطلب منهم أن يعدوا العدة التي تكافئ

1 (?) انظر: التمكين للأمة الإسلامية، ص 248، 249.

2 (?) في ظلال القرآن (3/1476).

3 (?) رواه الترمذي (4/576) كتاب صفة القيامة باب ما جاء في التوكل.

4 (?) رواه أحمد في مسنده (1/52) ورقمه (370)، وقال الشيخ أحمد شاكر إسناده صحيح.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

تجهيز الخصم ولكنه سبحانه قال: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلُمُونَ) [الأنفال: 60].

فكانه تعالى يقول لهم: افعلوا أقصى ما تستطيعون، احشدوا أقصى إمكاناتكم، ولو كانت دون إمكانات الخصوم، فالاستطاعة هي الحد الأقصى المطلوب، وما يزيد على ذلك يتكفل الله تعالى به، بإمكاناته التي لا حدود لها؛ وذلك لأن فعل أقصى المستطاع هو برهان الإخلاص، وهو الشرط المطلوب لينزل عون الله ونصره⁽¹⁾.

إن النداء اليوم موجه لحماهير الأمة الإسلامية بأن يتجاوزوا مرحلة الوهن والغثاء، إلى مرحلة القوة والبناء، وأن يودّعوا الأحلام والأمنيات وينهضوا للأخذ بكل الأسباب، التي تعينهم على إقامة دولة الإسلام، وصناعة حضارة الإنسان الموصول برب العالمين.

* * *

¹ (?) انظر: الإسلام في خندق، مصطفى محمود، ص 64.
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

المبحث الثاني الهجرة إلى الحبشة

أولاً: الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة:

1- أسباب الهجرة إلى الحبشة:

اشتد البلاء على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل الكفار يحبسونهم ويعذبونهم، بالضرب والجوع والعطش، ورمضاء مكة والنار؛ ليفتنوهم عن دينهم، فمنهم من يفتن من شدة البلاء وقلبه مطمئن بالإيمان، ومنهم من تصلب في دينه وعصمه الله منهم، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية لمكانه من الله، ومن عمه أبي طالب، وأنه لا يقدر على أن يمنعه مما هم فيه من البلاء، قال لهم: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق حتى يجعل لكم فرجاً مما أنتم فيه»، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أرض الحبشة، مخافة الفتنة، وفراراً إلى الله بدينهم، فكانت أول هجرة كانت في الإسلام.⁽¹⁾

وقد ذكر الباحثون أسباباً عديدة في سبب هجرة المسلمين إلى الحبشة منها ما ذكرت، ومنها:

* ظهور الإيمان:

حيث كثر الداخلون في الإسلام، وظهر الإيمان، وتحدث الناس به، قال الزهري في حديثه عن عروة في هجرة الحبشة: فلما كثر المسلمون، وظهر الإيمان فتحدث به، ثار المشركون من كفار قريش بمن آمن من قبائلهم يعذبونهم ويسجونهم وأرادوا فتنهم عن دينهم فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للذين آمنوا به: «تفرقوا في الأرض» قالوا: فأين نذهب يا رسول الله، قال: «ههنا» وأشار إلى أرض الحبشة.⁽²⁾

* ومنها الفرار بالدين:

كان الفرار بالدين خشية الافتتان فيه سبباً مهماً من أسباب هجرتهم للحبشة قال ابن إسحاق: «فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً إلى الله بدينهم»⁽³⁾.

* ومنها: نشر الدعوة خارج مكة:

(?) الهجرة في القرآن الكريم، أحرمني سامعون، ص 290.
(?) المغازي النبوية، للزهري، تحقيق: سهيل زكار، ص 96.
(?) السيرة النبوية لابن هشام، (1/398).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

قال الأستاذ سيد قطب: «ومن ثم كان يبحث الرسول صلى الله عليه وسلم عن قاعدة أخرى غير مكة، قاعدة تحمي هذه العقيدة وتكفل لها الحرية، ويتاح فيها أن تتخلص من هذا التجميد الذي انتهت إليه في مكة، حيث تظفر بحرية الدعوة وحماية المعتنقين لها من الاضطهاد والفتنة، وهذا في تقديرى كان هو السبب الأول والأهم للهجرة، ولقد سبق الاتجام إلى الحبشة، حيث هاجر إليها كثير من المؤمنين الأوائل، القول بأنهم هاجروا إليها لمجرد النجاة بأنفسهم لا يستند إلى قرائن قوية، فلو كان الأمر كذلك لهاجر إذن أقل الناس وجاهة وقوة ومنعة من المسلمين، غير أن الأمر كان على الضد من هذا، فالموالي المستضعفون الذين كان ينصب عليهم معظم الاضطهاد والتعذيب والفتنة لم يهاجروا، إنما هاجر رجال ذوو عصيات، لهم من عصبيتهم في بيئة قبلية ما يعصمهم من الأذى، ويحميهم من الفتنة، وكان عدد القرشيين يؤلف غالبية المهاجرين...»⁽¹⁾.

ووافق الأستاذ الغضبان الأستاذ سيد في ما ذهب إليه: «وهذه اللفتة العظيمة من (سيد) رحم الله لها في السيرة ما يعضدها ويساندها، وأهم ما يؤكددها في رأيي هو الوضع العام الذي انتهى إليه أمر مهاجرة الحبشة، فلم نعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث في طلب مهاجرة الحبشة حتى مضت هجرة يثرب، وبدر واحد والخندق والحديبية، لقد بقيت يثرب معرضة لاجتياح كاسح من قريش خميس سنوات، وكان آخرها هذا الهجوم والاجتياح في الخندق، وحين اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن المدينة قد أصبحت قاعدة أمينة للمسلمين، وانتهى خطر اجتياحها من المشركين، عندئذ بعث في طلب المهاجرين من الحبشة، ولم يعد ثمة ضرورة لهذه القاعدة الاحتياطية، التي كان من الممكن أن يلجأ إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم لو سقطت يثرب في يد العدو»⁽²⁾.

ويميل الأستاذ دروزة إلى أن فتح مجال للدعوة في الحبشة كان سبباً من أسباب هجرة الحبشة حيث يقول: «بل إنه ليخطر بالبال أن يكون من أسباب اختيار الحبشة النصرانية أمل وجود مجال للدعوة فيها، وأن يكون هدف انتداب جعفر متصلاً بهذا الأمل»⁽³⁾ وذهب إلى هذا القول الدكتور سليمان بن جمد العودة: ومما يدعم الرأي القائل بكون الدعوة للدين الجديد في أرض الحبشة سبباً وهدفاً من أسباب الهجرة، إسلام النجاشي، وإسلام آخرين من أهل الحبشة، وأمر آخر، فإذا كان ذهاب المهاجرين للحبشة بمشورة النبي صلى الله عليه وسلم وتوجيهه فبقاؤهم في الحبشة إلى فتح خيبر بأمر النبي صلى الله عليه وسلم وتوجيهه، وفي صحيح البخاري: فقال جعفر: للأشعرين - حين وافقوه بالحبشة: «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنا هنا، وأمرنا بالإقامة فأقيموا معنا»⁽⁴⁾.

1 (?) في طلال القرآن (1/29). (2) المنهاج الحركي للسيرة (1/67، 68).

3 (?) سيرة الرسول (1/265) عن الشامي، ص 111.

4 (?) الصحيح مع الفتح (6/237).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

وهذا يعني أنهم ذهبوا لمهمة معينة - ولا أشرف من مهمة الدعوة لدين الله - وأن هذه المهمة قد انتهت حين طلب المهاجرون⁽¹⁾.

* ومنها البحث عن مكان آمن للمسلمين:

كانت الخطة الأمنية للرسول صلى الله عليه وسلم تستهدف الحفاظ على الصفوة المؤمنة؛ ولذلك رأى الرسول صلى الله عليه وسلم أن الحبشة تعتبر مكانًا آمنًا للمسلمين ريثما يشتد عود الإسلام وتهديد العاصفة، وقد وجد المهاجرون في أرض الحبشة ما أمنهم وطمانهم، وفي ذلك تقول أم سلمة رضي الله عنها: (لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي، أمنا على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نؤذي...)⁽²⁾.

2- لماذا اختار النبي صلى الله عليه وسلم الحبشة؟

هناك عدة أسباب تساعد الباحث للإجابة عن لماذا اختار النبي صلى الله عليه وسلم الحبشة؟ منها:

أ- النجاشي العادل:

أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى عدل النجاشي بقوله لأصحابه: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكًا لا يظلم عند أحد»⁽³⁾.

ب- النجاشي الصالح:

فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم ثناؤه على ملك الحبشة بقوله: «وكان بالحبشة ملك صالح يقال له النجاشي، لا يظلم أحد بأرضه»، وكان يُنَّي (يشاع) عليه مع ذلك صلاحه⁽⁴⁾ ويظهر هذا الصلاح في حمايته للمسلمين، وتأثره بالقرآن الكريم عندما سمعه من جعفر، وكان معتقده في عيسى عليه السلام صحيحًا.

ج- الحبشة متجر قريش:

إن التجارة كانت عماد الاقتصاد القرشي، والحبشة تعتبر من مراكز التجارة في الجزيرة، فربما عرفها بعض المسلمين عندما ذهبوا إليها في التجارة، أو ذكرها لهم من ذهب إليهم قبلهم، وقد ذكر الطبري في معرض ذكره لأسباب الهجرة للحبشة: «وكانت أرض الحبشة متجرًا لقريش، يتجرون فيها، يجدون فيها رفاها من الرزق وأمنًا، ومتجرًا حسنًا»⁽⁵⁾.

(?) انظر: الهجرة الأولى في الإسلام، د. سليمان العودة، ص 34.

(?) السيرة النبوية لابن هشام تحقيق همام أبو صعبك (1/413).

(?) نفس المصدر (1/397). (5) انظر: تاريخ الأمم والملوك للطبري (2/328).

(?) مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم لعروة بن الزبير، ص 104.

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

د- الحبشة البلد الآمن:

فلم يكن في حينها في خارج الجزيرة بلد أكثر أمانًا من بلاد الحبشة، ومن المعلوم بُعد الحبشة عن سطوة قريش من جانب وهي لا تدب لقریش بالاتباع كغيرها من القبائل⁽¹⁾، وفي حديث ابن إسحاق عن أسباب اتّخاذ الحبشة مكانًا للهجرة أنها: أرض صدق، وأن بها ملكًا لا يظلم عنده أحد⁽²⁾ فهي أرض صدق، وملكها عادل، وتلك من أهم سمات البلد الآمن⁽³⁾.

هـ- محبة الرسول صلى الله عليه وسلم للحبشة ومعرفته بها:

ففي حديث الزهري أن الحبشة كانت أحب الأرض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهاجر إليها⁽⁴⁾ ولعل تلك المحبة لها أسباب منها:

- * حكم النجاشي العاجل.
- * التزام الأحباش بالنصرانية، وهي أقرب إلى الإسلام من الوثنية.
- * معرفة الرسول صلى الله عليه وسلم بأخبار الحبشة من خلال حاضنته أم أيمن رضي الله عنها، وأم أيمن هذه ثبت في صحيح مسلم وغيره أنها كانت حبشية⁽⁵⁾، كما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان خيرًا بطبائع وأحوال الدول التي في زمانه.

3- وقت خروج المهاجرين، وسرية الخروج والوصول إلى الحبشة:

غادر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة في رجب من السنة الخامسة للبعثة، وكانوا عشرة رجال، وأربع نسوة، وقيل: خمسين نسوة، وحاولت قريش أن تدركهم لتردهم إلى مكة، وخرجوا في أثرهم حتى وصلوا البحر، ولكن المسلمين كانوا قد أبحروا متوجهين إلى الحبشة⁽⁶⁾.

وعند التأمل في فقه المرويات يتبين لنا سرية المهاجرين، ففي رواية الواقدي: «فخرجوا متسللين سرًا»⁽⁷⁾ وعنه الطبري⁽⁸⁾ وممن ذكر السرية في الهجرة، ابن سيد الناس⁽⁹⁾، وابن القيم⁽¹⁰⁾ والزرقاني⁽¹¹⁾، ولما وصل المسلمون إلى أرض الحبشة أكرم النجاشي

1 (?) انظر: هجرة الرسول وأصحابه في القرآن والسنة، أحمد الجمل، ص 97.

2 (?) السيرة النبوية لابن هشام، (1/397).

3 (?) الهجرة الأولى في الإسلام، ص 46.

4 (?) مغازي الزهري، ص 96.

5 (?) صحيح مسلم (3/1392)، تهذيب الأسماء واللغات للنووي (3/357).

6 (?) انظر: الهجرة في القرآن الكريم، أحمي سامعون، ص 290، 291.

7 (?) الطبقات (1/204).

8 (?) تاريخ الطبري (2/329).

9 (?) عيون الأثر (1/116).

10 (?) زاد المعاد (3/23).

11 (?) شرح المواهب (1/271).

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مثواهم، وأحسن لقاءهم ووجدوا عنده من الطمأنينة بالأمن ما لم يجدوه في وطنهم وأهلهم.

إن المتأمل في أسماء الصحابة الذين هاجروا⁽¹⁾ لا يجد فيهم أحدًا من الموالى الذين نالهم من أذى قريش وتعذيبها أشد من غيرهم، كبلال، وخباب، وعمار رضي الله عنهم، بل نجد غالبيتهم من ذوي النسب والمكانة في قريش، ويمثلون عددًا من القبائل، صحيح أن الأذى شمل ذوي النسب والمكانة كما طال غيرهم، ولكنه كان على الموالى أشد في بيئة تقيم وزنًا للقبيلة وترعى النسب، وبالتالي فلو كان الفرار من الأذى وحده، هو السبب في الهجرة، لكان هؤلاء الموالى المعذبون أحق بالهجرة من غيرهم، ويؤيد هذا أن ابن إسحاق وغيره ذكر عدوان المشركين على المستضعفين ولم يذكر هجرتهم للحبشة⁽²⁾.

ويصل الباحث إلى حقيقة مهمة ألا وهي أن ثمة أسبابًا أخرى، تدفع للهجرة غير الأذى اختار لها النبي **صلى الله عليه وسلم** نوعية من أصحابه، تمثل عددًا من القبائل، وقد يكون لذلك أثر في حمايتهم، لو وصلت قريش إلى إقناع أهل الحبشة بإرجاعهم من جانب، وتهز هجرتهم قبائل قريش كلها أو معظمهم من جانب آخر، فمكة ضاقت بأبنائها، ولم يجدوا بداً من الخروج عنها بحثًا عن الأمن في بلد آخر، ومن جانب ثالث، يرحل هؤلاء المهاجرون بدين الله لينشروه إلى الأفاق، وقد تكون محلاً أصوب وأبرك للدعوة إلى الله فتفتح عقول وقلوب حين يستغل سواها⁽³⁾.

عاش المسلمون ثلاثة أشهر من بدء الهجرة، وحدث تغير كبير على حياة المسلمين في مكة، وهناك ظروف نشأت لم تكن موجودة من قبل، بعثت في المسلمين الأمل في إمكان نشر الدعوة في مكة، حيث أسلم في تلك الفترة حمزة بن عبد المطلب، عم رسول الله **صلى الله عليه وسلم** عصبية لابن أخيه، ثم شرح الله صدره للإسلام، فثبت عليه، وكان حمزة أعز فتيان قريش وأشدّهم شكيمة، فلما دخل في الإسلام عرفت قريش أن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** قد عزّ وأمتنع وأن عمه سيمنعه ويحميه، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه⁽⁴⁾.

وبعد إسلام حمزة أسلم عمر بن الخطاب، وكان عمر ذا شكيمة لا يرام، فلما أسلم امتنع به أصحاب رسول الله **صلى الله عليه وسلم** وبحمزة حتى عازوا قريشًا⁽⁵⁾.

كان إسلام الرجلين العظيمين بعد خروج المسلمين إلى الحبشة،

1 (?) ارجع إليهم في: البداية والنهاية (3/96، 97)، سيرة ابن هشام، (1/344): (352).

2 (?) الأنساب، البلاذري (1/156: 198) ابن هشام (1/392: 396).

3 (?) انظر: الهجرة الأولى في الإسلام، ص 37.

4 (?) مختصر سيرة الرسول **صلى الله عليه وسلم** محمد بن عبد الوهاب، ص 90.

5 (?) السيرة النبوية (1/294)، وعازوا قريشًا: أي غلبوهم.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

فكان إسلامهما عزةً للمسلمين وقهراً للمشركين وتشجيعاً لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على المجاهرة بعقيدتهم.

قال ابن مسعود: إن إسلام عمر كان فتناً، وإن هجرته كانت نصراً، وإن إمارته كانت رحمة، ولقد كنا ما نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر، فلما أسلم قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه⁽¹⁾.

وعن ابن عمر قال: «لما أسلم عمر قال: أيُّ قريش أنقل للحديث؟ قيل له: جميل بن معمر الجُمحي، قال: فغداً عليه، قال عبد الله: وغدوت معه أتبع أثره، وأنظر ماذا يفعل حتى جاءه فقال له: أعلمت يا جميل أنني أسلمت ودخلت في دين محمد؟ قال: فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه وتبعه عمر، واتبعت أبي حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش وهم في أنديتهم حول الكعبة - ألا إن ابن الخطاب قد صاباً⁽²⁾ قال: يقول عمر من خلفه: كذب، ولكنني أسلمت، وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وثأروا إليه فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم وطلح فقعده، وقاموا على رأسه وهو يقول: افعلوا ما بدا لكم فأحلف بالله أن لو كنا ثلاثمائة لقد تركناها أو تركتموها لنا⁽³⁾» لقد أصبح المسلمون إداً في وضع غير الذي كانوا فيه قبل الهجرة إلى الحبشة، فقد امتنعوا بحمزة وعمر رضي الله عنهما، واستطاعوا أن يصلوا عند الكعبة بعد أن كانوا لا يقدرُونَ على ذلك، وخرجوا من بيت الأرقم بن أبي الأرقم مجاهرين حتى دخلوا المسجد، وكفت قريش عن إيذائهم بالصورة الوحشية التي كانت تعذبهم بها قبل ذلك، فالوضع قد تغير بالنسبة للمسلمين، والظروف التي كانوا يعيشون فيها قبل الهجرة قد تحولت إلى أحسن، فهل ترى هذا يخفى على أحد؟ وهل تظن أن هذه التغيرات التي جرت على حياة المسلمين في مكة لم تصل إلى أرض الحبشة، ولو عن طريق البحارة الذين كانوا يمرون بجدة؟

لا بد أن كل ذلك قد وصلهم، ولا شك أن هؤلاء الغرباء قد فرحوا بذلك كثيراً، ولا يستغرب أحد بعد ذلك أن يكون الحنين إلى الوطن، وهو فطرة فطر الله عليها جميع المخلوقات، قد غاودهم ورغبت نفوسهم في العودة إلى حيث الوطن العزيز مكة أم القرى، وإلى حيث يوجد أهل والعشيرة فعادوا إلى مكة في ظل الظروف الجديدة والمشجعة، وتحت إلحاح النفس وحنينها إلى حرم الله وبيته العتيق⁽⁴⁾.

1 (?) السيرة النبوية لابن هشام (1/365)
2 (?) صبا: خرج من دين إلى دين آخر: القاموس المحيط، باب الهمزة (1/20).
3 (?) سبل الهدى والرشاد للصالحى (2/498، 499).
4 (?) تأملات في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، لمحمد سيد الوكيل، ص 59، الهجرة في القرآن الكريم، ص 302.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

لقد رجع المهاجرون إلى مكة بسبب ما علموا من إسلام حمزة وعمر، واعتقادهم أن إسلام هذين الصحابين الجليلين سيعتز به المسلمون وتقوى شوكتهم.

ولكن قريبًا واجهت إسلام حمزة وعمر رضي الله عنهما بتدبيرات جديدة يتجلى فيها المكر والدهاء من ناحية، والقسوة والعنف من ناحية أخرى، فزادت في أسلحة الإرهاب التي تستعملها ضد النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم سلاحًا قاطعًا وهو سلاح المقاطعة الاقتصادية، وقد تحدثت عنه، وكان من جراء ذلك الموقف العنيف أن رجع المسلمون إلى الحبشة مرة ثانية، وانضم إليهم عدد كبير ممن لم يهاجروا قبل ذلك⁽¹⁾.

ثانيًا: هجرة المسلمين الثانية إلى الحبشة:

قال ابن سعد: قالوا: لما قدم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مكة من الهجرة الأولى، اشتد عليهم قومهم، وسطت بهم عشائهم ولقوا منهم أذى شديدًا، فأذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج إلى أرض الحبشة مرة ثانية، فكانت خرجتهم الثانية أعظمها مشقة، ولقوا من قريش تعنيفًا شديدًا ونالوهم بالأذى، واشتد عليهم ما بلغهم عن النجاشي من حسن جواره لهم، فقال عثمان بن عفان: يا رسول الله فهجرتنا الأولى وهذه الآخرة ولست معنا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنتم مهاجرون إلى الله تعالى وإليّ، لكم هاتان الهجرتان جميعًا» قال عثمان: فحسبنا يا رسول الله⁽²⁾.

وهاجر معهم كثيرون غيرهم أكثر منهم وعدتهم -كما قال ابن إسحاق وغيره ثلاثة وثمانون رجلًا إن كان عمار بن ياسر فيهم. وأثنان وثمانون رجلًا إن لم يكن فيهم، قال السهيلي وهو الأصح عند أهل السير كالواقدي، وابن عتبة وغيرهما⁽³⁾ وثمانية عشرة امرأة: إحدى عشرة قرشيات، وسبع غير قرشيات، وذلك عدا أبنائهم الذين خرجوا معهم صغارًا، ثم الذين ولدوا لهم فيها⁽⁴⁾.

1- سعي قريش لدى النجاشي في رد المهاجرين:

فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمّنوا، واطمانوا بأرض الحبشة، وأنهم قد أصابوا بها دارًا وأستقرّوا، وحسن جوار من النجاشي، وعبدوا الله لا يؤذيهم أحد، اتّمروا فيما بينهم أن يبعثوا وفدًا للنجاشي لإحضار من عنده من المسلمين إلى مكة بعد أن يوقعوا بينهم وبين ملك الحبشة، إلا أن هذا الوفد خدم الإسلام والمسلمين من حيث لا يدري، فقد أسفرت مكيدته عند النجاشي عن حوار هادف دار بين أحد المهاجرين وهو جعفر بن أبي

¹ (?) انظر: القول المبين في سيرة سيد المرسلين، د. محمد النجار، ص 111،

الهجرة في القرآن الكريم، ص 302.

² (?) طبقات ابن سعد (1/207) (ط. بيروت) الهجرة في القرآن الكريم، ص 303.

³ (?) انظر: الروض الأنف للسهيلي (3/228). (5) انظر: الهجرة في القرآن الكريم، ص 303.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

طالب، وبين ملك الحبشة، أسفر هذا الحوار عن إسلام النجاشي، وتأمين المهاجرين المسلمين عنده⁽¹⁾.

فَعَن أُم سَلَمَةَ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: لَمَّا نَزَلْنَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ جَاوَرْنَا بِهَا خَيْرَ جَارٍ (النجاشي) أَمَنَا عَلَى دِينِنَا وَعَبَدْنَا اللَّهَ تَعَالَى، لَا نُوْذِي، وَلَا نَسْمَعُ شَيْئًا نَكْرَهُهُ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ قَرِيبًا ائْتَمَرُوا بَيْنَهُمْ أَنْ يَبْعَثُوا إِلَى النَجَاشِيِّ فِينَا رَجُلَيْنِ جَلِيدَيْنِ⁽²⁾ وَأَنْ يَهْدُوا لِلنَجَاشِيِّ هَدَايَا مِمَّا يَسْتَطِرْفُ مِنْ مَتَاعِ مَكَّةَ، وَكَانَ مِنْ أَعْجَبَ مَا يَأْتِيهِ مِنْهَا إِلَيْهِ الْأَدَمُ⁽³⁾ فَجَمَعُوا لَهُ أَدَمًا كَثِيرًا، وَلَمْ يَتْرَكُوا مِنْ بَطَارِقَتِهِ⁽⁴⁾ بَطْرِيْقًا إِلَّا أَهْدَوْا لَهُ هَدِيَّةً، ثُمَّ بَعَثُوا بِذَلِكَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي رَيْعَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْمُخَزُومِيَّ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ بْنِ وَائِلِ السَّهْمِيِّ، وَأَمْرُوهُمَا أَمْرَهُمْ، وَقَالُوا لَهُمَا: ادْفَعَا إِلَى كُلِّ بَطْرِيْقٍ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ تَكْلُمُوا النَجَاشِيَّ فِيهِمْ، ثُمَّ قَدَمُوا لِلنَجَاشِيِّ هَدَايَاهُ، ثُمَّ سَلَوَهُ أَنْ يُسَلِّمَهُمْ إِلَيْكُمْ قَبْلَ أَنْ يَكْلُمَهُمْ قَالَتْ: فَخَرَجَا فَقَدَمَا عَلَى النَجَاشِيِّ، وَنَحْنُ عَنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ وَخَيْرِ جَارٍ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْ بَطَارِقَتِهِ بَطْرِيْقٌ إِلَّا دَفَعَا إِلَيْهِ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ يَكْلُمَا النَجَاشِيَّ، ثُمَّ قَالَ لِكُلِّ بَطْرِيْقٍ مِنْهُمْ: إِنَّهُ صَبَا إِلَى بَلَدِ الْمَلِكِ مِنْ غُلَمَانِ سَفَهَاءَ، فَارْقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ، وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكُمْ، وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتُمْ، وَقَدْ بَعَثْنَا إِلَى الْمَلِكِ فِيهِمْ أَشْرَفَ قَوْمِهِمْ، لِنُرْدَهُمْ إِلَيْهِمْ، فَإِذَا كَلَّمْنَا الْمَلِكَ فِيهِمْ فَأَشِيرُوا عَلَيْهِ بِأَنْ يُسَلِّمَهُمْ إِلَيْنَا، وَلَا يَكْلُمَهُمْ فَإِنْ قَوْمُهُمْ أَعْلَى⁽⁵⁾ بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمَ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا لَهُمَا: نَعَمْ ثُمَّ إِنَّهُمَا قَرَّبَا هَدَايَاهُمَا إِلَى النَجَاشِيِّ فَقَبِلَهَا مِنْهُمَا، ثُمَّ كَلَّمَاهُ فَقَالَا: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّهُ صَبَا إِلَى بَلَدِكَ مِنْ غُلَمَانِ سَفَهَاءَ، فَارْقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ، وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكَ، وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ، وَقَدْ بَعَثْنَا إِلَيْكَ فِيهِمْ أَشْرَفَ قَوْمِهِمْ مِنْ أَبَائِهِمْ وَأَعْمَامِهِمْ، لِنُرْدَهُمْ إِلَيْهِمْ، فَهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمَ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ وَعَاتَبُوهُمْ فِيهِ.

قَالَتْ: وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَيْعَةَ وَعَمْرُو بْنِ الْعَاصِ مِنْ أَنْ يَسْمَعَ النَجَاشِيَّ كَلَامَهُمْ، فَقَالَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ: صَدَقُوا أَيُّهَا الْمَلِكُ قَوْمُهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا وَأَعْلَمَ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ فَاسْلَمَهُمْ إِلَيْهِمَا فَلِيرُدَاهُمْ إِلَى بِلَادِهِمْ وَقَوْمِهِمْ.

قَالَتْ: فَغَضِبَ النَجَاشِيَّ ثُمَّ قَالَ: لَا هَيْمٌ⁽⁶⁾ اللَّهُ إِذْنٌ لَا أَسْلَمَهُمْ إِلَيْهِمَا وَلَا أَكَادُ⁽⁷⁾ قَوْمًا جَاوَرُونِي وَنَزَلُوا بِلَادِي وَاخْتَارُونِي عَلَى مَنْ سِوَايَ، حَتَّى أَدْعُوهُمْ فَاسْأَلَهُمْ مَا يَقُولُ هَذَانِ فِي أَمْرِهِمْ؟ فَإِنْ كَانُوا

1 (?) انظر: الهجرة في القرآن الكريم، ص 304. (2) الجلد، القوة، الشدة.

3 (?) الأدم: جمع أديم وهو الجلد المدبوغ. (4) جمع بطريق: وهو الحاذق بالحرب وأمورها بلغة الروم.

5 (?) أعلى بهم عينا: قال السهيلي: أي أبصر بهم، أي عينهم وأبصارهم فوق عين غيرهم في أمرهم، الروض الأنف (1/92).

6 (?) والمعنى: لا والله. (7) لا أكاد: قال في اللسان: يقولون إذا حمل أحدهم ما يكره، لا والله ولا كيد.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

كما يقولون أسلمتهم إليهما، ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما، وأحسن جوارهم، ما جاوروني⁽¹⁾.

2- حوار بين جعفر والنجاشي:

ثم أرسل النجاشي إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاهم، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا، ثم قال بعضهم لبعض ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول والله ما علمنا وما أمرنا به نبينا صلى الله عليه وسلم كائنًا في ذلك ما هو كائن، فلما جاءه وقد دعا النجاشي أساقفته⁽²⁾ فنشروا مصاحفهم⁽³⁾ حوله، سألهم فقال: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا ديني ولا دين أحد من هذه الأمم؟

قالت: فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب فقال له: أيها الملك، كنا قومًا أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، يأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد وأبأنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام.

قالت: فعدد عليه أمور الإسلام.. فصدقناه وأمنا به، واتبعناه على ما جاء به. فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا، وشققوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلدك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك⁽⁴⁾.

قالت: فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله شيء؟ قالت: فقال له جعفر: نعم، فقال له النجاشي، فأقرأه عليّ؟

فقرأ عليه صدرًا من (كهيعص) قالت: فبكى والله النجاشي، حتى أخضل⁽⁵⁾ لحيته وبكت أساقفته حتى أخضوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم.

ثم قال النجاشي: إن هذا والله والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا فوالله لا أسلمهم إليكم أبدًا ولا أكاد⁽⁶⁾.

1 (?) أخرجه أحمد (5/290) إسناده صحيح.
2 (?) أساقفته: جمع الأسقف، وهو العالم والرئيس من علماء النصارى.
3 (?) أي أناجيلهم وكانوا يسمونها مصاحف.
4 (6) مسند الإمام أحمد (1/202، 203).
5 (?) ابتلت بالدموع: يقال خضل وأخضل إذا ندي، النهاية (3/43).
6 (?) مسند الإمام أحمد (1/202، 203).

3- محاولة أخرى للدس بين المهاجرين والنجاشي:

قالت أم سلمة: فلما خرجا (عمرو بن العاص، وعبد الله بن أبي ربيعة) من عنده قال عمرو بن العاص: والله لأنبئنه غدًا عيهم عنده، ثم استأصل به خضراءهم⁽¹⁾ قالت: فقال له عبد الله بن أبي ربيعة، وكان أتقى الرجلين فينا، لا تفعل، فإن لهم أرحامًا وإن كانوا قد خالفونا.

قال: والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عبد، قالت: ثم غدا عليه الغد فقال له: أيها الملك إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيماً فأرسل إليهم فاسألهم عما يقولون فيه، قالت: فأرسل إليهم يسألهم عنه، قالت: ولم ينزل بنا مثلها، فاجتمع القوم فقال بعضهم لبعض: ماذا تقولون في عيسى إذا سألكم عنه؟ قالوا: نقول والله فيه، ما قال الله، وما جاء به نبينا كائنًا في ذلك ما هو كائن، فلما دخلوا عليه، قال لهم: ما تقولون في عيسى ابن مريم؟

فقال له جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاء به نبينا: هو عبد الله ورسوله وروحه، وكلمته القاها إلى مريم العذراء، البتول⁽²⁾.

قالت: فضرب النجاشي يده إلى الأرض فأخذ منها عودًا، ثم قال: ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود فتناخرت⁽³⁾ بطارقتة حوله حين قال ما قال، فقال: وإن نخرتم والله، اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي (والسيوم الآمنون) من سيكم غرم، ثم من سيكم غرم، فما أحب أن لي دبرًا ذهبيًا، وإني أذيت رجلا منكم، والدبر بلسان الحبشة الجبل، ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لنا بها، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي، فأخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس في فاطيعهم فيه، قالت: فخرجنا من عنده مقبوحين مردودًا عليهما، ما جاء به وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار⁽⁴⁾.

4- إسلام النجاشي:

وقد أسلم النجاشي وصدق بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان قد أخفى إيمانه عن قومه، لما علمه قيههم من الثبات على الباطل، وحرصهم على الضلال، وجمودهم على العقائد المنحرفة وإن صادمت العقل والنقل⁽⁵⁾، فعن أبي هريرة ؓ: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه، وخرج بهم إلى المصلى فصصف بهم، وكبر عليه أربع تكبيرات»⁽⁶⁾ وعن جابر ؓ قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم حين مات النجاشي: «مات

1 (?) استأصل به خضراءهم: أي أقضي به على دهمائهم وسوادهم، الهجرة في القرآن الكريم، ص 307.

2 (?) العذراء: الجارية التي لم يمسه رجل وهي البكر. يقال امرأة بتول: منقطعة عن الرجال لا شهوة لها فيهم.

3 (?) فتناخرت: أي تكلمت وكأنه كلام مع غضب ونفور.

4 (?) مسند الإمام أحمد (1/203) ورجاله رجال الصحيح.

5 (?) انظر: الهجرة في القرآن الكريم، ص 309.

6 (?) البخاري، كتاب الجنائز، باب التكبير على الجنائز (5/64) رقم 1333.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

اليوم رجل صالح، فقوموا فصلوا على أخيكم أصحمة»⁽¹⁾.
رضي الله عنه وأرضاه، وكانت وفاته رحمه الله، سنة تسع عند
الأكثر وقبل سنة ثمان قبل فتح مكة⁽²⁾.

دروس وعبر وفوائد:

1- إن ثبات المؤمنين على عقيدتهم، بعد أن يُنزل بهم الأشرار
والضالون أنواع العذاب والاضطهاد، دليل على صدق إيمانهم،
وإخلاصهم في معتقداتهم، وسمو نفوسهم وأرواحهم، بحيث يرون ما
هم عليه من راحة الضمير، واطمئنان النفس والعقل، وما يملونه من
رضا الله جل شأنه، أعظم بكثير مما ينال أجسادهم من تعذيب
وحرمان واضطهاد؛ لأن السيطرة في المؤمنين الصادقين والدعاة
المخلصين، تكون دائماً وأبداً لأرواحهم لا لأجسادهم، وهم يسرعون
إلى تلبية مطالب أرواحهم من حيث لا يبالون بما تتطلبه أجسامهم من
راحة وشبع ولذة؛ وبهذا تنتصر الدعوات وبهذا تتحرر الجماهير من
الظلمات والجهالات⁽³⁾.

2- مما يتبادر إلى الذهن من هذه الهجرة العظيمة، هو شفقة هذا
الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم على أصحابه ورحمته بهم،
وحرصه الشديد للبحث عما فيه أمنهم وراحتهم، ولذلك أشار عليهم
بالذهاب إلى الملك العادل الذي لا يُظلم أحد عنده، فكان الأمر كما
قال صلوات الله وسلامه عليه، فأمنوا في دينهم ونزلوا عنده في خير
منزل⁽⁴⁾ فالرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي وجه الأنظار إلى
الحبشة وهو الذي اختار المكان الآمن لجماعته ودعوته، كي يحميها
من الإبادة، وهذه تربية نبوية لقيادات المسلمين في كل عصر، أن
تخطط بحكمة وبعد نظر لحماية الدعوة والدعاة، وتبحث عن الأرض
الآمنة التي تكون عاصمة احتياطية للدعوة، ومركزاً من مراكز
انطلاقها فيما لو تعرض المركز الرئيسي للخطر، أو وقع احتمال
اجتياحه فجنود الدعوة
هم الثروة الحقيقية، وهم الذين تنصب الجهود كلها لحفظهم
وحمايتهم، دون أن يتم
أي تفريط بأرواحهم وأمنهم، ومسلم واحد يعادل ما على الأرض من
بشر خارجين عن دين الله وتوحيده⁽⁵⁾.

3- كانت الأهداف من هجرة الحبشة متعددة، ولذلك حرص النبي
صلى الله عليه وسلم على اختيار نوعيات معينة لتحقيق هذه الأهداف،
كشرح قضية الإسلام وموقف قريش منه، وإقناع الرأي العام بعدالة
قضية المسلمين، على نحو ما تفعله الدول الحديثة من تحرك سياسي

1 (?) البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب موت النجاشي، حديث رقم 3877.

2 (?) أسد الغابة (1/99) الإصابة (1/109).

3 (?) السيرة النبوية للدكتور مصطفى السباعي، ص 57.

4 (?) انظر: الهجرة في القرآن الكريم، ص 312.

5 (?) انظر: التربية القيادية للغضبان (1/333). (3) أضواء على الهجرة،

توفيق محمد سبع، ص 427.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

يشرح قضاياها وكسب الرأي العام إلى جوارها⁽¹⁾ وفتح أرض جديدة للدعوة، فلذلك هاجر سادات الصحابة في بداية الأمر ثم لحق بهم أكثر الصحب وأوكل الأمر إلى جعفر⁽²⁾.

4- إن وجود ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم جعفر، وصهره عثمان، وأبنته رقية رضي الله عنهم جميعاً، في مقدمة المهاجرين له دلالة عميقة تشير إلى أن الأخطار لا بد أن يتحشموها المقربون إلى القائد، وأهله ورحمه، أما أن يكون خواص القائد في منأى عن الخطر، ويدفع إليه الأبعدون غير ذوي المكانة فهو منهج بعيد عن نهج النبي صلى الله عليه وسلم⁽³⁾.

5- مشروعية الخروج عن الوطن - وإن كان الوطن مكة على فضلها- إذا كان الخروج قراراً بالدين وإن لم يكن إلى إسلام، فإن أهل الحبشة كانوا نصارى يعبدون المسيح ولا يقولون: هو عبد الله، وقد تبين ذلك في هذا الحديث -يعني حديث أم سلمة- المتقدم، وسموا بهذه مهاجرين، وهم أصحاب الهجرتين الذين أثنى عليهم بالسبق فقال: (**وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ**) وجاء في التفسير: إنهم هم الذين شهدوا بيعة الرضوان⁽⁴⁾ فانظر كيف أثنى الله عليهم بهذه الهجرة، وهم قد خرجوا من بيت الله الحرام إلى دار الكفر، لما كان فعلهم ذلك احتياطاً على دينهم، ورجاء أن يخلي بينهم وبين عبادة ربهم، يذكرونه آمنين مطمئنين، وهذا حكم مستمر متى غلب المنكر في بلد، وأودى على الحق مؤمن ورأى الباطل قاهراً للحق ورجا أن يكون في بلد آخر، أي بلد كان، خلى بينه وبين دينه ويظهر فيه عبادة ربه فإن الخروج على هذا الوجه حق على المؤمن، هذه الهجرة التي لا تنقطع إلى يوم القيامة (**وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**) [البقرة: 115]⁽⁵⁾.

6- يجوز للمسلمين أن يدخلوا في حماية غير المسلمين، إذا دعت الحاجة إلى ذلك، سواء كان المجير من أهل الكتاب كالجاشي، إذ كان نصرانياً عندئذ، ولكنه أسلم بعد ذلك، أو كان مشركاً كأولئك الذين عاد المسلمون إلى مكة في حمايتهم عندما رجعوا من الحبشة، وكأبي طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمطعم بن عدي الذي دخل الرسول صلى الله عليه وسلم مكة في حمايته عندما رجع من الطائف⁽⁶⁾.

وهذا مشروط -بحكم الهداية- ألا تستلزم مثل هذه الحماية إضراراً بالدعوة الإسلامية، أو تغييراً لبعض أحكام الدين، أو سكوناً

1 (?) انظر: التربية القيادية، (1/333). (5) نفس المصدر (1/333).

2 (?) تفسير الطبري (11/6) تفسير ابن كثير (2/331).

3 (?) الروض الأنف للسيهلي (2/92) الهجرة في القرآن الكريم، ص 312.

6 (?) الهجرة في القرآن الكريم، ص 316.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

على اقتراح بعض المحرمات، وإلا لم يجز على المسلم الدخول فيها، ودليل ذلك ما كان من فقهه **صلى الله عليه وسلم** حينما طلب منه أبو طالب أن يبقى على نفسه ولا يحمله ما لا يطيق فلا يتحدث عن آلهة المشركين بسوء، فقد وطن نفسه إذ ذاك على الخروج من حماية عمه وأبى أن يسكت عن شيء مما يجب عليه بيانه وإيضاحه⁽¹⁾.

7- إن اختيار الرسول **صلى الله عليه وسلم** الهجرة إلى الحبشة يشير إلى نقطة إستراتيجية هامة، تمثلت في معرفة الرسول بما حوله من الدول والممالك، فكان يعلم طبيعتها من حيثها، وعادتها من ظالمها، الأمر الذي ساعد على اختيار دار آمنة لهجرة أصحابه، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه حال قائد الدعوة الذي لا بد أن يكون ملماً بما يجري حوله، مطلقاً على أحوال وأوضاع الأمم والحكومات⁽²⁾.

8- يظهر الحس الأمني عند الرعيل الأول، في هجرتهم الأولى، وكيفية الخروج، فيتمثل في كونه تم تسلاً وخفية حتى لا تطفن له قريش فتحبطه كما أنه تم على نطاق ضيق لم يزد على ستة عشر فرداً، فهذا العدد لا يلفت النظر في حالة تسلمهم فرداً أو فردين، وفي ذات الوقت يساعد على السير بسرعة، وهذا ما يتطلبه الموقف فالركب يتوقع المطاردة والملاحقة في أي لحظة، ولعل السرية المضروبة على هذه الهجرة، فوتت على قريش العلم بها في حينها، فلم تعلم بها إلا مؤخراً، فقامت في إثرهم لتلحق بهم، لكنها أخفقت في ذلك، فعندما وصلت البحر لم تجد أحداً، وهذا مما يؤكد على أن الحذر هو مما يجب أن يلتزمه المؤمن في تحركاته الدعوية، فلا تكون التحركات كلها مكشوفة ومعلومة للعدو بحيث يترتب عليها الإضرار به وبال دعوة⁽³⁾.

9- لم ترض قريش بخروج المسلمين إلى الحبشة وشعرت بالخطر الذي يهدد مصالحها في المستقبل، وربما تكبر الجالية هناك وتصبح قوة خطيرة، ولذلك جد المشركون وشرعوا في الأخذ بالأسباب لإعادة المهاجرين، وبدأت قريش تلاحق المهاجرين؛ لكي تنزع هذا الموقع الجديد منهم في تخطيط محكم ذكي، فالهدايا إلى النجاشي والهدايا إلى بطارفته ووضعت الخطة داخل مكة، وكيف توزع الهدايا، وما نوعية الكلام الذي يرافق الهدايا، وصفات السفراء، فعمرو من أصدقاء النجاشي ومعروف بالدهاء! وما أحوجنا إلى ألا نستصغر عدونا، وألا ننام عن مخططاته، وأن نعطي حجه الحقيقي، وندرس تحركاته، لنستعد لمواجهة مخططاته الماكرة⁽⁴⁾.

10- نفذت خطة قريش بحذافيرها كاملة، ولكنها فشلت؛ لأن شخصية النجاشي، التي تم جوارها، رفضت أن تسلم المسلمين قبل

1 (?) فقه السيرة للبوطي ص 126، الهجرة في القرآن الكريم، ص 317.

2 (?) انظر: في السيرة النبوية قراءة لجوانب الحذر والحماية، ص 101.

3 (?) نفس المصدر، ص 101.

4 (?) انظر: التربية القيادية (1/317).

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

السماع منهم، وبذلك أتاحت الفرصة للمسلمين إلى أن يعرضوا قضيتهم العادلة ودينهم القويم.

11- اجتمع الصحابة حين جاءهم رسول النجاشي وطلب منهم الحضور، وتدارسوا الموقف، وهكذا كان أمر المسلمين بشورى بينهم، وكل أمر يتم عن طريق الشورى هو أدعى إلى نجاحه؛ لأنه يضم خلاصة عقول كثيرة، وتبدو مظاهر السمو التربوي في كون الصحابة لم يختلفوا بل أجمعوا على رأي واحد، ألا وهو أن يعرض الإسلام كما جاء به رسول الله **صلى الله عليه وسلم** كائنًا في ذلك ما هو كائن، وعزموا على عرض الإسلام بعزة، وإن كان في ذلك هلاكهم⁽¹⁾.

12- كان وعي القيادة النبوية على مستوى الأحداث؛ ولذلك وضع جعفر بن أبي طالب على إمارة المسلمين في الهجرة، وتم اختياره من قبل المسلمين المهاجرين ليتحدث باسمهم بين يدي الملك، وليتمكن من مواجهة داهية العرب عمرو بن العاص، وقد امتازت شخصية جعفر بعدة أمور جعلتها تتقدم لسد هذه الثغرة العظيمة منها:

* جعفر بن أبي طالب من ألصق الناس برسول الله **صلى الله عليه وسلم** فقد عاش معه في بيت واحد، فهو أخبر الناس بقائد الدعوة، وسيد الأمة من بين كل المهاجرين إلى الحبشة.

* وهذا الموقف بين يدي النجاشي يحتاج إلى بلاغة وفصاحة، وبنو هاشم قمة قريش نسبًا وفضلًا، وجعفر في الذؤابة من بني هاشم، والله تعالى قد اختار هاشمًا من كنانة، واختار نبيه من بني هاشم، فهم أفصح الناس لسانًا وأوسطهم نسبًا.

* وهو ابن عم رسول الله **صلى الله عليه وسلم** وهذا يجعل النجاشي أكثر اطمئنانًا وثقة بما يعرض عن ابن عمه⁽²⁾.

* خلق جعفر المقتبس من مشكاة النبوة، وجمال خلقه المنحدر من أصلاب بني هاشم، فقد قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم** لجعفر: «أشبهت خلقي وخلقي»⁽³⁾ فالسفير بين يدي النجاشي كان قدوة لسفراء المسلمين على مر الزمان، وكر العصور، فقد اتصف بسمات السفراء المسلمين، كالإسلام والانتماء إليه، والفصاحة، العلم، حسن الخلق، الصبر، الشجاعة، الحكمة، سعة الحيلة، المظهر الجذاب⁽⁴⁾.

13- كان عمرو بن العاص وهو يمثل في تلك المرحلة عداوة الله ورسوله **صلى الله عليه وسلم** على مستوى كبير من الذكاء والدهاء والمكر، وكان قبل دخول جعفر وحديثه قد شحن كل ما لديه من حجة، وألقى بها بين يدي النجاشي من خلال النقاط الآتية:

¹ (?) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (2/92).
² (?) انظر: التربية القيادية، (1/335)، (2) نفس المصدر (1/336).
⁴ (?) انظر: سفراء النبي **صلى الله عليه وسلم**، لمحمود شيت خطاب (2/252): (317).

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

* تحدث عن بلبلة جو مكة وفساد ذات بينها من خلال دعوة محمد **صلى الله عليه وسلم**، وهو سفير مكة وممثلها بين يدي النجاشي، فكلامه مصدق لا يعتريه الشك، وهو عند النجاشي موضع ثقة.

* تحدث عن خطورة أتباع محمد **صلى الله عليه وسلم** وربما سيزلزلون الأرض تحت قدمي النجاشي، كما أفسدوا جو مكة، ولولا حب قريش للنجاشي و صداقتها معه، ما تمنوا هذا العناء لنصحه «وأنت لنا عيبة صدق، تأتي إلى عشيرتنا بالمعروف، ويأمن تاجرنا عندك» فلا أقل من رد المعروف بمثله، ولا أقل من وفاء حسن الجوار والعلاقة بين مكة والحبيشة من تحذيره من هذه الفتنة المخيفة.

* وأخطر ما في أمرهم، هو خروجهم على عقيدة النجاشي وكفرهم بها «فهم لا يشهدون أن عيسى ابن مريم إله، فليسوا على دين قومهم وليسوا على دينك» فهم مبتدعة دعاة فتنة.

* ودليل استصغارهم لشأن الملك، واستخفافهم به أن كل الناس يسجدون للملك لكنهم لا يفعلون ذلك، فكيف يتم إيواؤهم عندك وهو عودة إلى إثارة الرعب في نفسه، من عدم احترام الدعاة له حين يستخفون بملكه، ولا يسجدون له، فكان على جعفر أن يفند كل الاتهامات الباطلة التي ألصقها سفير قريش بالمهاجرين⁽¹⁾.

14- كان رد جعفر على أسئلة النجاشي في غاية الذكاء، وقمة المهارة السياسية، والإعلامية والدعوية، والعقدية، فقام بالتالي:

* عدّد عيوب الجاهلية، وعرضها بصورة تنفر السامع، وقصّد بذلك تشويه صورة قريش في عين الملك، وركز على الصفات الذميمة التي لا تنتزع إلا بنوة.

* عرض شخصية الرسول **صلى الله عليه وسلم** في هذا المجتمع الآسن المليء بالردائل، وكيف كان بعيداً عن النقائص كلها، ومعروفاً بنسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فهو المؤهل للرسالة.

* أبرز جعفر محاسن الإسلام وأخلاقه التي تتفق مع أخلاقيات دعوات الأنبياء، كنبيذ عبادة الأوثان، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وكون النجاشي وبطارقته موغلين في النصرانية فهم يدركون أن هذه رسالات الأنبياء، التي بعثوا بها من لدن موسى، وعيسى عليهما الصلاة والسلام.

* فضح ما فعلته قريش بهم؛ لأنهم رفضوا عبادة الأوثان، وآمنوا بما نزل على محمد **صلى الله عليه وسلم** وتخلقوا بخلقه.

* أحسن الثناء على النجاشي بما هو أهله، بأنه لا يُظلم عنده أحد، وأنه يقيم العدل في قومه.

¹ (?) انظر: التربية القيادية (1/319، 340).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

* وأوضح أنهم اختاروه كهفًا من دون الناس، فرارًا من ظلم هؤلاء الذين يريدون تعذيبهم؛ وبهذه الخطوات البينة الواضحة دحر بها بلاعة عمرو وقصاحته، واستأثر بلب النجاشي وعقله، وكذلك استأثر بلب وعقل البطارقة، والقسيسين الحاضرين.

* وعندما طلب الملك النجاشي شيئًا مما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم جاء صدر سورة مريم في غاية الأحكام والروعة والتأثير، حتى بكى النجاشي، وأساقفته، وبللوا لحاهم ومصاحفهم من الدموع، واختيار جعفر لسورة مريم، يظهر بوضوح حكمة وذكاء مندوب المهاجرين، فسورة مريم تتحدث عن مريم وعيسى عليهما السلام⁽¹⁾.

* إن عبقرية جعفر في حسن اختيار الموضوع، والزمن المناسب، والقلب المتفتح، والشحنة العاطفية، أدت إلى أن يريح الملك إلى جانبه⁽²⁾.

* كان رده في قضية عيسى عليه السلام دليلاً على الحكمة والذكاء النادر، فرد بأنهم لا يألوهن عيسى ابن مريم، ولكنهم كذلك لا يخوضون في عرض مريم عليها السلام، كما يخوض الكاذبون، بل عيسى ابن مريم كلمته وروحه ألقاها إلى مريم البتول العذراء الطاهرة، وليس عند النجاشي زيادة عما قال جعفر، ولا مقدار هذا العود⁽³⁾.

* هم لا يسجدون للنجاشي، فهم معاذ الله أن يعدلوه بالله، ولا ينبغي السجود إلا لله، لكنهم لا يستخفون بالملك، بل يوقرونه ويسلمون عليه كما يسلمون على نبيهم، ويحيونه بما يحيي أهل الجنة أنفسهم به في الجنة⁽⁴⁾.

* انتهى الأمر بأن أعلن النجاشي صدق القوم، وأيقن بأن هؤلاء صديقون، وعزم على أن يكون في خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يأتيه الناموس كنعاموس موسى، وأن يتقرب إلى الله بحماية أصحابه، وأكد لعمرو أنه لا يضيره تجارة قريش، ولا مال قريش، ولا جاهها، ولو قطعت علاقتها معه⁽⁵⁾.

15- وبذلك انهزمت قريش في هذه الجبهة سياسيًا ومعنويًا، وإعلاميًا أمام مقاومة المسلمين الموفقة وخطواتهم، وأساليبهم الرصينة.

16- كان موقف جعفر وإخوانه مثالاً تطبيقيًا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من التمس رضا الله بسخط الناس، كفاه الله مؤنة الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى

(?) انظر: السيرة النبوية قراءة لجوانب الحذر والحماية، ص 106.

(?) انظر: التربية القيادية، (1/337).

(?) نفس المصدر (1/342).

(3) المصدر السابق، (1/342). (4) المصدر السابق (1/342).

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

الناس» ⁽¹⁾ فهؤلاء الصحابة -رضي الله عنهم- قد التمسوا رضا الله عز وجل، مع أن الظاهر في الأمر أنه يترتب عليه في هذه القضية سخط أولئك النصارى وهم الذين لهم الهيمنة عليهم، فكانت النتيجة أن الله عز وجل سخر لهم ملك الحبشة حتى نطق بالحق الموافق لدعوة النبي **صلى الله عليه وسلم**، مع مخالفته الصريحة لمعتقدهم المنحرف، الذي قام عليه ملكهم وما يغلب على الظن من ثورة النصارى المتعصين عليه ⁽²⁾.

17- كان عند بعض النصارى إيمان صحيح بدينهم، ولكنهم يكتمون ذلك، لكون الغلبة والسيادة في الأرض لأصحاب الدين المحرف، ومن الذين كانوا على الاعتقاد الصحيح ملك الحبشة، وكان يخفي إيمانه هذا مداراة لقومه إبقاء على نفسه وملكه، فلما وقع في هذا الابتلاء أظهر إيمانه، إرضاءً لربه وإراحة لضميره وانتصاراً لحزب الله المؤمنين مهما ترتب على ذلك من نتائج، فكان بهذا الموقف من عظماء التاريخ ⁽³⁾.

18- ومن دروس هجرة الحبشة أن الجهل ببعض أحكام الإسلام لمصلحة راجحة لا يضّر، قال ابن تيمية -رحمه الله- وهو يقرر العذر بالجهل: «ولما زيد في صلاة الحضر حين هاجر صلى الله عليه وسلم إلى المدينة كان مَنْ بعيداً عنه مثل من كان بمكة، وبارض الحبشة يصلون ركعتين، ولم يأمرهم النبي **صلى الله عليه وسلم** بإعادة الصلاة» ⁽⁴⁾.

وقال الذهبي: «فلا يَأْثَمُ أَحَدٌ إِلَّا بَعْدَ الْعِلْمِ وَبَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ، وَقَدْ كَانَ سَادَةُ الصَّحَابَةِ بِالْحَبَشَةِ يَنْزِلُ الْوَاجِبُ وَالْتِحْرِيمُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَا يَبْلُغُهُمْ إِلَّا بَعْدَ أَشْهُرَ فَهُمْ فِي تِلْكَ الْأُمُورِ مَعْذُورُونَ بِالْجَهْلِ حَتَّى يَبْلُغَهُمُ النَّصْ...» ⁽⁵⁾.

19- ومن دروس هجرة الحبشة، تفاضل الجهاد حسب الحاجة، فإذا كانت الهجرة للمدينة جهاداً ميز الله أصحابها وخصهم بالذكر والفضيلة، فقد نال هذا الفضل أصحاب هجرة الحبشة وإن تأخر لحوقهم بالنبي **صلى الله عليه وسلم** حتى فتح خيبر، وذلك للحاجة لبقائهم في الحبشة، وهذا ما أكدته النبي لأصحاب السفينتين ⁽⁶⁾ عن أبي موسى الأشعري ؓ قال: ودخلت أسماء بنت عميس، وهي ممن قدم معنا، على حفصة زوج النبي **صلى الله عليه وسلم** زائرة، وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر، فدخل عمر على حفصة، وأسماء عندها، فقال عمر حين رأى أسماء: من هذه؟ قالت: أسماء

1 (?) سنن الترمذي، كتاب الزهد تحفة الأحوزي (7/97) صحيح الجامع الصغير، رقم 5973.

2 (?) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (2/105).

3 (?) التاريخ الإسلامي للحميدي (2/106). (2) الفتاوى (22/43).

5 (?) الكبائر، ص 12. (4) انظر: الهجرة الأولى في الإسلام، ص 205.

6

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

بنت عميس، قال عمر: الحبشية هذه، البحرية هذه؟ قالت أسماء: نعم، قال: سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله صلى الله عليه وسلم منكم، فغضبت، وقالت: كلا والله كنتم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يطعم جائعكم، ويعط جاهلكم، وكنا في دار -أو في أرض- البُعْداء البُغضاء بالحبشة، وذلك في إله وفي رسوله صلى الله عليه وسلم، وأيم الله لا أطعم طعامًا ولا أشرب شرابًا، حتى أذكر ما قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن كنا نُؤذي ونُخاف وسأذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم وأسأله، والله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه، فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم قالت: يا نبي الله، إن عمر قال كذا وكذا، قال: «فما قلت له؟» قالت: قلت له كذا وكذا، قال: «ليس بأحق بي منكم، وله ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان» قالت: فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يأتون أرسالا يسألوني عن هذا الحديث ما من الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم⁽¹⁾.

20- كانت بداية إسلام عمرو بن العاص بـ أرض الحبشة، وهذا بلا شك أثر من آثار الهجرة للحبشة، وبرهان على ما حققه المهاجرون من مكاسب للدعوة من خلال مكوثهم بأرض الحبشة، وإن كانت كثير من المرويات تتجه إلى أن بداية إسلام عمرو بن العاص كانت على يد النجاشي وهو المشهور كما يقول ابن حجر⁽²⁾ وهي لطيفة لا مثل لها، إذ أسلم صحابي على يد تابعي، كما يقول الزرقاني⁽³⁾ وهناك ما يفيد إسلام عمرو على يد جعفر رضي الله عنهم.

21- يرتبط زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بأم حبيبة بهجرة الحبشة ارتباطًا وثيقًا، ويحمل هذا الزواج منه صلى الله عليه وسلم، لأحد المهاجرات الثابتات، معنى كبيرًا، وكان عقد الزواج على أم حبيبة -رضي الله عنها- وهي في أرض الحبشة، وجاء تأكيده في كتب السنة، فقد روى أبو داود في سننه بسند صحيح عن أم حبيبة -رضي الله عنها- أنها كانت تحت عبيد الله بن جحش، فمات بأرض الحبشة، فزوجه النجاشي النبي صلى الله عليه وسلم وأمهرها عنه أربعة آلاف، وبعث بها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم مع شرحبيل بن حسنة⁽⁴⁾.

وبستنتج الباحث من دلالات هذا الحديث المهم متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم لأحوال المهاجرين، ومشاركتهم في مصابهم، وتطبيب أنفسهم الصابرين، وتقدير ثبات الثابتين وبالتتبع لأحوال المهاجرات لا نجد (أم حبيبة) رضي الله عنها هي الوحيدة التي يعني الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بأمرها، وبواسيها في مصابها،

¹ (?) البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، (5/8).

² (?) انظر: الهجرة الأولى في الإسلام، ص 167.

(2) انظر: شرح المواهب (1/271).

⁴ (?) صحيح سنن أبي داود للألباني (2/396).

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

بل سبق ذلك صنيعه مع (سودة) رضي الله عنها⁽¹⁾ فلما رجعت مع زوجها إلى مكة من الحبشة توفي زوجها السكران بن عمرو، فلما حلت أرسل إليها **صلى الله عليه وسلم** وخطبها، فقالت: أمري إليك يا رسول الله، فقال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: «**مري رجلاً من قومك يزوجه**» فأمرت جابط بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود فزوجها، فكانت أول امرأة تزوجه رسول الله **صلى الله عليه وسلم** بعد خديجة⁽²⁾.

وهذان الحدثان مؤثران، من مؤشرات حكمة تعدده **صلى الله عليه وسلم** في الزواج بشكل عام ولهما دلالتهم وحكمتهم بالاهتمام بالنساء المجاهدات بشكل خاص، هذا فضلاً عن ما يمكن أن يقال، إن الرسول **صلى الله عليه وسلم** كان يهدف أيضاً من وراء الزواج بأم حبيبة تخفيف عداوة (بنو أمية) بشكل عام، وتخفيف عداوة زعيمهم أبي سفيان (والدها) بشكل خاص للإسلام ونيبه والمسلمين⁽³⁾.

فالتأليف للإسلام وارد في السيرة والرسول **صلى الله عليه وسلم** كان حريصاً على قومه بكل وسيلة لا تتنافى مع قيم الإسلام⁽⁴⁾.

22- يرى بعض الباحثين أن النبي **صلى الله عليه وسلم** لم يكن يحب أن يهاجر إلى الحبشة لأسباب كثيرة:

* منها أنه ثبت -كما سيجيء- رؤية النبي **صلى الله عليه وسلم** دار الهجرة أرضاً ذات نخل بين حرتين، وأنه ظنّها هجر⁽⁵⁾.

* ومنها طبيعة الوضع الجغرافي للحبشة الذي يعوق انتشار الدعوة وبسط سلطاتها على العالم.

* ومنها أن اختيار الجزيرة العربية، ومكة بالذات ثم المدينة لنزول الوحي وانطلاق الدين لم يكن اتفاقاً بل كان لمميزات كثيرة⁽⁶⁾.

* ومنها أن هذه البيئة الحبشية لم تكن لتسمح لهذا الدين اللاجئ أن ينمو إلى جوار المسيحية، ولم تكن الرومان -وهي المهيمنة على المسيحية في العالم- لتسمح للحبشة بذلك⁽⁷⁾.

23- كان للهجرة إلى الحبشة أثر في الحط من مكانة القرشيين عند سائر العرب، وإدانة موقفهم من الدعوة وحملتها، إذ كانت البيئة العربية تفتخر بإيواء الغرب وإكرام الجار وتتنافس في ذلك، وتحاذر السبة والعار في خلافه، فهاهم الأحباش يسبقون قريشاً ويؤوون مَنْ طردتهم وأساءت إليهم من أشرف الناس، ومن ضعفائهم، ومن

1 (4) انظر: الهجرة الأولى في الإسلام، ص 188.

2 (?) الطبقات (8/3).

3 (?) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، د. مهدي رزق الله، ص 706، 707.

4 (?) انظر: الهجرة الأولى، ص 188.

5 (?) هجر: هي الأحساء.

6 (?) انظر: الغرباء الأولون، ص 169، 170.

7 (?) انظر: أضواء على الهجرة ص 156: 161، الهجرة في القرآن الكريم، ص 320.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

* * *

⁸ (?) انظر: الغرباء الأولون، ص 170، 171. هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

المبحث الثالث عام الحزن ومحنة الطائف

أولاً: عام الحزن:

1- وفاة أبي طالب:

كانت وفاة أبي طالب بعد مغادرة بني هاشم شعبه، وذلك في آخر السنة العاشرة من المبعث⁽¹⁾ وقد كان أبو طالب (يحوط النبي ويغضب له)⁽²⁾ و(ينصره)⁽³⁾، وكانت قريش تحترمه، وعندما حضرته الوفاة جاء زعماء الشرك وحرضوه على الاستمساك بدبنه وعدم الدخول في الإسلام قائلين: أترغب عن ملة عبد الوطيل؟ وعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام قائلاً: «**قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَشْهَدُ لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» فقال أبو طالب: لولا تعيرني بها قريش، يقولون: إنما حملة عليها الجزع، لأقررت بها عينك، فأنزل الله: **(إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)** [القصص: 56] كانت أفكار الجاهلية راسخة في عقل أبي طالب، ولم يتمكن من تغييرها، فهو شيخ كبير يصعب عليه تغيير فكره وما ألفه عن أبائه، وكان أقرانه حاضرين وقت احتضاره، فأثروا عليه خوفاً من شيوع خبر إسلامه وتأثير ذلك على قومه⁽⁴⁾.

2- وفاة خديجة رضي الله عنها:

أما السيدة خديجة أم المؤمنين -رضي الله عنها- فقد توفيت قبل الهجرة إلى المدينة بثلاث سنين⁽⁵⁾ في نفس عام وفاة أبي طالب⁽⁶⁾. وبموت أبي طالب الذي أعقبه موت خديجة رضي الله عنها، تضاعف الأسى والحزن على رسول الله صلى الله عليه وسلم بفقد هذين الحبيين، اللذين كانا دعائمين من دعائم سير الدعوة في أزماستها، كان أبو طالب السند الخارجي الذي يدفع عنه القوم، وكانت خديجة السند الداخلي الذي يخفف عنه الأزمات والمحن، فتجراً كفار قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونالوا منه ما لم يكونوا يطمعون به في حياة أبي طالب⁽⁷⁾ وابتدأت مرحلة عصيبة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم واجه فيها كثيراً من المشكلات والمصاعب، والمحن والفتن، حينما أصبح في الساحة وحيداً لا ناصر له إلا الله سبحانه وتعالى، ومع هذا، فقد مضى في تبليغ رسالة ربه

1 (?) فتح الباري (7/194). 2) صحيح البخاري (فتح الباري 7/193)

3 (?) صحيح مسلم (1/195). 4) انظر: السيرة النبوية الصحيحة للعصري (1/184).

5 (?) نفس المصدر (1/185). 6) المصدر السابق، (1/185).

7 (?) انظر: محنة المسلمين في العهد المكي، ص 34.

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

إلى الناس كافة على ما يلقي من الخلاف والأذى الشديد، الذي أفاضت كتب الحديث وكتب السير بأسانيدھا الصحيحة الثابتة في الحديث عنه، وتحمل **صلى الله عليه وسلم** من ذلك ما تنوء الجبال بحمله، ولما تكالبت الفتن والمحن على رسول الله **صلى الله عليه وسلم** في بلده الذي نبت فيه وبين قومه الذين يعرفون عنه كل صغيرة وكبيرة، عزم **صلى الله عليه وسلم** على أن ينتقل إلى بلد غير بلده، وقوم غير قومه، يعرض عليهم دعوته، ويلتمس منهم نصرتهم، رجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل، فخرج إلى الطائف، وهي من أقرب البلاد إلى مكة⁽¹⁾.

ثانيًا: رحلة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الطائف:

كان النبي **صلى الله عليه وسلم** يقتدي بالأنبياء والمرسلين الذين سبقوه في الدعوة إلى الله، فهذا نوح لبث في قومه داعيًا: (**أَلَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ نَبِيٌّ خَلَّى مِنْكُمْ وَرَأَى الْفُلْكَانَ يُرْسِلُ أَنْ أَتِيَهُ قَوْمًا مِنْ بَنِي نُوحٍ بِأَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ**) [العنكبوت: 14] فكانت هذه الأعوام الطويلة عملاً دائبًا، وتنويعًا متكررًا: (**إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**) قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَانْقُصُوا مِنْ دَعْوَتِي إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ إِذَا جَاءَ لَا تُؤْخِرُوا عَنْ اللَّهِ إِنَّا كَنُحْسٌ مُعْتَمِدُونَ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَبًّا وَتَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا وَاسْتَكْبَرُوا إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ثُمَّ إِنِّي أَغْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا) [نوح: 1-9]

ومع امتداد الزمن الطويل، ما توقف عن الدعوة، ولا ضعفت همته في تبليغها، ولا ضعفت بصيرته وحيلته في تنويع أوقاتها وأساليبها، قال الألوسي في تفسيره (**رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي**) أي إلى الإيمان والطاعة (**لَبًّا وَتَهَارًا**) أي دائبًا من غير فتور ولا توان، ثم وصفي إغراضهم الشديد، وإصرارهم العنيد، ثم علق على قوله تعالى: (**ثُمَّ إِنِّي أَغْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا**) فقال: أي دعوتهم مرة بعد مرة، وكرة عقب كرة، على وجوه مختلفة وأساليب متفاوتة، وهو تعميم لوجوه الدعوة، بعد تعميم الأوقات، وقوله (**ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا**) يشعر بمسبوقية الجهر بالسر، وهو الأليق بمن همه الإجابة؛ لأنه أقرب إليها لما فيه من اللطف بالمدعو⁽²⁾.

فكان النبي **صلى الله عليه وسلم** ينوع ويتكر في أساليب الدعوة، ودعا سرًا وجهارًا، وسلمًا وحرثًا، وجمعًا وفردًا، وسفيرًا وحضرًا، كما أنه عليه الصلاة والسلام قص القصص، وضرب الأمثال، واستخدم وسائل الإيضاح بالخط على الأرض وغيره، كما رغب وبشر، ورهب

¹ (؟) انظر: محنة المسلمين في العهد المكي، ص36: 45.

² (؟) انظر: تفسير الألوسي (10/89).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

وأُذِر، ودعا في كل آن، وعلى كل حال وبكل أسلوب مؤثر فعَّال⁽¹⁾، فها هو عليه الصلاة والسلام ينتقل إلى الطائف، ثم يتردد على القبائل، ثم يهاجر ويستمر في دعوة الخلق إلى الله تعالى.

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسعى لإيجاد مركز جديد للدعوة، وطلب النصرة من ثقيف لكنها لم تستجب له، وأُغْرِت به صبيانها فرشقوه بالحجارة، وفي طريق عودته من الطائف التقى بعدَّاس الذي كان نصرانياً فأسلم، وأرخ الواقدي الرحلة في شوال سنة عشر من المبعث بعد موت أبي طالب وخديجة، وذكر أن مدة إقامته بالطائف كانت عشرة أيام⁽²⁾.

1- لماذا اختار الرسول صلى الله عليه وسلم الطائف؟

كانت الطائف تمثل العمق الإستراتيجي لملاً قريشي، بل كانت لقريش أطماع في الطائف، ولقد حاولت في الماضي أن تضم الطائف إليها، ووثبت على وادي وج وذلك لما فيه من الشجر والزرع، حتى خافتهم ثقيف وحالفتهم، وأدخلت معهم بني دوس⁽³⁾، وقد كان كثير من أغنياء مكة يملكون الأملاك في الطائف، وبقضون فيها فصل الصيف، وكانت قبيلة بني هاشم وعبد شمس على اتصال مستمر مع الطائف، كما كانت تربط مخزوم مصالح مالية مشتركة بثقيف⁽⁴⁾ فإذا اتجه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الطائف فذلك توجه مدروس، وإذا استطاع أن يجد له فيها موضع قدم، وعصبة تناصره، فإن ذلك سيفزع قريشاً، ويهدد أمنها ومصالحها الاقتصادية تهديداً مباشراً، بل قد يؤدي لتطويقها وعزلها عن الخارج، وهذا التحرك الدعوي السياسي الاستراتيجي الذي يقوم به الرسول صلى الله عليه وسلم يدل على حرصه في الأخذ بالأسباب لإيجاد دولة مسلمة أو قوة جديدة، تطرح نفسها داخل حلبة الصراع؛ لأن الدولة أو إيجاد القوة التي لها وجودها، من الوسائل المهمة في تبليغ دعوة الله إلى الناس. عندما وصل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف اتجه مباشرة إلى مركز السلطة وموضع القرار السياسي في الطائف⁽⁵⁾.

2- أين كان موضع السلطة في الطائف؟

كان بنو مالك والأحلاف -بحكم أسبقيتهم الزمنية للاستيطان- هما المسيطران عليها وتنتهي إليهما قيادتها، فكانت لهما الرئاسة الدينية المتمثلة في رعاية المسجد، بالإضافة إلى الزعامة السياسية العامة والعلاقة الخارجية، والنفوذ الاقتصادي، إلا أنهما مع ذلك لم يكونا في وضع يمكنهما من الدفاع عن منطقة الطائف، التي كانت من أخصب

1 (?) انظر: مقومات الدعوة والداعية، بادحدح، ص 123.
2 (?) طبقات ابن سعد (1/221) نقلاً عن السيرة النبوية الصحيحة (1/185).
3 (?) انظر: شرح العسقلاني لصحيح البخاري، كتاب الكفالة (4/373).
4 (?) انظر: أصول الفكر السياسي، ص 173. (4) المصدر السابق نفسه، ص 174.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

بلاد العرب وأكثرها جذبًا للأنظار والأطماع، فكانا يخافان قبيلة هوازن، ويخافان قريش ويخافان بني عامر، وكلها قبائل قوية وقادرة على الانقضاض والاستلاب؛ ولذلك فقد اعتمد زعماء الطائف على سياسة المهادنة وحفظ الاستقرار السياسي عن طريق المعاهدات والموازين وهي عين الطريق التي كانت تسير عليها قريش، فصار بنو مالك يوثقون علاقاتهم مع هوازن ليأمنوا شرها، وصار الأحلاف يرتبطون بقريش لتأمين جانبيها⁽¹⁾.

هذا ولم يكن الرسول **صلى الله عليه وسلم** غافلاً عن هذه الشبكة من العلاقات والمعاهدات، وهو يتجه إلى الطائف، بل كان يعرف أن الطائف لم تكن توجد بها سلطة مركزية واحدة، وإنما يقسم السلطة فيها بطنان من بطون العرب بموجب اتفاقية داخلية، وأن أيا منهما كان يدور في فلك قبيلة خارجية أقوى، فإذا استطاع أن يستميل إليه أيا منهما، فسوف يكون لذلك أثر كبير في ميزان القوى السياسية، هذا على وجه العموم، أما إذا استطاع على وجه الخصوص أن يستميل إليه الأحلاف، وهو المعسكر المتحالف مع قريش، فإن خطته تكون قد بلغت تمامها وهو أمر غير مستحيل، فهو يعلم أن موادة هذا المعسكر لقريش لا تقوم على القناعة المذهبية أو الولاء الديني بقدر ما تقوم على أساس التخوف من قريش، وعلى هذا التقدير للوضع السياسي اتجه الرسول **صلى الله عليه وسلم** مباشرة حينما دخل الطائف، إلى بني عمرو بن عمير الذين يترأسون الأحلاف، ويرتبطون بقريش، ولم يذهب إلى بني مالك الذين يتحالفون مع هوازن⁽²⁾ قال ابن هشام في السيرة: «لما انتهى رسول الله **صلى الله عليه وسلم** إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم، وهم إخوة ثلاثة عبد ياليل بن عمرو، ومسعود بن عمرو، وحبيب بن عمرو وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جُمح⁽³⁾ غير أن بني عمرو كانوا شديدي الحذر وكثيري التخوف، فلم يستجيبوا لدعوة الرسول **صلى الله عليه وسلم** بل بالغوا في السفه وسوء الأدب معه فقام رسول الله **صلى الله عليه وسلم** من عندهم، وقد يئس من خير ثقيف وقال لهم: «إذا فعلتم ما فعلتم فاكموا عني»⁽⁴⁾ وكره رسول الله **صلى الله عليه وسلم** أن يبلغ قومه عنه فيؤزرهم ذلك عليه، فقد كان رسول الله **صلى الله عليه وسلم** يود أن تتم اتصالاته تلك في جو من السرية، وألا تنكشف تحركاته لقريش⁽⁵⁾ فقد كان النبي **صلى الله عليه وسلم** يهتم كثيرا بجوانب الحيطة والحذر فقد:

أ- كان خروجه من مكة على الأقدام، حتى لا تظن قريش أنه ينوي الخروج من مكة؛ لأنه لو خرج راكباً فذلك مما يشير الشبهة والشكوك، وأنه ينوي الخروج والسفر إلى جهة ما، مما قد يعرضه للمنع من

1 (?) انظر: أصول الفكر السياسي، ص 174. (2) المصدر السابق ص 175.
3 (?) سيرة ابن هشام، (2/78) (5) انظر: أصول الفكر السياسي ص 175.
5

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

الخروج من مكة دون اعتراض من أحد.

ب- واختيار الرسول **صلى الله عليه وسلم** زيدًا كي يرافقه في رحلته فيه جوانب أمنية، فزيد هو ابن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** بالتبني، فإذا رآه معه أحد، لا يشير ذلك أي نوع من الشك لقوة الصلة بينهما، كما أنه **صلى الله عليه وسلم** عرف زيدًا عن قرب، فعلم فيه الإخلاص والأمانة والصدق، فهو إذن مأمون الجانب فلا يفشي سرًا، ويعتمد عليه في الصحة، وهذا ما ظهر عندما كان يقبض النبي **صلى الله عليه وسلم** الحجارة بنفسه، حتى أصيب بشجاج في رأسه.

ج- وعندما كان رد زعماء الطائف ردًا قبيحًا مشوبًا بالاستهزاء والسخرية، تحمله الرسول **صلى الله عليه وسلم** ولم يغضب أو يثر، بل طلب منهم أن يكتموا عنه، فهذا تصرف غاية في الحيلة، فإذا علمت فريش بهذا الاتصال فإنها لا تسخر منه فحسب، بل ربما شددت عليه في العذاب والاضطهاد، وحاولت رصد تحركاته داخل وخارج مكة⁽¹⁾.

3- تضرع و دعاء:

كان بنو عمرو لئامًا فلم يكتموا خبر الرسول **صلى الله عليه وسلم** بل أغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونهم ويرمون عراقيبه بالحجارة، حتى دمت عقباه وتلطخت نعلاه، وسال دمه الزكي على أرض الطائف، وما زالوا به وبزيد بن حارثة حتى ألجأهما إلى حائط- بستان- لعتبة وشيبة ابني ربيعة، وهما فيه، فكره مكانهما لعداوتهما لله ورسوله، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه، فعمد إلى ظل شجرة من غيب، فجلس فيه هو وصاحبه زيد، ريثما يستريحان من عنائهما، وما أصابهما، وأبنا ربيعة ينظران إليه، ويريان ما لقي من سفهاء أهل الطائف، ولم يحركا ساكنًا، وفي هذه الغمرة من الأسى والحزن، والآلام النفسية والجسمانية توجه الرسول **صلى الله عليه وسلم** إلى ربه بهذا الدعاء الذي يفيض إيمانًا و يقينًا، ورضى بما ناله في الله، واسترضاء لله: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ولكن عافيتك أوسع لي. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تنزل بي غضبك، أو يحل علي سخطك لك العتبى⁽²⁾ حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بالله»⁽³⁾.

1 (?) السيرة النبوية جوانب الحذر والحماية، ص 109، 110.

2 (?) العتبى: الاسترضاء.

3 (?) ذهب الدكتور العمري إلى تضعيف الحديث في كتابه السيرة النبوية الصحيحة (1/186) وذهب إبراهيم العلي إلى صحته وبين أن للحديث شاهدًا يقويه ولذلك

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

4- الرحمة والشفقة النبوية:

كانت رحمته وشفقته العظيمة هي التي تغلب في المواقف العصبية التي تبلغ فيها المعاناة أشد مراحلها، وتضغط بعنف على النفس لتشتد وتقسو، وعلى الصدر ليضيق ويتبرم، ومع ذلك تبقى نفسه الكبيرة ورحمته العظيمة هي الغالبة⁽¹⁾.

فعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: «لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب⁽²⁾ فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلمتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال، فسلم علي ثم قال: يا محمد فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين».

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»⁽³⁾.

كانت إصابته صلى الله عليه وسلم يوم أحد أبلغ من الناحية الجسمية، أما من الناحية النفسية، فإن إصابته يوم الطائف أبلغ وأشد؛ لأن فيها إرهاقاً كبيراً لنفسه ومعاناة فكرية شديدة جعلته يستغرق في التفكير من الطائف إلى قرن الثعالب⁽⁴⁾.

وإنا لنلمح في هذا الدعاء عمق توحيد النبي صلى الله عليه وسلم ومبلغ تجرده لله جل وعلا، فرضوان الله تعالى إذن هو الهدف الأعلى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المطلب الأعظم الذي تسخر له كل المطالب، وإذا كان البلاء من الله تعالى، من أجل أن يحل رضاه وينجلي سخطه فحيلاً بالبلاء، وهو ساعته نعمة ورخاء. ثم يختم رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاءه بالكلمة العظيمة التي يقولها، وعلم أصحابه أن يقولوها عند حلول المكاره «ولا حول ولا قوة إلا بك» فلا تحول للمؤمن من حال الشدة إلى حال الرخاء، ولا من الخوف إلى الأمن إلا بالله تعالى، ولا قوة على مواجهة الشدائد

اعتبره صحيحاً وذكره في كتابه صحيح السيرة النبوية، ص 136، وذهب الدكتور عبد الرحمن عبد الحميد البر مدرس الحديث وعلومه في جامعة الأزهر أن الحديث بطريقه قوي مقبول، وخرج طريقه في كتابه الهجرة النبوية المباركة، ص 38.

(?) انظر: مقومات الداعية الناجح، ص 76.

(?) هو قرن المنازل ميقات أهل نجد ويسمى الآن السيل الكبير.

(?) صحيح البخاري رقم 3231. (4) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي، (27/3/26).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

وتحمل المكاره إلا بالله جل وعلا⁽¹⁾.

إن الدعاء من أعظم العبادات، وهو سلاح فعال في مجال الحماية للإنسان، وتحقيق أمنه، فمهما بلغ العقل البشري من الذكاء والدهاء، فهو عرضة للزلل والإخفاق، وقد تمر على المسلم مواقف يعجز فيها عن التفكير والتدبير تمامًا، فليس له مخرج منها سوى أن يجار إلى الله بالدعاء، ليجد فرجا ومخرجًا، فعندما لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الطائف الأذى والطرده والسخرية والاستهزاء وأصبح هائمًا على وجهه، لجأ إلى الله بالدعاء فما أن انتهى من الدعاء حتى جاءت الإجابة من رب العالمين مع جبريل وملك الجبال⁽²⁾.

5- من مناهج التغيير:

كان مقترح ملك الجبال أن يطبق عليهم الأخشيين، وهو يدخل تحت أسلوب الاستئصال، وقد نفذ في قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط قال تعالى: (فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مِّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مِّنْ أَجَذَّهِ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مِّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مِّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) [العنكبوت: 40].

وكان هناك اقتراح آخر وهو أن يستمر في هجرته، والابتعاد عن مكة والطائف الكافرتين، فالأولى أخرجه والثانية خذلته، وعرض ذلك الأمر زيد بن حارثة على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن القيم: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن لم يجد ناصرًا في الطائف، انصرف إلى مكة ومعه مولاة زيد بن حارثة محزونًا، وهو يدعو بدعاء الطائف المشهور، فأرسل ربه تبارك وتعالى ملك الجبال يستأمره أن يطبق الأخشيين على أهل مكة، وهما جبلاها اللذان كانت بينهما، فقال: «لا، بل أستاذني بهم، لعل الله يخرج من أصلابهم من يعبدني ولا يشرك به شيئًا».. وأقام بنخلة أيامًا، فقال له زيد بن حارثة: (كيف تدخل عليهم وقد أخرجوك، يعني قريشًا، وخرجت تستنصر فلم تنصر، يعني الطائف) فقال: «يا زيد، إن الله جاعل لما ترى فرجًا ومخرجًا، وإن الله ناصر دينه ومظهر نبيه»⁽³⁾.

إن النبي صلى الله عليه وسلم رفض منهج الاستئصال، وامتنع عن فكرة الاعتزال، أو الهجرة المستمرة، ونظر إلى المستقبل بنور الإيمان، وقرر الدخول إلى مكة الكافرة ليواصل جهاده الميمون، ويستثمر كل ما يستطيعه من أجل دعوة التوحيد، لم يختر النبي صلى الله عليه وسلم بين المنهجين السابقين، بل تقدم نحو المنهج البديل، الذي عزم عليه وهو منهج يقوم على فكرة دخول مكة الكافرة وليس الانسحاب منها، ويقوم على ضرورة الوجود على ذات الأرض التي يقف عليها الكافرون، واعتصار مؤسساتها واستثمار علاقاتها، وتحوير

¹ (?) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (3/20).

² (?) انظر: السيرة النبوية جوانب الحيلة والحذر، ص 112، 113.

³ (?) انظر: زاد المعاد (2/46).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

غاياتها ليتغذى بكل ذلك مجتمع المؤمنين الذي يسولد من أحشائها، أي أنه كان **صلى الله عليه وسلم** يريد أن يتخذ من أصلاب الكافرين مصانع بشرية تخرج أجيالاً من المسلمين المقاتلين في سبيل الله، فالنظر النبوي هنا مصوب نحو المستقبل بصورة جلية، ولم يكن ذلك يعني الانسحاب من الحاضر⁽¹⁾ كان النبي **صلى الله عليه وسلم** قد عزم على دخول مكة مرة ثانية، غير أن ظاهراً الأحوال تدل على أن دخول مكة لم يكن أمراً هيناً ولا آمناً، وهنالك احتمال كبير للغدر به ولاغتياله من قبل قريش، التي لا يمكن أن تصبر أكثر، وهو قد أعلن الخروج عليها وذهب يستنصر بالقبائل الأخرى، ويوقع بينها وبين حلفائها، ثم إنه حتى لو لم تكن هناك خطورة على شخصه، فإن دخوله إلى مكة بصورة (عادية) وقد طردته الطوائف، سيجعل أهل مكة يصورون الأمر كهزيمة كبيرة أصابت المسلمين ويجترئون عليهم ويزدادون سفهاً، ولذلك فقد اتجه نظر الرسول **صلى الله عليه وسلم** هذم المرة إلى تفجير مكة من الداخل بدلاً من تطويقها من الخارج، أي أراد أن يتغلغل في داخل بطون قريش ذاتها، ويوجد له حلفاء من بينهم ويكوّن له وجوداً في قلبها⁽²⁾.

وذكر ابن هشام في السيرة في معرض الحديث عن إجارة المطعم بن عدي: إنه **صلى الله عليه وسلم** لما انصرف من الطوائف ولم يجيبوه إلى ما دعاهم إليه، من تصديقه ونصرته، صار إلى جراء ثم بعث إلى الأخنس بن شريق ليحيره فقال: أنا حليف والحليف لا يجير، فبعث إلى سهيل بن عمرو، فقال له: إن بني عامر لا تجير على بني كعب، فبعث إلى المطعم بن عدي -سيد قبيلة بني نوفل بن عبد مناف- بعث إليه رجلاً من خزاعة، «أدخل في جوارك؟» فقال: نعم: ودعاً بنيه وقومه فقال: البسوا السلاح وكونوا عند أركان البيت فإني قد أجرت محمدًا، فدخل رسول الله **صلى الله عليه وسلم** ومعه زيد بن حارثة حتى انتهى إلى المسجد الحرام، فقام المطعم بن عدي على راحلته، فنادى: يا معشر قريش إني قد أجرت محمدًا فلا يهجه أحد منكم، فانتهى رسول الله **صلى الله عليه وسلم** إلى الركن فاستلمه وصلى ركعتين وانصرف إلى بيته، والمطعم بن عدي وولده محققون بالسلاح حتى دخل بيته⁽³⁾.

لقد تغير الوضع كثيرًا بسبب منهجية الرسول **صلى الله عليه وسلم** الجديدة، فبدلاً من أن يدخل مكة منهزماً مختفياً دخلها ويحرسه بالسلاح يسيد من سادات قريش، على مسمع منهم ومراى، هذا ونلاحظ أن الرسول **صلى الله عليه وسلم** قد اختار رجلاً من خزاعة فبعثه رسولاً، وفي هذين الاختيارين حكمة سياسية مدهشة، ووعي

(1) انظر: أصول الفكر السياسي في القرآن المكي ص 176.

(2) نفس المصدر، ص 177، 178.

(3) سيرة ابن هشام (1/381) ثم زاد المعاد (2/47). (4) محمد رسول الله، لصادق عرجون، (2/324).

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

تاريخي ودبلوما سي عميق، لأن نوفلاً، وهو الأب الأكبر لقبيلة نوفل التي يترجمها المطعم بن عدي أنثذ، كان خصيماً لعبد المطلب جد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية، فقد وثب على أفنية وساحات كانت لعبد المطلب، واغتصبها، فاضطرب عبد المطلب لذلك واستنهض قومه فلم ينهض كبير أحد منهم، فكتب إلى أخواله من بني النجار من الخزرج قصيدة يستنصرهم، قالوا: فقدم عليه منهم جمع كثيف فأتوا بفناء الكعبة وتنكبوا القسي وعلقوا التراس، فلما رآهم نوفل، قال: كشر ما قدم هؤلاء؟ فكلموه فخافهم ورد أركاح عبد المطلب إليه، فلما نصر بنو الخزرج عبد المطلب قالت خزاعة، وهم قد قووا وعزوا: والله ما رأينا بهذا الوادي أحداً أحسن وجهاً ولا أتم خلقاً ولا أعظم حلماً من هذا الإنسان، يعنون عبد المطلب، وقد نصره أخواله من الخزرج، ولقد ولدناه كما ولدوه، وإن جده عبد مناف لابن حبي بنت حليل بن حبشية سيد خزاعة، ولو بذلنا له نصرنا وحالفنا، انتفعنا به ويقومه وانتفع بنا، فأتاه وجوههم، فقالوا: يا أبا الحارث إنا قد ولدناك كما ولدك قوم من بني النجار، ونحن بعد متجاورون في الدار، وقد أمانت الأيام ما يكون في قلوب بعضنا على قريش من الأحقاد، فهل فبحالفك فأعجب ذلك عبد المطلب وقيله وسارع إليه، ولم يحضر أحد من بني نوفل ولا عبد شمس⁽¹⁾.

هذا النص يشير إلى جذور الصراع التاريخي القديم بين خزاعة وقريش، حينما جمع قصي بن كلاب قريشاً من متفرقات المواقع، وقاتل بهم خزاعة التي كانت لديها رئاسة البيت وسيادة العرب، فأخرج خزاعة من البيت، وقسم مكة أرباعاً على قريش، فما زالت خزاعة مبعضة لقريش كارهين لها، ولما اضطرب الأمر بين قريش وعبد المطلب، تحالفت خزاعة مع عبد المطلب، نكاية بقريش، وإضعافاً لها، وليس صحيحاً أن الأيام قد أمانت ما كان في قلوب بعضهم على قريش من الأحقاد، كما ذكر وفدهم، بل الصحيح أن الأحقاد لم تزل حية والصراع لم يزل مستمراً، ومما يدل على ذلك أن بني نوفل وبني عبد شمس لم يدخلوا ولم يحضرا هذا الحلف، إذ أنه حلف مضاد لهما.

فإذا بعث الرسول صلى الله عليه وسلم رجلاً من خزاعة إلى سيد قبيلة بني نوفل فإن هذا الفعل إشارة ظاهرة إلى تلك الوقائع التاريخية، التي ذكرناها، كما فيها تذكير بالحلف القديم بين عبد المطلب وخزاعة، ضد بني نوفل وعبد شمس ليفهم من ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يقف معزولاً في مكة، وأنه قد يفعل ما فعله جده عبد المطلب، فيتحالف مع خزاعة، أو يستنصر بالخزرج؛ فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن في الواقع (يستعطف) المطعم بن عدي سيد بني نوفل ليدخل في جواره، بقدر ما كان يهدده

¹ (?) انظر: أنساب الأشراف للبلاذري (1/71) تحقيق محمد حميد الله، دار المعارف بمصر، بدون تاريخ.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

ويشير مخاوفه، وحماية المطعم بن عدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تكن مجرد (أريحية) ونبل بقدر ما كانت رعاية لمصلحته وحماية لوضعه، وصمت قريش وهي ترى محمدًا صلى الله عليه وسلم يدخل في جوار بني نوفل ويحرسونه بالسلاح، لم يكن خوفًا من سلاح نوفل، وإنما خوفًا من سلاح خراعة وقسي الخرج⁽¹⁾.

كما لا ننسى أن المطعم ممن قام بنقض الصحيفة الظالمة، مع من ذكرنا فيما مضى.

وقد حفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم صنيع مطعم بن عدي، وعرف مدى الخطورة التي عرض نفسه وولده وقومه لها من أجله، فقال عن أسارى بدر السبعين يوم أسرهم: «لو كان المطعم بن عدي حيًا ثم كلمني في هؤلاء لنتنى لتركتهم له»⁽²⁾.

فمع العداء العقدي فرسول الله صلى الله عليه وسلم يفرق بين من يعادي هذه العقيدة ويحاربها، ومن يناصرها ويسالمها، إنهم وإن كانوا كفارًا فليس من سمة النبوة أن تنتكر للجميل⁽³⁾.

وهكذا صلى الله عليه وسلم، كان يوظف الأعراف والتقاليد التي في مجتمعه لمصلحة الإسلام، فكان ينظر للبناء الاجتماعي القائم، باعتباره حقيقة موضوعية، تاريخية، وينظر للإنسان الكافر ليس باعتباره رقمًا حسابيًا فرديًا منقطعًا، وإنما ينظر إليه كفرد في شبكة اجتماعية متداخلة العلاقات ومتنوعة الدوافع، وإن الإنسان يملك الفرصة والإمكان لأن يتحول هو نفسه وطوع إرادته إلى قوة اجتماعية مؤثرة، وله وزن في اتخاذ القرار ونقضه، وفقًا للقيم التي يختارها، والمطعم بن عدي لم يكن فردًا وإنما كان مؤسسة، وهي مؤسسة لم تولد بميلاده، وإنما يرجع وجودها إلى تاريخ قديم، تصارعت فيها قيم التوحيد والإشراك، فإن صارت مؤسسة خالصة للكافرين الآن، فلا يعني ذلك استحالة الانتفاع بها وتسخيرها للعودة للإيمان والتوحيد⁽⁴⁾.

6- قصة عداس النصراني، وإسلام الجن:

لقد حققت رحلة النبي صلى الله عليه وسلم انتصارات دعوية رفيعة المستوى، فقد تأثر بالدعوة الغلام النصراني عداس، الذي أسلم⁽⁵⁾ كما وصلت الدعوة إلى الجن السبعة، الذين أسلموا ثم انطلقوا إلى قومهم منذرين.

أ- قصة عداس:

لما تعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم للأذى من أهل الطائف، وخرج من عندهم، وألجأه إلى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة

1 (?) انظر: أصول الفكر السياسي في القرآن المكي، ص 180.

2 (1) البخاري، كتاب 64 باب شهود الملائكة (3/110).

3 (?) انظر: التحالف السياسي، ص 44.

4 (?) انظر: أصول الفكر السياسي، ص 181. (4) انظر: الرسول المبلغ للخالدي، ص 39، 40.

هدية الشبكة الليبية والكاظم بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

بن ربيعة وهما فيه، فلما رآه عتبة وشيبة رفاً له، ودعوا غلاماً لهما نصرانياً يقال له: عدّاس، فقالا له: خذ قطعاً من هذا العنب، فضعه في هذا الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل، فقل له يأكل منه، ففعل عدّاس، ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له: كل.

فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يده، قال: «باسم الله» ثم أكل، فنظر عدّاس في وجهه، ثم قال: وآله إن هذا الكلام، ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ومن أهل أي البلاد أنت يا عداس؟ وما دينك؟» قال: نصراني وأنا رجل من أهل نينوى.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرية الرجل الصالح يونس بن متى» فقال له عدّاس: وما يدريك ما يونس بن متى؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ذاك أخي، كان نبياً وأنا نبي»، فأكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل رأسه ويديه وقدميه، قال: يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه، أما غلامك فقد أفسده عليك، فلما جاءهما عداس قال له: وبلك يا عداس! ما لك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟ قال: يا سيدي ما في الأرض شيء خير من هذا، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي، قال له: وبحك يا عدّاس، لا يصرفنك عن دينك، فإن دينك خير من دينه⁽¹⁾.

* إن التسمية النبي صلى الله عليه وسلم قبل الأكل تطبيق لسنة من سنة الإسلام الظاهرة، وقد كان من بركة ذلك انجذاب الرجل النصراني إلى الإسلام، فما أن ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم الله تعالى قبل الأكل حتى اهتز كيان ذلك المولى النصراني، وجاشت مشاعره فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بعجبه من ذلك حيث لا يعرف أهل تلك البلاد ذكر اسم الله تعالى.

* إن التسمية قبل الأكل كسائر السنن الظاهرة من أسباب تميز المسلمين على من حولهم من الوثنيين، وهذا التميز يلفت أنظار الكفار ويدفعهم إلى السؤال عن سبب ذلك، ثم يقودهم ذلك إلى فهم الدين الإسلامي والانجذاب إليه⁽²⁾.

* كان يقين عداس بنو رسول الله صلى الله عليه وسلم قوياً، يدل على ذلك موقفه من سيده عتبة وشيبة ابني ربيعة لما أرادا الخروج إلى بدر، وأمرهما بالخروج معهما، حيث قال لهما: قتال ذلك الرجل الذي رأيت في حائطكما تريدان؟ فوالله لا تقوم له الجبال، فقال وبحك يا عداس قد سحرك بلسانه⁽³⁾.

1 (?) صحيح السيرة النبوية، 136، 137. (2) انظر: التاريخ الإسلامي، (3/22).

2 (3) انظر: سبل الهدى والرشاد (2/578). (4) انظر: التربية القيادية (1/437).

3

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

* في قول عداس والله ما على الأرض خير من هذا، مواساة عظيمة، فلئن أذاه قومه، فهذا وافد من العراق، من نينوى، يكب على يديه ورجليه ويقبلهما، ويشهد له بالرسالة، وإن هذا لقدر رباني، يسوق من نينوى من يؤمن بالله ورسوله، حيث كان الصد من أقرب الناس إليه⁽⁴⁾.

ب- إسلام الجن:

لما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم من الطائف راجعاً إلى مكة حين يئس من خبر ثقيف، حتى إذا كان بنخلة، قام من جوف الليل يصلي، فمر به نفر من الجن الذين ذكرهم الله تعالى، وكانوا سبعة نفر من جن أهل نصيبين، فاستمعوا لتلاوة الرسول صلى الله عليه وسلم، فلما فرغ من صلاته، ولوا إلى قومهم منذرين، قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا، فقص الله تعالى خبرهم على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: (**وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمْعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَصَرُوهُ قَالُوا أَنُصَلِّ مَاذَا قُلْتُمْ وَلَوْ أَنَّا إِلَى قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ ۖ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْخَقِّ وَيَأْتِي طَرِيقَ الْمُسْتَقِيمِ**) [الأحقاف: 29-30].

هبط هؤلاء الجن على النبي صلى الله عليه وسلم، وهو يقرأ بطن نخلة، فلما سمعوه قالوا: (**أَنُصَلِّوا**) . هذه الدعوة التي رفضها المشركون بالطائف، تنتقل إلى عالم آخر هو عالم الجن، فتلقوا دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، ومضوا بها إلى قومهم، كما مضى بها أبو ذر الغفاري إلى قومه، والطفيل بن عمرو إلى قومه، وضمار الأزدى إلى قومه، فأصبح في عالم الجن دعاة يبلغون دعوة الله تعالى: (**يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**) [الأحقاف: 31].

وأصبح اسم محمد صلى الله عليه وسلم تهفو إليه قلوب الجن، وليس قلوب المؤمنين من الإنس فقط، وأصبح من الجن حواريون، حملوا راية التوحيد، ووطنوا أنفسهم دعاة إلى الله. ونزل في حقهم قرآن يتلى إلي أن يرث الله الأرض ومن عليها، قال تعالى: (**قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۖ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن تُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۖ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ خَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۖ وَأَنَّهُ كَانَ يَفُولُ سَفِيهُنًا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ۖ وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّن نَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۖ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۖ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ۖ وَأَنَّا لَمَبَسْنَا لِّلْجَنِّ شَقًى فَوْجَدْنَاهَا مَلَكُوتَ هَرَسًا شَدِيدًا وَشُهْبًا ۖ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ۖ وَأَنَّا**

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

لَا يَذَرِي أَشَرُّ أُرِيدَ يَمَنُ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشِيدًا
 وَأَيُّ مَنَا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا ۖ وَآيَا
 طُنُبًا أَنْ لَّنْ نُّعْجِرَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُّعْجِرَهُ هَرَبًا ۖ وَأَيُّ
 لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا
 وَلَا رَهَقًا ([الجن: 1-13].

كان هذا الفتح الرباني في مجال الدعوة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بطن نخلة عاجز عن دخول مكة، فهل يستطيع عتاة مكة وثقيف أن يأسروا هؤلاء المؤمنين من الجن، وينزلوا بهم ألوان التعذيب؟⁽¹⁾ وعندما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة في جوار المطعم بن عدي كان يتلو على صحابته سورة الجن فتجاوب أفئدتهم خشوعًا وتأثرًا من روعة الفتح العظيم في عالم الدعوة، وارتفاع راياتها، فليسوا هم وحدهم في المعركة، هناك إخوانهم من الجن يخوضون معركة التوحيد مع الشرك.

وبعد عدة أشهر من لقاء الوفد الأول من الجن برسول الله صلى الله عليه وسلم جاء الوفد الثاني متشوقًا لرؤية الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم والاستماع إلى كلام رب العالمين.⁽²⁾ فعن علقمة قال سألت ابن مسعود فقلت: هل شهد أحد منكم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن؟ قال: لا، ولكننا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشعاب، فقلنا: استطير أو اغتيل، قال: فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء فقلنا: يا رسول الله، فقدناك فطلبناك فلم نجدك، فبتنا شر ليلة بات بها قوم، فقال: «أتاني داعي الجن فذهبت معه، فقرأت عليهم القرآن» قال: فانطلق بنا قارانا آثارهم وأثار نيرانهم، وسألوه الزاد فقال: «لكم كل عظم ذكر أسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحمًا، وكل بعرة علف لدوابكم» فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم»⁽³⁾.

كان هذا الفتح العظيم والنصر المبين في عالم الجن إرهافًا وتمهيدًا لفتوحات وانتصارات عظيمة في عالم الإنس، فقد كان اللقاء مع وفد الأنصار بعد عدة أشهر⁽⁴⁾.

* * *

1 (?) انظر: التربية القيادية (1/443). (2) نفس المصدر (1/445).

3 (?) مسلم، كتاب الصلاة، (1/332) رقم 150.

4 (?) انظر: التربية القيادية، (1/445).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

المبحث الرابع الإسراء والمعراج... ذروة التكريم

نرى أن لهذه المعجزة الجليلة أهدافًا تتمثل في أمور من أهمها:

* إن الله عز وجل أراد أن يتيح لرسوله فرصة الاطلاع على المظاهر الكبرى لقدرته، حتى يملأ قلبه ثقة فيه وإستنادًا إليه، حتى يزداد قوة في مهاجمة سلطان الكفر القائم في الأرض، كما حدث لموسى عليه السلام، فقد شاء الله أن يريه عجائب قدرته، فلما ملأ قلبه بمشاهد هذه الآيات الكبرى قال له بعد ذلك: (**لِئْرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى**) [طه: 23].

في رحلة الإسراء والمعراج أطلع الله نبيه على هذه الآيات الكبرى، توطئة للهجرة ولأعظم مواجهة على مدى التاريخ للكفر والضلال والفسوق، والآيات التي رآها رسول الله **صلى الله عليه وسلم** كثيرة: الذهاب إلى بيت المقدس، العروج إلى السماء، رؤية الغيب الذي دعا إليه الأنبياء والمرسلين، الملائكة، السماوات، الجنة والنار، نماذج من النعيم والعذاب.

كان حديث القرآن الكريم عن الإسراء في سورة الإسراء، وعن المعراج في سورة النجم، وذكر حكمة الإسراء في سورة الإسراء يقوله: (**لِئْرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا**) [الإسراء: 1] وفي سورة النجم بقوله: (**لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى**) [النجم: 18] وفي الإسراء والمعراج علوم وأسرار ودقائق ودروس وعبر⁽¹⁾

يقول الأستاذ أبو الحسن الندوي: «لم يكن الإسراء مجرد حادث فردي بسيط رأى فيه رسول الله **صلى الله عليه وسلم** الآيات الكبرى، وتجلى له ملكوت السماوات والأرض مشاهدة وغيًا، بل زيادة إلى ذلك، اشتملت هذه الرحلة النبوية الغيبية على معان دقيقة كثيرة، وشارات حكيمة بعيدة المدى: فقد ضمت قصة الإسراء، وأعلنت السورتان الكريمتان اللتان نزلتا في شأنه تسميان (الإسراء)، (النجم) أن محمدا **صلى الله عليه وسلم** هو نبي القبلتين، وإمام المشرقين والمغربين، ووارث الأنبياء قبله، وإمام الأجيال بعده، فقد التقت في شخصه وفي أسرائه مكة بالقدس، والبيت الحرام بالمسجد الأقصى، وصلى بالأنبياء خلفه، فكان هذا إيذانًا بعموم رسالته وخلود إمامته وإنسانية تعاليمه، وصلاحياتها لأختلاف المكان والزمان، وأفادت هذه السورة الكريمة تعيين شخصية النبي **صلى الله عليه وسلم** ووصف إمامته وقيادته وتحديد مكانة الأمة التي بعث فيها وأمنت به، وبيان رسالته ودورها الذي ستمثله في العالم، ومن بين

¹ (?) انظر: الأساس في السنة، سعيد حوى (1/291، 292).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

الشعوب والأمم⁽¹⁾.

أولاً: قصة الإسراء والمعراج كما جاءت في بعض الأحاديث:

* عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتيت بالبراق -وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه- قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس قال: فربطته بالحلقة⁽²⁾ التي يربط بها الأنبياء قال: ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن، فقال: جبريل اخترت الفطرة»⁽³⁾ فذكر الحديث⁽⁴⁾.

* وفي حديث مالك بن صعصعة: إن نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسري به، قال: «بينما أنا في الحطيم»⁽⁵⁾ وربما قال: «في الحجر مضطجاً إذ أتاني أت⁽⁶⁾ فقد» قال: وسمعتة يقول: «فشق ما بين هذه» فقلت للجارود وهو إلى جانبي: ما يعني به؟ قال: من ثغرة نحره⁽⁷⁾ إلى شعرته⁽⁸⁾ وسمعتة يقول: من قصه⁽⁹⁾ إلى شعرته، «فاستخرج قلبي ثم أتيت يطست من ذهب مملوءة إيماناً، فغسل قلبي ثم خشي ثم أعيد، ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض» فقال له الجارود: هو البراق يا أبا حمزة؟ قال أنس: نعم، يضع خطوه عند أقصى طرفه⁽¹⁰⁾، فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى أتيت السماء الدنيا فاستفتح⁽¹¹⁾ قيل: من هذا؟

قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به⁽¹²⁾ فنعم المجيء جاء، ففتح، فلما خلصت فإذا فيها آدم فقال: هذا أبوك آدم فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد السلام، ثم قال: مرحباً بالابن الصالح، والنبي الصالح، ثم صعد بي حتى أتى السماء الثانية فاستفتح: قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قال: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء، ففتح فلما خلصت إذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة، قال: هذا يحيى وعيسى، فسلم عليهما فسلمت، فردا ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح.

1 (?) انظر: الأساس في السنة (1/292).

2 (1) الحلقة المراد باب مسجد بيت المقدس. (2) الفطرة: الإسلام

والاستقامة.

4 (?) مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول رقم 162.

5 (?) الحطيم: هو ما بين الركن والمقام. (5) أت: هو جبريل عليه السلام.

6

7 (?) ثغرة النحر: الموضع المنخفض في أدنى الرقبة من الأمام.

8 (?) شعرته: شعر عاتقه وما ينبت حول العانة. (8) القص: رأس عظام

الصدر.

9

10 (?) يضع خطوه عند أقصى طرفه: يضع رجله عند منتهى بصره.

11 (?) استفتح: طلب فتح باب السماء الدنيا. (11) مرحباً به: أصاب رجلاً وسعة.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

ثم صعد بي إلى السماء الثالثة، فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبًا به فنعم المجيء جاء، ففتح فلما خلصت إذا يوسف، قال: هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه، فرد ثم قال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبى الصالح.

ثم صعد بي حتى السماء الرابعة، فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبًا به فنعم المجيء جاء، ففتح فلما خلصت فإذا إدريس، قال: هذا إدريس، فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد ثم قال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبى الصالح.

ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة، فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبًا به فنعم المجيء جاء، ففتح فلما خلصت، فإذا هارون قال: هذا هارون، فسلم عليه، فسلمت عليه فرد ثم قال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبى الصالح.

ثم صعد بي حتى السماء السادسة، فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبًا به فنعم المجيء جاء، فلما خلصت فإذا موسى قال: هذا موسى فسلم عليه، فسلمت عليه فرد ثم قال: مرحبًا بالأخ الصالح، والنبى الصالح، فلما تجاوزت بكى، قيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكي لأن غلامًا⁽¹⁾ بُعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي.

ثم صعد بي إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبًا به ونعم المجيء جاء، فلما خلصت فإذا إبراهيم قال: هذا أبوك فسلم عليه، قال فسلمت عليه فرد السلام ثم قال: مرحبًا بالابن الصالح والنبى الصالح ثم رفعت لي⁽²⁾ سدرة فإذا نبقها مثل⁽³⁾ قلال هجر⁽⁴⁾ وإذا ورقها مثل آذان الفيلة، قال: هذه سدرة المنتهى، وإذا أربعة أنهار، نهران باطنان ونهران ظاهران، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: أما البطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفراة ثم رفع لي البيت المعمور.

ثم أتيت بإناء من خمر، وإناء من لبن، وإناء من عسل، فأخذت اللبن، فقال: هي الفطرة⁽⁵⁾ التي أنت عليها وأمتك.

1 (?) أبكي لأن غلاما. ليس هذا على سبيل النقص بل على سبيل التنويه بقدرة الله وعظم كرمه.

2 (?) رفعت لي: قربت لي.

3 (3) النبق: هو ثمر السدر.

4 (?) قلال هجر: يضرب بها المثل لكبرها، وهجر قرية في البحرين والقلعة: الجرة الكبيرة.

5 (?) الفطرة: دين الإسلام.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

ثم فرضت علي الصلاة خمسين صلاة كل يوم، فرجعت فمررت على موسى فقال: بما أمرت؟ قال: أمرت بخمسين صلاة كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم، وإني والله قد جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة⁽¹⁾ فأرجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك، فرجعت، فوضع عني عشرًا، فرجعت إلى موسى فقال: مثله، فرجعت فوضع عني عشرًا، فرجعت إلى موسى فقال: مثله، فرجعت فوضع عني عشرًا، فرجعت إلى موسى فقال: مثله، فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم، فرجعت فقال مثله، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم، فرجعت إلى موسى فقال: بما أمرت؟ قلت: أمرت بخمس صلوات كل يوم قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم، وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فأرجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك قال: سألت ربي حتى استحييت، ولكن أرضى وأسلم، قال: فلما جاوزت نادى مناد: أمضي فريضتي وخففت عن عبادي⁽²⁾.

* كانت حادثة الإسرائاء والمعراج قبل هجرته عليه السلام بسنة هكذا قال القاضي عياض في الشفا⁽³⁾.

* فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من رحلته الميمونة أخبر قومه بذلك فقال لهم في مجلس حضره المطعم بن عدي، وعمرو بن هشام والوليد بن المغيرة، فقال: «إني صليت الليلة العشاء في هذا المسجد، وصليت به الغداة، وأتيت فيما دون ذلك بيت المقدس، فنشر لي رهط من الأنبياء منهم إبراهيم وموسى وعيسى وصليت بهم وكلمتهم» فقال عمرو بن هشام كالمستهزئ به: صفهم لي، فقال: «أما عيسى، ففوق الربعة، ودون الطول، عريض الصدر، ظاهر الدم، جعد، أشعر تعلوه صهوة⁽⁴⁾، كانه عروة بن مسعود الثقفي، وأما موسى فضخم آدم طوال، كانه من رجال شنوءة، متراكب الأسنان، مقلص الشفة، خارج اللثة، عابس، وأما إبراهيم فوالله إنه لأشبه الناس بي، خلقا وخلقا⁽⁵⁾».

فقالوا: يا محمد فصف لنا بيت المقدس، قال: «دخلت ليلاً، وخرجت ليلاً» فاتاه جبريل بصورته في جناحه، فجعل يقول: «باب منه كذا، في موضع كذا، وباب منه كذا، في موضع كذا».

ثم سأله عن غيرهم فقال لهم: «أتيت على غير بني فلان بالروحاء، قد أضلوا ناقة لهم، فانطلقوا في طلبها، فأنتهيت إلى رجالهم ليس بها منهم أحد، وإذا قدح ماء فشربت منه فأسألوه عن ذلك» قالوا: هذه والإله آية- «ثم انتهيت إلى غير بني فلان، فنفرت

(?) عالجهم أشد المعالجة: مارست بني إسرائيل أشد الممارسة.

(?) البخاري في مناقب الأنصار، باب في المعراج، رقم 3887.

(?) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى (1/108).

(4)

صهوة: بياض بخرمة.

(?) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (3/37).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مني الإبل وبرك منها جمل أجمر عليه جوالق⁽¹⁾، مخطط بياض رلا أدري أكسر البعير، أم لا فاسألوهم عن ذلك» قالوا: هذم والإله آية- «ثم انتهيت إلى غير بني فلان في التنعيم، يقدمها جمل أورك⁽²⁾ وهاهي تطلع عليكم من الشية»⁽³⁾.

فقال الوليد بن المغيرة: ساحر فانطلقوا فنظروا، فوجدوا الأمر كما قال، فرموه بالسحر، وقالوا: صدق الوليد بن المغيرة فيما قال⁽⁴⁾.
* كانت هذه الحادثة فتنة لبعض الناس فارتد ناس ممن كانوا آمنوا به وصدقوه، وسبعوا بذلك إلى أبي بكر الصديق فقالوا: هل لك إلى صاحبك، يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس.
قال: أوقال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: لئن كان قال ذلك لقد صدق، قالوا: أو تصدقه، أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟

قال: نعم إنني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة، فلذلك سمي أبو بكر الصديق⁽⁵⁾.

ثانيًا: فوائد ودروس وعبر:

1- بعد كل محنة منحة، وقد تعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم لمحن عظيمة، فهذه قريش قد سدت الطريق في وجه الدعوة في مكة، وفي ثقيف وفي قبائل العرب، وأحكمت الحصار ضد الدعوة ورجالها من كل جانب، وأصبح النبي صلى الله عليه وسلم في خطر بعد وفاة عمه أبي طالب أكبر حماه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ماض في طريقه، صابر لأمر ربه، لا تأخذه في الله لومة لائم ولا حرب مخارب، ولا كيد مستهزئ فقد أن الأوان للمحنة العظيمة، فجاءت حادثة الأسراء والمعراج على قدر من رب العالمين، فيعرج به من دون الخلائق جميعًا، ويكرمه على صبره وجهاده، ويلتقي به مباشرة دون رسول ولا حجاب، ويطلعه على عوالم الغيب دون الخلق

كافة، ويجمعه مع إخوانه من الرسل في صعيد واحد، فيكون الإمام والقُدوة لهم وهو خاتمهم وآخرهم⁽⁶⁾.

2- إن الرسول صلى الله عليه وسلم كان مُقدِّمًا على مرحلة جديدة، مرحلة الهجرة، والانطلاق لبناء الدولة، يريد الله تعالى للنبات

1 (?) الجوالق: هو العدل الذي يوضع فيه المتاع. (2) أورك: أي لونه أبيض وفيه سواد.

2
3 (?) الشية: أي الطريق الجبلي.
4 (?) المطالب العالية للحافظ ابن حجر (204: 4/201) وعبون الأثر (1/140):
142 (وابن هشام بلاغا عن أم هانئ رضي الله عنها (2/11)).
5 (?) المستدرک (3/62) قال الحاكم: هذا الحديث صحيح الإسناد، وأقره الذهبي.
6 (?) انظر: التربية القيادية، (1/447).

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

الأولى في البناء أن تكون سليمة قوية متراصة متماسكة، فجعل الله هذا الاختبار والتمحيص، ليخلص الصف من الضعاف المترددين، والذين في قلوبهم مرض، ويثبت المؤمنين الأقوياء الخالص الذين لمسوا عياناً صدق نبيهم بعد أن لمسوه تصديقاً، وشهدوا مدى كرامته على ربه، فأى حظ يحوطهم وأي سعد يغمرهم وهم حول هذا النبي المصطفى وقد آمنوا به، وقدموا حياتهم فداءً له ولدنيهم، كم يترسخ الإيمان في قلوبهم أمام هذا الحدث الذي تم بعد وعاء الطائف، وبعد دخول مكة بجوارٍ وبعد أذى الصبيان والسفهاء⁽¹⁾.

3- إن شجاعة النبي **صلى الله عليه وسلم** العالية تتجسد في مواجهته للمشركين بأمر تنكره عقولهم ولا تدركه في أول الأمر تصوراتهم، ولم يمنعه من الجهر به الخوف من مواجهتهم، وتلقي نكيرهم واستهزائهم فضرب بذلك **صلى الله عليه وسلم** لأمته أروع الأمثلة في الجهر بالحق أمام أهل الباطل، وإن تحزبوا ضد الحق وجندوا لحربه كل ما في وسعهم، وكان من حكمة النبي **صلى الله عليه وسلم** في إقامة الحجة على المشركين بأن حدثهم عن أسرائه إلى بيت المقدس، وأظهر الله له علامات تلزم الكفار بالتصديق وهذه العلامات هي:

* وصف النبي **صلى الله عليه وسلم** بيت المقدس، وقد أقروا بصدق الوصف ومطابقته للواقع الذي يعرفونه.

* إخباره عن العير التي بالروحاء، والبعير التي أضلوه، وما قام به من شرب الماء الذي في القدح.

* إخباره عن العير الثانية التي نفرت فيها الإبل ووصفه الدقيق لأحد جمالهم.

* إخباره عن العير الثالثة التي بالأبواء ووصفه الجمل الذي يقدمها، وإخباره

بأنها تطلع ذلك الوقت من ثنية التنعيم، وقد تأكد المشركون فوجدوا أن ما أخبرهم به الرسول **صلى الله عليه وسلم** كان صحيحاً فهذه الأدلة الظاهرة كانت مفحمة لهم ولا يستطيعون معها أن يتهموه بالكذب، كانت هذه الرحلة العظيمة، تربية ربانية رفيعة المستوى، وأصبح **صلى الله عليه وسلم** يرى الأرض كلها بما فيها من مخلوقات نقطة صغيرة في ذلك الكون الفسيح، ثم ما مقام كفار مكة في هذه النقطة؟ إنهم لا يمثلون إلا جزءاً يسيراً جداً من هذا الكون، فما الذي سيفعلونه تجاه من اصطفاه الله تعالى من خلقه، وخصه بتلك الرحلة العلية الميمونة وجمعه بالملائكة والأنبياء عليهم السلام، وأراه السماوات السبع وسدرة المنتهى والبيت المعمور وكله جلا وعلا⁽²⁾؟

4- يظهر إيمان الصديق رضي الله عنه القوي في هذا الحدث

¹ (2) انظر: التربية القيادية، (1/451).

² (?) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (42، 3/41).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

الجلل، فعندما أخبره الكفار قال بلسان الواقع، لئن كان قال ذلك لقد صدق، ثم قال: إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روضة، وبهذا استحق لقب الصديق، وهذا منتهى الفقه واليقين، حيث وازن بين هذا الخبر ونزول الوحي من السماء، فبين لهم أنه إذا كان غريباً على الإنسان العادي فإنه في غاية الإمكان بالنسبة للنبي **صلى الله عليه وسلم**⁽¹⁾.

5- إن شرب رسول الله **صلى الله عليه وسلم** اللبن حين خير بينه وبين الخمر، وبشارة جبريل عليه الصلاة والسلام: هديت للفطرة، تؤكد أن هذا الإسلام دين الفطرة البشرية التي ينسجم معها، فالذي خلق الفطرة البشرية خلق لها هذا الدين الذي يليق بنوازعها واحتياجاتها، وبحقق طموحاتها ويكبح جماحها (**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**) [الروم: 30].

6- إن صلاة النبي **صلى الله عليه وسلم** بالأنبياء دليل على أنهم سلموا له بالقيادة والريادة، وأن بشريعة الإسلام نسخت الشرائع السابقة، وأنه وسع اتباع هؤلاء الأنبياء ما وسع أنبياءهم أن يسلموا بالقيادة لهذا الرسول ولرسلته التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها.

إن على الذين يعقدون مؤتمرات التقارب بين الأديان أن يدركوا هذه الحقيقة، ويدعوا إليها، وهي ضرورة الانخلاع عن الديانات المنحرفة، والإيمان بهذا الرسول **صلى الله عليه وسلم** ورسالاته، وعليهم أن يدركوا حقيقة هذه الدعوات المشبوهة، التي تخدم وضعاً من الأوضاع أو نظاماً من الأنظمة الجاهلية.

7- إن الربط بين المسجد الأقصى، والمسجد الحرام وراءه حكم ودلالات وفوائد منها:

* أهمية المسجد الأقصى بالنسبة للمسلمين، إذ أصبح مسرى رسولهم **صلى الله عليه وسلم**، ومعراجهم إلى السماوات العلى، وكان لا يزال قبلتهم الأولى طيلة الفترة المكية، وهذا توجيه وإرشاد للمسلمين بأن يحبوا المسجد الأقصى وفلسطين؛ لأنها مباركة ومقدسة.

* الربط يشعر المسلمين بمسؤوليتهم نحو المسجد الأقصى بمسئولية تحرير المسجد الأقصى من أضرار الشرك وعقيدة التثليث، كما هي أيضاً مسؤوليتهم تحرير المسجد الحرام من أضرار الشرك وعبادة الأصنام.

* الربط يشعر بأن التهديد للمسجد الأقصى، هو تهديد للمسجد الحرام وأهله، وأن النيل من المسجد الأقصى توطئة للنيل من

¹ (?) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (3/43).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

المسجد الحرام، فالمسجد الأقصى بوابة الطريق إلى المسجد الحرام، وزوال المسجد الأقصى من أيدي المسلمين، ووقوعه في أيدي اليهود يعني أن المسجد الحرام، والحجاز قد تهدد الأمن فيهما واتجهت أنظار الأعداء إليهما لاحتلالهما.

والتاريخ قديمًا وحديثًا يؤكد هذا، فإن تاريخ الحروب الصليبية يخبرنا أن (أرناط) الصليبي صاحب مملكة الكرك أرسل بعثة للحجاز للاعتداء على قبر الرسول **صلى الله عليه وسلم** وعلى جثمانه في المسجد النبوي، وحاول البرتغاليون (النصارى الكاثوليك) في بداية العصور الحديثة الوصول إلى الحرمين الشريفين لتنفيذ ما عجز عنه أسلافهم الصليبيون، ولكن المقاومة الشديدة التي أبدتها المماليك وكذا العثمانيون حالت دون إتمام مشروعاتهم الجهنمي وبعد حرب 1967م التي احتل اليهود فيها بيت المقدس صرخ زعماءهم بأن الهدف بعد ذلك احتلال الحجاز وفي مقدمة ذلك مدينة رسول الله **صلى الله عليه وسلم** وخيبر.

لقد وقف دافيد بن غوريون زعيم اليهود بعد دخول الجيش اليهودي القدس يستعرض جنودًا وشبانًا من اليهود بالقرب من المسجد الأقصى ويلقي فيهم خطابًا نارياً يختتمه بقوله: (لقد استولينا على القدس ونحن في طريقنا إلى يثرب)⁽¹⁾.

ووقفت غولدا مائير، رئيسة وزراء اليهود، بعد احتلال بيت المقدس، وعلى خليج إيلات العقبة، تقول: «إنني أشم رائحة أجدادي في المدينة والحجاز، وهي بلادنا التي سوف نسترجعها»⁽²⁾.

وبعد ذلك نشر اليهود خريطة لدولتهم المنتظرة التي شملت المنطقة من الفرات إلى النيل، بما في ذلك الجزيرة العربية والأردن وسوريا والعراق ومصر واليمن والكويت والخليج العربي كله، ووزعوا خريطة دولتهم هذه بعيد انتصارهم في حرب (1967م) في أوروبا⁽³⁾.

8- أهمية الصلاة وعظيم منزلتها: وقد ثبت في السنة النبوية أن الصلاة فرضت على الأمة الإسلامية في ليلة عروجه **صلى الله عليه وسلم** إلى السماوات وفي هذا كما قال ابن كثير: «اعتناء عظيم بشرف الصلاة وعظمتها»⁽⁴⁾ فعلى الدعاة أن يؤكدوا على أهمية الصلاة والمحافظة عليها، وأن يذكروا فيما يذكرون، من أهميتها ومنزلتها كونها فرضت في ليلة المعراج، وأنها من آخر ما أوصى به رسول الله **صلى الله عليه وسلم** قبل موته⁽⁵⁾.

1 (?) انظر: السيرة النبوية لأبي فارس، ص314.
2 (?) جريدة الدستور الأردنية العدد (4613) بقلم أميل الغوري، نقلًا عن السيرة النبوية لأبي فارس، ص314.

3 (?) انظر: السيرة النبوية لأبي فارس ص215. (4) تفسير ابن كثير (3/23).

5 (?) انظر: المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة (2/93).
هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

9- تحدث الرسول صلى الله عليه وسلم عن مخاطر الأمراض الاجتماعية وبين عقوبتها كما شاهد ذلك في ليلة الإسراء والمعراج ومن هذه الأمراض وعقوبتها:

* عقوبة جريمة الغيبة والمغتائبين، فقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أناساً يأكلون الجيف فأخبره جبريل: «هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس»⁽¹⁾.

* عقوبة أكلة أموال اليتامى، فقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجالاً لهم مشافر -شفاه كبيرة- كشفاه البعير، في أيديهم قطع من نار كالإفهار (أى الحجارة) يقذفونها في أفواههم فتخرج من أدبارهم فأخبره جبريل: «هؤلاء أكلة أموال اليتامى ظلماً»⁽²⁾.

* أكلة الربا، فقد أتى النبي صلى الله عليه وسلم على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم، فأخبره جبريل: «هؤلاء أكلة الربا»⁽³⁾.

* وذكرت الروايات عقوبة الزناة، ومانعي الزكاة، وخطباء الفتنة، والتهاون في الأمانة⁽⁴⁾.

* ثواب المجاهدين، ففي ليلة الإسراء والمعراج مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم يزرعون في يوم ويحصدون في يوم، كلما حصدوا عادوا كما كان، فأخبر جبريل: «هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنات بسبعمئة ضعف وما أنفقوا من شيء فهو يُخلف»⁽⁵⁾.

10- إدراك الصحابة لأهمية المسجد الأقصى: أدرك الصحابة رضي الله عنهم مسئوليتهم نحو المسجد الأقصى، وهو يقع أسيراً تحت حكم الرومان، فحرروه في عهد عمر بن الخطاب ؓ وظل ينعم بالامن والأمان حتى عاث الصليبيون فساداً فيه بعد خمسة قرون، من هجرة المصطفى، ومكنوا ما يعادل قرناً يعيشون فساداً فحرره المسلمون بقيادة صلاح الدين الأيوبي، وها هو ذا يقع تحت الاحتلال اليهودي فما الطريق إلى تخليصه⁽⁶⁾؟

الطريق إلى تخليصه الجهاد في سبيل الله، على المنهج الذي سار عليه الصحابة الكرام رضي الله عنهم.

* * *

1 (?) الفتح الرباني للساعاتي (20/255) إسناده صحيح.

2 (?) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (8/200).

3 (3) تفسير ابن كثير (4/274).

4 (?) تفسير الطبري (15/7)، والفتح الرباني (20/257).

5 (?) انظر: الخصائص الكبرى (1/171) والسيرة النبوية لأبي فارس، ص 220.

6 (?) انظر: السيرة النبوية لأبي فارس، ص 220.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

الفصل الخامس

الطواف على القبائل وهجرة الصحابة إلى المدينة

المبحث الأول

الطواف على القبائل طلباً للنصرة

بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم من الطائف، بدأ يعرض نفسه على القبائل في المواسم، يشرح لهم الإسلام، ويطلب منهم الإيواء والنصرة، حتى يبلغ كلام الله عز وجل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحرك في المواسم التجارية، ومواسم الحج التي تجتمع فيها القبائل، وفق خطة سياسية دعوية واضحة المعالم، ومحددة الأهداف، وكان يصاحبه أبو بكر الصديق، الرجل الذي تخصص في معرفة أنساب العرب وتاريخها، وكانا يقصدان «غمر الناس ووجوه القبائل، وكان أبو بكر يسأل وجوه القبائل ويقول لهم: كيف العدد فيكم؟ وكيف المنعة فيكم؟ وكيف الحرب فيكم؟ وذلك قبل أن يتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعرض دعوته»⁽¹⁾.

يقول المقرئ: «ثم عرض صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل أيام الموسم، ودعاهم إلى الإسلام، وهم بنو عامر، وغسان، وبنو فزارة، وبنو مرة، وبنو حنيفة، وبنو سليم، وبنو عيس، وبنو نصر، وثعلبة بن عكابة، وكندة، وكتب، وبنو الحارث بن كعب، وبنو عذرة وقيس بن الخطيم، وأبو اليسر أنس بن أبي رافع» وقد استقصى الواقدي أخبار هذه القبائل قبيلة قبيلة ويقال إنه صلى الله عليه وسلم بدأ بكندة فدعاهم إلى الإسلام، ثم أتى كلباً ثم بني حنيفة ثم بني عامر، وجعل يقول: من رجل يحملني إلى قومه فيمنعني، حتى أبلغ رسالة ربي فإن قريباً قد منعوني أن أبلغ رسالة ربي؟ هذا وأبو لهب وراءه يقول للناس: لا تسمعوا منه فإنه كذاب⁽²⁾.

ولم يقتصر الأذى على ذلك بل واجه الرسول صلى الله عليه وسلم ما هو أشد وأقسى، فقد روي البخاري في تاريخه والطبراني في الكبير عن مدرك بن منيب أيضاً عن أبيه عن جده رضي الله تعالى عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية وهو يقول: «يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا» فمنهم من تفل في وجهه، ومنهم من حثا عليه التراب، ومنهم من سبه، حتى انتصف النهار، فأقبلت جارية بغس من ماء فغسل وجهه ويديه، وقال: «يا بنية لا تخشي على أبيك غلبة ولا ذلة» فقلت: من هذه؟ قالوا: زينب بنت

¹ (؟) انظر: الأنساب للسمعاني، (1/36). (2) المقرئ في إمتاع الأسماع (31، 1/30).

² (3) انظر: المحنة في العهد المكي، ص 53. هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي جارية وضيئة⁽¹⁾.

وقد كان أبو جهل، وأبو لهب، لعنهما الله يتناويان على أذية رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما يدعو في الأسواق والمواسم، وكان يجد منهما عنقا كثيرًا، إضافة إلى ما يلحقه من المدعوين أنفسهم⁽²⁾.

أولاً: من أساليب النبي صلى الله عليه وسلم في الرد على مكائد أبي جهل والمشركين أثناء الطواف على القبائل:

1- مقابلة القبائل في الليل:

فكان صلى الله عليه وسلم من حكمته العالية يخرج لمقابلة القبائل في ظلام الليل، حتى لا يحول بينه وبينهم أحد من المشركين⁽³⁾ وقد نجح هذا العمل في إبطال مفعول الدعاية المضادة، التي كانت تتبعها قريش، كلما اتصل الرسول صلى الله عليه وسلم بقبيلة من القبائل، والدليل على نجاح هذا الأسلوب المضاد اتصال الرسول صلى الله عليه وسلم بالأوس والخزرج ليلاً، ومن ثم كانت العقبة الأولى والثانية ليلاً⁽⁴⁾.

2- ذهاب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى القبائل في منازلهم:

فقد أتى كلبًا وبنو حنيفة، وبنو عامر في منازلهم⁽⁵⁾ وبذلك يحاول أن يتعد عن مطاردة قريش، فيستطيع أن يتفاوض مع القبائل بالطريقة المناسبة دونما تشويش أو تشويه من قريش.

3- اصطحاب الأعوان:

كان أبو بكر وعلي رضي الله عنهما يرافقان الرسول صلى الله عليه وسلم في بعض مفاوضاته مع بعض القبائل، وربما كانت هذه الرفقة لأجل ألا يظن المدعوون أنه وحيد، ولا أعوان له من أشرف قومه وأقاربه، هذا إلى جانب معرفة أبي بكر بانسحاب العرب⁽⁶⁾ الأمر الذي يساعد الرسول صلى الله عليه وسلم في التعرف على معادن القبائل، فيقع الاختيار على أفضلها، لتحمل تبعات الدعوة.

4- التأكد من حماية القبيلة:

ومن الجوانب الأمنية المهمة سؤاله صلى الله عليه وسلم عن المنعة والقوة لدى القبائل، قيل أن يوجه إليهم الدعوة، ويطلب منهم الحماية فقوة ومنعة القبيلة التي تحمي الدعوة شيء ضروري ومهم لا

1

2

3

4

5

6

(?) انظر: المحنة في العهد المكي، ص 53.

(?) تاريخ إسلام النجيب آبادي (1/129) نقلاً عن الرحيق المختوم.

(?) السيرة النبوية لابن هشام (2/44، 52) السيرة النبوية جوانب الحذر

والحماية، ص 116.

(?) البداية والنهاية لابن كثير، (3/140).

(?) السيرة النبوية قراءة لجوانب الحذر والحماية، ص 116.

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

بد منه، لأن هذه القبيلة ستواجه كل قوى الشر والباطل، فلا بد أن تكون أهلاً لهذا الدور من حيث الاستعداد المعنوي والمادي، الذي يرهب الأعداء، ويحمي حمى الدعوة، ويتحمل تبعات نشرها، مزيلاً لكل العقبات التي تقف في طريقها⁽¹⁾.

ثانياً: المفاوضات مع بني عامر:

اختار الرسول صلى الله عليه وسلم أن يجري مفاوضات مع بني عامر قامت تلك المفاوضات على دراسة وتخطيط، فالرسول وصاحبه أبو بكر كانا يعلمان أن بني عامر قبيلة مقاتلة كبيرة العدد وعزيرة الجانب، بل هي من القبائل الخمس التي لم يمسها سياء ولم تتبع لملك ولم تؤد إتاوة⁽²⁾ مثلها مثل قريش وخزاعة⁽³⁾ كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعلم أن هنالك تضاداً قديماً بين بني عامر وثقيف، فإذا كانت ثقيف امتنعت عليه من الداخل فلماذا لا يحاول أيضاً تطويقها من الخارج، والاستفادة في من بني عامر بن صعصعة، فإذا استطاع النبي صلى الله عليه وسلم أن يبرم حليفاً مع بني عامر فإن موقف ثقيف سيكون على حافة الخطر⁽⁴⁾ يذكر أصحاب السيرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما أتى بني عامر بن صعصعة، فدعا إلى الله، وعرض عليهم نفسه، قال له رجل منهم يقال له بئخة بن فراس: «والله لو أنني أخذت هذا الفتى لأكلت به العرب، ثم قال له: أريت إن نحن بايعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك أكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: «الامر لله يضعه حيث يشاء» قال: فقال له: أفنهدف نجورنا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان الأمير لغيرنا؟ لا حاجة لنا بأمرك فأبوا عليه⁽⁵⁾.

ثالثاً: المفاوضات مع بني شيبان:

ففي رواية علي بن أبي طالب ؓ قال: لما أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه.. إلى أن قال: ثم دفعنا إلى مجلس آخر، عليه السكينة والوقار فتقدم أبو بكر فسلم فقال: من القوم؟ قالوا: شيبان بن ثعلبة فالتفت أبو بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: بأبي وأمي، هؤلاء غرر الناس، وفيهم مفروق قد غلبهم لساناً وجمالاً، وكانت له غديرتان تسقطان على تربيتيه، وكان أدنى القوم مجلساً من أبي بكر، فقال أبو بكر: كيف العدد فيكم؟ فقال مفروق: إنا لا نزيد على ألف ولن تغلب ألف من قلة، فقال أبو بكر: وكيف المنعة فيكم؟ فقال مفروق: إنا لأشد ما نكون غضباً حين نلقى. وأشد ما نكون لقاء حين نغضب، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد، والسلاح على اللقاح، والنصر من عند الله يديلنا مرة، وبديل علينا أخرى، لعلك أخو قريش؟ فقال أبو بكر: إن

(?) نفس المصدر، ص 116، 117.

(?) انظر: أصول الفكر السياسي، ص 182، سباء: لم تُسبَ نساؤها في الحروب.

(4،?) نفس المصدر، ص 182.

(?) انظر: سيرة ابن هشام، (2/38).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

كان بلغكم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها هو ذا، فقال مفروق: إلام تدعون يا أخا قريش؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأني عبد الله ورسوله، وإلى أن تؤووني وتنصروني، فإن قريشاً قد تظاهرت على الله، وكذبت رسوله، واستغنت بالباطل عنالحق، والله هو الغني الحميد» فقال مفروق، وإلام تدعو أيضاً يا أخا قريش؟ فوالله ما سمعت كلاماً أحسن من هذا، فقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَن تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ تَحْنُ تَرْزُقُكُمْ وَأَبَآهُمُ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطْنٌ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) [الأنعام: 151].

فقال مفروق: دعوت والله إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، ولقد أفك قوم كذوبك، وظاهروا عليك، ثم رد الأمر إلى هائي بن قبيصة فقال: وهذا هائي شيخنا، وصاحب ديننا، فقال هائي: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش، وإنني أرى تركنا ديننا، واتباعنا دينك لمجلس جلست إلينا، لا أول له ولا آخر لذل في الرأي، وقلة نظر في العاقبة أن الزلة مع العجلة، وأنا نكره أن نعقد على من وراءنا عقداً، ولكن نرجع وترجع، وننظر، ثم كأنه أحب أن يشركه المثنى بن حارثة، فقال: وهذا المثنى شيخنا وصاحب حربنا فقال المثنى -واسلم بعد ذلك-: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش، والجواب فيه جواب هائي بن قبيصة، في تركنا ديننا ومتابعتنا دينك وأنا إنما نزلنا بين صريين أحدهما الإمامة والآخر السّمامة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما هذان الصريان» قال: أنهار كسرى، ومياه العرب، فأما ما كان من أنهار كسرى، فذنب صاحبه غير مغفور، وعذره غير مقبول، وأنا إنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى، أن لا نحدث حدثاً ولا نؤوي محدثاً، وإنني أرى هذا الأمر الذي تدعوننا إليه يا أخا قريش مما تكره الملوك، فإن أحببت أن نؤويك وننصرك مما يلي مياه العرب، فعلنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أسأتم في الرد إذ أفصحتكم بالصدق، وإن دين الله عز وجل لن ينصره إلا من خاطه من جميع جوانبه، أرايتم إن لم تلبثوا إلا قليلاً حتى يورثكم الله تعالى أرضهم وديارهم ويفرشكم نساءهم، أتسيحون الله وتقدسونه؟» فقال النعمان بن شريك: اللهم فلك ذاك⁽¹⁾.

رابعاً: فوائد ودروس وعبر:

كانت النصره التي طلبها النبي صلى الله عليه وسلم ذات صفة مخصوصة، وذلك على النحو التالي:

1- كان طلب الرسول صلى الله عليه وسلم للنصرة من خارج

¹ (?) انظر: البداية والنهاية (3/143: 145) وفيها زيادات ليست عند الصالح في سبل الرشاد (2/596: 597)

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مكة إنما بدأ ينشط بشكل ملحوظ بعد أن اشتد الأذى عليه عقب وفاة عمه أبي طالب، الذي كان يحميه من قريش؛ وذلك لأن من يحمل الدعوة لن يستطيع أن يتحرك التحرك الفعّال والنشاط في حمل الدعوة، وتوفير الاستجابة لها، في جو من العنف، والضعف والإرهاب.

2- كان عرض الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل يطلب منهم النصرة، إنما هو بأمر من الله عز وجل له في ذلك، وليس مجرد اجتهاد من قبل نفسه، اقتضته الظروف التي وصلت إليها الدعوة.

3- حصر رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب النصرة بزعماء القبائل، وذوي الشرف والمكانة ممن لهم أتباع يسمعون لهم، وبطيوعهم؛ لأن هؤلاء هم القادرون على توفير الحماية للدعوة وصاحبها.

5- رفض النبي صلى الله عليه وسلم أن يعطي القوى المستعدة لتقديم نصرتها أي ضمانات بأن يكون لأشخاصهم شيء من الحكم والسلطان، على سبيل الثمن، أو المكافأة لما يقدمون من نصرة، وتأييد للدعوة الإسلامية؛ وذلك لأن الدعوة الإسلامية إنما هي دعوة إلى الله، فالشرط الأساسي فيمن يؤمن بها، ويستعد لنصرتها أن يكون الإخلاص لله، ونشدان رضاه، هما الغاية التي يسعى إليها من النصرة والتضحية، وليس طمعاً في نفوذ أو رغبة في سلطان، وذلك لأن الغاية التي يضعها الإنسان للشيء، هي التي تكيّف نشاط الإنسان في السعي إليه، فلا بد إذن من أن تتجرد الغاية المستهدفة من وراء نصرة الدعوة، عن أي مصلحة مادية لضمان دوام التأييد لها، وضمان المحافظة عليها من أي انحراف، وضمان أقصى ما يمكن من بذل الدعم لها، وتقديم التضحيات في سبيلها⁽¹⁾ فيجب على كل من يريد أن يلتزم بالجماعة التي تدعو إلى الله، ألا يشترط عليها منصباً أو عرساً من أعراض الدنيا؛ لأن هذه الدعوة لله، والأمر لله يضعه حيث يشاء، والداخل في أمر الدعوة إنما يريد ابتداء وجه الله، والعمل من أجل رفع رايته، أما إذا كان المنصب هو همه الشاغل، فهذه علامة خطيرة تنبئ عن دخن في نية صاحبه⁽²⁾ لذا قال يحيى بن معاذ الرازي: «لا يفلح من شملت منه رائحة الرياسة»⁽³⁾.

5- ومن صفة النصرة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلبها لدعوته من زعماء القبائل، أن يكون أهل النصرة غير مرتبطين بمعاهدات دولية، تتناقض مع الدعوة، ولا يستطيعون التحرر منها، وذلك لأن احتضانهم للدعوة والحالة هذه، يعرضها لخطر القضاء عليها من قبل الدول التي بينهم وبينها تلك المعاهدات، والتي

1 (?) انظر: الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، لمحمد خير (1/411).

2 (?) انظر: وقفات تربوية من السيرة النبوية، عبد الحميد البلاكي، ص 72.

3 (?) انظر: صفة الصفوة (4/94).

(4) انظر: الجهاد والقتال في السياسة الشرعية (1/412).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

تجد في الدعوة الإسلامية خطرًا عليها وتهديدًا لمصالحها⁽¹⁾.
إن الحماية المشروطة أو الجزئية لا تحقق الهدف المقصود فلن يخوض بنو شيان حربًا ضد كسرى لو أراد القبض على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسليمه، ولن يخوضوا حربًا ضد كسرى، لو أراد مهاجمة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتباعه، وبذلك فشلت المباحثات⁽²⁾.

6- «إن دين الله لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه» كان هذا الرد من النبي صلى الله عليه وسلم على المثنى بن حارثة حين عرض على النبي صلى الله عليه وسلم حمايته على مياه العرب دون مياه الفرس، فمن يسير أغوار السياسة البعيدة، يرُ بعد النظر الإسلامي النبوي الذي لا يسامى⁽³⁾.

7- كان موقف بني شيان يتسم بالارحية والخلق والرجولة، ويتم عن تعظيم هذا النبي، وعن وضوح في العرض، وتحديد مدى قدرة الحماية التي يملكونها، وقد بينوا أن أمر الدعوة مما تكرهه الملوك، وقدر الله لشيان بعد عشر سنين أو يزيد، أن تحمل هي ابتداء عبء مواجهة الملوك بعد أن أشرق قلبها بنور الإسلام، وكان المثنى بن حارثة الشيباني صاحب حربهم وبطلهم المغوار، الذي قاد الفتوح في أرض العراق، في خلافة الصديق⁽⁴⁾، فكان وقومه من أجراً المسلمين بعد إسلامهم على قتال الفرس، بينما كانوا في جاهليتهم يرهبون الفرس ولا يفكرون في قتالهم، بل إنهم ردوا دعوة النبي صلى الله عليه وسلم بعد قناعتهم بها لاحتمال أن تلجئهم إلى قتال الفرس، الأمر الذي لم يكونوا يفكرون به أبداً، وبهذا نعلم عظمة هذا الدين الذي رفع الله به المسلمين في الدنيا، حيث جعلهم سادة الأرض مع ما ينتظرون في آخراهم من النعيم الدائم في جنات النعيم⁽⁵⁾.

* * *

² (?) انظر: التحالف السياسي في الإسلام، منير الغضبان، ص 53.
³ (?) نفس المصدر، ص 64.

⁴ (3) انظر: التربية القيادية (2/20).

⁵ (?) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (3/69).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

المبحث الثاني مواكب الخير وطلائع النور

قال جابر بن عبد الله الأنصاري:

مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين يتبع الناس في منازلهم بعكاظ ومجنة في المواسم بمنى يقول: «من يؤويني؟ من ينصرني حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة؟» حتى إن الرجل ليخرج من اليمن أو مضر، فيأتيه قومه فيقولون: احذر غلام قريش لا يفتننك، ويمشي بين رجالهم وهم يشيرون إليه بالأصابع، حتى بعثنا الله إليه من يثرب فأويناه، وصدقناه، فيخرج الرجل منا فيؤمن به ويقرئه القرآن، فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه، حتى لا يبقى دار من دور الأنصار إلا وفيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام⁽¹⁾.

أولاً: الاتصالات الأولى بالأنصار في مواسم الحج والعمرة:

1- إسلام سويد بن الصامت:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب، له اسم وشرف إلا تصدى له ودعاه إلى الله وعرض عليه ما جاء به من الهدى والحق، فقدم سويد بن الصامت- أخو بني عمرو بن عوف- مكة حاجاً أو معتمراً، وكان سويد يسميه قومه فيهم الكامل، لجلده، وشعره، وشرفه، ونسبه، فتصدى له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به، فدعاه إلى الله والإسلام، فقال له سويد: فلعل الذي معك مثل الذي معي؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وما الذي معك؟» قال: مجلة⁽²⁾ لقمان، فقال له رسول الله: «اعرضها علي» فعرضها عليه فقال: «إن هذا الكلام حسن، والذي معي أفضل من هذا، قرآن أنزله الله عليّ، هو هدى ونور» فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن، ودعاه إلى الإسلام، فلم يبعد منه، وقال: إن هذا القول حسن، ثم انصرف عنه فقدم المدينة على قومه فلم يلبث أن قتله الخزرج، وقد كان رجال من قومه يقولون: إنا لنراه قتل وهو مسلم، وكان قتله يوم بعاث⁽³⁾ وعلى أية حال لا توجد دلائل على قيام سويد بن الصامت بالدعوة إلى الإسلام وسط قومه⁽⁴⁾.

2- إسلام إياس بن معاذ:

لما قدم أبو الحيسر بن رافع مكة ومعه فتیان من بني عبد الأشهل، فيهم إياس بن معاذ، يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج، سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم،

1 (?) مسند أحمد (3/322/339، 340) بإسناد حسن.
2 (?) المجلة: الصحيفة، وتطلق على الحكمة أي حكمة لقمان.
3 (?) سيرة ابن هشام (2/40) إسناد حسن. (4) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (1/195).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

فأتاهم فجلس إليهم، فقال: «هل لكم في خير مما جئتم له؟» قالوا: وما ذاك؟ قال: «أنا رسول الله إلى العباد أدعوهم إلى أن يعبدوا الله، ولا يشركوا به شيئاً وأنزل عليّ الكتاب»، ثم ذكر لهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن فقال إياس بن معاذ وكان غلاماً حدثاً: هذا والله خير مما جئتم له فيأخذ أبو الحيسر كفاً من تراب، فضرب به وجهه، وقال: دعنا منك، فلعمري لقد جئنا لغير هذا، فصمت إياس، وقام رسول الله عنهم، وانصرفوا إلى المدينة، وكانت وقعة بُعث بين الأوس والخزرج، ثم لم يلبث إياس بن معاذ أن هلك، وقد روي من حضره من قومه أنه ما زال يهلل الله ويكبره ويحمده ويسبحه حتى مات، فما كانوا يشكون أنه مات مسلماً، لقد كان استشعر الإسلام في ذلك المجلس حين سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمع⁽¹⁾.

ثانياً: بدء إسلام الأنصار:

كانت البداية المثمرة مع وفد من الخزرج في موسم الحج، عند عقبة منى، قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أتم؟» قالوا: نفر من الخزرج. قال: «أمن موالي يهود؟» قالوا: نعم. قال: «أفلا تجلسون أكلمكم؟» قالوا: بلى، فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله عز وجل وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن⁽²⁾.

فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر، ودعاهم إلى الله، قال بعضهم لبعض: يا قوم: تعلموا والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود، فلا يسبقنكم إليه، فأجابوه فيما دعاهم إليه، بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام، وقالوا: إنا قد تركنا قومنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشرا ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم، فندعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذي أجبنك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك، ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين إلى بلادهم، وقد آمنوا وصدقوا⁽³⁾، وكانوا ستة نفر: وهم أبو أمامة أسعد بن زرار، وعوف بن الحارث من بني النجار، ورافع بن مالك، وقطبة بن عامر، وعقبة بن عامر، وجابر بن عبد الله بن رئاب⁽⁴⁾. فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودعاهم إلى الإسلام، حتى فشا بينهم فلم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم⁽⁵⁾.

فهذا أول موكب من مواكب الخير، لم يكتف بالإيمان، وإنما أخذ العهد على نفسه أن يدعو إليه قومه، وقد وفى كل منهم لدينه ورسوله صلى الله عليه وسلم، فإنهم حين رجعوا نشطوا في الدعوة

¹ (?) انظر: سيرة ابن هشام (2/41) بإسناد حسن. (2) نفس المصدر (2/41)،

³ (?) البداية والنهاية (3/148، 149). (4) انظر: شرح الواهب للزرقاني (1/361).

⁵ (?) انظر: البداية والنهاية (3/147).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

إلى الله، وعرضوا كلمة الهدى على أهلهم وذوهم، فلم تبقَ دار من دور المدينة إلا وفيها ذكر لمحمد **صلى الله عليه وسلم**، وهكذا عندما يأذن الله تأتي ساعة الحسم الفاصلة فقد كان لقاء هؤلاء مع الرسول على غير موعد، لكنه لقاء هياه الله ليكون نبع الخير المتجدد الموصول، ونقطة التحول الحاسم في التاريخ... وساعة الخلاص المحقق من عبادة الأحجار، بل إنها على التحقيق، ساعة الحسم في مصير العالم كله ونقل الحياة من الظلمات إلى النور.

أكان معقولاً في لحظة يسيرة أن يتحول هؤلاء من وثنيين متعصبين إلى أنصار للدعوة متفتحين، وجنود للحق مخلصين، ودعاة إلى الله متجردين يذهبون إلى أقوامهم وبين جوانحهم نور، وعلى وجوههم نور، وإنهم لعل نور؟ تلك مشيئة القدر العالي هيأت للدعوة مجالها الخصب، وحماها الأمين، والسنوات العجاف التي قضاها الرسول **صلى الله عليه وسلم** نضالاً مستمراً، وكفاحاً دائماً، وتطواًفاً على القبائل، والتماساً للحليف، قد ولت إلى غير رجعة، سيكون بعد اليوم للإسلام قوته الرادعة، وجيشه الباسل وسيلتي الحق بالباطل ليصفي معه حساب الأيام الخوالي، والعاقبة للمتقين، وستتوالى على مكة منذ اليوم مواكب الخير وطلائع النور التي هياها الله للخير لتتصل بالهداية وتسيح في النور، وتغترف من الخير، وترجع إلى يشرب بما وعت من خير، وبما حلمت من نور⁽¹⁾.

ومن الجدير بالتنبيه أن هذه المقابلة التي حدثت عند العقبة، وتلاقى فيها فريق من الخزرج بالنبي **صلى الله عليه وسلم** وأسلموا على يديه لم تكن فيها بيعة⁽²⁾؛ لأنها كانت من نفر صغير لا يرون لأنفسهم الحق في أن يلتزموا بمعاهدة دون الرجوع إلى قبائلهم في المدينة، ولكنهم أخلصوا في تبليغ رسالة الإسلام⁽³⁾.

ثالثاً: بيعة العقبة الأولى:

بعد عام من المقابلة الأولى التي تمت بين الرسول **صلى الله عليه وسلم** وأهل يثرب عند العقبة وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً فلقوه **صلى الله عليه وسلم** بالعقبة، وبايعوه بيعة العقبة الأولى، (عشرة من الخزرج واثان من الأوس) مما يشير إلى نشاط وفد الخزرج الذين أسلموا في العام الماضي، تركز على وسطهم القبلي بالدرجة الأولى، لكنهم تمكنوا في نفس الوقت من اجتذاب رجال الأوس، وكان ذلك بداية ائتلاف القبيلتين تحت راية الإسلام⁽⁴⁾.

وقد تحدث عبادة بن الصامت الخزرجي عن البيعة في العقبة الأولى، فقال: «كنت فيمن حضر العقبة الأولى، وكنا اثني عشر رجلاً،

1 (?) انظر: أضواء على الهجرة لتوفيق محمد سيع، ص 273، 274.

2 (?) انظر: هجرة الرسول وصحابه للجمال، ص 143.

3 (?) هجرة الرسول وصحابه للجمال، ص 143. (4) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (1/197).

4

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء وذلك قبل أن تُفترض علينا الحرب: على ألا نشرك بالله، ولا ننسرق، ولا ننزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف، فإن وفيتم فلكم الجنة، وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأمركم إلى الله عز وجل، إن شاء غفر وإن شاء عذب»⁽¹⁾.

وينود هذه البيعة هي التي بايع الرسول صلى الله عليه وسلم عليها النساء فيما بعد ولذلك عرفت باسم بيعة النساء⁽²⁾، وقد بعث الرسول صلى الله عليه وسلم مع المبايعين مصعب بن عمير، يعلمهم الدين ويقرئهم القرآن فكان يسمى بالمدينة (المقرئ)، وكان يؤمهم في الصلاة، وقد اختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علم بشخصيته من جهة، وعلم بالوضع القائم في المدينة من جهة أخرى، حيث كان بجانب حفظه لما نزل من القرآن، يملك من اللباقة والهدوء، وحسن الخلق والحكمة، قدرًا كبيرًا، فضلًا عن قوة إيمانه، وشدة حماسه للدين، ولذلك تمكن خلال أشهر أن ينشر الإسلام في سائر بيوتات المدينة، وأن يكسب للإسلام أنصارًا من كبار زعمائها، كسعد بن معاذ وأسيد بن حضير، وقد أسلم بإسلامهما خلق كثير من قومهم⁽³⁾.

لقد نجحت سفارة مصعب بن عمير في شرح تعاليم الدين الجديد، وتعليم القرآن الكريم وتفسيره، وتقوية الروابط الأخوية بين أفراد القبائل المؤمنة من ناحية، وبين النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه بمكة المكرمة لإيجاد القاعدة الآمنة لانطلاق الدعوة.

وقد نزل مصعب بن عمير في شرب على أسعد بن زرارة⁽⁴⁾ ونشط المسلمون في الدعوة إلى الله يقود تلك الحركة الدعوية الرائدة مصعب، وقد انتهج منهج القرآن الكريم في دعوته وهذا الذي تعلمه من أمامه صلى الله عليه وسلم، وقد شرح لنا بعض الآيات القرآنية المكية بصورة عملية حية قال تعالى: **(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ صَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)** [النحل: 125].

رابعًا: قصة إسلام أسيد بن حضير وسعد بن معاذ رضي الله عنهما:

كان سعد بن معاذ وأسيد بن حضير سيدي قومهما من بني عبد الأشهل، وكانا مشركين على دين قومهما، فلما سمعا بمصعب بن عمير، ونشاطه في الدعوة إلى الإسلام قال سعد لأسيد: لا أباك، انطلق إلى هذين الرجلين، اللذين أتيا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما.

1 (?) صحيح مسلم [41- (1709)]. (2) انظر: الغرباء الأولون، ص 185.

2

3 (?) نفس المصدر، ص 186، 187.

4

(?) انظر: السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، (1/441).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الاواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

وانههما أن يأتيا دارينا، فإنه لولا أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيته ذلك، هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدماً، فأخذ أسيد حربته ثم أقبل عليهما، فلما رآه أسعد بن زرارة قال: هذا سيد قومه، وقد جاءك فاصدق الله فيه، قال مصعب: إن يجلس أكلمه، فوقف عليهما متشتماً فقال: ما جاء بكما تسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة، فقال له مصعب بلسان المؤمن الهادئ الواثق من سماحة دعوته: أو تجلس فتسمع فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته نكف عنك ما تكره؟

قال أسيد: أنصفت، ثم ركز حربته وجلس إليهما، فكلمه مصعب بالإسلام، وقرأ عليه القرآن، فقالا فيما يذكر عنهما: والله لعرفنا في وجهه الإسلام - قبل أن يتكلم - في إشراقه وتسهيله، ثم قال: ما أحسن هذا الكلام وأجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟ قال له: تغتسل فتطهر وتطهر ثوبك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي، فقام فاغتسل وطهر ثوبه وتشهد شهادة الحق، ثم قام فركع ركعتين، ثم قال لهما: إن ورأي رجلاً إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسارسله إليكم الآن: سعد بن معاذ.

ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهما، فلما نظر إليه سعد مقبلاً قال: أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بن حضير بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم. فلما وقف على النادي قال له سعد: ما فعلت؟ قال: كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأساً، وقد نهيتهما فقالا: نفعل ما أحببت، وقد حدثت أن بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارة، ليقتلوه، وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليحرقوك⁽¹⁾.

فقام سعد مغضباً مبادراً مخوفاً للذي ذكر له من أمر بني حارثة، وأخذ الحربة في يده ثم قال: والله ما أراك أعنيت شيئاً، ثم خرج إليهما سعد فوجدهما مطمئنين، فعرف أن أسيد إنما أراد أن يسمع منهما، فوقف متشتماً، ثم قال لأسعد بن زرارة: والله يا أبا أمامة لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني، أغشانا في دارنا بما نكره، وكان أسعد قد قال لمصعب: لقد جاء والله سيد من وراءه من قومه، إن يتبعك لا يتخلف منهم اثنان، فقال له مصعب: أو تقعد فتسمع؟ فإن رضيت أمراً ورغبت فيه قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره، فقال بسعد: أنصفت، ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه الإسلام، وقرأ القرآن، وذكر موسى بن عقبة أنه قرأ عليه أول سورة الزخرف، قالاً: فعرفنا - والله - في وجهه الإسلام - قبل أن يتكلم - في إشراقه وتسهيله.

ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم، ودخلتم في هذا الدين؟ قالاً: تغتسل، فتطهر وتطهر ثوبك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي ركعتين، فقام فاغتسل وطهر ثوبه، ثم تشهد شهادة الحق، ثم ركع ركعتين، ثم أخذ حربته فأقبل عائداً إلى نادي قومه ومعه أسيد بن حضير،

¹ (?) انظر: السيرة النبوية لأبي شعبة (1/442)

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

فلما رآه قومه مقبلاً قالوا: نحلّف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأياً وأيمننا نقيّة، قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله، قال: فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً أو مسلمة.

ورجع أسعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام، حتى لم يتبقّ دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال مسلمون ونساء مسلمات، إلا ما كان من الأصيرم، وهو عمرو بن ثابت بن وقش، فإنه تأخر إسلامه إلى يوم أحد فأسلم، واستشهد بأحد، ولم يصلّ لله بسجدة قط، وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه من أهل الجنة.

وقد روى ابن إسحاق بإسناد حسن عن أبي هريرة أنه كان يقول: «حدثوني عن رجل دخل الجنة لم يصل صلاة قط، فإذا لم يعرفه الناس قال هو أصيرم بني عبد الأشهل»⁽¹⁾.

خامساً: فوائد ودروس وعبر:

1- اتجه التخطيط النبوي للتركيز على يثرب بالذات، وكان للنفر الستة الذين أسلموا دور كبير في بث الدعوة إلى الإسلام خلال ذلك العام.

2- كانت هناك عدة عوامل ساعدت على انتشار الإسلام في المدينة منها:

- ما طبع الله عليه قبائل الخزرج والأوس من الرقة واللين، وعدم المغالاة في الكبرياء وجحود الحق، وذلك يرجع إلى الخصائص الدموية والسلالية التي أشار إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وفد وفد من اليمن بقوله: «اتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوباً»⁽²⁾ وهما ترجعان في أصليهما إلى اليمن، نزح أجدادهم منها في الزمن القديم⁽³⁾ فيقول القرآن الكريم مادحاً لهم: (وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَخِيقَ نَفْسِهِ فَاُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [الحشر: 9].

- ومنها التشاحن والتطاحن الموجودان في قبيلتي المدينة، الأوس والخزرج، وقد قامت بينهما الحروب الطاحنة كيوم بُعث وغيره، وقد أفنت هذه الحرب كبار زعمائهم ممن كان نظراًؤهم في مكة والطائف وغيرها، حجر عثرة في سبيل الدعوة، ولم يبق إلا القيادات الشابة الجديدة المستعدة لقبول الحق، إضافة إلى عدم وجود قيادة بارزة

1 (?) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبه (1/444) صحيح السيرة النبوية، ص291.

2 (?) البخاري، كتاب المغازي، باب قدوم الأشعرين، رقم 4388.

3 (?) انظر: السيرة النبوية، لأبي الحسن الندوي، ص154.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

معروفة يتواضع الجميع على التسليم لها، وكانوا بحاجة إلى من يألفون عليه، ويلتئم شملهم تحت ظله، قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: «كان يوم بُعث يومًا قدمه الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم، فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد افترق ملؤهم وقتلت سرواتهم وجُرَّجوا، فقدمه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم في دخولهم الإسلام»⁽¹⁾.

- ومنها مجاورتهم لليهود مما جعلهم على علم -ولو يسير- بأمر الرسالات السماوية، وخبر المرسلين السابقين، وهم في مجتمعهم يعايشون هذه القضية في حياتهم اليومية وليسوا مثل قريش التي لا يساكنها أهل كتاب وإنما غاية أمرها أن تسمع أخبارًا متفرقة عن الرسالات، والوحي الإلهي، دون أن تلح عليها هذه المسألة أو تشغل تفكيرها باستمرار، وكان اليهود يهددون الأوس والخزرج بنبي قد أطل زمانه، ويزعمون أنهم

يسيتبعونه، ويقتلونهم به قتل عاد وإرم، مع أن الأوس والخزرج كانوا أكثر من اليهود⁽²⁾، وقد حكى الله عنهم ذلك في كتابه العزيز قال تعالى: (وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ) [البقرة: 89].

وكان الأوس والخزرج قد علوا اليهود دهرًا في الجاهلية، وهم أهل شرك، وهؤلاء أهل الكتاب، فكانوا يقولون: إن نبيًا قد أطل زمانه، يقاتلكم قتل عاد وإرم⁽³⁾.

فلما أراد الله إتمام أمره بنصر دينه، قيض ستة نفر من أهل المدينة للنبي صلى الله عليه وسلم فالتقى بهم عند العقبة -عقبة منى- فعرض عليهم الإسلام فاستبشروا وأسلموا، وعرفوا أنه النبي الذي توعدهم به اليهود، ورجعوا إلى المدينة، فأفشوا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في بيوتها⁽⁴⁾ وكان هذا هو (بدء إسلام الأنصار) كما يسميه أهل السير⁽⁵⁾.

3- حضر بيعة العقبة الأولى اثنان من الأوس، وهذا تطور مهم لمصلحة الإسلام، فبعد الحرب العنيفة في بُعث استطاع النفر الستة من الخزرج أن يتجاوزوا قصة الصراعات الداخلية ويحضروا معهم سبعة جدًا، فيهم اثنان من الأوس، وهذا يعني أنهم وفوا بالتزاماتهم التي قطعوها على أنفسهم في محاولة راب الصدع، وتوجيه التيار لدخول الإسلام في المدينة، أوسها وخزرجها. وتجاوز الصراعات القبلية القائمة.

1 (?) البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب الأنصار (4/367)، رقم 3777.

2 (?) انظر: الغرباء الأولون، ص 183.

3 (?) الدر المنثور للسيوطي، (1/216).

4 (?) انظر: ابن هشام (1/44).

5 (?) نفس المصدر (1/39: 44).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

4- بذل الرسول **صلى الله عليه وسلم** كل ما يملك من جهد لتعبئة الطاقات الإسلامية في المدينة، ولم يكن هناك أدنى تقصير للجهد البشري الممكن في بناء القاعدة الصلبة التي تقوم على أكتافها الدولة الجديدة، واحتمل هذا الجهد سنتين كاملتين من الدعوة والتنظيم⁽¹⁾.

5- نجحت التعبئة الإيمانية في نفوس من أسلم من الأنصار، وشعرت الأنصار بأنه قد أن الأوان لقيام الدولة الجديدة، وكما يقول جابر **صلى الله عليه وسلم** يطوف ويطرد في جبال مكة ويخاف⁽²⁾.

6- وصل مصعب **صلى الله عليه وسلم** إلى مكة قبيل الموسم من العام الثالث عشر للبعثة، ونقل الصورة الكاملة التي انتهت إليها أوضاع المسلمين هناك، والقدرات والإمكانات المتاحة، وكيف تغلغل الإسلام في جميع قطاعات الأوس والخزرج، وأن القوم جاهزون لبيعة جديدة قادرة على حماية رسول الله **صلى الله عليه وسلم** ومنعته⁽³⁾.

7- كان اللقاء الذي غير مجرى التاريخ في موسم الحج في السنة الثالثة عشر من البعثة، حيث حضر لأداء مناسك الحج بضع وسبعون نفساً من المسلمين من أهل يثرب، فلما قدموا مكة حرت بينهم وبين النبي **صلى الله عليه وسلم** اتصالات سرية، أدت إلى اتفاق الفريقين على أن يجتمعوا في أواسط أيام التشريق في الشعب الذي عند العقبة، حيث الجمرة الأولى من منى، وأن يتم هذا الاجتماع في سرية تامة في ظلام الليل⁽⁴⁾.

* * *

1 (2،؟) انظر: التحالف السياسي، ص71.

3 (؟) نفس المصدر، ص72.

4 (؟) المصدر السابق، ص73.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

المبحث الثالث بيعة العقبة الثانية

قال جابر بن عبد الله [.. فقلنا، حتى متى نترك رسول الله صلى الله عليه وسلم يطرد في جبال مكة ويخاف، فرحل إليه منا سبعون رجلاً حتى قدموا عليه في الموسم، فواعدناه شعب العقبة فاجتمعنا عليه من رجل ورجلين، حتى توافينا فقلنا: يا رسول الله علام نبأبعك؟

قال: «تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تقولوا في الله، لا تخافون في الله لومة لائم، وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم، ولكم الجنة».

قال: فقمنا إليه فبايعناه، وأخذ بيده أسعد بن زرارة، وهو من أصغرهم، فقال: روبداً يا أهل يثرب، فإننا لم نضرب أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن إخراجهم اليوم مفارقة العرب كافة، وقتل خياركم، وأن تعضكم السيوف، فإذا أنتم قوم تصبرون على ذلك وأجركم على الله، وإما أنتم تخافون من أنفسكم جبنه، فبينوا ذلك، فهو أعذر لكم عند الله قالوا: أمط عنا يا أسعد، فوالله لا ندع هذه البيعة أبداً، ولا نسليها أبداً، قال: فقمنا إليه فبايعناه، فأخذ علينا وشرط، ويعطينا على ذلك الجنة⁽¹⁾.

وهكذا بايع الأنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم على الطاعة والنصرة والحرب؛ لذلك سماها عبادة بن الصامت بيعة الحرب⁽²⁾، أما رواية الصحابي كعب بن مالك الأنصاري، وهو أحد المبايعين في العقبة الثانية، ففيها تفاصيل مهمة قال: «خرجنا في حجاج قومنا من المشركين وقد صلينا وفقهنا.. ثم خرجنا إلى الحج، وواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق... وكنا نكتم من معنا من المشركين أمرنا، فقمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله، نتسلل تسلل القطا مستخفين، حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً ومعنا امرأتان من نسائنا، نُسبية بنت كعب، وأسماء بنت عمرو، فاجتمعنا في الشعب نتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذ على دين قومه، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه، ويتوثق له، فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب: فيين أن الرسول في منعة من قومه بني هاشم، ولكنه يريد الهجرة إلى المدينة؛ ولذلك فإن العباس يريد التأكد من حماية الأنصار له وإلا فليدعوه فطلب الأنصار

¹ (?) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (1/199)

² (?) مسند الإمام أحمد (5/316) بإسناد صحيح لغيره.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

أن يتكلم رسول الله، فيأخذ لنفسه ولربه ما يحب من الشروط.
 قال: «أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم» فأخذ البراء بن معمر بيده ثم قال: نعم، والذي بعثك بالحق لنمنعك مما نمنع منه أزربنا، فبايعنا يا رسول الله، فنحن وأهل الحرب، وأهل الحلقة، ورثناها كابرًا عن كابر، فقاطعه أبو الهيثم بن التيهان متسائلًا: يا رسول الله، إن بيننا وبين القوم حبلاً، وأنا قاطعوها (يعني اليهود) فهل عسيتم إن نحن فعلنا ذلك، ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: «بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنا منكم، وأنتم مني، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم».

ثم قال: «أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيبًا ليكونوا على قومهم بما فيهم».

فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبًا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس.

وقد طلب الرسول صلى الله عليه وسلم منهم الانصراف إلى رحالهم، وقد سمعوا الشيطان يصرخ منذرًا قريشًا، فقال العباس بن عباد بن نضلة: والله الذي بعثك بالحق، إن شئت لنميلن على أهل منى غدًا بأسيافنا.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لم نؤمر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكُم» فرجعوا إلى رحالهم، وفي الصباح جاءهم جمع من كبار قريش، يسألونهم عما بلغهم من بيعتهم للنبي صلى الله عليه وسلم ودعوتهم له للهجرة، فحلف المشركون من الخزرج والأوس بأنهم لم يفعلوا والمسلمون ينظرون إلى بعضهم⁽¹⁾ قال: ثم قال القوم وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي، وعليه نعلان جديدان قال: فقلت له كلمة، كاني أريد أن أشرك القوم فيما قالوا بها: يا أبا جابر أما تستطيع أن تتخذ وأنت سيد من ساداتنا مثل نعلي هذا الفتى من قريش؟ قال: فسيمعهما الحارث فخلعهما من رجليه ثم رمى بها إلي، وقال: والله لتنتعليهما، قال: يقول أبو جابر: مه أحفظت والله الفتى، فاردد إليه نعليه، قال: قلت: لا، والله لا أردهما قال والله صالح، لئن صدق الفأل لأسلبنه⁽²⁾.

دروس وعبر وفوائد:

1- كانت هذه البيعة العظمى بملابساتها، وبواعثها، وآثارها، وواقعها التاريخي (فتح الفتوح)؛ لأنها كانت الحلقة الأولى في سلسلة الفتوحات الإسلامية التي تابعت حلقاتها في صور متدرجة مشدودة

¹ (?) انظر: ابن هشام (2/61) بإسناد حسن وانظر: السيرة النبوية الصحيحة للعمري (1/201).

² (?) انظر: مجمع الزوائد (46: 6/42) وقال الألباني في تحقيق فقه السيرة للغزالي، وهذا سند صحيح وصححه ابن حبان كما في الفتح (7/475).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

بهذه البيعة، منذ اكتمل عقدها بما أخذ فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من عهود ومواثيق على أقوى طليعة من طلائع أنصار الله الذين كانوا أعرف الناس بقدر موافقهم وعهودهم، وكانوا أسمح الناس بالوفاء بما عاهدوا الله ورسوله عليه، من التضحية، مهما بلغت متطلباتها من الأرواح والدماء والأموال، فهذه البيعة في بواعثها هي بيعة الإيمان بالحق ونصرتة، وهي في ملابساتها قوة تناضل قوى هائلة، تقف متالبة عليها، ولم يغب عن أنصار الله قدرها ووزنها في ميادين الحروب والقتال، وهي في آثارها تشمير ناهض بكل ما يملك أصحابها من وسائل الجهاد القتالي في سبيل إعلاء كلمة الله على كل عال مستكبر في الأرض حتى يكون الدين كله لله، وهي في واقعها التاريخي صدق وعدل، ونصر واستشهاد، وتبليغ لرسالة الإسلام⁽¹⁾.

2- إن حقيقة الإيمان وأثره في تربية النفوس تظهر آثارها في استعداد هذه القيادات الكبرى لأن تبذل أرواحها ودماءها في سبيل الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ولا يكون لها الجزاء في هذه الأرض كسباً ولا منصباً ولا قيادة ولا زعامة، وهم الذين أفنوا عشرات السنين من أعمارهم يتصارعون على الزعامة والقيادة، إنه أثر الإيمان بالله وبحقيقة هذا الدين عندما يتغلغل في النفوس⁽²⁾.

3- يظهر التخطيط العظيم في بيعة العقبة، حيث تمت في ظروف غاية في الصعوبة، وكانت تمثل تحدياً خطيراً وجريئاً لقوى الشرك في ذلك الوقت؛ ولذلك كان التخطيط النبوي لنجاحها في غاية الإحكام والدقة على النحو التالي⁽³⁾:

أ- سرية الحركة والانتقال لجماعة المبايعين، حتى لا ينكشف الأمر، فقد كان وفد المبيعة المسلم، سبعين رجلاً وامرأتين، من بين وفد يثربي قوامه نحو خمسمائة، مما يجعل حركة هؤلاء السبعين صعبة، وانتقالهم أمراً غير ميسور، وقد تحدد موعد اللقاء في ثاني أيام التشريق بعد ثلث الليل، حيث النوم قد ضرب أعين القوم، وحيث قد هدأت الرُّجُل، كما تم تحديد المكان في الشعب الأيمن، بعيداً عن عين من قد يستيقظ من النوم لحاجة⁽⁴⁾.

ب- الخروج المنظم لجماعة المبايعين إلى موعد ومكان الاجتماع، فخرجوا يتسللون مستخفين، رجلاً رجلاً، أو رجلين رجلين.

ج- ضرب السرية التامة على موعد ومكان الاجتماع، بحيث لم يعلم به سوى العباس بن عبد المطلب الذي جاء مع النبي صلى الله عليه وسلم ليتوثق له⁽⁵⁾ وعلي بن أبي طالب الذي كان عيناً للمسلمين على قم الشعب، وأبو بكر الذي كان على قم الطريق وهو الآخر عيّن

¹ (?) انظر: محمد رسول الله، محمد الصادق عرجون (2/400).
² (?) انظر: التربية القيادية (2/103).
³ المباركة، د. عبد الرحمن البر، ص 61.

⁵ (?) الهجرة النبوية المباركة، ص 62. (2) انظر: التربية القيادية (2/109).
 هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

للمسلمين⁽¹⁾، أما من عداهم من المسلمين، وغيرهم فلم يكن يعلم عن الأمر شيئاً، وقد أمر جماعة المبايعين أن لا يرفعوا الصوت، وأن لا يطيلوا في الكلام، حذراً من وجود عين يسمع صوتهم، أو يجس حركتهم⁽²⁾.

د- متابعة الإخفاء والسرية حين كشف الشيطان أمر البيعة، فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يرجعوا إلى رجالهم ولا يحدثوا شيئاً، رافضاً الاستعجال في المواجهة المسلحة التي لم تنهها لها الظروف بعد، وعندما جاءت قريش تستبشّر بالخبر، موه المسلمون عليهم بالسكوت، أو المشاركة بالكلام الذي يشغل عن الموضوع⁽³⁾.

هـ- اختيار الليلة الأخيرة من ليالي الحج، وهي ليلة الثالثة عشر من ذي الحجة، حيث سينفر الحجاج إلى بلادهم ظهر اليوم التالي وهو اليوم الثالث عشر، ومن ثم تضيق الفرصة أمام قريش في اعتراضهم أو تعويقهم إذا انكشف أمر البيعة، وهو أمر متوقع وهذا ما حدث⁽⁴⁾.

4- كانت البنود الخمسة للبيعة من الوضوح والقوة بحيث لا تقبل التميع والتراخي، إنه السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في اليسر والعسر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقيام في الله لا تأخذهم فيه لومة لائم، ونصر لرسول الله وحمايته إذا قدم المدينة⁽⁵⁾.

5- سرعان ما استجاب قائد الأنصار دون تردد البراء بن معرور قائلاً: والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزربنا، فبايعنا يا رسول الله، فنحن والله أبناء الحرب، وأهل الحلقة، ورتناها كابرًا عن كابر، فهذا زعيم الوفد يعرض إمكانيات قومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقومه أبناء الحرب والسلاح⁽⁶⁾، ومما تجدر الإشارة إليه في أمر البراء أنه عندما جاء مع قومه من يشرب قال لهم: إني قد رأيت رأيًا فوالله ما أرى أتوافقوني عليه أم لا؟

فقالوا: وما ذاك؟ قال: قد رأيت أن لا أدع هذه البنية -يعني الكعبة- مني بظهر، وأن أصلي إليها، فقالوا له: والله ما بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم يصلي إلا إلى الشام بيت المقدس، وما نريد أن نخالفه، فكانوا إذا حضرت الصلاة صلوا إلى بيت المقدس، وصلى هو إلى الكعبة، واستمروا كذلك حتى قدموا مكة، وتعرفوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس مع عمه العباس بالمسجد الحرام، فبإل النبي صلى الله عليه وسلم العباس: «هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل؟» قال: نعم، هذا البراء بن معرور سيد قومه، وهذا كعب بن مالك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «الشاعر؟» قال: نعم، فقص عليه البراء ما صنع في سفره من صلاته إلى الكعبة، قال: فماذا

2 (?) انظر: الهجرة النبوية المباركة، ص 62. (4) المصدر نفسه، ص 65.

4 (?) نفس المصدر، ص 67. (6,7) انظر: التحالف السياسي، ص 82.

6

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

تري يا رسول الله؟ قال: «قد كنت على قبلة لو صبرت عليها»⁽¹⁾ قال كعب: فرجع البراء إلى قبلة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصلى معنا إلى الشام، فلما حضرته الوفاة أمر أهله أن يوجهوه قبل الكعبة، ومات في صفر قبل قدومه صلى الله عليه وسلم بشهر، وأوصى بثلاث ماله للنبي صلى الله عليه وسلم، فقبله ورده على ولده، وهو أول من أوصى بثلاث ماله⁽²⁾ ويستوقفنا في هذا الخبر:

أ- الانضباط والالتزام من المسلمين بسلوك رسولهم وأوامره، وإن أي اقتراح مهما كان مصدره يتعارض مع ذلك، يعتبر مرفوضاً، وهذه من أولويات الفقه في دين الله، تأخذ حيزها من حياتهم وهم بعد ما زالوا في بداية الطريق.

ب- إن السيادة لم تعد لأحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن توقير أي إنسان واحترامه، إنما هو انعكاس لسلوكه والتزامه بأوامر الرسول صلى الله عليه وسلم، وهكذا بدأت تنزاح تقاليد جاهلية لتحل محلها قيم إيمانية، فهي المقاييس الحقة التي بها يمكن الحكم على الناس تصنيفاً وترتيباً⁽³⁾.

6- كان أبو الهيثم بن التيهان صريحاً عندما قال للرسول صلى الله عليه وسلم: إن بيننا وبين الرجال جبالاً وأنا قاطعوها، يعني اليهود، فهل عسيتم إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله، أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: «بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم مني أحارب من حاربتكم وأسألم من سألمتكم»، وهذا الاعتراض يدلنا على الحرية العالية، التي رفع الله تعالى المسلمين إليها بالإسلام، حيث عبر عما في نفسه بكامل حرته⁽⁴⁾ وكان جواب سيد الخلق صلى الله عليه وسلم عظيمًا، فقد جعل نفسه جزءاً من الانتصار والأنصار جزءاً منه⁽⁵⁾.

7- يؤخذ من اختيار النقباء دروس مهمة منها:

أ- أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يعين النقباء إنما ترك طريق اختيارهم إلى الذين بايعوا، فإنهم سيكونون عليهم مسئولين وكفلاء، والأولى أن يختار الإنسان من يكفله ويقوم بأمره، وهذا أمر شوري وأراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يمارسوا الشورى عملياً من خلال اختيار نقبائهم.

ب- التمثيل النسبي في الاختيار، من المعلوم أن الذين حضروا البيعة من الخرج أكثر من الذين حضروا البيعة من الأوس، ثلاثة

¹ (?) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة، (1/444). (2) نفس المصدر، (1/445).

³ (?) انظر: معين السيرة النبوية للشامي، ص 135. (4) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (3/97).

⁵ (?) انظر: التربية القيادية (2/67). (6) انظر: السيرة النبوية لأبي فارس، ص 209.

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

أضعاف من الأوس بل يزيدون، ولذلك كان النقباء ثلاثة من الأوس وتسعة من الخزرج⁽¹⁾.

ج- جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم النقباء مشرفين على سير الدعوة في يثرب، حيث استقام عود الإسلام هناك، وكثير معتنقوه، وأراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يشعرهم أنهم لم يعودوا غرباء لكي يبعث إليهم أحدًا من غيرهم، وأنهم غدوا أهل الإسلام وحماته وأنصاره⁽²⁾.

8- تأكد زعماء مكة من حقيقة الصفقة التي تمت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والأنصار، فخرجوا في طلب القوم فأدركوا سعد بن عبادة بأذاخر، والمبذر بن عمرو وكلاهما كان نقيبًا، فأما المبذر فأعجز القوم، وأما سعد فأخذوه، فربطوا يديه إلى عنقه بنسج رحله، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه ويجذبونه بجملته، وكان ذا شعر كثير⁽³⁾ واستطاع أن يتخلص من قريش بواسطة الحارث بن حرب بن أمية وجبير بن مطعم؛ لأنه كان يجير تجارتهم ببلده، فقد أنقذته أعراف الجاهلية، ولم تنقذه سيوف المسلمين، ولم يجد في نفسه غصاصة من ذلك، فهو يعرف أن المسلمين مطاردون في مكة، وعاجزون عن حماية أنفسهم⁽⁴⁾.

9- في قول العباس بن عبادة بن نضلة: والله الذي بعثك بالحق إن شئت لنميلن على أهل منى غداً بأسيفنا، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لم نؤمر بذلك، ولكن أرجعوا إلى رجالكم» درس تربوي بليغ، وهو أن الدفاع عن الإسلام، والتعامل مع أعداء هذا الدين ليس متروكاً لاجتهاد أتباعه، وإنما هو خضوع لأوامر الله تعالى وتشريعاته الحكيمة فإذا شرع الجهاد فإن أمر الإقدام أو الإحجام متروك لنظر المجتهدين بعد التشاور ودراسة الأمر من جميع جوانبه⁽⁵⁾، وكلما كانت عبقرية التخطيط السياسي أقوى أدت إلى نجاح المهمات أكثر، وإخفاء المخططات عن العدو وتنفيذها هو الكفيل بإذن الله بنجاحها «ولكن أرجعوا إلى رجالكم»⁽⁶⁾.

10- كانت البيعة بالنسبة للرجال ببسط رسول الله صلى الله عليه وسلم يده وقالوا: له أبسط يدك، فيسط يده فبايعوه، وأما بيعة المراتين اللتين شهدتا الواقعة فكانت قولاً، ما صافح رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة أجنبية قط، فلم يتخلف أحد في بيعته صلى الله عليه وسلم حتى المرأتان بايعتا بيعة الحرب، وصدقتهما عهداً، فأما نسيبة بنت كعب (أم عمارة) فقد سقطت في أحد، وقد أصابها اثنا عشر جرحاً، وقد خرجت يوم أحد مع زوجها زيد بن عاصم بن كعب ومعها سقاء تسقي به المسلمين، فلما انهزم المسلمون انحازت إلى

(?) انظر: دراسات في السيرة النبوية، د. عماد الدين خليل، ص 132.
(?) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (3/107). (3) انظر: التربية القيادية، (2/116).

(?) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (3/104). (5) انظر: التحالف السياسي في الإسلام، ص 96.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت تباشر القتال، وتذب عنه بالسيف وقد أصيبت بجراح عميقة وشهدت بيعة الرضوان⁽¹⁾ وقطع مسيلمة الكذاب ابنها إربا إربا فما وهنت وما استكانت⁽²⁾، وشهدت معركة اليمامة في حروب الردة مع خالد بن الوليد فقاتلت حتى قطعت يدها وجرحت اثني عشر جرحاً⁽³⁾، وأما الثانية فهي أسماء ابنة عمرو من بني سلمة قيل: هي والددة معاذ بن جبل، وقيل: ابنة عمه معاذ بن جبل رضي الله عنهم جميعاً⁽⁴⁾.

11- عندما نراجع تراجم أصحاب العقبة الثانية، من الأنصار في كتب السير والتراجم نجد أن هؤلاء الثلاثة والسبعين قد استشهدوا قرابة ثلثهم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وبعده، ونلاحظ أنه قد حضر المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة النصف، فثلاثة وثلاثون منهم كانوا بجوار الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع غزواته، وأما الذين حضروا غزوة بدر فكانوا قرابة السبعين.

لقد صدق هؤلاء الأنصار عهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنهم من قضى نحبه ولقي ربه شهيداً، ومنهم من بقي حتى ساهم في قيادة الدولة المسلمة وشارك في أحداثها الجسام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبمثل هذه النماذج قامت دولة الإسلام، النماذج التي تعطي ولا تأخذ، والتي تقدم كل شيء، ولا تطلب شيئاً إلا الجنة، ويتصاغر التاريخ في جميع عصوره ودهوره أن يحوي في صفحاته، أمثال هؤلاء الرجال⁽⁵⁾.

1 (?) انظر: المرأة في العهد النبوي، دكتورة عصمة الدين، ص 108.
2 (?) انظر: التحالف السياسي، ص 87.
3 (?) ابن هشام (2/80) أسد الغابة (5/395) البداية والنهاية (3/158: 166) الإصابة (8/8) رقم 48، 49 نقلًا عن المرأة في العهد النبوي، ص 108.
4 (?) انظر: المرأة في العهد النبوي، ص 108.
5 (4) انظر: التربية القيادية (2/140).
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

المبحث الرابع الهجرة إلى المدينة

أولاً: التمهيد والإعداد لها:

إن الهجرة إلى المدينة سبقها تمهيد وإعداد وتخطيط من النبي صلى الله عليه وسلم، وكان ذلك بتقدير الله تعالى وتديره، وكان هذا الإعداد في اتجاهين، إعداد في شخصية المهاجرين، وإعداد في المكان المهاجر إليه.

1- إعداد المهاجرين:

لم تكن الهجرة نزهة أو رحلة يروح فيها الإنسان عن نفسه، ولكنها مغادرة الأرض والأهل، ووشائج القربى، وصلات الصداقة والمودة، وأسباب الرزق، والتخلي عن كل ذلك من أجل العقيدة، ولهذا احتاجت إلى جهد كبير حتى وصل المهاجرون إلى قناعة كاملة بهذه الهجرة ومن تلك الوسائل:

- التربية الإيمانية العميقة التي تحدثنا عنها في الصفحات الماضية.
- الاضطهاد الذي أصاب المؤمنين حتى وصلوا إلى قناعة كاملة بعدم إمكانية المعيشة مع الكفر.

- تناول القرآن المكي التنويه بالهجرة، ولفظ النظر إلى أن أرض الله واسعة، قال تعالى: (**قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**) [الزمر: 10].

ثم تلا ذلك نزول سورة الكهف، وتحدثت عن الفتية الذين آمنوا بربههم وعن هجرتهم من بلدهم إلى الكهف، وهكذا استقرت صورة من صور الإيمان في نفوس الصحابة وهي ترك أهلها ووطنها من أجل عقيدتها.

ثم تلا ذلك آيات صريحة تتحدث عن الهجرة في سورة النحل، قال تعالى: (**وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُؤْتِيَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآخِرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**) [النحل: 41، 42].

وفي أواخر السورة يؤكد المعنى مرة أخرى بقوله تعالى: (**ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فَعَلُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**) [النحل: 110].

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

وكانت الهجرة إلى الحبشة تدريباً عملياً على ترك الأهل والوطن⁽¹⁾.

2- الإعداد في يثرب:

نلاحظ: أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يسارع بالانتقال إلى الأنصار من الأيام الأولى، وإنما أخر ذلك لأكثر من عامين، حتى تأكد من وجود القاعدة الواسعة نسبياً، كما كان في الوقت نفسه يتم إعدادها في أجواء القرآن الكريم، وخاصة بعد انتقال مصعب إلى المدينة.

وقد تأكد أن الاستعداد لدى الأنصار قد بلغ كماله، وذلك بطلبهم هجرة الرسول الكريم إليهم، كما كانت المناقشات التي جرت في بيعة العقبة الثانية، تؤكد الحرص الشديد من الأنصار على تأكيد البيعة، والاستيثاق للنبي صلى الله عليه وسلم بأقوى المواثيق على أنفسهم، وكان في رغبتهم أن يميلوا على أهل منى، ممن أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسيا فهم لو أذن الرسول الكريم بذلك، ولكنه قال لهم: «لم أؤمر بذلك».

وهكذا تم الإعداد لأهل يثرب ليكونوا قادرين على استقبال المهاجرين وما يترتب على ذلك من تبعات⁽²⁾.

ثانياً: طلائع المهاجرين:

لما بايعت طلائع الخير ومواكب النور من أهل يثرب النبي صلى الله عليه وسلم على الإسلام، والدفاع عنه، ثارت تأثرة المشركين، فازدادوا إيذاء للمسلمين، فاذن النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين بالهجرة إلى المدينة، وكان المقصود من الهجرة إلى المدينة إقامة الدولة الإسلامية التي تحمل الدعوة، وتجاهد في سبيلها، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله⁽³⁾ وكان التوجه إلى المدينة من الله تعالى، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لما صدر السبعون من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم طابت نفسه، وقد جعل الله له منعة، وقوماً أهل حرب وعدة، ونجدة، وجعل البلاء يشد على المسلمين من المشركين لما يعلمون من الخروج، فيضيّقوا على أصحابه وتعذبوا⁽⁴⁾ بهم ونالوا منهم ما لم يكونوا ينالون من الشتم والأذى، فشكا ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واستأذنوه في الهجرة، فقال: «قد أريت دار هجرتكم، أريت سبخة ذات نخل بين لابتين، وهما الحرتان، ولو كانت السراة أرض نخل وسبخ لقلت هي هي»، ثم مكث أياماً ثم خرج إلى أصحابه مسروراً فقال: «قد أخبرت بدار هجرتكم، وهي يثرب، فمن أراد الخروج فيخرج إليها».

1 (?) انظر: السيرة النبوية تربية أمة وبناء دولة، صالح الشامي، ص 118.

2 (?) نفس المصدر، ص 120، 121.

3 (?) انظر: الهجرة النبوية المباركة، ص 33، 34.

4 (?) عبث: لعب فهو عبث لاعب لما لا يعنيه، انظر: لسان العرب (2/166).

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

فجعل القوم يتجهون ويتوافقون ويتواسون ويخرجون ويخفون ذلك، فكان أول من قدم المدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو سلمة بن عبد الأسد، ثم قدم بعده عامر بن ربيعة معه إمرأته ليلي بنت أبي خثمة، فهي أول طعينة قدمت المدينة، ثم قدم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسالا، فنزلوا على الأنصار في دورهم فأووههم ونصروهم وأسوهم، وكان سالم مولى أبي حذيفة يؤم المهاجرين بقاء، قبل أن يقدم النبي صلى الله عليه وسلم فلما خرج المسلمون في هجرتهم إلى المدينة، كَلَبَتْ⁽¹⁾ قريش عليهم، وحربوا واغتاطوا على من خرج من قتيانهم، وكان نفر من الأنصار بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في البيعة الآخرة، ثم رجعوا إلى المدينة، فلما قدم أول من هاجر إلى قباء خرجوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة، حتى قدموا مع أصحابه في الهجرة، فهم مهاجرون أنصاريون، وهم ذكوان بن عبد قيس، وعقبة بن وهب بن كلدة والعباس بن عباد بن نضلة، وزباد بن ليبد، وخرج المسلمون جميعا إلى المدينة فلم يبق بمكة فيهم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر، وعلي، أو مفتون أو مريض أو ضعيف عن الخروج⁽²⁾.

ثالثا: من أساليب قريش في محاربة المهاجرين ومن مشاهد العظمة في الهجرة:

عملت قيادة قريش ما في وسعها للحيلولة دون خروج من بقي من المسلمين إلى المدينة، واتبعت في ذلك عدة أساليب منها:

1- أسلوب التفريق بين الرجل وزوجه وولده:

ونترك أم المؤمنين أم سلمة هند بنت أبي أمية تحدثنا عن روائع الإيمان وقوة اليقين في هجرتها وهجرة زوجها أبي سلمة قالت رضي الله عنها: «لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل لي بغيره، ثم حملني عليه، وحمل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حجري، ثم خرج بي يقود بي بغيره، فلما رآته رجال بني المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم قاموا إليه فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، أرايت صاحبتنا هذه علام تتركك تسير بها إلى البلاد؟ قالت: فنزعوا خطام البعير من يده فأخذوني منه. قالت: وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد، رهط أبي سلمة. قالوا: لا، والله لا نترك ابنتنا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا. قالت: فتجاذبوا ابني سلمة بينهم حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد، وحبسني بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة. قالت: ففرق بيني وبين زوجي، وبين ابني. قالت: فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح، فما أزال أبكي حتى أمسي، سنة أو قريبا منها، حتى مرّ بي رجل من بني عمي، أحد بني المغيرة، فرأى ما بي، فرحماني، فقال لبني المغيرة: ألا تخرجون هذه المسكينة فرقمتم

¹ (؟) كَلَبَتْ قريش عليهم: أي غضبت عليهم. (2) انظر: طبقات ابن سعد (1/325).

بينها وبين زوجها وبين ولدها؟ قالت: فقالوا لي: الحق بزوجك إن شئت. قالت: ورد بنو عبد الأسد إلي عند ذلك ابني. قالت: فارتحلت بعيري، ثم أخذت ابني فوضعت في حجري ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة، وما معي أحد من خلق الله. قالت: فقلت: أتبلغ بمن لقيت، حتى أقدم علي زوجي، حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة إخواني عبد الدار. فقال لي: إلى أين يا بنت أبي أمية؟ قالت: فقلت: أريد زوجي بالمدينة. قال: أو ما معك أحد؟ قالت: فقلت: لا والله إلا الله وبني هذا. قال: والله ما لك من مترك.

فأخذ بخطام البعير، فأنطلق معي يهوي بي، فوالله ما صحبت رجلاً من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي، ثم استأخر عني، حتى إذا نزلت عنه استأخر ببعيري فحط عنه، ثم قيده في الشجرة، ثم تنحى إلى الشجرة فاضطجع تحتها، فإذا دنا الروح قام إلى بعيري فقدمه فرجله، ثم استأخر عني فقال: اركبي، فإذا ركبت فاستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه، فقاد بي حتى ينزل بي، فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة، فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقاء قال: زوجك في هذه القرية، وكان أبو سلمة بها نازلاً، فادخلها على بركة الله، ثم انصرف راجعاً إلى مكة. قال فكانت تقول: والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة، وما رأيت صاحباً قط أكرم من عثمان بن طلحة»⁽¹⁾.

فهذا مثل على الطرق القاسية التي سلكتها قريش لتحول بين أبي سلمة والهجرة، فرجل يفرق بينه وبين زوجه عنوة، وبينه وبين فلذة كبده، على مرأى منه، كل ذلك من أجل أن يثبته عن الهجرة، ولكن متى ما تمكن الإيمان من القلب، استحال أن يُقدم صاحبه على الإسلام والإيمان شيئاً، حتى لو كان ذلك الشيء فلذة كبده، أو شريكة حياته إذا انطلق أبو سلمة إلى المدينة لا يلوي على أحد، وفشل معه هذا الأسلوب وللدعاة إلى الله فيه أسوة⁽²⁾.

وهكذا أثر الإيمان حين يخالط بشاشة القلوب، فهذه أسرة فُرق شملها، وامرأة تبكي شدة مصابها، وطفل خلعت يده وحُرم من أبويه، وزوج وأب يسجل أروع صور التضحية والتجرد، ليكون أول مهاجر يصل أرض الهجرة، محتسبين في سبيل الله ما يلقون، مصممين على الماضي في طريق الإيمان، والانحياز إلى كتيبة الهدى، فماذا عسى أن ينال الكفر وصناديده من أمثال هؤلاء؟

وأما صنيع عثمان بن طلحة فقد كان يومئذ كافراً (وأسلم قبل الفتح) ومع ذلك تشهد له أم سلمة رضي الله عنها بكرم الصحبة، وذلك شاهد صدق على نفاسة هذا المعدن، وكمال مروءته، وحمانيته

¹ (?) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (1/202، 203).

² (?) انظر: في السيرة النبوية، د. إبراهيم علي محمد، ص 130، 131، تقسيم الأساليب أخذ من هذا الكتاب، ومشاهد العظمة من الهجرة النبوية المباركة.

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

للضعيف⁽¹⁾، فقد أبت عليه مروءته وخلقه العربي الأصيل أن يدع امرأة شريفة تسير وجدها في هذه الصحراء الموحشة، وإن كانت على غير دينه، وهو يعلم أنها بهجرتها تراغمه وأمثاله من كفار قريش.

فأين من هذه الأخلاق، يا قوم المسلمين، أخلاق الحضارة في القرن العشرين، من سطو على الحريات، واعتصاب للأعراض، بل وعلى قارة الطريق، وما تطالعتنا به الصحافة كل يوم من أحداث يندى لها جبين الإنسانية، ومن تفنن في وسائل الاعتصاب وانتهاك الأعراض، والسطو على الأموال.

إن هذه القصة - ولها مثل ونظائر - لتشهد أن ما كان للعرب من رصيد من الفضائل كان أكثر من مثاليهم ورذائلهم، فمن ثم اختار الله منهم خاتم أنبيائه ورسله، وكانوا أهلاً لحمل الرسالة، وتبليغها للناس كافة⁽²⁾.

وتظهر عناية الله تعالى بأوليائه، وتسخير له لهم، فهو حل وعلا الذي سخر قلب عثمان ابن طلحة للعناية بأم سلمة، ولذلك بذل الجهد والوقت من أجلها⁽³⁾ كما تظهر سلامة فطرة عثمان بن طلحة، التي قادتته أخيراً إلى الإسلام بعد صلح الحديبية، ولعل إضاءة قلبه بدأ منذ تلك الرحلة، في مصاحبته لأم سلمة رضي الله عنهم⁽⁴⁾.

2- أسلوب الاختطاف:

لم تكتف قيادة قريش بالمسلمين داخل مكة، لمنعهم من الهجرة، بل تعدت ذلك إلى محاولة إرجاع من دخل المدينة مهاجراً، فقامت بتنفيذ عملية اختطاف أحد المهاجرين، ولقد نجحت هذه المحاولة وتم اختطاف أحد المهاجرين من المدينة وأعيد إلى مكة⁽⁵⁾، وهذه الصورة التاريخية للاختطاف يحدثنا بها عمر بن الخطاب ؓ حيث قال: «اتعدت لما أردنا الهجرة إلى المدينة أنا وعياش بن أبي ربيعة، وهشام بن العاص بن وائل السهمي، التناضب⁽⁶⁾ من أضاة⁽⁷⁾ بني غفار، فوق سرف⁽⁸⁾، وقلنا: أينما لم يصبح عندها فقد حبس، فليمض صاحباه. قال: فأصبحت أنا وعياش بن أبي ربيعة عند التناضب، وحبس عنا هشام، وفتن فافتتن⁽⁹⁾».

فلما قدمنا المدينة نزل في بني عمرو بن عوف بقاء، وخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام إلى عياش بن أبي ربيعة، وكان ابن

1 (?) انظر: الهجرة النبوية المباركة، ص124.
2 (?) انظر: السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، د. محمد أبو شهبة (1/461).
3 (?) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (3/128). (4) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (1/204).

5 (?) انظر: في السيرة النبوية ص132. (6) التناضب: جمع تنضيب وهو شجر.
7 (?) الأضاة: على عشرة أميال من مكة. (8) سرف: واد متوسط الطول من أودية مكة.

9 (?) انظر: الهجرة النبوية المباركة، ص129.
هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

عمهما وأخاها لأمهما، حتى قدما عليهما المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فكلما، وقالوا: إن أمك قد نذرت أن لا يمس رأسها مشط حتى تراك، ولا تستظل من شمس حتى تراك فرق لها فقلت له: عياش إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك، فاحذرهم، فوالله لو قد أذى أمك القمل لامتشطت، ولو قد اشتد عليها حر مكة لاستظلت.

قال: أبر قسم أمي، ولي هناك مال فأخذه.

قال: فقلت: والله إنك لتعلم أني لمن أكثر قريش مالاً، فلك نصف مالي ولا تذهب معهم، قال: فأبى علي إلا أن يخرج معهم، فلما أبى إلا ذلك، قال: قلت له: أما إذ قد فعلت ما فعلت، فخذ ناقتي هذه فإنها ناقة نجية ذلول⁽¹⁾ فالزم ظهرها، فإن رابك من القوم ريب فانح عليها، فخرج عليها معهم، حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال له أبو جهل: يا أخي، والله لقد استغلطت بعيري هذا، أفلا تعقبني⁽²⁾ على ناقتك هذه؟ قال: بلي، قال: فاناخ، واناخ، ليتحول عليها، فلما استنوا بالارض عدوا عليه، فاوثقاه، ثم دخلا به مكة، وفتناه فافتتن⁽³⁾.

قال: فكنا نقول: ما الله بقابل ممن افتن صرفاً ولا عدلاً ولا توبة، قوم عرفوا الله ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم قال: وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أنزل الله تعالى فيهم وفي قولنا وقولهم لأنفسهم: (**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**) وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصُّونَ) وَأَنِيبُوا أَحْسَنَ مِمَّا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ([الزمر: 53-55].

قال عمر بن الخطاب: فكتبتها بيدي في صحيفة، وبعثت بها إلى هشام بن العاص، قال: فقال هشام: فلما أتتني جعلت أقرؤها بذي طوى⁽⁴⁾ أصعد بها فيه وأصوب ولا أفهمها، حتى قلت: اللهم فهمنيها، قال: فألقى الله تعالى في قلبي أنها إنما أنزلت فينا، وفيما كنا نقول في أنفسنا، ويقال فينا، قال: فرجعت إلى بعيري فجلست عليه، فلحقت برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة⁽⁵⁾.

هذه الجادثة تظهر لنا كيف أعد عمر خطة الهجرة له، ولصاحبيه عياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاص بن وائل السهمي، وكان ثلاثتهم كل واحد من قبيلة، وكان مكان اللقاء الذي اتعدوا فيه بعيداً عن مكة وخارج الحرم على طريق المدينة، ولقد تحدد الزمان والمكان بالضبط

(1) الذلول: أذلها العمل، فصارت سهلة الركوب والانقياد.
(2) تعقبني: تجعلني أعقبك عليها لركوبها. (3) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (1/205).
(4) ذو طوى، واد من أودية مكة. (5) المجمع للهيتمي (6/61) الهجرة النبوية المباركة، ص 131.
5

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

بحيث إنه إذا تخلف أحدهم فليمض صاحبه ولا ينتظرانه؛ لأنه قد حبس، وكما توقعوا فقد حبس هشام بن العاص ١ بينما مضى عمر وعياش بهجرتهم، ونجحت الخطة كاملة ووصلا المدينة سالمين⁽¹⁾. إلا أن قريشاً صممت على متابعة المهاجرين؛ ولذلك أعدت خطة محكمة قام بتنفيذها أبو جهل، والحارث وهما أخوا عياش من أمه، الأمر الذي جعل عياشاً يطمئن لهما، وبخاصة إذا كان الأمر يتعلق بأمه، فاختلق أبو جهل هذه الحيلة لعلمه بمدى شفقة ورحمة عياش بأمه، والذي ظهر جلياً عندما أظهر موافقته على العودة معهما، كما تظهر الحادثة الحبس الأمني الرفيع الذي كان يتمتع به عمر ٢، حيث صدقت فراسته في أمر الاختطاف⁽²⁾.

كما يظهر المستوى العظيم من الأخوة التي بناها الإسلام في هذه النفوس، فعمر يضحي بنصف ماله حرصاً على سلامة أخيه وخوفاً عليه من أن يفتنه المشركون بعد عودته، ولكن غلبت عياشاً عاطفته نحو أمه، وبره بها؛ ولذلك قرر أن يمضي لمكة فيبر قسم أمه ويأتي بماله هناك، وتأبى عليه عفته أن يأخذ نصف مال أخيه عمر ٢، وماله قائم في مكة لم يمض، غير أن أفق عمر ٢ كان أبعد، فكانه يرى رأي العين المصير المشؤوم الذي سينزل بعياش لو عاد إلى مكة، وحين عجز عن إقناعه أعطاه ناقته الذلول النجيبة، وحدث لعياش ما توقعه عمر من عذر المشركين به⁽³⁾.

وساد في الصف المسلم أن الله تعالى لا يقبل صرفاً ولا عدلاً من هؤلاء الذين فتنوا فافتنوا وتعايشوا مع المجتمع الجاهلي، فنزل قول الله تعالى: **(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ)** وما إن نزلت هذه الآيات حتى سارع الفاروق ٢ فبعث بهذه الآية إلى أخويه الحميمين عياش وهشام ليجددوا محاولتهما في مغادرة معسكر الكفر، أي سمو عظيم عند ابن الخطاب ٢ لقد حاول، مع أخيه عياش، أعطاه نصف ماله، على ألا يغادر المدينة، وأعطاه ناقته ليفر عليها، ومع هذا كله، فلم يشمت بأخيه، ولم يتشَف منه لأنه خالفه، ورفض نصيحته، وألقى برأيه خلف ظهره، إنما كان شعور الحب والوفاء لأخيه هو الذي يسيطر عليه، فما أن نزلت الآية حتى سارع ببعثها إلى أخويه، ولكل المستضعفين هناك ليقوموا بمحاولات جديدة للانضمام إلى المعسكر الإسلامي⁽⁴⁾.

3- أسلوب الحبس:

لجأت قريش إلى الحبس كأسلوب لمنع الهجرة فكل من تقبض عليه وهو يحاول الهجرة، كانت تقوم بحبسه داخل أحد البيوت، مع وضع يديه ورجليه في القيد، وتفرض عليه رقابة وحراسة مشددة،

¹ (?) انظر: التربية القيادية (2/159). (2) انظر: في السيرة النبوية، ص 134.
² (3، 4) انظر: التربية القيادية (2/160).

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

حتى لا يتمكن من الهرب، وأحياناً يكون الحبس داخل حائط بدون سقف، كما فعل مع عياش وهشام بن العاص، رضي الله عنهما، حيث كانا محبوسين في بيت لا سقف له⁽¹⁾، وذلك زيادة في التعذيب، إذ يضاف إلى وحشة الحبس حرارة الشمس وسط بيئة جبلية شديدة الحرارة مثل مكة.

فقيادة قريش تريد بذلك تحقيق هدفين: أولهما منع المحبوسين من الهجرة، والآخر أن يكون هذا الحبس درساً وعظة لكل من يحاول الهجرة من أولئك الذين يفكرون فيها ممن بقي من المسلمين بمكة، ولكن لم يمنع هذا الأسلوب المسلمين من الخروج إلى المدينة المنورة، فقد كان بعض المسلمين محبوسين في مكة مثل عياش، وهشام رضي الله عنهما، ولكنهم تمكنوا من الخروج واستقروا بالمدينة⁽²⁾.

كان النبي صلى الله عليه وسلم بعد هجرته يقنت ويدعو للمستضعفين في مكة عامة، ولبعضهم بأسمائهم خاصة، فعن أبي هريرة ؓ أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا رفع رأسه من الركعة الأخيرة يقول: «اللهم أنج عياش بن أبي ربيعة، اللهم أنج سلمة بن هشام، اللهم أنج الوليد بن الوليد، اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين، اللهم أشدد وطأتك على مضر، اللهم اجعلها سنين كسني يوسف»⁽³⁾.

ولم يترك المسلمون أمر اختطاف عياش، فقد ندب الرسول صلى الله عليه وسلم أحد أصابه وفعلاً استعد للمهمة ورتب لها ما يحقق نجاحها، وجاء إلى مكة واستطاع بكل اقتدار وذكاء أن يصل إلى البيت الذي حُبس فيه وأطلق سراحهما، ورجع بهما إلى المدينة المنورة⁽⁴⁾.

4- أسلوب التجريد من المال:

كان صهيب بن سنان التَّمَرِي من التَّمَرِ بن قاسط، أغارت عليهم الروم، فسبي وهو صغير، وأخذ لسان أولئك الذي سبوه، ثم ثقل في الرق، حتى ابتاعه عبد الله بن جدعان ثم أعتقه، ودخل الإسلام هو وعمار بن ياسر رضي الله عنهما في يوم واحد⁽⁵⁾.

وكانت هجرة صهيب ؓ عملاً تتجلى فيه روعة الإيمان، وعظمة التجرد لله، حيث ضحى بكل ما يملك في سبيل الله ورسوله، واللحوق بكتيبة التوحيد والإيمان⁽⁶⁾ فعن أبي عثمان النهدي رحمه الله قال: «بلغني أن صهيباً حين أراد الهجرة إلى المدينة قال له أهل مكة: أتيتنا

¹ (1) انظر: في السيرة النبوية، ص 132. (2) انظر: في السيرة النبوية، ص 132.

² (3) البخاري، باب الاستسقاء، (2/33) رقم 1006.

⁴ (?) انظر: في السيرة النبوية، ص 135. (5) انظر: الهجرة النبوية المباركة، ص 119.

⁶ (?) الهجرة النبوية المباركة، ص 120. (2) الصعلوك: الفقير. هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

هاهنا صعلوكاً⁽¹⁾ حقيراً، فكثير مالك عندنا، وبلغت ما بلغت، ثم تنطلق بنفسك ومالك؟ والله لا يكون ذلك، فقال: أرايتم إن تركت مالي تخلون أنتم سبيلي؟ قالوا: نعم، فجعل لهم ماله أجمع، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «ريح صهيب، ربح صهيب»⁽²⁾ وعن عكرمة رحمه الله قال: «لما خرج صهيب مهاجراً تبعه أهل مكة، فنثل⁽³⁾ كنانته، فأخرج منها أربعين سهماً، فقال: لا تصلون إليّ حتى أضع في كل رجل منكم سهماً، ثم أصير بعد إلى السيف فتعلمون أني رجل، وقد خلفت بمكة فينتين فهما لكم»⁽⁴⁾ وقال عكرمة: ونزلت على النبي صلى الله عليه وسلم: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ) [البقرة: 207] فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أبا يحيى، ربح البيع» قال: وتلا عليه⁽⁵⁾ الآية.

لكنني⁽⁶⁾ بصهيب □ يقدم الدليل القاطع على فساد عقل أولئك الهاديين الذين يزنون حركات التاريخ وأحداثه كلها بميزان المادة، فأين هي المادة التي سوف يكسبها صهيب في هجرته والتي ضحى من أجلها بكل ما يملك؟

هل تراه ينتظر أن يعطيه محمد صلى الله عليه وسلم منصباً يعوضه عما فقده؟ أم هل ترى محمداً صلى الله عليه وسلم يمينه بالعيش الفاخر في جوار أهل يثرب؟

إن صهيياً ما فعل ذلك وما انحاز إلى الفئة المؤمنة إلا ابتغاء مرضاة الله، بالغاً ما بلغ الثمن ليضرب للشباب الإسلام مثلاً في التضحية عزيزة المال، عساهم يسيرون على الدرب، ويقتفون الأثر⁽⁷⁾.

إن هذه المواقف الرائعة لم تكن هي كل مواقف العظمة، والشموخ في الهجرة المباركة، بل أمثلاً هذا الحدث العظيم بكثير من مشاهد العظمة، والتجرد والتضحية، التي تعطي الأمة دروساً بليغة في بناء المجد وتحصيل العزة⁽⁸⁾.

رابعاً: البيوتات الحاضنة وأثرها في النفوس:

لقد كان من نتائج إيمان الأنصار ومبايعتهم وتعهدهم بالنصرة أن دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين إلى الهجرة إلى المدينة، كما كان من نتائج ذلك أن ظهرت ظاهرة عظيمة من التكافل بين المسلمين، ففتحت بيوت الانصار أبوابها وقلوب أصحابها لوفود

² (?) انظر: السيرة النبوية لابن هشام، (1/477)

³ (?) نثل: استخرج ما فيها من النبل والسهام. (5) مرسل أخرجه الحاكم (3/398)

⁵ (?) أخرجه الحاكم (3/398) صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وسكت عليه الذهبي.

⁶ (?) (8،?) انظر: الهجرة النبوية المباركة، ص121.

⁷ (9) نفس المصدر، ص129.

⁸

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

المهاجرين، واستعدت لإحتضانهم رجالاً ونساء، إذ أصبح المسكن الواحد يضم المهاجر والأنصاري، والمهاجرة والأنصارية، يتقاسمون المال والمكان والطعام والمسئولية الإسلامية، فمن هذه البيوتات الحاضنة:

1- دار مبشر بن عبيد المنذر بن زبير بقاء: ونزل بها مجموعة من المهاجرين نساء ورجالاً، وقد ضمت هذه الدور عمر بن الخطاب، ومن لحق به من أهله، وقومه وابنته حفصة وزوجها وعياش بن ربيعة.

2- دار خبيب بن إساف أخي بني الحارث بن الخزرج بالسنع⁽¹⁾ نزل بها طلحة بن عبيد الله بن عثمان وأمه وصهيب بن سنان.

3- دار أسعد بن زرارة من بني النجار، قيل: نزل بها حمزة بن عبد المطلب.

4- دار سعد بن خيثمة أخي بني النجار، وكان يسمّى بيت العزاب ونزل بها الأعزاب من المهاجرين.

5- دار عبد الله بن سلمة أخي بلعجلان بقاء: نزل بها عبيدة بن الحارث وأمه سخيلة، ومسطح بن أثاث بن عبّاد بن المطلب، والإطفيل بن الحارث، وطليب بن عمير، والحسين بن الحارث نزلوا جميعاً على عبد الله بن سلمة بقاء.

6- دار بني جحجتى، والمحتضن هو منذر بن محمد بن عقبة، نزل عنده الزبير بن العوام، وزوجه أسماء بنت أبي بكر، وأبو سبرة بن أبي وهب وزوجته أم كلثوم بنت سهيل⁽²⁾.

7- دار بني عبد الأشهل، والمحتضن هو سعد بن معاذ بن النعمان من بني عبد الأشهل، نزل بها مصعب بن عمير، وزوجته حمّة بنت جحش.

8- دار بني النجار، والمحتضن هو أوس بن ثابت بن المنذر، نزل بها عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم⁽³⁾.

فهذه المقاسمة وهذا التكافل الاجتماعي، كان من أهم العناصر التي مهدت لإقامة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته المهاجرين معه، وبعده، إقامة طيبة، تنبض بالإيثار على النفس وبود الأخوة الصادقة المؤمنة⁽⁴⁾.

بهذه الروح العالية، والإيمان الوثيق، والصدق في المعاملة، تمت المؤاخاة، وتم الوفاق بين المهاجرين والأنصار، وقد يحدث تساؤل فيقال: لماذا لم نسمع ولم تسجل المصادر ولم تكتب المراجع أن خلافاً وقعت في هذه البيوت؟

¹ (?) المرأة في العهد النبوي، ص 116. (2) انظر: المرأة في العهد النبوي، ص 117.

³ (?) انظر: السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة لأبي شهبة، (1/468، 469).

⁴ (?) انظر: المرأة في العهد النبوي، ص 118.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

وأين النساء وما اشتهرن به من مشاكسات؟ إنه الدين الحق الذي جعل تقوى الله أساساً لتصرف كل نفس، والأخلاق السامية التي فرضت الأخوة بين المسلمين، ونصرة الدعوة، وإنها المبايعة وأثرها في النفوس، إنه الصدق، والعمل من أجل المجموعة خوفاً من العقاب ورهبة من اليوم الآخر، ورغبة في الثواب وطمعاً في الجنة، إنه دفع حضانة الإيمان، واستقامة النفس والسلوك وصدق الطوية. فكل من أسلم، وكل من بايع، وكل من أسلمت وبايعت، يعملون جميعهم بما يؤمرون به ويخلصون فيما يقولون، يخافون الله في السر والعلن، أمنت نفوسهم فأحتضنت الأنصارية المهاجرة، فالكل يعمل من أجل مصلحة الكل، فهذا هو التكافل الاجتماعي في أجلى صورة، وأقدس واقعة، رغب الكل في الثواب حتى أن الواحد منهم يخاف ذهاب الأنصاري بالأجر كله⁽¹⁾.

إن جانب البذل والعطاء ظاهرة نحن بحاجة إلى الإشارة إليها في كل وقت، إننا في عالمنا المعاصر، وفي الصف الإسلامي وفي رحلة لبضعة أيام تتكشف النفوس والعيوب والحزازات والظنون، وهذا مجتمع يبني ولما يصل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد، ومع ذلك تفتح البيوت للوافدين الجدد ليس على مستوى فرد فقط، بل على مستوى جماعي كذلك، ويقيم المهاجرون في بيوت الأنصار أشهراً عدة، والمعايشة اليومية مستمرة، والأنصار يبذلون المال والحب والخدمات لإخوانهم القادمين إليهم، نحن أمام مجتمع إسلامي بلغ الذروة في لحمته وأنصاره، ولم يكن المهاجرون إلا القدوة للأنصار بالبذل والعطاء، فلم يكونوا أصلاً فقراء، بل كانوا يملكون المال، ويملكون الدار، وتركوا ذلك كله ابتغاء مرضاة الله، وبذلوه كله لطااعته جل وعلا، فكانوا كما وصفهم القرآن الكريم: **(الْفُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ)** (الحشر: 8).

كان هذا المجتمع المدني الجديد يتربى على معاني الإيمان والتقوى، ولم يصل النبي صلى الله عليه وسلم بعد، ولكن تحت إشراف النقباء الاثني عشر الذين كانوا في كفالتهم لقومهم، ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم، وإشراف قيادات المهاجرين الكبرى، التي وصلت المدينة والذين استقوا جميعاً من النبع النبوي الثر، واقتبسوا من هديه⁽²⁾.

ومن معالم هذا المجتمع الجديد ذوبان العصبية، فقد كان إمام المسلمين سالم مولى أبي حذيفة؛ لأنه كان أكثرهم قرأناً، فهذا المجتمع الذي يوجد فيه عليّة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار وسادة العرب من قريش والأوس والخزرج،

¹ (?) انظر: المرأة في العهد النبوي، ص 132. (2) انظر: التربية القيادية، (172/2/171).

يقوده ويؤمه حامل القرآن، فالكرامة العليا فيه لقارئ كتاب الله وحامله، وحامل القرآن في المجتمع الإسلامي هو نفسه حامل اللواء في الحرب، فليس بينهما ذلك الانفصام الذي نشهده اليوم من حملة القرآن من الحفاظ، وبين المجاهدين في سبيل الله، فقد كان حامل لواء المهاجرين في معركة اليمامة سالم مولى أبي حذيفة، فقبل له في ذلك فكان شعاره: بئس حامل القرآن- يعني إن فررت- فقطعت يمينه، فأخذ اللواء بيساره فقطعت، فاعتنقه إلى أن صرع، واستشهد في سبيل الله⁽¹⁾.

ومن معالم المجتمع الإسلامي الجديد: حرية الدعوة إلى الله علانية، فقد أصبح واضحاً عند الجميع أن معظم قيادات يثرب دخلت في هذا الدين، ونشط الشباب والنساء، والرجال في الدعوة إلى الله، والتبشير بقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على قدم وساق. ولابد من المقارنة بين المجتمع الذي قام بالحيشة من المسلمين وبين المجتمع الإسلامي في يثرب، لقد كانت الحيشة تحمل طابع اللجوء السياسي، والجالية الأجنبية أكثر مما كانت تحمل طابع المجتمع الإسلامي الكامل، صحيح أن المسلمين ملكوا حرية العبادة هناك، لكنهم معزولون عن المجتمع النصراني، لم يستطيعوا أن يؤثروا فيه التأثير المنشود، وإن كانت هجرة الحيشة خطوة متقدمة على جو مكة، حيث لا تتوفر حرية الدعوة وحرية العبادة، ولكنه دون المجتمع الإسلامي في المدينة بكثير؛ ولذلك شرع مهاجرو الحيشة بمجرد سماع خبر هجرة المدينة بالتوجه نحوها مباشرة، أو عن طريق مكة إلا من طلبت منه القيادة العليا البقاء هناك، لقد أصبحت المدينة مسلمة بعد أن عاشت قروناً وثنية مشرقة.

لقد أصبح المجتمع المدني مسلماً وبدأ نموه وتكوينه الفعلي بعد عودة الاثني عشر صحابياً من البيعة الأولى، والتي كان على رأسها الصحابي الحليل أسعد بن زرارة، والتي حملت المسؤولية الدعوية فقط، دون الوجود السياسي، وبلغ أوج توسعه وبنائه بعد عودة السبعين الذين ملكوا الشارع السياسي والاجتماعي، وقرروا أن تكون بلدهم عاصمة المسلمين الأولى في الأرض وهم على استعداد أن يواجهوا كل عدو خارجي، يمكن أن ينال من هذه السيادة حتى قبل قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم في المدينة.

إن القاعدة الصلبة التي بذل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتاً وجهداً في تربيتها، بدأت تعطي ثمارها أكثر بعد أن التحمت بالمجتمع المدني الجديد، وانصهر كلاهما في معاني العقيدة وإخوة الدين. لقد أعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الأفراد وصقلهم في بوتقة الجماعة، وكون بهم القاعدة الصلبة، ولم يقم المجتمع الإسلامي الذي تقوم عليه الدولة إلا بعد بيعة الحرب؛ وبذلك نقول بأن المجتمع الإسلامي قام بعد ما تهيأت القوة المناسبة لحمايته في

¹ (?) انظر: التربية القيادية (1/174، 175).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

الأرض⁽¹⁾.

وهكذا انتقلت الجماعة المسلمة المنظمة القوية إلى المدينة، والتحمت مع إخوانها الأنصار، وتشكل المجتمع المسلم الذي أصبح ينتظر قائده الأعلى عليه الصلاة والسلام، ليعلن ولادة دولة الإسلام، التي صنعت فيما بعد حضارة لم يعرف التاريخ مثلها حتى يومنا هذا.

خامساً: لماذا اختيرت المدينة كعاصمة للدولة الإسلامية؟

كان من حكمة الله تعالى في اختيار المدينة داراً للهجرة ومركزاً للدعوة- هذا عدا ما أَرادَه الله من إكرام أهلها وأسرار لا يعلمها إلا الله- إنها امتازت بتحصن طبيعي حربي، لا تزاحمها في ذلك مدينة قريبة في الجزيرة، فكانت حرة الويرة مطبقة على المدينة من الناحية الغربية وحرّة واقم، مطبقة على المدينة من الناحية الشرقية، وكانت المنطقة الشمالية من المدينة هي الناحية الوحيدة المكشوفة (وهي التي حصنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق سنة خمس في غزوة الأحزاب)، وكانت الجهة الأخرى من أطراف المدينة محاطة بأشجار النخيل المزروع الكثيفة لا يمر منها الجيش إلا في طرق ضيقة لا يتفق فيها النظام العسكري، وترتيب الصفوف.

وكانت خفارات عسكرية صغيرة كافية بإفساد النظام العسكري ومنعه من التقدم يقول ابن إسحاق: «كان أحد جانبي المدينة عورة، وسائر جوانبها مشككة بالبنان والنخيل، لا يتمكن العدو منها»⁽²⁾.

ولعل النبي صلى الله عليه وسلم قد أشار إلى هزم الحكمة الإلهية في اختيار المدينة بقوله لأصحابه قبل الهجرة: «إني رأيت دار هجرتكم، ذات نخيل بين لابتين وهما الحرتان»⁽³⁾. فهاجر من هاجر قبل المدينة.

وكان أهل المدينة من الأوس والخزرج أصحاب نخوة وإباء وفروسية وقوة وشكيمة، ألفوا الحرية، ولم يخضعوا لأحد، ولم يدفعوا إلى قبيلة أو حكومة إتابة أو جباية، يقول ابن خلدون: ولم يزل هذان الحيان قد غلبوا على يثرب، وكان الاعتزاز والمنعة تعرف لهم في ذلك، ويدخل في ملتهم من جاورهم من قبائل مضر.

وكان بنو عدي بن النجار أخواله صلى الله عليه وسلم، فأمر عبد المطلب بن هاشم إحدى نسائهم، فقد تزوج هاشم بسلمى بنت عمرو أحد بني عدي بن النجار، وولدت له هاشم عبد المطلب، وتركه هاشم عندها، حتى صار غلاماً دون المراهقة، ثم احتمله عمه المطلب، فجاء به إلى مكة، وكانت الأرحام يحسب لها حساب كبير في حياة العرب الاجتماعية، ومنهم أبو أيوب الأنصاري الذي نزل رسول الله صلى الله

¹ (?) انظر: التربية القيادية (1/146، 147). (2) انظر: السيرة النبوية للنسوي، ص 157.

³ (?) انظر: الهجرة النبوية المباركة، ص 52. هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

عليه وسلم في داره في المدينة.

وكان الأوس والخزرج من قحطان، والمهاجرون ومن سبق إلى الإسلام في مكة وما حولها من عدنان، ولما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وقام الأنصار بنصره، اجتمعت بذلك عدنان وقحطان تحت لواء الإسلام، وكانوا كجسد واحد، وكانت بينهما مفاضلة ومسابقة في الجاهلية، وبذلك لم يجد الشيطان سبيلاً إلى قلوبهم لإثارة الفتنة والتعزي بعزاء الجاهلية، باسم الحمية القحطانية أو العدنانية، فكانت لكل ذلك مدينة يثرب أصلح مكان لهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه واتخاذهم لها داراً وقراراً، حتى يقوى الإسلام ويبشق طريقه إلى الأمام، ويفتح الجزيرة ثم يفتح العالم المتمدن⁽¹⁾.

سادساً: من فضائل المدينة:

لقد عظم شرف المدينة المنورة المباركة بهجرة النبي صلى الله عليه وسلم إليها، حتى فصلت على سائر بقاع الأرض حاشا مكة المكرمة، وفضائلها كثيرة منها:

1- محبته صلى الله عليه وسلم لها ودعاؤه لها:

دعا النبي صلى الله عليه وسلم ربه قائلاً: «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد»⁽²⁾ وعن أنس ؓ قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قدم من سفر، فأبصر إلى درجات المدينة⁽³⁾، أَوْضَعَ ناقته⁽⁴⁾ وإن كان على دابة حركها» قال أبو عبد الله: زاد الحارث بن عمير عن حميد «حركها من حبها»⁽⁵⁾.

2- دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لها بضعفي ما في مكة من البركة:

فعن أنس ؓ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة»⁽⁶⁾، وعن أبي هريرة ؓ قال: «كان الناس إذا رأوا أول أثمر جاءوا به إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا أخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في صاعنا، وبارك لنا في مُدنا، اللهم إن إبراهيم عبدك وخليفك ونيبك وإني عبدك ونيبك، وإنه دعاك لمكة، وإني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة ومثله معه»

¹ (?) انظر: الأساس في السنة (1/333). (2) الهجرة النبوية المباركة، ص 157.

² (?) وفي رواية: «جدارات»: جمع جدار وهو الحائط، ودرجات: أي الطرق المرتفعة.

³ (4) أَوْضَعَ ناقته: حنّها على السرعة.

⁴ (?) البخاري، كتاب العمرة، باب من أسرع ناقته (3/630) رقم (1802).

⁵ (?) البخاري، كتاب فضائل المدينة (4/97) رقم 1885.

⁶ هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

قال: ثم يدعو أصغر وليد له فيعطيه ذلك الثمر⁽¹⁾.

3- عصمتها من الدجال والطاعون ببركته صلى الله عليه وسلم:

إن الله تعالى قيض لها ملائكة يحرسونها، فلا يستطيع الدجال إليها سبيلاً، بل يلقي إليه بإخوانه من الكفار والمنافقين، كما أن من لوازم دعاء النبي صلى الله عليه وسلم بالصحة ورفع الوباء ألا ينزل بها الطاعون، كما أخبر بذلك المعصوم⁽²⁾ صلى الله عليه وسلم.

4- فضيلة الصبر على شدتها:

فقد وعد النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على شدة المدينة وضيق عيشها بالشفاعة يوم القيامة⁽³⁾ فعن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون لا يدعها أحد رغبة عنها إلا أبدل الله فيها من هو خير منه، ولا يثبت أحد على لأوائها⁽⁴⁾ وجهدها إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة»⁽⁵⁾.

5- فضيلة الموت فيها:

فعن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها، فإني أشفع لمن يموت بها»⁽⁶⁾، وكان عمر بن الخطاب يدعو بهذا الدعاء: (اللهم ارزقني شهادة في سبيلك، واجعل موتي في بلد رسولك صلى الله عليه وسلم)⁽⁷⁾.

وقد استجاب الله للفاروق فاستشهد في محراب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يؤم المسلمين في صلاة الفجر.

6- هي كهف الإيمان وتنفي الخبث عنها:

فالإيمان يلجأ إليها مهما ضاقت به البلاد، والأخبار والأشعار لا مقام لهم فيها ولا استقرار، ولا يخرج منها أحد رغبة عنها إلا أبدلها الله خيراً منه من المؤمنين الصادقين⁽⁸⁾ فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الإيمان ليأرز⁽⁹⁾ إلى المدينة كما تارز الحية إلى جحرها»⁽¹⁰⁾ وقال صلى الله عليه وسلم: «... والذي نفسي بيده لا يخرج منهم أحد رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيراً منه، ألا إن المدينة كالكير، تخرج الخبث لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها كما

1 (?) مسلم، كتاب الحج، باب فضل المدينة (2/1000).

2 (1) انظر: الهجرة النبوية المباركة، 158.

3 (2) المصدر السابق، ص 160. (3) الأواء: الشدة وضيق العيش.

5 (?) مسلم، كتاب الحج، باب فضل المدينة (2/992) رقم 1363.

6 (?) أخرجه أحمد (2/74، 104) بإسناد صحيح وصححه ابن حبان رقم 3741.

7 (?) البخاري، كتاب فضائل المدينة (4/100) رقم 1890.

8 (?) انظر: الهجرة النبوية المباركة، ص 161.

9 (?) يارز: ينضم ويجتمع، انظر: فتح الباري (4/93).

10 (?) البخاري، كتاب فضائل المدينة (4/93) رقم 1876.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

ينفي الكير خبث الحديد»⁽¹⁾.

7- تنفي الذنوب والأوزار:

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنها -أي المدينة- طيبة تنفي الذنوب»⁽²⁾ كما تنفي النار خبث الفضة»⁽³⁾.

8- حفظ الله إياها ممن يريد بها بسوء:

فقد تكفل الله بحفظها من كل قاصد إياها يسوء، وتوعد النبي صلى الله عليه وسلم من أحدث فيها حدثاً، أو أوى فيها محدثاً، أو أخاف أهلها، بلعنة الله وعذابه، وبالهلاك العاجل⁽⁴⁾ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يكيد أهل المدينة أحد إلا انماع»⁽⁵⁾ كما ينماع الملح في الماء»⁽⁶⁾، وقال صلى الله عليه وسلم: «المدينة حرم الله، فمن أحدث فيها حدثاً⁽⁷⁾ أو أوى محدثاً⁽⁸⁾ فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه يوم القيامة عدل، ولا صرف»⁽⁹⁾.

9- تحريمها:

فقد حرمها النبي صلى الله عليه وسلم بوحى من الله فلا يراق فيها دم، ولا يحمل فيها سلاح، ولا يروع فيها أحد، ولا يقطع فيها شجر، ولا تحل لقطتها إلا لمنشد، وغير ذلك ما يدخل في تحريمها قال صلى الله عليه وسلم: «إن إبراهيم حرم مكة ودعا لها، حرّم مكة المدينة كما حرم إبراهيم مكة، ودعوت لها في مدها وصاعها مثل ما دعا إبراهيم عليه السلام لمكة»⁽¹⁰⁾.

وقال صلى الله عليه وسلم: «هذا جبل يحينا ونحيه، اللهم إن إبراهيم حرم مكة، وإني أحرّم ما بين لابتيها»⁽¹¹⁾ يعني المدينة، وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يختلي خلاها»⁽¹²⁾ ولا ينفر صيدها⁽¹³⁾ ولا تلتقط لقطتها إلا لمن أشار بها⁽¹⁴⁾ ولا تقطع منها شجرة إلا أن يعلف رجل

(?) مسلم، كتاب الحج، باب المدينة تنفي شرارها (2/1005) رقم 1381.

(?) في رواية (تنفي الخبث) وفي رواية (تنفي الرجال).

(?) البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة أحد (7/356) رقم 4050.

(?) انظر: الهجرة النبوية المباركة، ص 162. (5) انماع: ذاب وسال.

(?) البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب إثم من كاد أهل المدينة، (4/94) رقم 1877.

(?) الحدث: الإثم أو الأمر المنكر الذي ليس بمعروف في السنة.

(?) المحدث: أي من أتى الحدث.

(?) مسلم، كتاب الحج، باب فضل المدينة (2/999) رقم 1371.

(?) البخاري، كتاب البيوع، باب بركة صاع النبي ومده (4/346).

(?) البخاري، كتاب المغازي، باب أحد جبل يحينا ونحيه (7/337) رقم 484.

(?) لا يختلي خلاها: لا يجز ولا يقطع الحشيش الرطب فيها.

(?) لا ينفر صيدها: لا يزرع ويمنع من الرعي.

(?) أشار بها، والمراد تعريف اللقطة.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

بعيرة ولا تحمل فيها السلاح لقتال»⁽¹⁾.

إن هذه الفضائل العظيمة جعلت الصحابة يتعلقون بها، ويحرصون على الهجرة إليها، والمقام فيها، وبذلك تجمعت طائقات الأمة فيها، ثم توجهت نحو القضاء على الشرك بأنواعه، والكفر بأشكاله، وفتحوا مشارق الأرض ومغاربها.

* * *

¹ (?) أخرجه أحمد (1/119).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

الفصل السادس

هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه الصديق رضي الله عنه

المبحث الأول

فشل خطة المشركين والترتيب النبوي الرفيع للهجرة

أولاً: فشل خطة المشركين لاغتيال النبي صلى الله عليه وسلم:
بعد أن منيت قريش بالفشل بالقبض على النبي صلى الله عليه وسلم -رضي الله عنهم- من الهجرة إلى المدينة، على الرغم من أساليبهم الشنيعة والقيحة، فقد أدركت قريش خطورة الموقف، وخافوا على مصالحهم الاقتصادية، وكيانهم الاجتماعي القائم بين قبائل العرب؛ لذلك اجتمعت قيادة قريش في دار الندوة للتشاور في أمر القضاء على قائد الدعوة، وقد تحدث ابن عباس في تفسيره لقوله تعالى (**وَأَذِّنْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِكُفْرِهِمْ أَفِيَقْتُلُوكَ أَوْ يُبْرِحُوكَ** **وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**) [الأنفال: 30] فقال: فتشاورت قريش بمكة فقال بعضهم: إذا أصبح فائتوه بالوثائق، يريدون النبي صلى الله عليه وسلم، وقال بعضهم: بل اقبلوه، وقال بعضهم: أن أخرجوه، فاطلع الله نبيه على ذلك فبات عليّ على فراش النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة⁽¹⁾، وخرج النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أصبحوا ثاروا إليه فلما رأوا عليّاً رد الله كيدهم، فقالوا أين صاحبك هذا؟ قال: لا أدري، فافتقوا أثره فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم الأمر، فصعدوا الجبل فمروا بالغار فرأوا على بابه نسيج العنكبوت، فقالوا: لو دخل ههنا لم يكن ينسج العنكبوت على بابه، فمكث فيه ثلاثاً⁽²⁾.

قال سيد قطب في تفسيره للآيات التي تتحدث عن مكر المشركين بالنبي صلى الله عليه وسلم: «إنه التذكير بما كان في مكة، قبل تغير الحال، وتبدل الموقف، وإنه ليوحى بالثقة واليقين في المستقبل، كما ينبه إلى تدبير قدر الله وحكمته، فيما يقضي به وأمر: ولقد كان المسلمون الذين يخاطبون بهذا القرآن أول مرة، يعرفون الحاليين معرفة الذي عاش ورأى وذاق، وكان يكفي أن يذكروا بهذا الماضي القريب، وما كان فيه من خوف وقلق، في مواجهة الحاضر الواقع وما فيه من أمن وطمأنينة، وما كان من تدبير المشركين ومكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم، في مواجهة ما صار إليه من غلبة عليهم، لا مجرد النجاة منهم.

¹ (?) انظر: السيرة النبوية قراءة لجوانب الحذر والحماية، ص 135.
² (?) انظر: البداية والنهاية (3/181)، وابن حجر في الفتح وحسن إسناده، فتح الباري (7/236).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

لقد كانوا يمكنون ليوثقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحبسوه حتى يموت، أو ليقتلوه ويتخلصوا منه، أو ليخرجوه من مكة منفياً مطروداً، ولقد ائتمروا بهذا كله ثم اختاروا قتله، على أن يتولى ذلك المنكر فتية من القبائل جميعاً، ليتفرق دمه في القبائل، ويعجز بنو هاشم عن قتال العرب كلها، فيرضوا بالدية وينتهي الأمر (وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ).

إنها صورة ساخرة وهي في الوقت ذاته صورة مفزعة، فأين هؤلاء البشر الضعاف المهازيل من تلك القدرة القادرة، قدرة الله الجبار، القاهر فوق عباده، الغالب على أمره، وهو بكل شيء محيط⁽¹⁾.

ثانياً: الترتيب النبوي للهجرة:

عن عائشة أم المؤمنين قالت: كان لا يخطئ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار، إما بكرة، وإما عشية، حتى إذا كان اليوم الذي أذن فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة، والخروج من مكة من بين طهري قومه، أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة⁽²⁾، في ساعة كان لا يأتي فيها، قالت: فلما رآه أبو بكر، قال: ما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الساعة إلا لأمر حدث.

قالت: فلما دخل، تأخر له أبو بكر عن سريره، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أخرج عني من عندك» فقال: يا رسول الله إنما هما ابتائ، وما ذاك، فذاك أبي وأمي! فقال: «إنه قد أذن لي في الخروج والهجرة» قالت: فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله؟ قال: «الصحبة» قالت: فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أحداً يبكي من الفرح، حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ، ثم قال: يا نبي الله، إن هاتين راحلتان قد كنت أعددتهما لهذا، فاستأجرا عبد الله بن أريقط رجلاً من بني الديل بن بكر، وكانت أمه امرأة من بني سهم بن عمرو، وكان مشركاً يدلهما على الطريق، فدفعنا إليه راحلتيهما فكانتا عنده يرعاها لميعادهما⁽³⁾.

قالت عائشة: فجهزناهما أحث الجهاز، وصنعنا لهما سفرة في جراب، فقطمت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب، فبذلك سميت ذات النطاقين، ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يغار في جبل ثور فكمنا⁽⁴⁾ فيه ثلاث ليالٍ يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام، شاب،

(?) انظر: في ظلال القرآن (3/1501).

(?) الهجرة: نصف النهار عند زوال الشمس مع الظهر أو إلى العصر.

(?) انظر: السيرة النبوية لابن كثير (2/233، 234).

(?) كمنا فيه: أي استترأ واستخفيا ومنه الكمين في الحربة، النهاية (4/201).

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

ثقف⁽¹⁾ لقن⁽²⁾، فيدلج⁽³⁾ من عندهما بسحر، فيصبح مع قريش بمكة كبائن، فلا يسمع أمرا يكتادان⁽⁴⁾ به إلا وعاه حتى يأتيهما يخبر ذلك، حين يختلط الظلام ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولي أبي بكر منحة من غنم فيريحها عليها حين تذهب ساعة من العشاء فيبتان في رسل- وهو لئن منحتهما ورضيفهما⁽⁵⁾- حتى ينعي⁽⁶⁾ بها عامر بن فهيرة بغلس⁽⁷⁾ يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث، واستاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلا من بني الدليل وهو من بني عبد بن عدي هاديا خريتا- والخريت الماهر- بالهداية قد غمس حلفا⁽⁸⁾ في آل العاص ابن وائل السهمي، وهو على دين كفار قريش، فأمناه فدفعنا إليه راحلتيهما، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحتيهما صبح ثلاث، وانطلق معهما عامر به فهيرة، والدليل فاخذ بهم طريق السواحل⁽⁹⁾.

ثالثًا: خروج الرسول صلى الله عليه وسلم ووصوله إلى الغار:

لم يعلم بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد حين خرج إلا علي بن أبي طالب، وأبو بكر الصديق وآل أبي بكر. أما علي فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن يتخلف، حتى يؤدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع، التي كانت عنده للناس، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده، لما يعلم من صدقه وأمانته⁽¹⁰⁾ وكان الميعاد بين الرسول صلى الله عليه وسلم وأبي بكر فخرجا من خوخة⁽¹¹⁾ لأبي بكر في ظهر بيته، وذلك للإمعان في الاستخفاء حتى لا تتبعهما قريش، وتمنعهما من تلك الرحلة المباركة، وقد اتعدا مع الليل على أن يلقاها عبد الله بن أريقط في غار ثور بعد ثلاث ليال⁽¹²⁾.

رابعًا: رقة النبي صلى الله عليه وسلم عند خروجه من مكة:

- 1 (?) ثَقَفُ: ذو فطنة وذكاء والمراد ثابت المعرفة بما يحتاج إليه، النهاية (1/216).
- 2 (?) لَقْنُ: فهم حسن التلقي لما يسمعه، النهاية (4/266).
- 3 (?) يَدْلُجُ: أدلج إذا سار أول الليل وأدلج بالتشديد إذا سار آخره.
- 4 (?) يَكْتَادَانُ: أي يطلب لهما فيه المكروه وهو من الكيد.
- 5 (?) الرضيف: اللبن المروض، وهو الذي طرح فيه الحجارة المحماة ليذهب وَخْمُهُ.
- 6 (?) ينعي: نعى بغنمه، أي صاح بها وزجرها، القاموس المحيط (3/295).
- 7 (?) الغلس: ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح، النهاية (3/377).
- 8 (?) غمس حلفًا: أي أخذ بنصيب من عقدتهم وحلفهم يأمن به.
- 9 (?) البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي رقم 3905.
- 10 (?) السيرة النبوية لابن كثير (2/234) (11) الهجرة في القرآن الكريم، ص334.

- 11 (?) خاتم النبيين لأبي زهرة (1/659) السيرة النبوية لابن كثير (2/234).
- 12 هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

وقف الرسول صلى الله عليه وسلم عند خروجه بالحزورة في سوق مكة، وقال: «والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أنني أخرجت منك ما خرجت»⁽¹⁾.

ثم انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه من بطش المشركين، وصرفهم عنهما.

روى الإمام أحمد عن ابن عباس: (أن المشركين اقتفوا الأثر حتى إذا بلغوا الجبل جبل ثور اختلط عليهم، فصعدوا الجبل فمروا بالغار، فأروا على بابهم نسيج العنكبوت فقالوا: لو دخل هاهنا أحد لم يكن نسيج العنكبوت على بابهم)⁽²⁾ وهذه من جنود الله عز وجل التي يخذل بها الباطل، وينصر به الحق؛ لأنه جنود الله جلت قدرته أعم من أن تكون مادية أو معنوية، وإذا كانت مادية فإن خطرها لا يشمل في ضخامتها فقد تفتك جرثومة لا تراها العين بجيش ذي لخب، قال تعالى: (وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ) [المدر: 31]. أي وما يعلم جنود ربك لفرط كثرتها إلا هو، فجنود الله غير متناهية؛ لأن مقدوراته غير متناهية⁽³⁾ كما أنه لا سبيل لأحد إلى حصر الممكنات والوقوف على حقائقها وصفاتها ولو إجمالاً فضلاً عن الاطلاع على تفاصيل أحوالها من كم وكيف ونسبة⁽⁴⁾.

خامساً: عناية الله سبحانه وتعالى ورعايته لرسوله صلى الله عليه وسلم:

بالرغم من كل الأسباب التي اتخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لم يرتكن إليها مطلقاً وإنما كان كامل الثقة في الله، عظيم الرجاء في نصره وتأييده، دائم الدعاء بالصيغة التي علمه الله إياها⁽⁵⁾ قال تعالى: (وَقِيلَ رَبِّ اُدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَّاَخْرِجْنِيْ مَخْرَجَ صِدْقٍ وَاَجْعَلْ لِّيْ مِنْ لَّدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا) [الإسراء: 80].

وفي هذه الآية الكريمة دعاء يعلمه الله لنبيه ليدعوه به، ولتعلم أمته كيف تدعو الله وكيف تتجه إليه؟ دعاء بصدق المدخل وصدق المخرج، كناية عن صدق الرحلة كلها، بدئها وختامها، أولها وآخرها وما بين الأول والآخر، وللصدق هنا قيمته، بمناسبة ما حاوله المشركون من فتنه عما أنزله الله عليه ليفتري على الله غيره. وللصدق كذلك ظلال: ظلال الثبات والاطمئنان والنظافة والإخلاص (وَاَجْعَلْ لِّيْ مِنْ لَّدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا) قوة وهبة استعلي بهما على سلطان الأرض وقوة المشركين، وكلمة (مِنْ لَّدُنْكَ) تصور القرب والاتصال بالله، والاستمداد من عونه مباشرة واللجوء إلى حماه.

1 (؟) الترمذي، كتاب المناقب، باب فضل مكة (5/722).

2 (؟) مسند الإمام أحمد (1/348). (3) انظر: تفسير الرازي (30/208).

3 (4) انظر: تفسير أبي مسعود (9/60).

5 (؟) انظر: الهجرة النبوية المباركة، ص 72.

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

وصاحب الدعوة لا يمكن أن يستمد السلطان إلا من الله، ولا يمكن أن يُهاب إلا بسلطان الله، ولا يمكن أن يستظل بحاكم أو ذي جاه فينصره ويمنعه، ما لم يكن اتجاهه قبل ذلك إلى الله، والدعوة قد تغزو قلوب ذوي السلطان، والجاه، فيصبحون لها جنداً وخداماً فيفلحون، ولكنها هي لا تفلح إن كانت من جند السلطان وخدمه، فهي من أمر الله، وهي أعلى من ذوي السلطان والجاه⁽¹⁾.

وعندما أحاط المشركون بالغار، وأصبح منهم رأي العين طمأن الرسول صلى الله عليه وسلم الصديق بمعية الله لهما؛ فعن أبي بكر الصديق قال: قلت للنبي صلى الله عليه وسلم وأنا في الغار: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فقال: «ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما؟»⁽²⁾.

وفي رواية: «اسكت يا أبا بكر، اثنان الله ثالثهما». وسجل الحق عز وجل ذلك في قوله تعالى: (إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِخُيُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السَّغْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [التوبة: 40].

سادساً: خيمة أم معبد في طريق الهجرة:

وبعد ثلاث ليال من دخول النبي صلى الله عليه وسلم في الغار، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه من الغار، وقد هداً الطلب ويئس المشركون من الوصول إلى رسول الله، وقد قلنا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر قد استاجرا رجلاً من بني الديل يسمى عبد الله بن أريقط وكان مشركاً، وقد أمانه فدفعا إليه راحتيهما وواعدها غار ثور بعد ثلاث ليال براحتيهما، وقد جاءهما فعلاً في الموعد المحدد وسلك بهما طريقاً غير معهودة ليخفي أمرهما عن يلحق بهم من كفار قريش⁽³⁾، وفي الطريق إلى المدينة مر النبي صلى الله عليه وسلم بأم معبد⁽⁴⁾ في قديد⁽⁵⁾ حيث مساكن خزاعة، وهي أخت خنيس بن خالد الخزاعي الذي روى قصتها، وهي قصة تناقلها الرواة وأصحاب السير، وقال عنها ابن كثير: «وقصتها مشهورة مروية من طرق يشد بعضها بعضاً»⁽⁶⁾، فعن خالد بن خنيس الخزاعي

¹ (1) انظر: في ظلال القرآن (4/2247).

² (?) البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب المهاجرين، رقم 3653.
³ (?) انظر: المستفاد من قصص القرآن (2/101). (4) هي عاتكة بنت كعب الخزاعية.

⁴
⁵ (?) وادي قديد: يبعد عن الطريق المعبدة حوالي ثمانين ميلاً.
⁶ (?) البداية والنهاية (3/188).

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من مكة، وخرج منها مهاجراً إلى المدينة، هو وأبو بكر ومولى أبي بكر عامر بن فهيرة ودليلهما الليثي عبد الله بن الأريقط، مروا على خيمتي أم معبد الخزاعية، وكانت برزة⁽¹⁾ جلدة⁽²⁾ تحتني⁽³⁾ بفناء القبة ثم تسقى وتطعم، فسالوهما لحماً وتمراً، ليشتروا منها، فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك، وكان القوم مُزملين⁽⁴⁾ مسنتين⁽⁵⁾ فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شاة في كسر الخيمة⁽⁶⁾ فقال: «ما هذه الشاة يا أم معبد؟» قالت: خلفها الجهد عن الغنم، قال: «فهل بها من لبن؟» قالت: هي أجهد من ذلك، قال: «أتلذذين أن أحلبها؟» قالت: بلى بأبي أنت وأمي، نعم، إن رأيت بها حلباً فاحلبها.

فدعا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح بيده ضرعها، وسمى الله عز وجل، ودعا لها في شاتها، فتفاجت⁽⁷⁾ عليه، ودرت⁽⁸⁾ واجترت⁽⁹⁾ ودعا بأناء يربض⁽¹⁰⁾ الرهط، فحلب فيها ثجا⁽¹¹⁾ حتى علاه البهاء⁽¹²⁾ ثم سقاها حتى رويت، وسقى أصحابه حتى رروا، ويشرب آخرهم صلى الله عليه وسلم ثم أراضوا⁽¹³⁾، ثم حلب فيها ثانياً بعد بدء حتى ملأ الإناء، ثم غادره عندها، ثم بايعها، وارتحلوا عنها. فقلما لبثت حتى جاء زوجها أبو معبد يسوق أعزراً عجافاً⁽¹⁴⁾ يتساوكن هزلاً⁽¹⁵⁾ ضحى، مخهن قليل، فلما رأى أبو معبد اللبن عجب، وقال: من أين لك هذا اللبن يا أم معبد، والشاة عازب حيال⁽¹⁶⁾ ولا حلوبة في البيت؟ قالت: لا والله، إلا أنه مر بنا رجل مبارك، من حاله كذا وكذا، قال: صفيه لي يا أم معبد قالت: رأيت رجلاً ظاهر الوضأة⁽¹⁷⁾، أبلغ الوجه⁽¹⁸⁾،

- (?) 1 كهلة كبيرة السن، لا تحتجب احتجاب الشواب.
- (?) 2 جلدة: قوية صلبة وقيل عاقلة.
- (?) 3 تحتني: أي تجلس وتضم يديها إحداها إلى الأخرى، على ركبتيها، وتلك جلسة الأعراب.
- (?) 4 مرملين: نفذ زادهم.
- (?) 5 مسنتين: أي داخلين في أسنة وهي الجذب والمجاعة والقحط.
- (?) 6 كسر الخيمة: بفتح الكاف وكسرها، وسكون المهملة: أي جانبها.
- (?) 7 تفاجت: فتحت ما بين رجليها للحلب.
- (?) 8 درت: أرسلت اللبن.
- (?) 9 واجترت: من الجرة وهي ما تخرجها البهيمة من كرشها تمضغها.
- (?) 10 يربض: يرويه حتى يتقلوا فيربضوا، أي يقفوا على الأرض للنوم والراحة.
- (?) 11 ثجا: لبنا كثيراً سائلاً.
- (?) 12 علاه الإناء بهاء اللبن.
- (?) 13 أراضوا: أي رروا، فنقعوا بالري، يريد شربوا مرة بعد مرة.
- (?) 14 عجافاً: ضد السمن، وهو جمع عجفاء وهي المهزولة.
- (?) 15 يتساوكن هزلاً: يتمايلن من الضعف.
- (?) 16 عازب: بعيدة المرعى لا تأوي إلى البيت إلا في الليل، حيال: لا تحمل.
- (?) 17 ظاهر الوضأة: ظاهر الجمال والحسن.
- (?) 18 أبلغ الوجه: مشرق الوجه مضيئه.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

حسن الخلق، لم تعبهُ نحلة⁽¹⁾ ولا تزر به صعلة⁽²⁾ وسيم⁽³⁾، في عينه دُعج⁽⁴⁾، وفي أشفاره وطف⁽⁵⁾، وفي صوته صهل⁽⁶⁾ وفي عنقه سطع⁽⁷⁾ وفي لحيته كثانة، أزج⁽⁸⁾، أقرن⁽⁹⁾، إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم سما⁽¹⁰⁾ وعلاه البهاء، أجمل الناس وأبهاه من بعيد، وأحلاه وأحسنه من قريب، حلو المنطق، فصل لا هذر ولا نزر⁽¹¹⁾، كان منطقهُ خرزات نظم يتحدرن، ربع⁽¹²⁾ لا يأس من طول⁽¹³⁾ ولا تفتحهُ العين من قصر⁽¹⁴⁾ غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظرًا، وأحسنهم قدرًا، له رفقاء يحفون به، إن قال استمعوا لقوله وإن أمر تبادروا إلى أمره، محفود⁽¹⁵⁾، محشود⁽¹⁶⁾، لا عابس ولا مفند⁽¹⁷⁾.

قال أبو معبد: هو والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة، ولقد هممت أن أصحبه، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلًا.⁽¹⁸⁾

سابعاً: سراقه بن مالك يلاحق رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أعلنت قريش في نوادي مكة بأنه من يأتي بالنبى صلى الله عليه وسلم حياً أو ميتاً، فله مائة ناقة، وانتشر هذا الخبر عند قبائل الأعراب الذين في ضواحي مكة، وطمع سراقه بن مالك بن جعشم في نيل الكسب الذي أعدته قريش لمن يأتي برسول الله صلى الله عليه وسلم، فأجهد نفسه لينال ذلك، ولكن الله بقدرته التي لا يغلبها غالب، جعله يرجع مدافعاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما كان جاهداً عليه.

قال ابن شهاب: وأخبرني عبد الرحمن بن مالك المدلجي، وهو ابن أخي سراقه بن مالك بن جعشم، أن أباه أخبره، أنه سمع سراقه بن

- (1) نحلة: من النحول والدقة والضمور، أي أنه ليس نحلاً.
- (2) صعلة: صغر الرأس وهي تعني الدقة والنحول في البدن.
- (3) وسيم: الوسيم المشهور بالحسن كأنه صار الحسن له سمة.
- (4) دُعج: شديد سواد العين في شدة بياضها.
- (5) في أشفاره وطف: الشعر الثابت على الجفن فيه طول.
- (6) صهل: كالبحّة وهو ألا يكون حاد الصوت. (7) سطع: طول العنق.
- (8) أزج: دقيق شعر الحاجبين مع طولهما.
- (9) أقرن: متصل ما بين حاجبين من الشعر، أو مقرون الحاجبين.
- (10) سما: علا برأسه، أو بيده وأرتفع.
- (11) لا هذر ولا نذر: الهذر من الكلام ما لا فائدة فيه والنزر: القليل.
- (12) ربع: ليس بالقصير ولا بالطويل. (13) لا يأس من طول: لا يجاوز الناس طولاً.
- (14) لا تفتحهُ العين من قصر: لا تزدريه ولا تحتقره. (15) محفود: مخدوم.
- (16) محشود: يجتمع الناس حواليه.
- (17) لا عابس ولا مفند: ليس عابس الوجه ولا مفند: ليس منسوباً إلى الجهل وقلة العقل.
- (18) انظر: الهجرة النبوية المباركة (ص 104-106) والهوامش منه ببعض تصرف. هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

جعشم يقول: جاءنا رُسُل كفار قريش يجعلون في رسول الله **صلي الله عليه وسلم**، وأبي بكر، دية كل منها لمن قتله أو أسره، فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج، إذ أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس، فقال: يا سراقَة! إني رأيت أنفا أسودة⁽¹⁾ بالساحل أراها محمداً وأصحابه، قال سراقَة: فعرفت أنهم هم: فقلت له: إنهم ليسوا بهم، ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا، ثم لبثت في المجلس ساعة، ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي، وهي من وراء أكمة⁽²⁾ فتحبسها علي، وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت فخططت بزجه⁽³⁾ الأرض وخفضت عالية حتى أتيت فرسي فركبتها فرفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم فعثرت بي فرسي فخررت عنها، فقامت فأهويت يدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الأزام⁽⁴⁾ فاستقسمت بها، أضرهم أم لا، فخرج الذي أكره، فركبت فرسي، وعصيت الأزام: تُقَرَّب بي، حتى إذا سمعت قراءة رسول الله **صلي الله عليه وسلم** وهو لا يلتفت، وأبو بكر يكثر الالتفات، ساخت⁽⁵⁾ يدا فرسي في الأرض، حتى بلغتا الركبتين، فخررت عنها، ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها عثان⁽⁶⁾ ساطع في السماء مثل الدخان، فاستقسمت بالأزام فخرج الذي أكره، فناديتهم بالأمان فوقفوا فركبت فرسي حتى جئتهم ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم، أن سيظهر أمر رسول الله **صلي الله عليه وسلم** فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الدية، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم، وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزاني⁽⁷⁾ ولم يسألاني، إلا أن قال: أخف عنا، فسألته أن يكتب لي في كتاب أمن، فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أديم⁽⁸⁾ ثم مضى رسول الله **صلي الله عليه وسلم**⁽⁹⁾.

وكان مما اشتهر عند الناس من أمر سراقَة ما ذكره ابن عبد البر، وابن حجر وغيرهما، قال ابن عبد البر: روى سفیان بن عيينة عن أبي موسى عن الحسن، أن رسول الله **صلي الله عليه وسلم** قال لسراقَة بن مالك: «كيف بك إذا لبست سوارى كسرى؟» قال: فلما أتى عمر بسوارى كسرى ومنطقته وتاجه، دعا سراقَة بن مالك فألبسه إياها،

1 (?) أسودة: جمع قلة لسواد وهو الشخص يرى من بعيد أسود، الهجرة في

القرآن، ص 344.

2 (?) الأكمة: هي الرابية. (3) الزج: الحديدية في أسفل الرمح.

3 (?) الأزام: الأقذاح التي كانت في الجاهلية مكتوب عليها الأمر، والنهي: افعل ولا تفعل.

4 (?) ساخت يدا فرسي: أي غاصت في الأرض.

5 (?) عثان: أي دخان، وجمعه عوائن على غير قياس، النهاية (3/183).

6 (?) فلم يرزاني: أي لم يأخذ مني شيئاً. (8) أديم: قطعة من جلد.

7 (?) البخاري، كتاب مناقب الأنصار، رقم 3906. (10) التزيب في الإنسان: كثرة الشعر وطوله.

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

وكان سراقاً رجلاً أرب⁽¹⁾ كثير شعر الساعدين، وقال له: ارفع يديك فقال: إله أكبر، الحمد لله الذي سلّهما كسرى بن هرمز الذي كان يقول: أنا رب الناس، وألبسهما سراقاً بن مالك بن جعشم أعرابياً من بني مدلج، ورفع بها عمر صوته⁽²⁾، ثم أركب سراقاً، وطيف به المدينة، والناس حوله، وهو يرفع عقيرته مردداً قول الفاروق: الله أكبر، الحمد لله الذي سلّهما كسرى بن هرمز، وألبسهما سراقاً بن جعشم أعرابياً من بني مدلج⁽³⁾.

ثامناً: سبحان مقلب القلوب:

كان سراقاً في بداية أمره يريد القبض على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويسلمه لزعماء مكة لينال مائة ناقة، وإذا بالأمور تنقلب رأساً على عقب، ويصبح يرد الطلب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل لا يلقي أحداً من الطلب إلا رده قائلاً: كفيتم هذا الوجه، فلما اطمأن إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم وصل إلى المدينة المنورة، جعل سراقاً يقص ما كان من قصته وقصة فرسه، واشتهر هذا عنه، وتناقلته الألسنة حتى امتلأت به نوادي مكة، فخاف رؤساء قريش أن يكون ذلك سبباً لإسلام بعض أهل مكة، وكان سراقاً أمير بني مدلج، ورئيسهم فكتب أبو جهل إليهم:

سراقاً مستغوٍ لنصر محمد

بني مدلج إني أخاف

سفيهمكم

فيصبح شتى بعد عز وسؤدد

عليكم به ألا يفرق جمعكم

فيصبح شتى بعد عز وسؤدد

فقال سراقاً يرد على أبي جهل:

لأمر جوادي إذ تسوخ
قوائمه

أبا حكم والله لو كنت شاهداً

رسول وبرهان فمن ذا
بقاومه

علمت ولم تشكك بأن محمداً

أرى أمره يوماً ستبدو
معالمه

عليك فكف القوم عنه فإنني

مسالمه⁽⁴⁾

بأمر تود الناس فيه بأسرهم

تاسعاً: استقبال الأنصار لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

لما سمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة، كانوا يغدون كل غداة إلى الحرة، فينتظرون حتى

(?) انظر: الروض الأنف (4/218)، الهجرة في القرآن، ص 346.
(3) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبه (1/495). (3) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبه (1/494).

(4) أطم: كالحصن. (5) مبيضين: عليهم ثياب بيض.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

يردهم حر الظهيرة، فانقلبوا يوماً بعد ما أطالوا إنتظارهم، فلما أوا إلى بيوتهم أوفى رجل من يهود على أطم⁽¹⁾ من أطامهم لأمر ينظر إليه، فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مبينين⁽²⁾ يزول بهم السراب⁽³⁾، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته: يا معاشر العرب هذا جدكم⁽⁴⁾ الذي تنتظرون، فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الاثنين⁽⁵⁾، من شهر ربيع الأول⁽⁶⁾ فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتاً، فطفق من جاء من الأنصار، ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيي أباً بكر، حتى أصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه، فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك «فليث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عمرو بن عوف بضعة عشرة ليلة⁽⁷⁾، وأسس المسجد الذي أسس على التقوى وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم ركب راحلته»⁽⁸⁾.

وبعد أن أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم المدة التي مكثها بقاء، وأراد أن يدخل المدينة «بعث إلى الأنصار فجاءوا إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر، فسلموا عليهما، وقالوا: أركبا أمنين مطاعين، فركب نبي الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وحفوا دونهما بالسلاح»⁽⁹⁾.

وعند وصوله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أخذ أهل المدينة يقولون: «جاء نبي الله، جاء نبي الله صلى الله عليه وسلم فأشرفوا ينظرون ويقولون: جاء نبي الله، جاء نبي الله»⁽¹⁰⁾.

فكان يوم فرح وابتهاج لم تر المدينة يوماً مثله، ولبس الناس أحسن ملابسهم كأنهم في يوم عيد، ولقد كان حقاً يوم عيد؛ لأنه اليوم الذي انتقل فيه الإسلام من ذلك الحيز الضيق في مكة إلى رحابة الإنطلاق والانتشار بهذه البقعة المباركة المدينة، ومنها إلى سائر بقائع الأرض. لقد أحس أهل المدينة بالفضل الذي جلبهم الله به، وبالشرف الذي اختصهم به أيضاً، فقد صارت بلدتهم موطناً لإبواء رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته المهاجرين، ثم لنصرة الإسلام كما أصبحت موطناً للنظام الإسلامي العام التفصيلي بكل مقوماته، ولذلك خرج أهل المدينة يهللون في فرح وابتهاج، ويقولون: يا رسول الله، يا

3 (?) السراب: أي يزول بهم السراب عن النظر بسبب عروضهم له.

4 (?) جدكم: صاحب دولتكم، الذي تتوقعونه.

5 (?) قال الحافظ بن حجر: هذا هو المعتمد وشذ من قال يوم الجمعة، الفتح (7/544).

6 (?) انظر: الهجرة في القرآن الكريم، ص351. (4) نفس المصدر، ص352.

8 (?) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي (77/5، 78).

9 (?) نفس المصدر رقم 3911. (8) الهجرة في القرآن الكريم، ص353.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

محمد، يا رسول الله⁽¹⁾.

روى الإمام مسلم بسنده قال: «عندما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، صعد الرجال والنساء فوق البيوت، وتفرق العلماء والخدم في الطرق ينادون: «يا محمد، يا رسول الله، يا محمد، يا رسول الله»⁽²⁾.

وبعد هذا الاستقبال الجماهيري العظيم الذي لم يرد مثله في تاريخ الإنسانية سار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل في دار أبي أيوب الأنصاري فعن أنس في حديث الهجرة الطويل وفيه: «فأقبل يسير حتى نزل جانب دار أبي أيوب فإنه ليحدث أهله⁽³⁾ إذ سمع به عبد الله بن سلام وهو في نخل لأهله يخترف⁽⁴⁾ لهم فعجل أن يضع الذي يخترف لهم فيها، فجاء وهي مع فسمع من نبي الله صلى الله عليه وسلم، ثم رجع إلى أهله فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم: «أي بيوت أهلنا»⁽⁵⁾ أقرب فقال أبو أيوب: أنا يا نبي الله هذه داري وهذا بآبي، قال: «فانطلق فهيئ لنا مقيلاً»⁽⁶⁾...⁽⁷⁾ ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه.

وبهذا قد تمت هجرته صلى الله عليه وسلم وهجرة أصحابه رضي الله عنهم، ولم تنته الهجرة بأهدافها وغاياتها، بل بدأت بعد وصول رسول الله صلى الله عليه وسلم سالماً إلى المدينة، وبدأ معها رحلة المتاعب والمصاعب والتحديات، فتغلب عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم للوصول للمستقبل الباهر للأمة، والدولة الإسلامية، التي استطاعت أن تصنع حضارة إنسانية رائعة، على أسس من الإيمان والتقوى، والإحسان والعدل، بعد أن تغلبت على أقوى دولتين كانتا تحكمان في العالم، وهما: دولة الفرس ودولة الروم⁽⁸⁾.

عاشراً: فوائد ودروس وعبر:

1- الصراع بين الحق والباطل: صراع قديم وممتد، وهو سنة إلهية نافذة قال عز وجل: (الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتِنَتْ صَوَامِعُ وَبَيْعٌ وَصُلُواتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) [الحج: 40].

2 (?) مسلم، كتاب الزهد والرقائق باب حديث الهجرة، رقم 2009.
3 (?) الضمير هنا للنبي صلى الله عليه وسلم (فتح الباري 7/251) (2)
4 يخترف: أي يحتبي من ثمارها، انظر: النهاية (2/24)

5 (?) انظر: الهجرة في القرآن الكريم، ص 354. (4) مقيلاً: أي مكاناً تقع فيه القبيلة.

7 (?) البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي إلى المدينة (5/79).
8 (?) انظر: الهجرة في القرآن الكريم، ص 355. (7) انظر: الهجرة النبوية المباركة، ص 199.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

ولكن هذا الصراع معلوم العاقبة: (كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) [المجادلة: 21].

2- مكر خصوم الدعوة بالداعية: أمر مستمر متكرر، سواء عن طريق الحيس أو القتل أو النفي والإخراج من الأرض، وعلى الداعية أن يلجأ إلى ربه وأن يثق به ويتوكل عليه ويعلم أن المكر السيئ لا يجني إلا بأهله⁽¹⁾، كما قال عز وجل: (وَإِنَّ مَكْرَكُمْ إِلَيْنَا كَقَرِّهِمْ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) [الأنفال: 30].

ومن مكر أهل الباطل وخصوم الدعوة استخدام سلاح المال لإغراء النفوس الضعيفة للقضاء على الدعوة والدعاة، ولذلك رصدوا مائة ناقة لمن يأتي بأحد المهاجرين حياً أو ميتاً، فتحرك الطامعون ومنهم سراقه، الذي عاد بعد هذه المغامرة الخاسرة مادياً بأوفر ربح وأطيب رزق، وهو رزق الإيمان، وأخذ يعمي الطريق عن الطامعين الآخرين الذين اجتهدوا في الطلب، وهكذا يرد الله عن بوليائه والدعاة⁽²⁾ قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَفْقَهُونَهَا ثَمَّ يَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ ثُمَّ يَغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْشَرُونَ) [الأنفال: 36].

3- إن من تأمل حادثة الهجرة ورأى دقة التخطيط فيها، ودقة الأخذ بالأسباب من ابتدائها إلى انتهائها، ومن مقدماتها إلى ما جرى بعدها، يدرك أن التخطيط المسدود بالوحي في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قائماً، وأن التخطيط جزء من السبب النبوية وهو جزء من التكليف الإلهي في كل ما طوّل به المسلم وأن الذين يميلون إلى العفوية، بحجة أن التخطيط وإحكام الأمور ليسا من السنة أمثال هؤلاء مخطئون ويجنون على أنفسهم وعلى المسلمين⁽³⁾.

فعندما حان وقت الهجرة للنبي صلى الله عليه وسلم وشرع النبي صلى الله عليه وسلم في التنفيذ نلاحظ الآتي:

* وجود التنظيم الدقيق للهجرة حتى نجحت، رغم ما كان يكتنفها من صعاب وعقبات، وذلك أن كل أمر من أمور الهجرة كان مدروساً دراسة وافية، فمثلاً:

أ- جاء صلى الله عليه وسلم إلى بيت أبي بكر في وقت شديد الحر - الوقت الذي لا يخرج فيه أحد - بل من عادته لم يكن يأتي فيه، لماذا؟ حتى لا يراه أحد.

² (?) انظر الهجرة النبوية المباركة، ص 200.
³ (2) انظر: الأساس في السنة، سعيد حوى (1/357).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

ب- إخفاء شخصيته **صلى الله عليه وسلم** أثناء مجيئه للصديق، وجاء إلى بيت الصديق مثلثاً، لأن التلثم يقلل من إمكانية التعرف على معالم الوجه المتلثم⁽¹⁾.

ج- أمر **صلى الله عليه وسلم** أبا بكر أن يخرج من عنده، ولما تكلم لم يبين إلا الأمر بالهجرة دون تحديد الاتجاه.

د - وكان الخروج ليلاً ومن باب خلفي في بيت أبي بكر⁽²⁾.

هـ- بلغ الاحتياط مداه، باتخاذ طرق غير مألوفة للقوم، والاستعانة بذلك بخبير يعرف مسالك البادية ومسارب الصحراء، ولو كان ذلك الخبير مشركاً ما دام على خلق ورزاة، وفيه دليل على أن الرسول **صلى الله عليه وسلم** كان لا يحجم عن الاستعانة بالخبرات مهما يكن مصدرها⁽³⁾.

* انتقاء شخصيات عاقلة لتقوم بالمعاونة في شؤون الهجرة، ويلاحظ أن هذه الشخصيات كلها تترايط برباط القرابة، أو برباط العمل الواحد، مما يجعل من هؤلاء الأفراد وحدة متعاونة على تحقيق الهدف الكبير.

* وضع كل فرد من أفراد هذه الأسرة في عمله المناسب، الذي يجيد القيام به على أحسن وجه ليكون أقدر على أدائه والنهوض بتبعاته.

* فكرة نوم علي بن أبي طالب مكان الرسول، فكرة ناجحة، قد ضللت القوم وخذعتهم، وصرفتهم عن الرسول **صلى الله عليه وسلم** حتى خرج في جنح الليل تحرسه عناية الله وهم نائمون، ولقد ظلت أبصارهم معلقة بعد البقطة بمضجع الرسول **صلى الله عليه وسلم** فما كانوا يشكون في أنه ما يزال نائماً، مسجى في برده في حين النائم هو علي بن أبي طالب.

ونرى احتياجات الرحلة قد دبرت تدبيراً محكماً:

أ- علي بن أبي طالب في فراش الرسول **صلى الله عليه وسلم** ليخدع القوم، ويُسلم الودائع ويلحق بالرسول.

ب- وعيد الله بن أبي بكر: صاحب المخابرات الصادق، وكاشف تحركات العدو.

ج- وأسماء ذات النطاقين: حاملة التموين من مكة إلى الغار، وسط جنون المشركين بحثاً عن محمد **صلى الله عليه وسلم** ليقتلوه.

د- وعامر بن فهيرة: الراعي البسيط الذي قدم اللحم واللبن إلى صاحبي الغار، وبدد آثار أقدام المسيرة التاريخية بأغنامه، كيلا يتفرسها القوم، لقد كان هذا الراعي يقوم بدور الإمداد والتموين.

¹ (?) انظر: في السيرة النبوية قراءة لجوانب الحذر والحيطة، ص 141.
² (?) انظر: معين السيرة، ص 147. (5) انظر: الهجرة في القرآن الكريم، ص 361.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

هـ- وعبد الله بن أريقط: دليل الهجرة الأمين، وخبير الصحراء البصير، ينتظر في نقطة إشارة البدء من الرسول، لياخذ الركب طريقه من الغار إلى يثرب.

فهذا تدبير للأمور على نحو رائع دقيق، واحتياط للظروف بأسلوب حكيم، ووضع لكل شخص من أشخاص الهجرة في مكانه المناسب، وسد لجميع الثغرات، وتغطية بديعة لكل مطالب الرحلة، واقتصار على العدد اللازم من الأشخاص من غير زيادة ولا إسراف. لقد أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم بالأسباب المعقولة أخذًا قويًا حسب استطاعته وقدرته.. ومن ثم باتت عناية الله متوقعة⁽¹⁾.

4- الأخذ بالأسباب أمر ضروري:

إن اتخاذ الأسباب أمر ضروري وواجب، ولكن لا يعني ذلك دائماً حصول النتيجة، ذلك لأن هذا أمر يتعلق بأمر الله، ومشيتته ومن هنا كان التوكل أمراً ضرورياً وهو من باب استكمال اتخاذ الأسباب. إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعد كل الأسباب، واتخذ كل الوسائل ولكنه في الوقت نفسه مع الله، يدعوه ويستنصره أن يكمل سعيه بالنجاح، وهنا يستجاب الدعاء، وينصرف القوم بعد أن وقفوا على باب الغار، وتسيخ فرس سراقه في الأرض ويكمل العمل بالنجاح⁽²⁾.

5- الإيمان بالمعجزات الحسية:

وفي هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وقعت معجزات حسية، وهي دلائل ملموسة على حفظ الله ورعايته لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك -على ما روي- تسيخ العنكبوت على فم الغار، ومنها ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع أم معبد، وما جرى له مع سراقه ووعدته إياه بأن يلبس سوارى كسرى، فعلى الدعاة ألا يتصلوا من هذه الخوارق، بل يذكروها ما دامت ثابتة بالسنة النبوية على أن ينبهوا الناس على أن هذه الخوارق هي من جملة دلائل نبوته ورسالته عليه السلام⁽³⁾.

6- جواز الاستعانة بالكافر المأمون:

ويجوز للدعاة أن يستعينوا بمن لا يؤمن بدعوتهم، ما داموا يثقون بهم ويأتمنونهم على ما يستعينون به معهم، فقد رأينا أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر استاجرا مشركا ليدلهم على طريق الهجرة ودفعاً إليه راحلتيهما وواعده عند غار ثور، وهذه أمور خطيرة أطلعاه عليها، ولا شك أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وثقا به وأمانه، مما يدل على أن الكافر أو العاصي أو غير المنتسب إلى الدعاة، قد

¹ (?) انظر: أضواء على الهجرة، لتوفيق محمد، ص 393: 397.
² (?) انظر: من معين السيرة، ص 148. (2،3) انظر: المستفاد من قصص القرآن (2/108).
³

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

يوجد عند هؤلاء ما يستدعي وثوق الدعاة بهم، كأن تربطهم رابطة القرابة، أو المعرفة القديمة أو الجوار، أو عمل معروف، كان قد قدمه الداعية لهم، أو لأن هؤلاء عندهم نوع جيد من الأخلاق الأساسية، مثل الأمانة وحب عمل الخير إلى غير ذلك من الأسباب، والمسألة تقديرية يترك تقديرها إلى فطنة الداعي ومعرفته بالشخص⁽¹⁾.

7- دور المرأة في الهجرة:

وقد لمعت في سماء الهجرة أسماء كثيرة كان لها فضل كبير ونصيب وافر من الجهاد: منها عائشة بنت أبي بكر الصديق التي حفظت لنا القصة ووعيتها وبلغتها للأمة، وأم سلمة المهاجرة الصبور، وأسماء ذات النطاقين⁽²⁾ التي ساهمت في تموين الرسول **صلى الله عليه وسلم** وصاحبه في الغار بالماء والغذاء، وكيف تحملت الأذى في سبيل الله؟ فقد حدثتنا عن ذلك فقالت: «لما خرج رسول الله **صلى الله عليه وسلم** وأبو بكر ﷺ أنا نافر من قريش، فيهم أبو جهل بن هشام، فوقفوا على باب أبي بكر، فخرجت إليهم فقالوا: أين أبو بكر يا بنت أبي بكر؟ قالت: قلت: لا أدري والله أين أبي؟ قالت: فرفع أبو جهل يده، وكان فاحشاً خبيثاً فلطم خدي لطمة طرح منها قرطي قالت: ثم انصرفوا...»⁽³⁾.

فهذا درس من أسماء رضي الله عنها تعلمه لنساء المسلمين جيلاً بعد جيل كيف تخفي أسرار المسلمين عن الأعداء، وكيف تقف صامدة شامخة أمام قوى البغي والظلم! وأما درسها الثاني البليغ، فعندما دخل عليها جدها أبو قحافة، وقد ذهب بصره، فقال: «والله إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه»، قالت: «كلا يا أبت، ضع يدك على هذا المال، قالت: «فوضع يده عليه»، فقال: «لا بأس، إذا كان ترك الكم هذا فقد أحسن، وفي هذا بلاغ لكم»، «قالت: ولا والله ما ترك لنا شيئاً ولكنني أردت أن أسكن الشيخ بذلك»⁽⁴⁾.

وبهذه الفطنة والحكمة سترت أسماء أباه، وسكنت قلب جدها الضريب، من غير أن تكذب، فإن أباه قد ترك لهم حقاً هذه الأحجار التي كومتها لتطمئن لها نفس الشيخ، إلا أنه قد ترك لهم معها إيماناً بالله لا تزلزله الجبال، ولا تحركه العواصف الهوج، ولا يتأثر بقلة أو كثرة في المال، وورثهم يقيناً وثقة به لا حد لها، وغرس فيهم همة تتعلق بمعالي الأمور، ولا تلتفت إلى سفافها فضرِب بهم للبيت المسلم مثلاً عز أن يتكرر، وقل أن يوجد نظيره.

لقد ضربت أسماء رضي الله عنها بهذه المواقف لنساء وبنات المسلمين مثلاً، هُنَّ في أمس الحاجة إلى الاقتداء به، والنسج على منواله.

وظلت أسماء مع أخواتها في مكة لا تشكو ضيقاً، ولا تظهر حاجة،

² (?) انظر: الهجرة النبوية المباركة، ص 206.

³ (?) انظر: الهجرة النبوية المباركة، ص 126.

⁴ (?) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (2/102) إسناده صحيح.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة وأبا رافع مولاه، وأعطاهما بعيرين وخمسمائة درهم إلى مكة، فقدموا عليه بفاطمة وأم كلثوم ابنتيه، وسوده بنت زمعة زوجته، وأسامة بن زيد، وأمه بركة، المكناة بأم أيمن، وخرج معهما عبد الله بن أبي بكر بغيال أبي بكر فيهم عائشة وأسماء، فقدموا المدينة فانزلهم في بيت حارثة بن النعمان⁽¹⁾.

8- أمانات المشركين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم:

في إيداع المشركين ودائعهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم مع محاربتهم له، وتصميمهم على قتله، دليل باهر على تناقضهم العجيب، الذي كانوا واقعين فيه، ففي الوقت الذي كانوا يكذبونه ويزعمون أنه ساحر، أو مجنون أو كذاب، لم يكونوا يجدون فيمن حولهم من هو خير منه أمانة وصدقا فكانوا لا يضعون حوائجهم ولا أموالهم التي يخافون عليها إلا عنده، وهذا يدل على أن كفرانهم لم يكن بسبب الشك لديهم في صدقه، وإنما بسبب تكبرهم واستعلائهم على الحق، الذي جاء به، وخوفا على زعامتهم وطغيانهم⁽²⁾، وصدق الله العظيم: (قَدْ تَعْلَمُ أَنَّهُ لِيُخْرِجَكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ) [الأنعام: 33].

وفي أمر الرسول صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب بتأدية هذه الأمانات لأصحابها في مكة رغم هذه الظروف الشديدة التي كان من المفروض أن يكتنفها الاضطراب، بحيث لا يتجه التفكير إلا إلى إنجاح خطة هجرته فقط، رغم ذلك فإن الرسول صلى الله عليه وسلم ما كان لينسى أو ينشغل عن رد الأمانات إلى أهلها، حتى ولو كان في أصعب الظروف التي تنسى الإنسان نفسه فضلا عن غيره⁽³⁾.

9- الراحلة بالثمن:

لم يقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يركب الراحلة حتى أخذها بثمنها من أبي بكر، واستقر الثمن ديناً بذمته، وهذا درس واضح بأن حملة الدعوة ما ينبغي أن يكونوا عالة على أحد في وقت من الأوقات، فهم مصدر العطاء في كل شيء. إن يدهم إن لم تكن العليا، فلن تكون السفلى، وهكذا يصر عليه السلام أن يأخذها بالثمن، وسلوكه ذلك هو الترجمة الحقة لقوله تعالى: (وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ) [الشعراء: 109].

إن الذين يحملون العقيدة والإيمان، ويبشرون بهما ما ينبغي أن تمتد أيديهم إلى أحد إلا الله؛ لأن هذا يتناقض مع ما يدعون إليه، وقد تواعد الناس أن يعوا لغة الحال لأنها أبلغ من لغة المقال، وما تأخر

¹ (?) انظر: الهجرة النبوية المباركة، ص 128.

² (?) انظر: فقه السيرة للبوطي، ص 193. (2) انظر: الهجرة في القرآن الكريم، ص 364.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

المسلمون، وأصابهم ما أصابهم من الهوان إلا يوم أصبحت وسائل الدعوة والعاملين بها خاضعة للغة المادة، ينتظر الواحد منهم مرتبه، ويومها تحول العمل إلى عمل مادي فقد الروح والحيوية، وأصبح الأئمة موظفين.

إن الصوت الذي ينبعث من حجرة وراءها الخوف من الله والأمل في رضاه، غير الصوت الذي ينبعث ليتلقى دراهم معدودة، فإذا توقفت توقف الصوت، وقديما قالوا: ليست النائحة كالثكلى، ولهذا قل التأثير، وبعد الناس عن جادة الصواب⁽¹⁾.

10- الداعية يعف عن أموال الناس:

لما عفا النبي صلى الله عليه وسلم عن سرقة عرض عليه سرقة المساعدة فقال: وهذه كنا نتيخذ منها سهما فإنك ستمر بإبلي وغنمي في موضع كذا وكذا فخذ منها حاجتك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا حاجة لي فيها»⁽²⁾.

فحين يزهّد الدعاة فيما عند الناس يحبهم الناس، وحين يطمعون في أموال الناس ينفر الناس عنهم، وهذا درس بليغ للدعاة إلى الله تعالى⁽³⁾.

11- الجندية الرفيعة والبكاء من الفرح:

تظهر أثر التربية النبوية في جندية أبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، فأبو بكر ؑ عندما أراد أن يهاجر إلى المدينة وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحباً» فقد بدأ في الإعداد والتخطيط للهجرة «فاتبع راحلتين واحتبسهما في داره يعلفهما إعداداً لذلك، وفي رواية البخاري، «وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر - وهو الخبط - أربعة أشهر»، لقد كان يدرك بثاقب بصره ؑ، وهو الذي تربى ليكون قائداً، أن لحظة الهجرة صعبة قد تأتي فجأة؛ ولذلك هيا وسيلة الهجرة، ورتب تموينها، وسخر أسرته لخدمة النبي صلى الله عليه وسلم، وعندما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره أن الله قد أذن له في الخروج والهجرة، بكى من شدة الفرح، وتقول عائشة رضي الله عنها في هذا الشأن: «فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحدا يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ»، إنها قمة الفرح البشري أن يتحول الفرح إلى بكاء.

فالصديق ؑ يعلم أن معنى هذه الصّحة، أنه سيكون وحده برفقة رسول رب العالمين بضعة عشرة يوماً على الأقل وهو الذي سيقدم حياته لسيدته وقائده وحبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم، فأى فوز في هذا الوجود يفوق هذا الفوز: أن يتفرد الصديق وحده من دون

¹ (؟) انظر: معين السيرة، ص 148، 149.
² (1) المسند (1/3) تحقيق أحمد محمد شاكر. (2) انظر: في ظلال الهجرة النبوية، ص 58.

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

أهل الأرض، ومن دون الصحب جميعاً برفقة سيد الخلق وصحبته كل هذه المدة⁽¹⁾ وتظهر معاني الحب في الله في خوف أبي بكر وهو في الغار من أن يراهما المشركون، ليكون الصديق مثلاً لما ينبغي أن يكون عليه جندي الدعوة الصادق، مع قائده الأمين، حين يحرق به الخطر من خوف وإشفاق على حياته، فما كان أبو بكر ساعته بالذي يخشى على نفسه الموت، ولو كان كذلك لما رافق رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الهجرة الخطيرة، وهو يعلم أن أقل جزائه القتل إن أمسكه المشركون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكنه كان يخشى على حياة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وعلى مستقبل الإسلام إن وقع الرسول صلى الله عليه وسلم في قبضة المشركين⁽²⁾، ويظهر الحس الأمني الرفيع للصديق في هجرته مع النبي صلى الله عليه وسلم في مواقف كثيرة منها، حين أجاب السائل: من هذا الرجل الذي بين يديك؟ فقال: هذا هادي يهديني السبيل، فظن السائل بأن الصديق يقصد الطريق، وإنما كان يقصد سبيل الخير، وهذا يدل على حسن استخدام أبي بكر للمعارض، فراراً من الحرج أو الكذب⁽³⁾، لأن الهجرة كانت سرا وقد أقره الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك⁽⁴⁾، وفي موقف علي بن أبي طالب مثال للجندي الصادق المخلص لدعوة الإسلام، حيث فدى قائده بحياته، ففي سلامة القائد سلامة للدعوة، وفي هلاكه خذلانها ووهنها، فما فعله علي ليلة الهجرة من بياته على فراش الرسول صلى الله عليه وسلم، إذ كان من المحتمل أن تهوي سيوف فتيان قريش على رأس علي، ولكن علياً لم يبال بذلك، فحسبه أن يسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي الأمة وقائد الدعوة⁽⁵⁾.

12- فن قيادة الأرواح، وفن التعامل مع النفوس:

يظهر الحب العميق الذي سيطر على قلب أبي بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة، كما يظهر حب سائر الصحابة أجمعين في سيرة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم. وهذا الحب الرباني كان نابعا من القلب، وبإخلاص، لم يكن حب نفاق، أو نابعا من مصلحة دنيوية، أو رغبة في منفعة أو رهبة لمكروه قد يقع، ومن أسباب هذا الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم صفاته القيادية الرشيدة، فهو يسهر ليناموا، ويتعب ليستريحوا، ويجوع ليشبعوا، كان يفرح لفرحهم ويحزن لحزنهم، فمن سلك سنن الرسول صلى الله عليه وسلم مع صحابته في حياته الخاصة والعامة، وشارك

1 (?) انظر: التربية القيادية (2/191، 192). (4) السيرة النبوية دروس وعبر للسباعي، ص 71.

3 (?) انظر: الهجرة النبوية المباركة، ص 204. (2) انظر: السيرة النبوية لأبي فارس، ص 254.

5 (?) انظر: السيرة النبوية للسباعي، ص 68. (4) انظر: الهجرة النبوية لأبي فارس، ص 54.

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

الناس في أفراحهم وأتراحهم وكان عمله لوجه الله أصابه شيء من هذا الحب إن كان من الزعماء أو القادة أو المسؤولين في أمة الإسلام⁽¹⁾.

إن القيادة الصحيحة هي التي تستطيع أن تقود الأرواح قبل كل شيء وتستطيع أن تتعامل مع النفوس قبل غيرها، وعلى قدر إحسان القيادة يكون إحسان الجنود، وعلى قدر البذل من القيادة يكون الحب من الجنود، فقد كان **صلى الله عليه وسلم** رحيمًا وشفوقًا بجنوده وأتباعه، فهو لم يهاجر إلا بعد أن هاجر معظم أصحابه، ولم يبق إلا المستضعفون والمفتونون ومن كانت له مهمات خاصة بالهجرة⁽²⁾.

13- وفي الطريق أسلم بريدة الأسلمي ؓ في ركب من قومه:

إن المسلم الذي تغلغت الدعوة في شغاف قلبه لا يفتر لحظة واحدة عن دعوة الناس إلى دين الله تعالى، مهما كانت الظروف قاسية والأحوال مضطربة، والأمن مفقود بل ينتهز كل فرصة مناسبة لتبليغ دعوة الله تعالى، هذا نبي الله تعالى يوسف -عليه السلام- حينما زج به في السجن ظلماً، واجتمع بالسجناء في السجن، فلم يندب حظه، ولم تشغله هذه الحياة المظلمة عن دعوة التوحيد وتبليغها للناس ومحاربة الشرك وعبادة غير الله والخضوع لأي مخلوق قال تعالى: **(قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُزْرَقَانِي إِلَّا نَبَاتِكُمَا يُنَادِيهِ قِيلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ۖ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ۖ يَا صَاحِبِي السَّخْنِ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۖ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)** [يوسف: 37-40].

وسورة يوسف عليه السلام مكية، وقد أمر الله تعالى رسوله محمد **صلى الله عليه وسلم** أن يقتدي بالأنبياء والمرسلين في دعوته إلى الله؛ ولذلك نجده **صلى الله عليه وسلم** في هجرته من مكة إلى المدينة، وقد كان مطارداً من المشركين قد أهدروا دمه وأغروا المجرمين منهم بالأموال الوفيرة، لياتوا برأسه حياً أو ميتاً، ومع هذا فلم ينس مهمته ورسالته، فقد لقي **صلى الله عليه وسلم** في طريقه رجلاً يقال له بريدة بن الحصيب الأسلمي ؓ في ركب من قومه فدعاهم إلى الإسلام فأمّنوا وأسلموا⁽³⁾.

² (?) انظر: الهجرة النبوية المباركة، ص 205.

³ (?) انظر: الهجرة النبوية لأبي فارس، ص 59. شرح المواهب (1/405).

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

وذكر ابن حجر العسقلاني رحمه الله: «أن النبي صلى الله عليه وسلم في طريق هجرته إلى المدينة لقي بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث الأسلمي، فدعاه إلى الإسلام، وقد غزا مع الرسول صلى الله عليه وسلم ست عشرة⁽¹⁾ غزوة، وأصبح بريدة بعد ذلك من الدعاة إلى الإسلام، وفتح الله لقومه -أسلم- على يديه أبواب الهداية، واندفعوا إلى الإسلام وفازوا بالوسام النبوي الذي تتعلم منه منهاجاً فريداً في فقه النفوس قال صلى الله عليه وسلم: «أسلم سالمها الله، وغفار غفر الله لها، أما وإنني لم أفلها، ولكن قالها الله عز وجل»⁽²⁾.

14- وفي طريق الهجرة أسلم لصّان على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم:

كان في طريقه صلى الله عليه وسلم بالقرب من المدينة لصّان من أسلم يقال لهما المهانان، فقصدتهما صلى الله عليه وسلم وعرض عليهما الإسلام فأسلما، ثم سألهما عن أسمائهما فقالا نحن المهانان، فقال: «بل أنتما المكرمان» وأمرهما أن يقدموا عليه المدينة⁽³⁾ وفي هذا الخبر يظهر اهتمامه صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى الله حيث اغتنم فرصة في طريقه ودعا اللصين إلى الإسلام فأسلما، وفي إسلام هذين اللصين مع ما ألفاه من حياة البطش والسلب والنهب، دليل على سرعة إقبال النفوس على اتباع الحق، إذا وجد من يمثله بصدق وإخلاص، وتجردت نفس السامع من الهوى المنحرف، وفي اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بتغيير اسمي هذين اللصين من المهانين، إلى المكرمين دليل على اهتمامه صلى الله عليه وسلم بسمعة المسلمين، ومراعاته مشاعرهم إكراماً لهم ورفعاً لمعنوياتهم.

وإن في رفع معنوية الإنسان تقوية لشخصيته ودفعاً له إلى الأمام ليبذل كل طاقته في سبيل الخير والفلاح⁽⁴⁾.

15- الزبير وطلحة رضي الله عنهما ولقاؤهما برسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق الهجرة:

ومما وقع في الطريق إلى المدينة أنه صلى الله عليه وسلم لقي الزبير بن العوام، في ركب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام، فكسى الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر ثياباً بيضاء، رواه البخاري⁽⁵⁾، وكذا روى أصحاب السير أن طلحة بن عبيد الله لقيهما أيضاً وهو عائد من الشام وكساهما بعض الثياب⁽⁶⁾.

1 (?) انظر: الإصابة، (1/146).
2 (?) صحيح الجامع الصغير (1/328) رقم 986. (4) الفتح الرباني للساعاتي (20/289).
4 (?) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (3/178). (2) انظر السيرة النبوية لأبي شهبة، (1/495).
6 (?) المصدر السابق، (1/495) صحيح السيرة النبوية، ص 181.
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

16- أهمية العقيدة والدين في إزالة العداوة والضغائن:

إن العقيدة الصحيحة السليمة والدين الإسلامي العظيم لهما أهمية كبرى في إزالة العداوات والضغائن، وفي التآليف بين القلوب والأرواح، وهو دور لا يمكن لغير العقيدة الصحيحة أن تقوم به، وهذا قد رأينا كيف جمعت العقيدة الإسلامية بين الأوس والخزرج، وأزالت آثار معارك استمرت عقوداً من الزمن، وأغلقت ملف ثارات كثيرة في مدة قصيرة، بمجرد التمسك بها والمبايعة عليها، وقد رأينا ما فعلته العقيدة في نفوس الأنصار، فاستقبلوا المهاجرين بصدور مفتوحة، وتأخوا معهم في مثالية نادرة، لا تزال ماثرة الدهشة ومضرب المثل، ولا توجد في الدنيا فكرة أو شعار آخر، فعل مثلاً فعلت عقيدة الإسلام الصافية في النفوس.

ومن هنا ندرك السر في سعي الأعداء الدائب إلى إضعاف هذه العقيدة، وتقليل تأثيرها في نفوس المسلمين، وأندفاعهم المستمر نحو تزكية النعرات العصبية والوطنية والقومية وغيرها، وتقديمها كبديل للعقيدة الصحيحة⁽¹⁾.

17- فرحة المهاجرين والأنصار بوصول النبي صلى الله عليه وسلم:

كانت فرحة المؤمنين من سكان يثرب من أنصار ومهاجرين بقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصوله إليهم سالماً، فرحة أخرجت النساء من بيوتهن والولائد، وحملت الرجال على ترك أعمالهم، وكان موقف يهود المدينة موقف المشارك لسكانها في الفرحة ظاهراً، والمتآلم من منافسة الزعامة الجديدة باطناً، أما فرحة المؤمنين بقاء رسولهم فلا عجب فيها، وهو الذي أنقذهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، وأما موقف اليهود فلا غرابة فيه، وهم الذين عرفوا بالملق والنفاق للمجتمع الذي فقدوا السيطرة عليه، وبالغيظ والحقد الأسود ممن يسلبهم زعامتهم على الشعوب، ويحول بينهم وبين سلب أموالها باسم القروض، وسفك دمائها باسم النصح والمشورة، وما زال اليهود يحقدون على كل من يخلص الشعوب من سيطرتهم، وينتهون من الحقد إلى الدس والمؤامرات ثم إلى الاغتيال إن استطاعوا، ذلك دينهم، وتلك جبلتهم⁽²⁾.

ويستفاد من استقبال المهاجرين والأنصار لرسول الله صلى الله عليه وسلم مشروعية استقبال الأمراء والعلماء عند مقدمهم بالحفاوة والإكرام، فقد حدث ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان هذا الإكرام وهذه الحفاوة نابعين من حب للرسول، بخلاف ما نراه من استقبال الزعماء والحكام في عالمنا المعاصر، ويستفاد كذلك

¹ (?) انظر: الهجرة النبوية المباركة، ص 405.

² (?) انظر: السيرة النبوية للسباعي، ص 43، الهجرة في القرآن الكريم، ص 367. هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

التنافس في الخير وإكرام ذوي العلم والشرف، فقد كانت كل قبيلة تحرص أن تستضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتعرض أن يكون رجاله حُرَّاسًا له، ويؤخذ من هذا إكرام العلماء والصالحين، واحترامهم وخدمتهم⁽¹⁾.

17- وضوح سنة التدرج:

حيث نلاحظ: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما تقابل مع طلائع الأنصار الأولى لم يفعل سوى ترغيبهم في الإسلام وتلاوة القرآن عليهم، فلما جاءوا في العام التالي بايعهم بيعة النساء على العبادات والأخلاق والفضائل، فلما جاءوا في العام التالي كانت بيعة العقبة الثانية على الجهاد والنصر والإيواء⁽²⁾.

وجدير بالملاحظة أن بيعة الحرب لم تتم إلا بعد عامين كاملين، أي بعد تأهيل وإعداد مستمر عامين كاملين، وهكذا تم الأمر على تدرج، ينسجم مع المنهج التربوي الذي نهجت عليه الدعوة من أول يوم⁽³⁾.

إنه المنهج الذي هدى الله نبيه إلى التزامه، ففي البيعة الأولى بايعه هؤلاء الأنصار الجدد على الإسلام عقيدة ومنهاجًا وتربية، وفي البيعة الثانية بايعه الأنصار على حماية الدعوة واحتضان المجتمع الإسلامي الذي نضجت ثماره واشتدت قواعده قوة وصلابة.

إن هاتين البيعتين أهران متكاملان ضمن المنهج التربوي للدعوة الإسلامية، وإن الأمر الأول هو المضمون، والأمر الثاني، وهو بيعة الحرب، هو السياق الذي يحمي ذلك المضمون، نعم كانت بيعة الحرب بعد عامين من إعلان القوم الإسلام وليس فور إعلانهم.

بعد عامين إذ تم إعدادهم، حتى غدوا موضع ثقة، وأهلًا لهذه البيعة، وبلاحظ أن بيعة الحرب لم يسبق أن تمت قبل اليوم مع أي مسلم، إنما حصلت عندما وجدت الدعوة في هؤلاء الأنصار وفي الأرض التي يقيمون فيها، المعقل الملائم الذي ينطلق منه المحاربون، لأن مكة لوضعها عندئذ لم تكن تصلح للحرب⁽⁴⁾.

وقد اقتضت رحمة الله بعباده «أن لا يحملهم واجب القتال، إلى أن توجد لهم دار إسلام، تكون لهم بمثابة معقل يأوون إليه، ويلوذون به، وقد كانت المدينة المنورة أول دار إسلام»⁽⁵⁾.

لقد كانت البيعة الأولى قائمة على الإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم، والبيعة الثانية على الهجرة والجهاد، وبهذه العناصر الثلاثة: الإيمان بالله، والهجرة، والجهاد، يتحقق وجود الإسلام في واقع جماعي ممكن، والهجرة لم تكن لتتم لولا وجود الفئة المستعدة

¹ (?) انظر: السيرة النبوية لأبي فارس، ص 358، 359. (3) انظر: الهجرة النبوية المباركة، ص 202.

² (?) انظر: بناء المجتمع الإسلامي في عصر النبوة، محمد توفيق، ص 119.

³ (?) انظر: بناء المجتمع الإسلامي في عصر النبوة، محمد توفيق، ص 122، 123.

⁴ (?) انظر: فقه السيرة للبوطي، ص 172.

⁵ هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

لِلْإِبْوَاءِ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهَاجَرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يَهَاجَرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) [الأنفال: 72] وَقَالَ تَعَالَى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [الأنفال: 75].

وقد كانت بيعة الحرب هي التمهيد الأخير، لهجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة، وبذلك وجد الإسلام موطنه الذي ينطلق منه دعاة الحق بالحكمة والموعظة، وتنطلق منه جحافل الحق المجاهدة أول مرة، وقامت الدولة الإسلامية المحكمة لشرع الله (1).

19- الهجرة تضحية عظيمة في سبيل الله:

كانت هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن البلد الأمين، تضحية عظيمة عبر عنها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت» (2).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قدمها وهي أوبا أرض الله من الحمى، وكان واديا يجري نجلا- يعني ماء أجنا- فأصاب أصحابه منها بلاء وسقم، وصرف الله ذلك عن نبيه، قالت: فكان أبو بكر، وعامر بن فهيرة وبلال في بيت واحد فأصابتهم الحمى، فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيادتهم فأذن، فدخلت إليهم أعودهم، وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب، وبهم ما لا يعلمه إلا الله من شدة الوباء (3) فدنوت من أبي بكر فقلت: يا أبت كيف تجدك؟ فقال:

كل امرئ مصبّح في أهله والموت أدنى من شراكم نعله

قالت: فقلت: والله ما يدري أبي ما يقول، ثم دنوت من عامر بن فهيرة فقلت: كيف تجدك يا عامر؟ فقال:

لقد وجدت الموت قبل إن الجبان حتفه من فوقه ذوقه

كل امرئ مجاهد بطوقه (5) كالثور يحمي جلده بروقه (4)

(?) انظر: الغريب الأولون، ص 198، 199.
(?) الترمذي، كتاب المناقب، باب فضل مكة (5/722) رقم 3925.
(1) الوباء: الحمى.
(2) بطوقه: بطاقته.
(3) برونه: بقرنه.
(4) كالثور يحمي جلده بروقه.
(5) كل امرئ مجاهد بطوقه.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

قالت: فقلت: واللّه ما يدري عامر ما يقول، قلت: وكان بلال إذا ألق عنه الحمى اضطجع بفناء البيت، ثم يرفع عقيرته⁽¹⁾ ويقول: ألا ليت شعري هل أبيتن بواد وحولي إذخر⁽²⁾ وجليل للة وهل أَرَدَنَ يوماً مياه مجنة وطفيل⁽³⁾

قالت: فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال: «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، وانقل حماها إلى الجحفة، اللهم بارك لنا في مدنا وصاعها»⁽⁴⁾.

وقد استجاب الله دعاء نبيه صلى الله عليه وسلم وعوفي المسلمون بعدها من هذه الحمى، وغدت المدينة موطنًا ممتازاً لكل الوافدين والمهاجرين إليها من المسلمين على تنوع بيئاتهم ومواطنهم⁽⁵⁾.

20- مكافأة النبي صلى الله عليه وسلم لأُم معبد:

وقد روي أنها كثرت غنمها، ونمت حتى جلبت منها جلياً إلى المدينة، فمر أبو بكر، فراه ابنها فعرفه، فقال: يا أمه هذا الرجل الذي كان معك؟ قال: أو ما تدريين من هو؟ قالت: لا، قال: هو نبي الله، فأدخلها عليه، فاطعمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاهَا. وفي رواية: فانطلقت معي وأهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً من أقط ومتاع الأعراب، فكساها وأعطاهَا، قال: ولا أعلمه إلا قال: وأسلمت، وذكر صاحب (الوفاء) أنها هاجرت هي وزوجها وأسلم أخوها خنيس واستشهد يوم الفتح⁽⁶⁾.

21- أبو أيوب الأنصاري ؓ ومواقف خالدة:

قال أبو أيوب الأنصاري ؓ: «ولما نزل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي نزل في السفلى وأنا وأم أيوب في العُلُو، فقلت له: يا نبي الله، بأبي أنت وأمي، إني لأكره وأعظم أن أكون فوقك، وتكون تحتي، فاطهر أنت فكن في العُلُو، ونزل نحن فنكون في السفلى، فقال: «يا أبا أيوب: إن أرفق بنا وبمن يغشانا أن نكون في سُفْل البيت» قال: فلقد انكسر حُب لنا فيه ماء، فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا مالنا لحاف غيرها ننشف بها الماء خوفاً أن يقطر على رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شيء يؤذيه»⁽⁷⁾.

1 (?) عقيرته: صوته، قال الأصمعي، إن رجلاً عقرت رجله فرفعها على الأخرى وجعل يصيح فصار كل من رفع صوته يقال له: رفع عقيرته وإن لم يرفع رجله.

2 (?) الأذخر: نبات طيب الرائحة.

3 (?) شامة وطفيل: جبلان مشرفان على مكة على بريد مكة.

4 (?) البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء برفع الوباء والوجع، رقم 6372.

5 (?) انظر: التربية القيادية (2/310).

6 (?) انظر: السيرة النبوية لأبي شعبة (490، 1/489).

7 (?) انظر: السيرة النبوية الصحيحة للعمرى (1/220).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

22- هجرة علي ؑ وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر في المجتمع الجديد:

بعد أن أدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمانات التي كانت عنده للناس، لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وأدركه بقاء بعد وصوله بليلتين أو ثلاث، فكانت إقامته بقاء ليلتين، ثم خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة يوم الجمعة⁽¹⁾ وقد لاحظ سيدنا علي مدة إقامته بقاء امرأة مسلمة لا زوج لها، ورأى إنساناً يأتيها من جوف الليل، فيضرب عليها بابها، فتخرج إليها فيعطيه شيئاً معه، فتأخذه، قال: فاستربت بشأنه، فقلت: يا أمة الله، من هذا الذي يضرب عليك بابك كل ليلة فتخرجين إليه، فيعطيك شيئاً لا أدري ما هو؟ وأنت امرأة مسلمة لا زوج لك؟ قالت: هذا سهل بن حنيف بن وهب، وقد عرف أنني امرأة لا أحد لي، فإذا أمسى عدا على أوثان قومهم فكسرها، ثم جاءني بها، فقال: احتطبي بهذا، فكان علي ؑ يآثر ذلك من شأن سهل بن حنيف حين هلك عنده بالعراق⁽²⁾.

23- الهجرة النبوية نقطة تحول في تاريخ الحياة:

كانت الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة المنورة، أعظم حدث حول مجرى التاريخ، وغير مسيرة الحياة ومناهجها التي كانت تحياها، وتعيش محكومة بها في صورة قوانين ونظم وأعراف، وعادات وأخلاق وسلوك للأفراد والجماعات، وعقائد وتعبادات وعلم ومعرفة، وجهالة وسفه وضلال وهدي، وعدل وظلم⁽³⁾.

24- الهجرة من سنن الرسل الكرام:

إن الهجرة في سبيل الله سنة قديمة، ولم تكن هجرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بدعا في حياة الرسل لنصرة عقائدهم، فلئن كان قد هاجر من وطنه ومسقط رأسه من أجل الدعوة حفاظاً عليها وإيجاد بيئة خصبية تتقبلها وتستجيب لها، وتذود عنها، فقد هاجر عدد من إخوانه من الأنبياء قبله من أوطانهم لنفس الأسباب التي دعت نبينا للهجرة.

وذلك أن بقاء الدعوة في أرض قاحلة لا يخدمها بل يعوق مسارها ويشل حركتها، وقد يعرضها للانكماش داخل أضيق الدوائر، وقد قص علينا القرآن الكريم نماذج من هجرات الرسل وأتباعهم من الأمم الماضية لتبدو لنا في وضوح سنة من سنن الله في شأن الدعوات، يأخذ بها كل مؤمن من بعدهم إذا حيل بينه وبين إيمانه وعزته، واستخف بكيانه ووجوده واعتدى على مروءته وكرامته⁽⁴⁾.

هذه بعض الفوائد والعبر والدروس، وأترك للقارئ الكريم أن

1 (?) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (1/497).

2 (?) انظر: محمد رسول الله، محمد الصادق عرجون (2/421).

3 (?) انظر: محمد رسول الله، (2/423).

4 (?) انظر: الهجرة في القرآن الكريم، ص 175.

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

يستخرج غيرها ويستنبط سواها من الدروس والعبر والفوائد الكثيرة
النافعة من هذا الحدث العظيم.

* * *

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

المبحث الثاني

الثناء على المهاجرين بأوصاف حميدة والوعد لمن هاجر منهم والوعيد لمن تخلف

تعتبر الهجرة النبوية المباركة من مكة إلى المدينة أهم حدث في تاريخ الدعوة الإسلامية، إذ كانت نقطة تحول في تاريخ المسلمين، كان المسلمون قبل الهجرة أمة دعوة، يبلغون دعوة الله للناس، دون أن يكون لهم كيان سياسي، يحمي الدعوة أو يدفع عنهم الأذى من أعدائهم.

وبعد الهجرة تكونت دولة الدعوة، هذه الدولة التي أخذت على عاتقها نشر الإسلام في داخل الجزيرة العربية وخارجها، ترسل الدعوة إلى الأمصار وتتكفل بالدفاع عنهم وحمايتهم من أي اعتداء قد يقع عليهم ولو أدى ذلك إلى قيام حرب أو حروب⁽¹⁾.

وبجانب هذا، فإن الهجرة النبوية لها مكانتها في فهم القرآن وعلومه حيث فرق العلماء بين المكي والمدني، فالمكي: ما نزل قبل الهجرة وإن كان بغير مكة، والمدني: ما نزل بعد الهجرة وإن كان بغير المدينة وترتب على ذلك فوائد من أهمها:

1- تذوق أساليب القرآن الكريم والاستفادة منها في أسلوب الدعوة إلى الله.

2- الوقوف على السيرة النبوية من خلال الآيات القرآنية⁽²⁾: ولأهمية الهجرة النبوية يرى أن القرآن الكريم حث المؤمنين على الهجرة في سبيل الله بأساليب متنوعة، مرة بالثناء على المهاجرين، بأوصاف حميدة، وأخرى بالوعد للمهاجرين، وتارة بالوعيد للمتخلفين عن الهجرة⁽³⁾.

أولاً: الثناء على المهاجرين بأوصاف حميدة:

فمن أهم الصفات المميزة للمهاجرين⁽⁴⁾.

1- الإخلاص:

قال تعالى (**لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصَرُّونَ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**) [الحشر: 8] قوله تعالى (**يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا**) يدل على أنهم لم يخرجوا من ديارهم وأموالهم إلا أن يكونوا مخلصين لله، مبتغيين

1 (?) انظر: الهجرة النبوية، الدكتور محمد أبو فارس، ص 13.

2 (?) انظر: مباحث في علوم القرآن للقطان، ص 59.

3 (?) انظر: الهجرة في القرآن الكريم، ص 84.

4 (?) نفس المصدر، ص 85، هذا المبحث أخذه من هذا الكتاب مع التصرف اليسير.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مرضاته ورضوانه⁽¹⁾.

2- الصبر:

قال تعالى: (**وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا طَلَمُوا لِنُبُوَّتِهِمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا خَيْرَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ([النحل: 41,42]

3- الصدق:

قال تعالى: (**لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**) [الحشر: 8].
قال البغوي في تفسيره: قوله: (**أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**) أي في إيمانهم⁽²⁾.

4- الجهاد والتضحية:

قال تعالى (**الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ**) [التوبة: 20].

ولعل الملاحظة الجديرة بالتأمل في هذا المجال، أن التضحية ملازمة للجهاد في سبيل الله، إذ لا جهاد دون تضحية⁽³⁾.

5- نصرهم لله ورسوله:

قال تعالى عن المهاجرين: (**وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**) [الحشر: 8].

6- التوكل على الله عز وجل:

قال تعالى عن المهاجرين: (**الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**) [النحل: 41-42]

7- الرجاء:

قال تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**) [البقرة: 218].

وإنما قال (**يَرْجُونَ**) وقد مدحهم؛ لأنه لا يعلم أحد في هذه الدنيا أنه صائر إلى الجنة ولو بلغ في طاعة الله كل مبلغ لأمرين، أحدهما: لا يدري بما يختم له والثاني: لئلا يتكل على عمله، فهؤلاء قد غفر الله لهم، ومع ذلك يرجون رحمة الله وذلك زيادة إيمان منهم⁽⁴⁾.

¹ (؟) الهجرة في القرآن الكريم، ص 86. (2) انظر: تفسير البغوي (4/318).

(3) الهجرة في القرآن الكريم، 106.

⁴ (؟) الجامع لأحكام القرآن (3/50)، تفسير أبي السعود، (1/218).
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

8- اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في العسرة:
 قَالَ تَعَالَى (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ
 وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ
 يَزِيغُ قُلُوبُ قَرِيبٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ
 رَحِيمٌ) [التوبة: 117].

وقد نزلت هذه الآية في غزوة تبوك
 قال قتادة: خرجوا إلى الشام عام تبوك، في لحيان الحر، على ما
 يعلم الله من الجهد، أصابهم فيها جهد شديد، حتى لقد ذكر لنا أن
 الرجلين كانا يشقان التمرة بينهما، وكان النفر يتداولون التمرة بينهم،
 يمصها هذا ثم يشرب عليها، ثم يمصها هذا ثم يشرب عليها، فتأب الله
 عليهم وأقفلهم⁽¹⁾ من غزوتهم⁽²⁾.

9- حق السبق في الإيمان والعمل يورث حيازة القدوة
 والسيادة:

قَالَ تَعَالَى: (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ
 وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا
 عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
 ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)
 [التوبة: 100].

قال الرازي: والسبق موجب للفضيلة، فأقدامهم على هذه الأفعال
 يوجب اقتداء غيرهم بهم، وثبت بهذا أن المهاجرين هم رؤساء
 المسلمين وسادتهم⁽³⁾.

10- الفوز:

قَالَ تَعَالَى (الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ
 اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ
 الْفَائِزُونَ) [التوبة: 20]. قال أبو السعود في تفسيره: قوله تعالى:
 (هُمُ الْفَائِزُونَ) : أي المختصون بالفوز العظيم أو بالفوز المطلق،
 كأن فوز من عداهم ليس بفوز بالنسبة إلى فوزهم⁽⁴⁾.

11- الإيمان:

قَالَ تَعَالَى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ
 اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ
 مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) [الأنفال: 74].

ثانياً: الوعد للمهاجرين:

ذكر الله تعالى بعض النعم التي وعدها الله عز وجل للمهاجرين

1 (?) أقفلهم: بمعنى أرجعهم سالمين. (2) تفسير ابن كثير (2/397).

3 (?) انظر: تفسير الرازي (15/208). (4) تفسير أبي السعود (4/53).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

في الدنيا والآخرة ومن هذه النعم:

1- سعة رزق الله لهم في الدنيا:
قال تعالى: (وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) [النساء: 100].

ومن سعة رزق الله لهم في الدنيا تخصيصهم بمال إلفي والغنائم، فالمال لهؤلاء؛ لأنهم أخرجوا من ديارهم فهم أحق الناس به⁽¹⁾.

2- تكفير سيئاتهم ومغفرة ذنوبهم:
قال تعالى: (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ) [آل عمران: 195].

وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة في بيان أن الهجرة من أعظم الوسائل المكفرة للسيئات، وأنها سبب لمغفرة ذنوب أهلها.

3- ارتفاع منزلتهم وعظمة درجتهم عند ربهم:
قال تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْثَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ) [التوبة: 20].

فالذين نالوا فضل الهجرة والجهاد بنوعيه، النفسي والمالي أعلى مرتبة وأعظم كرامة ممن لم يتصف بهما كائناً من كان، ويدخل في ذلك أهل السقاية والعمارة⁽²⁾.

4- تبشيرهم بالجنة والخلود فيها:
قال تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْثَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ) يَبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ

¹ (?) انظر تفسير ابن كثير (4/295) وتفسير أبي السعود (8/228) وتفسير فتح القدير (5/200)، والهجرة في القرآن الكريم، ص 132.

² (?) تفسير المراغي (10/78)، تفسير الرازي (16/13، 14).
هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

عَظِيمٌ ([التوبة: 20-22].

هذا بعض ما وعد الله به المهاجرين من الجزاء والثواب بسبب جهادهم المرير.

إن المهاجرين بإيمانهم الراسخ وبقينهم الخالص لم يمكنوا الجاهلية في مكة من واد الدعوة، وهي في مستهل حياتها، لقد استمسكوا بما أوحى إلى نبيهم ولم تزدهم حماقة قريش إلا اعتصاما بما إهتدوا إليه وأمنوا به، فلما أسرفت الجاهلية في ذلك صاروا أهلا لما أسبغه الله عليهم من فضل في الدنيا، وما أعدّه لهم يوم القيامة من ثواب عظيم⁽¹⁾.

ثالثاً: الوعيد للمتخلفين عن الهجرة:

من العقوبات التي توعد الله عز وجل بها للمتخلفين عن الهجرة بسوء المصير، قال تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا)** [النساء: 97].

عن ابن عباس ؓ قال: «كان قوم من أهل مكة أسلموا وكانوا يستخفون بالإسلام فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم، فأصيب بعضهم، فقال المسلمون: **(إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ)** الآية: قال: فكتب إلى من بقي بمكة من المسلمين بهذه الآية، لا عذر لهم، قال: فخرجوا فليحرقهم المشركون فأعطوهم الفتنة، فنزلت فيهم: **(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنَّ جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ)** [العنكبوت: 10].

فكتب المسلمون إليهم بذلك، فخرجوا وأيسوا من كل خير ثم نزلت فيهم: **(ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ)** [النحل: 110]⁽²⁾.

لقد وصف الله - سبحانه - المتخلفين عن الهجرة بأنهم ظالمو أنفسهم، والمراد بالظلم في هذه الآية، أن الذين أسلموا في دار الكفر ويقوا هناك، ولم يهاجروا إلى المدينة، ظلموا أنفسهم بتركهم الهجرة⁽³⁾.

وفي هذه الآية الكريمة وعيد للمتخلفين عن الهجرة بهذا المصير السيئ، وبالتالي التزم الصحابة بأمر الله، وانضموا إلى المجتمع

1 (?) انظر: هجرة الرسول وصحابه في القرآن والسنة للجمال، ص 332، 333.

2 (?) زاد المسير لابن الجوزي (2/97) تفسير القاسمي (3/399).

3 (?) انظر: الهجرة في القرآن الكريم ص 161.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

الإسلامي في المدينة تنفيذاً لأمر الله وخوفاً من عقابه، وكان لهذا الوعيد أثره في نفوس الصحابة رضي الله عنهم، فهذا ضميرة بن جندب لما بلغه قوله تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ**) وهو بمكة قال لبيته: أجملوني فإني لست من المستضعفين، وأني لأهتدي الطريق، وأني لا أبيت الليلة بمكة، فحملوه على سرير متوجهاً إلى المدينة وكان شيخاً كبيراً، فمات بالتنعيم، ولما أدركه الموت أخذ يصفق بيمينه على شماله، ويقول: اللهم هذه لك وهذه لرسولك **صلى الله عليه وسلم**، أباعك على ما باع عليه رسولك، ولما بلغ خبر موته الصحابة رضي الله عنهم قالوا: لبيته مات بالمدينة فنزل⁽¹⁾ قوله تعالى: (**إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۚ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا**) [النساء: 98-99].

وهذا الموقف يرينا ما كان عليه جيل الصحابة من سرعة في امتثال الأمر، وتنفيذه في النشاط والشدة، كائنة ما كانت ظروفهم، فلا يلتمسون لأنفسهم المعاذير، ولا يطلبون الرخص⁽²⁾.
فهذا الصحابي تفيد بعض الروايات أنه كان مريضاً⁽³⁾ إلا أنه رأى أنه ما دام له مال يستعين به، ويحمل به إلى المدينة فقد انتفى عذره، وهذا فقه أملاه الإيمان، وزكاه الإخلاص واليقين⁽⁴⁾.

وبعد أن ذكر الله عز وجل وعيده للمتخلفين عن الهجرة بسوء مصيرهم، استثنى في ذلك من لا حيلة لهم في البقاء في دار الكفر، والتعرض للفتنة في الدين، والحرمان من الحياة في دار الإسلام من الشيوخ والضعاف والنساء والأطفال، فيعلقهم بالرجاء في عفو الله ومغفرته، ورحمته بسبب عذرهم البين وعجزهم عن الفرار⁽⁵⁾ قال تعالى: (**إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۚ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا**) [النساء: 98-99].

* * *

1 (?) روح المعاني (5/128، 129) للألوسي، أسباب النزول للواحدي، ص181.

2 (?) (3، 4) انظر: الهجرة النبوية المباركة، ص124-126.

5 (?) انظر: الهجرة في القرآن الكريم، ص167.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

الفصل السابع دعائم دولة الإسلام في المدينة

شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ دخوله المدينة يسعى لتثبيت دعائم الدولة الجديدة على قواعد متينة، وأسس راسخة، فكانت أولى خطواته المباركة الاهتمام ببناء دعائم الأمة كبناء المسجد الأعظم بالمدينة، والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار على الحب في الله، وإصدار الوثيقة أو الدستور الإسلامي في المدينة الذي ينظم العلاقات بين المسلمين واليهود ومشركي المدينة، وإعداد جيش لحماية الدولة، والسعي لتحقيق أهدافها، والعمل على حل مشاكل المجتمع الجديد، وتربيته على المنهج الرباني في كافة شئون الحياة فقد استمر البناء التربوي والتعليمي، واستمر القرآن الكريم يتحدث في المدينة عن عظمة الله وحقيقة الكون والترغيب في الجنة والترهيب من النار ويشرع الأحكام لتربية الأمة، ودعم مقومات الدولة التي ستحمل نشر دعوة الله بين الناس قاطبة، وتجاهد في سبيل الله.

وكانت مسيرة الأمة العلمية والتربوية تتطور مع تطور مراحل الدعوة وبناء المجتمع وتأسيس الدولة.

وعالج رسول الله صلى الله عليه وسلم الأزمة الاقتصادية بالمدينة من خلال المنهج الرباني. واستمر البناء التربوي بفرض الصيام، وفرضت الزكاة وأخذ المجتمع يزدهر والدولة تتقوى على أسس ثابتة وقوية.

* * *

المبحث الأول الدعاة الأولى بناء المسجد الأعظم بالمدينة

كان أول ما قام به الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة بناء المسجد، وذلك لتظهر فيه شعائر الإسلام التي طالما حورت، ولتقام فيه الصلوات التي تربط المرء برب العالمين وتنقي القلب من أدران الأرض، وأدناس الحياة الدنيا⁽¹⁾.

روى البخاري بسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المدينة راكباً راحلته، فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين، وكان مريداً⁽²⁾ للتمر لسهل وسهيل غلامين يتيمن في حجر أسعد بن زرارة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت به راحلته: «هذا إن شاء الله المنزل» ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلامين فسبأهمهما بالمريد ليتخذ مسجداً فقالا: لا، بل نهيه لك يا رسول الله، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما⁽³⁾.

وفي رواية أنس بن مالك: فكان فيه ما أقول: كان فيه نخل وقبور المشركين، وخرب، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالنخل فقطع، وبقبور المشركين فنبشت، وبالخرب فسويت، قال: فصفا النخل قبله، وجعلوا عضادتيه حجارة، قال: فكانوا يرتجزون، ورسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون:

اللهم إنه لا خير إلا خير
فاغفر للأنصار والمهاجرة⁽⁴⁾

شرع الرسول صلى الله عليه وسلم في العمل مع أصحابه، وضرب أول معول في حفر الأساس الذي كان عمقه ثلاث أذرع، ثم اندفع المسلمون في بناء هذا الأساس بالحجارة، والجدران، التي لم تزد عن قامة الرجل إلا قليلاً، باللبن الذي يعجن بالتراب ويسوى على شكل أحجار صالحة للبناء⁽⁵⁾ وفي الناحية الشمالية منه أقيمت ظلة من الجريد على قوائم من جذوع النخل، كانت تسمى «الصفة» أما باقي أجزاء المسجد فقد تركت مكشوفة بلا غطاء⁽⁶⁾.

(1) انظر: فقه السيرة للغزالي، ص191، وفقه السيرة للبوطي، ص151.

(2) مريد، الموضع الذي يحفف فيه التمر، القاموس المحيط (1/304).

(3) البخاري، كتاب بدء الخلق، باب هجرة النبي وأصحابه (5/78).

(4) مسلم، كتاب المساجد، باب ابتداء مسجد النبي، رقم 524.

(5) انظر: البداية والنهاية (3/33) انظر: التاريخ السياسي والعسكري، على معطي، ص156.

(6) انظر: البداية والنهاية (3/303) محمد رسول الله لمحمد رضا، ص143.

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

أما أبواب المسجد فكانت ثلاثة: باب في مؤخرته من الجهة الجنوبية، وباب في الجهة الشرقية كان يدخل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم بإزاء باب بيت عائشة، وباب من الجهة الغربية يقال له باب الرحمة أو باب عاتكة⁽¹⁾.

أولاً: بيوتات النبي صلى الله عليه وسلم التابعة للمسجد:

وبني لرسول الله صلى الله عليه وسلم حُجْر حول مسجده الشريف، لتكون مساكن له ولأهله، ولم تكن الحجر كيوت الملوك والأكاسرة والقيصرة، بل كانت بيوت من ترفع عن الدنيا وزخارفها، وابتغى الدار الآخرة، فقد كانت كمسجده مبنية من اللبن والطين وبعض الحجارة، وكانت سقوفها من جذوع النخل والجريد، وكانت صغيرة الفناء قصيرة البناء ينالها الغلام الفارع بيده، قال الحسن البصري- وكان غلاماً مع أمه خيرة مولاة أم سلمة-: «قد كنت أنال أول سقف في حجر النبي صلى الله عليه وسلم بيدي»⁽²⁾، وهكذا كانت بيوت النبي صلى الله عليه وسلم في غاية البساطة، بينما كانت المدينة تشتهر بالحصون العالية التي كان يتخذها عليه القوم تهاياً بها في السلم واتقاءً بها في الحرب، وكانوا من تفاخرهم بها يضعون لها أسماء كما كان حصن عبد الله بن أبي سلول أسمه مزاحماً، وكما كان حصن حسان بن ثابت ؓ اسمه فارغاً.

ولكن النبي صلى الله عليه وسلم بنى بيوته بذلك الشكل المتواضع، وكان باستطاعته أن يبني لنفسه قصوراً شاهقة، ولو أنه أشار إلى رغبته بذلك- مجرد إشارة- لسارع الأنصار في بنائها له، كما كان بإمكانه أن يشيدها من أموال الدولة العامة كالفيء ونحوه، ولكنه صلى الله عليه وسلم لم يفعل ذلك ليضرب لأمته مثلاً رفيعاً وقدوة عالية في التواضع والزهدي في الدنيا، وجمع الهمة والعزيمة للعمل لما بعد الموت⁽³⁾.

ثانياً: الأذان في المدينة:

تشاور رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه لإيجاد عمل ينبه النائمين ويذكر الساهي، ويعلم الناس بدخول الوقت لأداء الصلاة، فقال بعضهم: ترفع راية إذا حان وقت الصلاة ليراها الناس، فاعترضوا على هذا الرأي؛ لأنها لا تفيد النائمين، ولا الغافل، وقال آخرون نشعل ناراً على مرتفع من الهضاب، فلم يقبل هذا الرأي أيضاً. وأشار آخرون بوق، وهو ما كانت اليهود تستعمله لصلواتهم، فكرهه الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لأنه يجب مخالفة أهل الكتاب في أعمالهم، وأشار بعض الصحابة باستعمال الناقوس، وهو ما يستعمله النصارى، فكرهه الرسول صلى الله عليه وسلم أيضاً، وأشار فريق بالنداء فيقوم بعض

1 (?) انظر: التاريخ السياسي والعسكري لدولة المدينة، علي معطي، ص 157.

2 (?) انظر: السيرة النبوية لأبي شعبة، (2/36).

3 (?) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي، (4/13).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

الناس إذا حانت الصلاة وينادي بها فقيل هذا الرأي. وكان أحد المنادين عبد الله بن زيد الأنصاري، فبينما هو بين النائم واليقظان، إذ عرض له شخص، وقال: ألا أعلمك كلمات تقولها عند النداء بالصلاة؟ قال بلى: فقال له: قل: الله أكبر، مرتين، وتشهد مرتين، ثم قل: حي علي الصلاة مرتين، ثم قل: حي على الفلاح مرتين، ثم كبر مرتين: ثم قل: لا إله إلا الله. فلما استيقظ توجه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وأخبره خير رؤياه فقال: «إنها لرؤيا حق» ثم قال له: «لكن بلالاً فإنه أندى صوتاً منك»، وبينما بلال يؤذن للصلاة بهذا الأذان جاء عمر بن الخطاب يجرد رداءه فقال: والله لقد رأيت مثله يا رسول الله. وكان بلال بن رباح أحد مؤذنيه بالمدينة، والآخر عبد الله بن أم مكتوم، وكان بلال يقول في أذان الصبح بعد حي على الفلاح: الصلاة خير من النوم مرتين وأقره الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك⁽¹⁾، وكان يؤذن في البداية من مكان مرتفع ثم استحدث المنارة (المئذنة).

ثالثاً: أول خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة:

كانت أول خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة أنه قام فيهم، فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال:

«أما بعد: أيها الناس فقدموا لأنفسكم، تعلمن والله ليصعقن أحدكم، ثم ليدعن غنمه ليس لها راع، ثم ليقولن له ربه، وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دون: ألم يأتك رسولي فيلغك وأتيتك مالا، وأفضلت عليك، فما قدمت لنفسك؟ فلينظرن يمينا وشمالاً فلا يرى شيئاً، ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جنهم، فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ومن لم يجد فبكلمة طيبة، فإنها بها تجزى الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والسلام عليكم وعلى رسول الله ورحمة الله وبركاته».

ثم خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة أخرى فقال:

«إن الحمد لله أحمداه وأستعينه، نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إن أحسن الحديث كتاب الله تبارك وتعالى، قد أفلح من زينته الله في قلبه، وأدخله في الإسلام بعد الكفر واختاره على ما سواه من أحاديث الناس، إنه أحسن الحديث وأبلغه أحبوا من أحبه الله، أحبوا الله من كل قلوبكم، ولا تملوا كلام الله وذكره، ولا تقس عنه قلوبكم، فإنه من كل ما يخلق الله؛ يختار ويصطفي قد سماه الله خيرته من الأعمال، ومصطفاه من

¹ (?) انظر: نور اليقين للخضري، تحقيق أحمد عبد اللطيف، ص 95، تاريخ خلفية بن خياط، ص 56، نقلاً عن تاريخ دولة الإسلام الأولى، د. فايد حماد عاشور، سليمان أبو عزم، ص 108.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

العباد، والصالح من الحديث، ومن كل ما أوتي الناس من الحلال والحرام، فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً واتقوه حق تقاته، واصدقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم، وتحابوا بروح الله، إن الله يغضب إن نكث عهده والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»⁽¹⁾.

رابعاً: الصُّفَّةُ التابعة للمسجد النبوي:

لما تم تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة بأمر الله تعالى، وذلك بعد ستة عشر شهراً من هجرته صلى الله عليه وسلم إلى المدينة⁽²⁾ بقي حائط القبلة الأولى في مؤخر المسجد النبوي، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم به فظلل أو سقف وأطلق عليه اسم الصفة أو الظلة⁽³⁾ ولم يكن له ما يسترجع جوانبه⁽⁴⁾.

قال القاضي عياض: الصفة ظلة في مؤخر مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ياوي إليها المساكين وإليها ينسب أهل الصفة⁽⁵⁾.

وقال ابن تيمية: الصفة كانت في مؤخرة مسجد النبي صلى الله عليه وسلم في شمالي المسجد بالمدينة المنورة⁽⁶⁾.

وقال ابن حجر: الصفة مكان في مؤخر المسجد النبوي مظلّل أعد لنزول الغرباء فيه ممن لا مأوى له ولا أهل⁽⁷⁾.

1- أهل الصفة:

قال أبو هريرة: «وأهل الصفة أضياف الإسلام، لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد»⁽⁸⁾.

إن المهاجرين الأوائل الذين هاجروا قبل النبي صلى الله عليه وسلم أو معه أو بعده حتى نهاية الفترة الأولى قبل غزوة بدر، استطاع الأنصار أن يستضيفوهم في بيوتهم وأن يشاركوهم النفقة ولكن فيما بعد كبر حجم المهاجرين مما لم يعد هناك قدرة للأنصار على استيعابهم⁽⁹⁾.

فقد صار المهاجرون يكثررون بعد ذلك شيئاً بعد شيء، فإن الإسلام صار ينتشر والناس يدخلون فيه.. ويكثر المهاجرون إلى المدينة من

1 (?) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (2/166، 167) سنن البيهقي (2/524)، (525).

2 (?) انظر: السيرة النبوية الصحيحة للعمري (1/257).

3 (?) انظر: وفاء الوفاء للسهمودي (1/321) (4) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (1/258).

4 (?) انظر: نظام الحكومة النبوية المسمى: التراتيب الإدارية، لعبد الحي الكتاني (1/474).

5 (?) الفتاوى (11/38). (7) انظر: فتح الباري (6/595)، (1/535).

6 (?) البخاري رقم 6452.

7 (?) انظر: السيرة النبوية تربية أمة وبناء دولة للشامي، ص 175.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

الفقراء والأغنياء، والآهلين والعُرَّاب، فكان من لم يتيسر له مكان يأوي إليه، يأوي إلى تلك الصِّفة في المسجد⁽¹⁾.

والذي يظهر للباحث أن المهاجر الذي يقدم إلى المدينة كان يلتقي بالرسول صلى الله عليه وسلم، ثم يوجهه بعد ذلك إلى من يكفله فإن لم يجد فإنه يستقر في الصفة مؤقتاً ريثما يجد السبيل⁽²⁾ فقد جاء في المسند عن عبادة بن الصامت، قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُشغل، فإذا قدم رجل مهاجر على رسول الله صلى الله عليه وسلم دفعه إلى رجل منا يعلمه القرآن، فدفع إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً، وكان معي في البيت أعشيه عشاء أهل البيت، فكننت أقرئه القرآن»⁽³⁾، وقد كان أول من نزل الصفة المهاجرون⁽⁴⁾ لذلك نسبت إليهم ف قيل صفة المهاجرين⁽⁵⁾ وكذلك كان ينزل بها الغرباء من الوفود التي كانت تقدم على النبي صلى الله عليه وسلم معلنة إسلامها وطاعتها⁽⁶⁾ وكان الرجل إذا قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وكان له عريف نزل عليه وإذا لم يكن له عريف نزل مع أصحاب الصفة⁽⁷⁾ وكان أبو هريرة عريف من سكن الصفة من القاطنين، ومن نزلها من الطارقين، فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد دعوتهم عهد إلى أبي هريرة فدعاهم لمعرفته بهم، وبمنزلهم ومراتبهم في العبادة والمجاهدة⁽⁸⁾ ونزل بعض الأنصار في الصفة حباً لحياة الزهد والمجاهدة والفقر، رغم استغنائهم عن ذلك ووجود دار لهم في المدينة ككعب بن مالك الأنصاري، وحنظلة بن أبي عامر الأنصاري (غسيل الملائكة) وحارثة بن النعمان الأنصاري وغيرهم⁽⁹⁾.

2- نفقة أهل الصفة ورعاية النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة لهم:

كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعهد أهل الصفة بنفسه، فيزورهم ويتفقد أحوالهم ويعود مرضاهم، كما كان يكثر مجالستهم ويرشدهم وبواسيهم ويذكرهم ويعلمهم ويوجههم إلى قراءة القرآن الكريم ومدارسه، وذكر الله والتطلع إلى الآخرة⁽¹⁰⁾. وكان صلى الله عليه وسلم يؤمن نفقتهم بوسائل متعددة ومتنوعة فمنها:

* إذ أتته صلى الله عليه وسلم صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئاً، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها، وأشركهم فيها.

1 (?) الفتاوى (11/40،41). (2) انظر: السيرة النبوية تربية أمة وبناء دولة، ص175.

2 (4) انظر: وفاء الوفاء السمهودي، (3) المسند (5/324). (1/323).

4 (?) سنن أبي داود (2/361). (6) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (5) (1/258).

7 (?)، 8، 9 نفس المصدر (1/259). (10) المصدر السابق (1/266).

هدية الشبكة الليبية والكاظم بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

* كثيراً ما كان يدعوهم إلى تناول الطعام في إحدى حجرات أمهات المؤمنين رضي الله عنهم، ولم يكن يغفل عنهم مطلقاً، بل كانت حالتهم ماثلة أمامه، فعن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما، قال إن أصحاب الصفة كانوا أناساً فقراء، وإن النبي صلى الله عليه وسلم قال مرة: «من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس أو سادس» أو كما قال، وإن أبا بكر جاء بثلاثة، وانطلق النبي صلى الله عليه وسلم بعشرة⁽¹⁾.

* وكما كان صلى الله عليه وسلم يقدم حاجتهم على غيرها مما يطلب منه، فقد أتى بسبي مرة فأتته فاطمة رضي الله عنها تساله خادماً، فكان جوابه كما في المسند عند الإمام أحمد: «والله لا أعطيكم وأدع أهل الصفة تطوي بطونهم من الجوع لا أجد ما أنفق عليهم، ولكن أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم»⁽²⁾.

3- انقطاعهم للعلم والعبادة والجهاد:

كان أهل الصفة يعتكفون في المسجد للعبادة، وبألفون الفقير والزهد فكانوا في خلواتهم يصلون ويقرأون القرآن ويتدارسون آياته ويذكرون الله تعالى، ويتعلم بعضهم الكتابة حتى أهدى أحدهم قوسه لعبادة بن الصامت؛ لأنه كان يعلمهم القرآن والكتابة⁽³⁾، واشتهر بعضهم بالعلم وحفظ الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل أبي هريرة ع عرف بكثرة حديثه، وحذيفة بن اليمان الذي اهتم بأحاديث الفتن.

وكان أهل الصفة يشاركون في الجهاد، بل كان منهم الشهداء بيدر مثل صفوان بن بيضاء، وخريم بن فاتك الأسدي، وخبيب بن يساف، وسالم بن عمير، وحارثة بن النعمان الأنصاري⁽⁴⁾، ومنهم من استشهد بأحد مثل حنظلة الغسيل⁽⁵⁾، ومنهم من شهد الحديبية مثل جرهد بن خويلد وأبو سريحة الغفاري⁽⁶⁾، ومنهم من استشهد بخيبر مثل تقف بن عمرو⁽⁷⁾ ومنهم من استشهد بتبوك مثل عبد الله ذو البجادين⁽⁸⁾. ومنهم من استشهد باليمامة مثل سالم مولي أبي حذيفة وزيد بن الخطاب، فكانوا رهباناً بالليل فرساناً في النهار⁽⁹⁾، وكان بعض الصحابة قد اختاروا المكوث في الصفة رغبة منهم لا اضطراراً، كأبي هريرة ع فقد أحب أن يلازم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعوض

1 (?) البخاري رقم 3581، ومسلم برقم 2057.

2 (?) أصل الحديث في البخاري برقم 3113، وهذا لفظ المسند (1/106)، مرقم (838).

3 (?) سنن أبي داود (2/237) وابن ماجه (2/730).

4 (?) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (1/264). (5) انظر: حلية الأولياء (1/375).

6 (?) نفس المصدر (1/353: 355). (7) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (1/264).

8 (9،?) نفس المصدر (1/264).

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

ما فاته من العلم والخير، فقد جاء إلى المدينة بعد فتح خيبر في العام السابع، وحرص على سماع أكبر قدر ممكن من حديثه **صلى الله عليه وسلم** ومعرفة أحواله وتيركا بخدمته **صلى الله عليه وسلم** وهذا لا يتوفر له إلا إذا كان قريباً من بيت النبي **صلى الله عليه وسلم** فكانت الصفة هي المكان الوحيد الذي يؤمن له ذلك، ولنستمع إليه يوضح لنا ذلك، قال أبو هريرة رضي الله عنه: «إنكم تقولون إن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله **صلى الله عليه وسلم**، وتقولون ما بال المهاجرين والأنصار لا يحدثون عن رسول الله **صلى الله عليه وسلم**، بمثل حديث أبي هريرة، وإن إخواني من المهاجرين كان يشغلهم صفق الأسواق، وكنت ألزم رسول الله **صلى الله عليه وسلم** على ملء بطني، فأشهد إذا غابوا، وأحفظ إذا نساوا، وكان يشغل إخواني من الأنصار عمل أموالهم، وكنت امرأة مسكينة من مساكين الصفة أعني حين ينسون»⁽¹⁾ وهكذا يوضح رضي الله عنه أنه فعل ذلك رغبة منه في ملازمة النبي **صلى الله عليه وسلم** ثم إن أبا هريرة كان له سكن في المدينة، وهو المكان الذي تسكنه أمه، والتي طلب من النبي **صلى الله عليه وسلم** أن يدعو لها بالهداية⁽²⁾ ثم إن أبا هريرة لم يكن فقيراً معدماً، ففي أول يوم قدم فيه على النبي **صلى الله عليه وسلم** في خيبر أسهم له **صلى الله عليه وسلم** من الغنيمة، كما أنه لما قدم كان معه عبد يخدمه كما ورد في الصحيح⁽³⁾ وإذن فالذي أفقره هو إثارة ملازمة النبي **صلى الله عليه وسلم** واستماع أحاديثه، وكان يستطيع الاستغناء عن الصفة لو أراد⁽⁴⁾.

كان أهل الصفة يكثرون ويقلون بحسب تبدل الأحوال التي تحيط بأهل الصفة من عودة الأهل، أو زوج، أو يسر بعد عسر، أو شهادة في سبيل الله.

ولم يكن فقرهم لقعودهم عن العمل وكسب الرزق، فقد ذكر الزمخشري أنهم كانوا يرضخون النوى بالنهار، ويظهر أنهم كانوا يرضخون النوى - يكسرونه - لعلف الماشية وهم ليسوا أهل ماشية، فهم إذن يعملون لكسب الرزق⁽⁵⁾.

4- عددهم وأسماءهم:

كان عددهم يختلف باختلاف الأوقات، فهم يزيدون إذا قدمت الوفود إلى المدينة ويقلون إذا قل الطارقون من الغرباء على أن عدد المقيمين منهم في الظروف العادية كان في حدود السبعين رجلاً⁽⁶⁾، وقد يزيد عددهم كثيراً حتى أن سعد بن عباد كان يستضيف وحده

1 (?) البخاري رقم 2047، مسلم رقم 2492. (2) مسلم برقم 2491.

2 (?) انظر: السيرة النبوية تربية أمة وبناء دولة، ص 184.

3 (?) نفس المصدر، ص 184.

4 (?) انظر: المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي لشراب (1/222).

5 (?) انظر: أبو نعيم الحلية (1/339: 341). (7) نفس المصدر (1/341).

6 هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

ثمانين منهم، فضلاً عن الآخرين الذين يتوزعهم الصحابة⁽¹⁾، ومن أراد الوقوف على بعض أسمائهم فيليرج إلى كتب السيرة⁽²⁾.

وقد وقع بعض الباحثين في خطأ فادح حين استدل بعضهم على مشروعية مسلك بعض المنحرفين من المتصوفة، من حيث ترك العمل والإخلاق إلى الراحة والكسل، والمكوث في الزوايا والتكايا، بحجة التوكل بحال أهل الصفة⁽³⁾. إن أبا هريرة، وهو أكثر ارتباطاً بالصفة من غيره لم يستمر فيها وخرج إلى الحياة، بل أصبح أميراً في بعض أيامه على البحرين في عهد عمر بن الخطاب، ولم يكن مخشوشاً في حياته⁽⁴⁾ بل إن أهل الصفة كانوا من المجاهدين في سبيل الله في ساحات القتال، وقد استشهد بعضهم كما ذكرت.

خامساً: فوائد ودروس وعبر:

1- المسجد من أهم الركائز في بناء المجتمع:

إن إقامة المساجد من أهم الركائز في بناء المجتمع الإسلامي، ذلك أن المجتمع المسلم إنما يكتسب صفة الرسوخ والتماسك، بالتزام نظام الإسلام وعقيدته وأدابه، وإنما ينبع ذلك من روح المسجد ووجيه⁽⁵⁾.

قال تعالى: (لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ) [التوبة: 108].

قال تعالى: (فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْعُدْوَةِ وَالْوَصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ لِيُخْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) [النور: 36-38].

2- المسجد رمز لشمولية الإسلام:

أ- حيث أنشئ ليكون متعبداً لصلاة المؤمنين وذكرهم الله تعالى وتسبيحهم له، وتقديسهم إياه بحمده وشكره على نعمه عليهم، يدخله كل مسلم، ويقف فيه صلاته وعبادته ولا يضاره أحد، ما دام حافظاً لقداسته ومؤدياً حق حرمة⁽⁶⁾.

ب- كما «أنشئ ليكون ملتقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه والوافدين عليه، طلباً للهداية ورغبة في الإيمان بدعوته

1 (؟) على سبيل المثال: السيرة النبوية الصحيحة (1/262، 263).
2 (؟) انظر: السيرة النبوية تربية أمة وبناء دولة، ص 186.
3 (؟) نفس المصدر، ص 188.
4 (3) انظر: فقه السيرة للبوطي، ص 203، بتصرف.

6 (؟، 5، 6) محمد رسول الله، محمد عرجون (3/33).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

وتصديق رسالته»⁽¹⁾.

ج- وهو قد أنشئ ليكون جامعة للعلوم والمعارف الكونية والعقلية والتنزيلية، التي حث القرآن الكريم على النظر فيها، وليكون مدرسة يتدارس فيها المؤمنون أفكارهم وثمرات عقولهم، ومعهداً يؤمه طلاب العلم من كل صوب، ليتفقهوا في الدين ويرجعوا إلى قومهم مبشرين ومنذرين، داعين إلى الله هادين، يتوارثونها جيلاً بعد جيل⁽²⁾.

د- وهو قد أنشئ ليجد فيه الغريب مأوى، وابن السبيل مستقراً لا تكدره منه أحد عليه فينهل من رفقته ويعب من هدايته ما أطاق استعداداته النفسي والعقلي، لا يصده أحد عن علم أو معرفة أو لون من ألوان الهداية، فكم من قائد تخرج فيه، وبرزت بطولته بين جدرانها، وكم من عالم استبحر علمه في رحابه، ثم خرج به على الناس يروي ظمأهم للمعرفة، وكم من داعٍ إلى الله تلقى في ساحاته دروس الدعوة إلى الله فكان أسوة الدعاة، وقودة الهداة، وريحانة جذب القلوب شذاها فانجفلت تأخذ عنها الهداية لتستضيء بانوارها»⁽³⁾.

وكم من أعرابي جلف لا يفرق بين الأحمر والأصفر، وفد عليه فدخله ورأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله هالة تحف به، يسمعون منه وكان على رؤوسهم الطير، فسمع معهم وكانت عنده نعمة العقل مخبأة تحت ستار الجهالة، فانكشف له غطاء عقله، فعقل وفقه، واهتدى واستضاء، ثم عاد إلى قومه إماماً يدعوهم إلى الله، ويربهم بعلمه الذي علم، وسلوكه الذي سلك فأمنوا بدعوته، واهتدوا بهديه، فكانوا سطوراً منيراً في كتاب التاريخ الإسلامي»⁽⁴⁾.

هـ- وهو «قد أنشئ ليكون قلعة لاجتماع المجاهدين إذا استنفروا، تعقد فيه ألوية الجهاد، والدعوة إلى الله، وتخفق فيه فوق رؤوس القادة الرايات للتوجه إلى مواقع الأحداث، وفي ظلها يقف جند الله في نشوة ترقب النصر أو الشهادة.

و- وهو «قد أنشئ ليجد فيه المجتمع المسلم الجديد ركناً في زواياه، ليكون مشفى يستشفى فيه جرحى كئائب الجهاد ليتمكن نبي الله صلى الله عليه وسلم من عبادتهم، والنظر في أحوالهم والاستطباب لهم، ومداواتهم في غير مشقة ولا نصب تقديراً لفضلهم.

ز- وهو «قد أنشئ ليكون مبرداً لبريد الإسلام منه تصدر الأخبار، ويبرد البريد، وتصدر الرسائل، وفيه تتلقى الأنباء السياسية سلماً أو حرباً وفيه تتلقى وتقرأ رسائل البشائر بالنصر، ورسائل طلب المدد، وفيه ينعى المستشهدون في معارك الجهاد ليتأسى بهم المتأسون ولينافس في الاقتداء بهم المتنافسون.

³ (?) انظر: محمد رسول الله، محمد عرجون (3/34).

⁴ (?) المصدر السابق، (3/34، 35).

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

ح- وهو «قد أنشئ ليكون مرقباً للمجتمع المسلم، يتعرف منه على حركات العدو المريبة ويرقبها ولا سيما الأعداء الذين معه يساكبونه ويخالطونه في بلده من شراذم اليهود وزمر المنافقين ونفايات الوثنية، الذين تمتوا في الشرك فلم يتركوه، ليحذر المجتمع المسلم عاقبة كيدهم وسوء مكرهم وتديبرهم، وبأمن مغبة غدرهم وخياناتهم»⁽¹⁾.

فالمسجد النبوي «بدأ بتأسيسه وبناءه رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما بدأ من عمل في مستقره ودار هجرته في مطلع مقدمه ليكون نموذجاً يحتذى به في بساطة المظهر، وعمق وعموم المخبر، ليحقق به أعظم الأهداف وأعمها، بأقل النفقات وأيسر المشقات»⁽²⁾.

3- التربية بالقوة العملية:

من الحقائق الثابتة أن النبي صلى الله عليه وسلم شارك أصحابه العمل والبناء، فكان يحمل الحجارة وينقل اللبن على صدره وكتفيه، ويحفر الأرض بيديه كأي واحد منهم، فكان مثال الحاكم العادل الذي لا يفرق بين رئيس ومرؤوس، أو بين قائد ومقود، أو بين سيد ومسيود، أو بين غني وفقير، فالكل سواسية أمام الله، لا فرق بين مسلم وآخر إلا بالتقوى، ذلك هو الإسلام عدالة ومساواة في كل شيء، والفضل فيه يكون لصاحب العطاء في العمل الجماعي للمصلحة العامة، وبهذا الفضل ثواب من الله، والرسول صلى الله عليه وسلم كغيره من المسلمين لا يطلب إلا ثواب الله⁽³⁾ فقد كانت مشاركة النبي صلى الله عليه وسلم في عملية البناء ككل العمال الذين شاركوا فيه، وليس بقطع الشريط الحريري فقط، وليس بالضربة الأولى بالفأس فقط، بل غاص بعلمية البناء كاملة، فقد دهش المسلمون من النبي صلى الله عليه وسلم وقد علته غيرة، فتقدم أسيد بن حضير ليحمل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أعطني؟ فقال: «أذهب فاحتمل غيره فإنك لست بأفقر إلى الله مني»⁽⁴⁾ فقد سمع المسلمون ما يقول النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبه، فازدادوا نشاطاً واندفاعاً في العمل⁽⁵⁾.

إنه مشهد فريد من نوعه ولا مثيل له في دنيا الناس، وإذا كان الزعماء والحكام قد يقدمون على المشاركة أحياناً بالعمل لتكون شاشات التلفزيون جاهزة لنقل أعمالهم، وتملاً الدنيا في الصحف ووسائل الإعلام كلها بالحديث عن أخلاقهم وتواضعهم، فالنبي صلى الله عليه وسلم ينازع الحجر أحد أفراد المسلمين، ويبين له أنه أفقر إلى الله تعالى، وأحرص على ثوابه منه.

وقد تفاعل الصحابة الكرام تفاعلاً عظيماً في البناء وأنشدوا هذا

(?) انظر: محمد رسول الله، محمد عرجون (3/36) عَسُوا: اسْتُوا وكبروا.

(?) محمد رسول الله، (3/33).

(?) انظر: التاريخ الإسلامي والعسكري، د. علي معطي، ص 158.

(?) انظر: صور من حياة الرسول، أمين دويدار، ص 261.

(?) انظر: التاريخ السياسي والعسكري، د. علي معطي، ص 158.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

البيت:

المضلل⁽¹⁾

لئن قعدنا والنبي يعمل

إن هذه التربية العملية لا تتم من خلال الموعظة، ولا من خلال الكلام المنمق، إنما تتم من خلال العمل الحي الدؤوب، والقذوة المصطفاة من رب العالمين، والتي ما كان يمكن أن تتم في أجواء مكة، والملاحقة والاضطهاد والمطاردة فيها إنما تتم في هذا المجتمع الجديد والدولة التي تبنى وكأنما غداً هذا الجميع من الصحابة الكرام كله صوتاً واحداً، وقلباً واحداً، فمضى يهتف:

اللهم إن العيش عيش الآخرة
فانصر الأنصار والمهاجرة

ويهتف بلحن واحد:

لئن قعدنا والنبي يعمل
لذاك منا العمل المضلل

وكان الهتاف الثالث:

هذي الحمال لا حمال خبير
هذا أبر لربنا وأطهر⁽²⁾

فأحمال التمر والزبيب من خير إلى المدينة كانت لها مكانتها في المجتمع الشرقي أصبحت لا تذكر أمام جمل الطوب لبناء المسجد النبوي العظيم، فقد أيقنوا: **(مَا عِنْدَكُمْ يَنْقُذُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ)** [النحل: 96].

وأما الهتاف الرابع:

لا يستوي من يعمر
المساجداً
بدأب فيه قائماً وقاعداً

ومن يرى عن الغبار حائداً⁽³⁾

4- الاهتمام بالخبرة والاختصاص:

أخرج الإمام أحمد عن طلق بن علي اليمامي الحنفي، قال بنيت المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يقول: «**قربوا اليمامي من الطين فإنه أحسنكم له مسيساً**» وأخرج الإمام أحمد عن طلق أيضاً، قال: جئت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يبنون المسجد وكأنه لم يعجبه عملهم، فأخذت المسحاة، فخلطت الطين، فكانه أعجبه فقال: «**دعوا الحنفي والطين، فإنه أضبطكم للطين**» وأخرج ابن حبان عن طلق فقال: فقلت: يا رسول الله أنقل كما

1 (?) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (1/496).

2 (?) انظر: التربية القيادية (2/249).

3 (?) انظر: محمد رسول الله، محمد عرجون (3/15).

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

ينقلون؟ قال: «لا، ولكن اخلط لهم الطين، فأنت أعلم به»⁽¹⁾.

فقد اهتم النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الوافد الجديد على المدينة، والذي لم يكن من المسلمين الأوائل، ووظف خبرته في خلط الطين، وفي قوة العمل، وهو درس للمسلمين في الثناء على الكفاءات والاستفادة منها، وإرشاد نبوي كريم في كيفية التعامل معها وما أوجنا إلى هذا الفهم العميق⁽²⁾.

5- شعار الدولة المسلمة:

إن أذان الصلاة شعار لأول دولة إسلامية عالمية: (الله أكبر، الله أكبر) إنها تعني أن الله أكبر من أولئك الطغاة، وأكبر من صانعي العقبات، وهو الغالب على أمره.

(أشهد أن لا إله إلا الله) أي لا حاكمية ولا سيادة ولا سلطة إلا لله رب العالمين (إن الحكم إلا لله) فمعنى لا إله إلا الله: لا حاكم ولا أمر ولا مشرع إلا الله.

(أشهد أن محمداً رسول الله) أسلمه الله تعالى القيادة، فليس لأحد أن ينزعها منه، فهو ماض بها إلى أن يكمل الله دينه بما ينزله على رسوله من قرآن، وبما يلهمه إياه من سنة⁽³⁾، ويعني الاعتراف لرسول الله بالرسالة والزعامة الدينية والدنيوية والسمع والطاعة له⁽⁴⁾.

(حي على الصلاة، حي على الفلاح) أقبل يا أيها الإنسان للانضواء تحت لواء هذه الدولة التي أخلصت لله، وجعلت من أهدافها تمتين العلاقة بين المسلم وخالفه، وتمتين العلاقة بين المؤمنين على أساس من القيم السامية.

(قد قامت الصلاة) وقد اختيرت الصلاة من بين سائر العبادات؛ لأنها عماد الدين كله؛ ولأنها بما فيها من الشعائر كالركوع والسجود والقيام أعظم مظهر لمظاهر العبادة بمعناها الواسع التي تعني: الخضوع والتذلل والاستكانة، فهي خضوع ليس بعده خضوع، فكل طاعة لله على وجه الخضوع، والتذلل، فهي عبادة، فهي طاعة العبد لسيده، فيقف بين يديه قد أسلم نفسه طاعة وتذلاً قال تعالى: (قُلْ إِيَّاهُ نُهَيْتُ أَنْ أُعْبَدَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا حَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأَمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِربِّ الْعَالَمِينَ) [غافر: 16].

وهذا الارتباط بين شعار الدولة الرسمي بحاكمية الله وسيادة الشرع، وسقوط الطواغيت، وقوانينهم، وأنظمتهم وشرائعهم بـ(حي

¹ (?) نفس المصدر (3/15).

² (1) انظر: التربية القيادية (2/252).

³ (?) انظر: قراءة سياسية للسيرة النبوية، محمد قلعجي، ص 114.

⁴ (?) انظر: دولة الرسول صلى الله عليه وسلم من التكوين إلى التمكين، كامل سلامة الدقس، ص 438.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

على الفلاح.. قد قامت الصلاة) يشير إلى أنه لا قيام للصلاة، ولا إقامة لها كما ينبغي إلا في ظل دولة تقوم عليها وتقوم بها ولها، فقد كان المسلمون يصلون خفية في شعاب مكة قبل قيام دولتهم، أما وقد قامت تحت حماية سيوف الأنصار، فليجهروا بالأذان، والإقامة، وليركعوا وليسجدوا لله رب العالمين.

إن الواقع التاريخي خير شاهد على أن الله لا يعبد في الأرض حق عبادته إلا في ظل دولة قوية تحمي رعايها من أعداء الدين. ثم تتكرر كلمات الأذان (الله أكبر.. الله أكبر) للتأكيد على المعاني السابقة⁽¹⁾.

إننا بحاجة ماسة لفهم الأذان، وإدراك معانيه والعمل على ترجمته ترجمة عملية، لنجاهد في الله حق جهاده، حتى ندمر شعارات الكفر، ونرفع شعارات الإيمان، ونقيم دولة التوحيد التي تحكم بشرع الله ومنهجه القويم.

6- فضائل المسجد النبوي:

تحدث النبي صلى الله عليه وسلم عن فضائل المسجد النبوي؛ ولذلك تعلق الصحابة به ويمكننا الرجوع إلى صحيحي البخاري ومسلم وغيرهما؛ للوقوف على هذه الفضائل الميمونة. وسنذكر هنا حديثاً واحداً لمعناه العميق الذي نحتاجه ونستمسك به وهو عن:

7- فضل التعلم والتعليم في المسجد النبوي:

عن أبي هريرة ؓ أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من دخل مسجدنا هذا ليتعلم خيراً أو يعمله كان كالمجاهد في سبيل الله، ومن دخله لغير ذلك كان كالناظر إلى ما ليس له»⁽²⁾.

* * *

(?) انظر: دولة الرسول صلى الله عليه وسلم من التكوين إلى التمكين، ص 439.
 (2) انظر: المصنف لأبي شيبه (2/371)، (12/209) رقم 12567، وفي رواية الحاكم قال: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، فقد احتجنا بجميع روايته، ثم لم يخرجاه، ولا أعلم له علة)، وأقره الذهبي. انظر: تلخيص المستدرک (1/91).
 هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

المبحث الثاني المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

كان من أولى الدعائم التي اعتمدها الرسول صلى الله عليه وسلم في برنامجه الإصلاحية، والتنظيمية للأمة وللدولة والحكم، الاستمرار في الدعوة إلى التوحيد والمنهج القرآني، وبناء المسجد، وتقرير المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار وهي خطوة لا تقل أهمية عن الخطوة الأولى في بناء المسجد لكي يتلاحم المجتمع المسلم ويتآلف وتتضح معالم تكوينه⁽¹⁾ الجديد.

كان مبدأ التآخي العام بين المسلمين قائما منذ بداية الدعوة في عهدها المبكر، ونهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن كل ما يؤدي إلى التباغض بين المسلمين فقال صلى الله عليه وسلم: «لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام»⁽²⁾.

وقال صلى الله عليه وسلم: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه»⁽³⁾ ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته⁽⁴⁾ ومن فرج عن مسلم كربة⁽⁵⁾ فرج الله - عز وجل - عنه كربة من كربات يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة»⁽⁶⁾.

وقد أكد القرآن الكريم الأخوة العامة بين أبناء الأمة في قوله تعالى: (**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**) [آل عمران: 103].

وقوله تعالى: (**وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ بِرِّ الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**) [الأنفال: 63].

أما موضوع هذا البحث فهو المؤاخاة الخاصة التي شرعت وترتب عليها حقوق وواجبات أخص من الحقوق والواجبات العامة بين

1 (?) انظر: الإدارة الإسلامية في عصر عمر بن الخطاب، د. مجدلاوي، ص52، 53.

2 (?) البخاري، رقم 6065، مسلم رقم 24.

3 (?) أي لا يتركه مع من يؤذيه، ولا فيما يؤذيه، بل ينصره ويدفع عنه.

4 (?) مسند أحمد رقم 7929. (5) كربة: أي غمة.

6 (?) البخاري، رقم 2442.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

المؤمنين كافة⁽¹⁾.

وقد تحدث بعض العلماء عن وجود مؤاخاة كانت في مكة بين المهاجرين، فقد أشار البلاذري إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم آخى بين المسلمين في مكة قبل الهجرة على الحق والمواساة، فأخى بين حمزة وزيد بن حارثة، وبين أبي بكر وعمر، وبين عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وبين الزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود، وبين عبيدة بن الحارث وبلال الحبشي، وبين مصعب بن عمير وسعد بن أبي وقاص، وبين أبي عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبي حذيفة، وبين سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وطلحة بن عبيد الله، وبينه وبين علي بن أبي طالب⁽²⁾ ويعتبر البلاذري (ت 276هـ) أقدم من أشار إلى المؤاخاة المكية، وقد تابعه في ذلك ابن عبد البر (ت 463هـ) دون أن يصرح بالنقل عنه، كما تابعهما ابن سيد الناس دون التصريح بالنقل عن أحدهما⁽³⁾، وقد أخرج الحاكم في المستدرک من طريق جميع بن عمير عن ابن عمر: «أخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أبي بكر وعمر، وبين طلحة والزبير، وبين عبد الرحمن بن عوف وعثمان»⁽⁴⁾ وعن ابن عباس: «أخى النبي صلى الله عليه وسلم بين الزبير وابن مسعود»⁽⁵⁾.

وذهب كل من ابن القيم وابن كثير إلى عدم وقوع المؤاخاة بمكة، فقال ابن القيم: «وقد قيل إنه- أي النبي صلى الله عليه وسلم- آخى بين المهاجرين بعضهم مع بعض مؤاخاة ثانية، واتخذ فيها علياً أخاً لنفسه، والثبت الأول⁽⁶⁾، والمهاجرون كانوا مستغنيين بأخوة الإسلام، وأخوة الدار وقربة النسب، عن عقد مؤاخاة بخلاف المهاجرين مع الأنصار»⁽⁷⁾ أما ابن كثير فقد ذكر أن من العلماء من ينكر هذه المؤاخاة لنفس العلة التي ذكرها ابن القيم⁽⁸⁾.

لم تشر كتب السيرة الأولى المختصة إلى وقوع المؤاخاة بمكة، والبلاذري ساق الخبر بلفظ (قالوا) دون إسناد مما يضعف الرواية، كما أن البلاذري نفسه ضعف النقاد، وعلى فرض صحة هذه المؤاخاة بمكة فإنها تقتصر على المؤازرة والنصيحة بين المتأخين دون أن تترتب عليها حقوق التوارث⁽⁹⁾.

أولاً: المؤاخاة في المدينة:

ساهم نظام المؤاخاة في ربط الأمة بعضها ببعض، فقد أقام

1 (?) انظر: السيرة النبوية الصحيحة للعمري (1/240).
2 (?) البلاذري: أنساب الأشراف (1/270). (2) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (1/240).

3
4 (?) نفس المصدر (1/240). (4) فتح الباري (7/304).
6 (?) يعني المؤاخاة في المدينة. (6) زاد المعاد (2/79).
8 (?) انظر: السيرة النبوية لابن كثير. (8) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (1/241).
9

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الصلة على أساس الإخاء الكامل بينهم، هذا الإخاء الذي تذوب فيه عصبية الجاهلية، فلا حمية إلا للإسلام وأن تسقط قوارق النسب واللون والوطن، فلا يتأخر أحد أو يتقدم إلا بمروءته وتقواه.

وقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الأخوة عقداً نافذاً لا لفظاً فارغاً، وعملاً يرتبط بالدماء والأموال لا تحية تثرثر بها الألسنة ولا يقوم لها أثر.

وكانت عواطف الإيثار والمواساة والمؤانسة تمتزج في هذه الأخوة وتملا المجتمع الجديد باروع الأمثال⁽¹⁾.

والسبب الذي أدى إلى تقوية هذه الأخوة بين المهاجرين والأنصار هو أن أهل هذا المجتمع ممن التقوا على دين الله وحده، نشأهم دينهم الذي اعتنقوه على أن يقولوا ويفعلوا، وعلمهم الإيمان والعمل جميعاً، فهم أبعد ما يكونون عن الشعارات التي لا تتجاوز أطراف الألسنة، وكانوا على النحو الذي حكاه الله عنهم في قوله تعالى: (**إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**) [النور: 51].

وبذلك الذي درج عليه المسلمون كفل البقاء والاستمرار لهذه الأخوة، التي شد الله بها أزر دينه ورسوله حتى أتت ثمارها في كل أطوار الدعوة طوال حياته صلى الله عليه وسلم، وامتد أثرها حتى وفاته صلى الله عليه وسلم، وبقيت هذه المؤاخاة عند مبايعة الصديق ﷺ ولم يحدث الأنصار صدعاً في شمل الأمة، مستجيبين في ذلك لشهوات السلطة وغريزة السيطرة، ذلك فإن سياسة المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، نوع من السبق السياسي الذي اتبعه رسول الله صلى الله عليه وسلم في تاصيل المودة وتمكينها في مشاعر المهاجرين والأنصار، الذين سهرروا جميعاً على رعاية هذه المودة وذلك الإخاء، بل كانوا يتسابقون في تنفيذ بنوده⁽²⁾.

ولا سيما الأنصار الذين لا يجد الكتاب والباحثون مهما تساموا إلى ذروة البيان خيراً من حديث الله عنهم⁽³⁾ قال تعالى: (**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَفِهِ فَإُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**) [الحشر: 9].

* بعض أسماء المهاجرين والأنصار ممن تأخوا في الله:

أبو بكر الصديق ﷺ وخارجة بن زهير، عمر بن الخطاب وعتيان بن مالك، أبو عبيدة بن الجراح وسعد بن معاذ، عبد الرحمن بن عوف

1 (?) انظر: فقه السيرة للغزالي ص 193، 194.

2 (?) انظر: فصول في السيرة النبوية، د. عبد المنعم السيد، ص 200.

3 (?) انظر: هجرة الرسول وصحابته في القرآن السنة للجمل، ص 245.

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الاواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

وسعد بن الربيع، الزبير بن العوام وسلامة بن سلامة بن وقش، طلحة بن عبيد الله وكعب بن مالك، سعيد بن زيد وأبي بن كعب، مصعب بن عمير وأبو أيوب خالد بن زيد، أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وعباد بن بشر بن وقش، عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان، أبو ذر الغفاري والمنذر بن عمرو، حاطب بن أبي بلتعة وعويم بن ساعدة، سلمان الفارسي وأبو الدرداء، بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو ربيعة عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمي⁽¹⁾.

ثانيًا: الدروس والعبر والفوائد:

1- أصرة العقيدة هي أساس الارتباط:

إن المجتمع المدني الذي أقامه الإسلام كان مجتمعاً عقدًا يرتبط بالإسلام ولا يعرف الموالاة إلا لله ولرسوله وللمؤمنين، وهو أعلى أنواع الارتباط وأرقاه، إذ يتصل بوحدة العقيدة والفكر والروح⁽²⁾.

إن الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين من أهم الآثار والنتائج المترتبة على الهجرة، وكان القرآن الكريم يربي المسلمين على هذه المعاني الرفيعة، فقد بين الحق سبحانه وتعالى أن ابن نوح وإن كان من أهله باعتبار القرابة لكنه لم يعد من أهله لما فارق الحق وكفر بالله ولم يتبع نبي الله. قال تعالى:

(وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ۖ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) [هود: 45,46].

وقد جصر الإسلام الأخوة والموالاة بين المؤمنين فقط قال تعالى:

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) [الحجرات: 10].

وقطع الولاية بين المؤمنين والكافرين من المشركين واليهود والنصارى، حتى لو كانوا أبناءهم أو إخوانهم أو أبناءهم، ووصف من يفعل ذلك من المؤمنين بالظلم، مما يدل على أن موالاة المؤمنين للكافرين، من أعظم الذنوب قال تعالى: (يَا

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَاُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) [التوبة: 23].

فإذا كان الله سبحانه يحذر المؤمنين في الآيات السابقة من موالاة الكفار عامة، فهناك آيات كثيرة وردت في تحذير المؤمنين ونهيهم عن طاعة أهل الكتاب خاصة، أو اتخاذهم أولياء، أو الركون

¹ (?) انظر: ابن هشام (2/109: 111) السيرة النبوية لابن كثير (2/324).

² (?) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (1/252).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

(1) إليهم .

قال تعالى: (وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهَدَى وَلَئِنْ آتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) [البقرة: 120].

وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَطِيعُوا قَرِيبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرْذَوْكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ) [آل عمران: 100].

وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [المائدة: 51].

وحدد المولى عز وجل للذين آمنوا جهة الولاة الوحيدة التي تتفق مع صفة

الإيمان. وبين لهم من يتولون قال تعالى: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ([المائدة: 55-56].

فقد فهم الصحابة أن ولاءهم لا يكون إلا لقيادتهم، وإخلاصهم لا يكون إلا لعقيدتهم، وجهادهم لا يكون إلا لأعلاء كلمة الله، فحققوا ذلك كله في أنفسهم وطبقوه على حياتهم فمخضوا ولاءهم وجعلوه لله ورسوله والمؤمنين، وأصبح تاريخهم حافلاً بالمواقف الرائعة التي تدل على فهمهم العميق لمعنى الولاة الذي منحوه لخالقهم ولدينهم وعقيدتهم وإخوانهم.

إن التأخي الذي تم بين المهاجرين والأنصار كان مسبقاً بعقيدة تم اللقاء عليها، والإيمان بها، فالتأخي بين شخصين يؤمن كل منهما بفكرة أو عقيدة مخالفة للآخرى خرافة ووهم، خصوصاً إذا كانت تلك الفكرة أو العقيدة مما يحمل صاحبها على سلوك معين في الحياة العملية، ولذلك كانت العقيدة الإسلامية التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند الله تعالى هي العمود الفقري للمواخاة التي حدثت، لأن تلك العقيدة تضع الناس كلهم في مصاف العبودية الخالصة لله دون الاعتبار لأي فارق إلا فارق التقوى والعمل الصالح، إذ ليس من المتوقع أن يسود الإخاء، والتعاون والإيثار بين أناس فرقتهم العقائد والأفكار المختلفة، فأصبح كل منهم ملكاً لأنانيته وأثرته وأهوائه (2).

1 (?) انظر: الهجرة في القرآن الكريم، أحزمي جزولي، ص 417.

2 (?) انظر: فقه السيرة للبوطي، ص 156. (2) انظر: محمد رسول الله، عرجون (3/129).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

2- الحب في الله أساس بنية المجتمع المدني:

إن المؤاخاة على الحب في الله من أقوى الدعائم في بناء الأمة المسلمة، فإذا وهت يتاكل كل بنيانها⁽¹⁾ ولذلك حرص النبي صلى الله عليه وسلم على تعميق معاني الحب في الله في المجتمع المسلم الجديد فقد قال صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي»⁽²⁾.

وكان للحب في الله أثره في المجتمع المدني الجديد، فعن أنس بن مالك ؓ قال: (كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة نخلاً، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، فلما نزلت: (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) [آل عمران: 92] قام أبو طلحة فقال: يا رسول الله، إن الله يقول: (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) وإن أحب أموالي إلي (بيرحاء) وإنها صدقة لله أرجو برها، وذخرها عند الله، فضعتها يا رسول الله حيث أراك الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ذلك مال رايح، ذلك مال رايح، وقد سمعت ما قلت وإنني أرى أن تجعلها في الأقربين» فقال أبو طلحة، أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه⁽³⁾.

وهذا عبد الرحمن بن عوف ؓ يحدثنا عن هذه المعاني الرفيعة حيث قال: لما قدمنا المدينة أوى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيبي وبين سعد بن الربيع، فقال سعد بن الربيع: إني أكثر الأنصار مالاً فأقسم لك نصف مالي، وانظر أي زوجتي هويت نزلت لك عنها، فإذا حلت⁽⁴⁾ تزوجتها، قال: فقال عبد الرحمن: لا حاجة لي في ذلك، هل من سوق فيه تجارة؟ قال: سوق قينقاع⁽⁵⁾ فغدا إليه عبد الرحمن فأتى بأقط وسمن قال: ثم تابع الغدو⁽⁶⁾ فما لبث أن جاء عبد الرحمن عليه أثر صفرة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تزوجت» قال: نعم، قال: «ومن؟» قال: امرأة من الأنصار، قال: «كم سقت؟» قال زنة نواة من ذهب، أو نواة من ذهب فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «أولم ولو بشاة»⁽⁷⁾ ونلاحظ أن كرم سعد بن الربيع قابله عفة وكرم نفس من عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم، ولم يكن مسلك عبد الرحمن بن عوف خاصاً به، بل إن الكثير من المهاجرين كان مكوثهم يسيراً في بيوت إخوانهم من الأنصار ثم باشروا العمل

2 (?) مسلم، كتاب البر والصلة والآداب رقم الحديث 2566.

3 (?) انظر: السيرة النبوية الصحيحة للعمرى (1/254).

4 (?) نزلت لك عنها: أي طلقها لأجلك، فإذا حلت: أي انقضت عدتها.

5 (?) قينقاع قبيلة من اليهود نسب السوق إليهم.

6 (?) تابع الغدو: أي دوام الذهاب إلى السوق للتجارة.

7 (?) البخاري، كتاب البيوع، رقم 2048.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

والكسب واشتروا بيوتاً لأنفسهم وتكفلوا بنفقة أنفسهم، ومن هؤلاء أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم رضي الله عنهم.

3- النصيحة بين المتأخين في الله:

فقد كان للمؤاخاة أثر في المناصحة بين المسلمين فقد آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذلة، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً، فقال له: كل، فإني صائم قال: ما أنا بأكل حتى تأكل قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نم، فلما كان آخر الليل، قال سلمان: هم الآن، فصليا، فقبل سلمان: إن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «صدق سلمان»⁽¹⁾.

4- لا ما أئنيتم عليهم ودعوتهم الله لهم:

كان الأنصار قد واسوا إخوانهم المهاجرين بأنفسهم وزادوا على ذلك بأن أثروهم على أنفسهم بخير الدنيا، فعن أبي هريرة قال: (قالت الأنصار للنبي صلى الله عليه وسلم أقسم بيننا وبين إخواننا النخيل، قال: «لا» فقالوا: تكفوننا المؤونة ونشرككم في الثمرة، قالوا: سمعنا وأطعنا)⁽²⁾.

فهذا الحديث يفيد أن الأنصار عرضوا على النبي صلى الله عليه وسلم أن يتولى قسمة أموالهم بينهم وبين إخوانهم المهاجرين، وقد كانت أموالهم هي النخيل، فأبى عليهم النبي صلى الله عليه وسلم وأراد أمراً تكون فيه المواساة من غير إجحاف بالأنصار، بزوال ملكية أموالهم منهم، فقال الأنصار للمهاجرين: تكفوننا المؤونة- أي العمل في النخيل من سقيها وإصلاحها- ونشرككم في الثمرة، فلما قالوا ذلك رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن هذا الرأي ضمن سد حاجة المهاجرين مع الإرفاق بالأنصار فأقرهم على ذلك فقالوا جميعاً: سمعنا وأطعنا⁽³⁾.

وقد قام الأنصار بالمؤونة وأشركوا المهاجرين في الثمرة، ولعل المهاجرين كانوا يساعدونهم في العمل، ولكن أكثر العمل عند الأنصار، وقد شكر المهاجرون للأنصار فعلهم ومواقفهم الرفيعة في الإيثار والكرم، وقالوا: يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل ولا أحسن بذلاً في كثير، ولقد كفونا المؤونة وأشركونا في

¹ (?) صحيح البخاري، كتاب الصوم، رقم 1968 (4/209).
² (?) صحيح البخاري، المزارعة رقم 2325. (3) انظر: التاريخ الإسلامي (4/30).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

المهنأ⁽¹⁾ حتى لقد حسبنا أن يذهبوا بالأجر كله، قال: «لا، ما أنثيتهم عليهم ودعوتهم الله عز وجل لهم»⁽²⁾.

وفي إشارة المهاجرين إلى الأجر الأخروي بيان لعمق تصورهم للحياة الآخرة، وهيمنة هذا التصور على تفكيرهم⁽³⁾.
وقد أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يكافئ الأنصار على تلك المكارم العظيمة التي قدموها لإخوانهم المهاجرين، فعن أنس بن مالك قال: دعا النبي صلى الله عليه وسلم الأنصار إلى أن يقطع لهم البحرين، فقالوا: لا، إلا أن تقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها، قال: «إمّا لا، فاصبروا حتى تلقوني فإنه سيصيبكم بعدي أثر»⁽⁴⁾.

لقد حققت المؤاخاة أهدافها، فمنها إذهاب وحشة الغربة للمهاجرين ومؤانستهم عن مفارقة الأهل والعشيرة، وشد أزرى بعضهم بعضاً، ومنها نهوض الدولة الجديدة، لأن أي دولة لا يمكن أن تنهض وتقوم إلا على أساس من وحدة الأمة وتساندها، ولا يمكن لكل من الوحدة والتساند أن يتيم بغير عامل التآخي والمحبة المتبادلة، فكل جماعة، لا تؤلف بينها أصرة المودة والتآخي الحقيقية، لا يمكن أن تتحد حول مبدأ ما، وما لم يكن الاتحاد حقيقة قائمة في الأمة أو الجماعة فلا يمكن أن تتألف منها دولة⁽⁵⁾.

5- الإرث بالمؤاخاة:

لم يعرف تاريخ البشر كله حادثاً جماعياً كحادث استقبال الأنصار للمهاجرين بهذا الحب الكريم وبهذا البذل السخي، وبهذه المشاركة الفعالة وبهذا التسابق إلى الإيواء واحتمال الأعباء، فقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم من هذه الأخوة مسئولية حقيقة تشيع بين هؤلاء الإخوة «جعل الله سبحانه وتعالى حق الميراث منوطاً بهذا التآخي، دون حقوق القرابة والرحم فقد كان من حكمة التشريع أن تتجلى الأخوة الإسلامية حقيقة محسوسة في أذهان المسلمين وأن يعلموا أن ما بين المسلمين من التآخي والتحابب ليس شعاراً وكلاماً مجردين»، والفترة الأولى من الهجرة وضعت كلا من الأنصار والمهاجرين أمام مسئولية خاصة من التعاون والتناصر والمؤانسة، بسبب مفارقة المهاجرين لأهلهم، وتركهم ديارهم وأموالهم في مكة ونزولهم ضيوفاً على إخوانهم الأنصار في المدينة، فكان من إقامة الرسول صلى الله عليه وسلم من التآخي بين أفراد المهاجرين والأنصار ضماناً لتحقيق هذه المسئولية، ولقد كان من مقتضى هذه المسئولية أن يكون هذا التآخي أقوى في حقيقته وأثره من أخوة

1 (?) يعني كفونا العمل وأشركونا في الثمرة.

2 (?) مسند أحمد (3/200، 201) ابن أبي شيبة (9/68) رقم 6561.

3 (?) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (4/406). (2) صحيح البخاري، مناقب الأنصار رقم 3794.

5 (?) في طلال القرآن (6/3526) (4) انظر: فقه السيرة للبوطي، ص 211، 212.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

الرحم المجردة، فلما استقر أمر المهاجرين في المدينة وتمكن الإسلام فيها، غدت الروح الإسلامية هي وحدها العصب الطبيعي للمجتمع الجديد في المدينة⁽¹⁾.

فلما ألف المهاجرون جو المدينة وعرفوا مسالك الرزق فيها، وأصابوا من غنائم بدر الكبرى بما كفاهم، رجع التوارث إلى وضعه الطبيعي المنسجم مع الفطرة البشرية على أساس صلة الرحم، وأبطل التوارث بين المتأخين، وذلك بنص القرآن الكريم فقال تعالى:

(وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ قَالُوا لَكَ مِنْكُمْ قَوْلُوا الْأَرْحَامَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [الأنفال: 75].

فهذه الآية نسخت التوارث بموجب نظام المؤاخاة⁽²⁾ وبقيت النصرة والرفادة والنصيحة بين المتأخين⁽³⁾ فقد بين خبر الأمة ابن عباس ذلك عند قوله تعالى: **(وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيٍّ مِمَّا تَرَكُ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ قَاتُوهُمْ نَصِيبتُهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا)** [النساء: 33] أنه قال: **(وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيٍّ)** قال: ورثة (والذين عاقدت أيمانكم) كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجر الأنصاري دون ذوي رحمهم، للأخوة التي أوحى النبي صلى الله عليه وسلم بينهم، فلما نزلت **(وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيٍّ)** نسخت، ثم قال: **(وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ قَاتُوهُمْ نَصِيبتُهُمْ)**⁽⁴⁾ من النصر والرفادة والنصيحة وقد ذهب الميراث ويوصي له⁽⁵⁾.

6- قيم إنسانية ومبادئ مثالية:

من خلال الروابط الوثيقة التي ألفت بين المهاجرين والأنصار أرسيت قيم إنسانية واجتماعية ومبادئ مثالية لا عهد للمجتمع القبلي بها، وإنما هي من شأن المجتمعات المتحضرة الفاضلة.

7- تذويب الفوارق الإقليمية والقبلية:

إن القضاء على الفوارق الإقليمية والقبلية ليست بالأمر الهين في المجتمعات الجاهلية، حيث العصبية هي الدين عندهم، وعملية المؤاخاة تهدف إلى إذابة هذه الفوارق بصورة واقعية منطلقة من قلب البيئة الجاهلية.

إن من الأمراض في الصف الإسلامي المعاصر سيطرة الروح الإقليمية والعصبية في نفوس بعض الدعاة وهذه الأمراض تحيل بينهم وبين التمكين وتضعف الصفوف بل تشتتها وينشغل الصف بنفسه عن

² (?) انظر: السيرة النبوية الصحيحة، (1/246). (2) انظر: التاريخ الإسلامي (4/25).

⁴ (?) هذه الجملة من رواية الطبري بنفس إسناد البخاري (فتح الباري 8/249).

⁵ (?) صحيح البخاري، كتاب التفسير رقم 4580.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

أهدافه الكبار، وقد تولد هذا عن أمراض في نفوس بعض الأفراد بسبب بعدهم عن القرآن الكريم، وسنة سيد المرسلين، فلم يتركوا عليها ولذلك كثر التناحر والتباغض.

إن المسلمين اليوم بأشد الحاجة إلى مثل هذه المؤاخاة التي حدثت بين المهاجرين والأنصار؛ لأنه يستحيل أن تستأنف حياة إسلامية عزيزة قوية إذ لم تتخلق المجتمعات الإسلامية بهذه الأخلاق الكريمة، وترتقي إلى هذا المستوى الإيماني الرفيع وإلى هذه التضحيات الكبيرة.

8- المؤاخاة بين المسلمين من أسباب التمكين المعنوية:

إن من أسباب التمكين المعنوية العمل على تربية الأفراد تربية ربانية، وإعداد القيادة الربانية، ومحاربة أسباب الفرقة، والأخذ بأصول الوحدة والاتحاد⁽¹⁾.

وأهم أصول الوحدة والاتحاد، وحدة العقيدة، صدق الانتماء إلى الإسلام طلب الحق والتحري في ذلك وتحقيق الأخوة بين أفراد المسلمين.

قال تعالى: (وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ۖ وَالْفَتْحُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَهُ أَنْفَقَتْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا الْفَتْحُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (الأنفال: 62-63).

وقال تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (الحجرات: 10).

ولا يذوق حلاوة الإيمان إلا من أشرب هذه الأخوة، قال صلى الله عليه وسلم: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر، كما يكره أن يقذف في النار»⁽²⁾.

إن الأخوة في الله من أهم الأسباب التي تعمل على الصمود في وجه أعتى المحن التي تنزل بالمسلمين، كما أن الفهم المتبادل والكامل للأخوة في الله، من أسباب تماسك صفوف المسلمين وقوتهم، ومن أسباب شموخهم والتمكين لهم⁽³⁾.

9- من فضائل الأنصار:

أ- تسمية الله لهم «الأنصار»:

(?) انظر: فقه التمكين في القرآن الكريم للصلاحي، ص253.
(?) انظر: البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان (1/11).
(?) انظر: نظرات في رسالة التعاليم، محمد عبد الله الخطيب، محمد عبد الحليم حامد 262، بتصرف.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

سماهم الله ورسوله بهذا الاسم حين بايعوا على الإسلام، وقاموا بإيواء المؤمنين ونصرة دين الله ورسوله **صلى الله عليه وسلم** ولم يكونوا معروفين بذلك من قبل⁽¹⁾ فعن غيلان بن جرير رحمه الله قال: قلت لأنس: أرايت اسم (الأنصار) كنتم تسمون به، أم سماكم الله؟ قال: سمانا الله⁽²⁾ عز وجل.

أما مناقبهم وفضائلهم فكثيرة لا تحصى، منها مناقب عامة لجميع الأنصار، ومناقب خاصة بأفراد من الأنصار، أما المناقب العامة الواردة في القرآن الكريم ما يلي:

* فقد وصفهم المولى عز وجل بأنهم من المؤمنين حقاً، فقال تعالى: **(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ خَفَا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ)** (الأنفال: 74).

* ويشترهم ربهم برضاه عنهم، وامتدح رضاهم عنه، فقال تعالى: **(وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَوَرَّضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)** (التوبة: 100).

* ووصفهم المولى عز وجل بالفلاح قال تعالى: **(وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِيطُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا آوَوْا وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ قَاوَلُكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)** (الحشر: 9).

وأما الأحاديث التي تحدثت عن مآثر الأنصار فمنها:
- **حب النبي صلى الله عليه وسلم للأنصار:**

عن أنس ؓ قال: رأى النبي صلى الله عليه وسلم النساء والصبيان مقبلين - قال: حسبت أنه قال: من عرس - فقام النبي صلى الله عليه وسلم مُمْتَلًا⁽³⁾ فقال: «اللهم أنتم من أحب الناس إلي» قالها ثلاث⁽⁴⁾ مرار.

ب- حب الأنصار علامة الإيمان وبغضهم علامة النفاق:

عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله»⁽⁵⁾.

ج- الشهادة لهم بالعفاف والصبر:

(?) انظر: الهجرة النبوية المباركة، عبد الرحمن البر، ص 131: 135.

(?) البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب الأنصار، رقم 3776.

(?) مُمْتَلًا: يعني انتصب قائماً. (3) البخاري، كتاب مناقب الأنصار، رقم 3785.

(?) البخاري، كتاب مناقب الأنصار، رقم 3783.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

العفة والصبر شيمة تان كريمتان تدلان على أصالة معدن المتخلق بهما، وتمام مروءته، وكمال رجولته وفتوته، وقد شهد النبي صلى الله عليه وسلم للأنصار بهما، وما أعظمها شهادة وما أعظمه من شاهد⁽¹⁾ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما يضر امرأة نزلت بين بيتين من الأنصار أو نزلت بين أبيها»⁽²⁾.

د- رغبة النبي صلى الله عليه وسلم في الانتساب إليهم لولا الهجرة:

عن أبي هريرة ؓ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لو أن الأنصار سلكوا وادياً أو شغباً لسلكت في وادي الأنصار، ولولا الهجرة لكنت امرأة من الأنصار»⁽³⁾.

هـ- دعاء النبي صلى الله عليه وسلم بالمغفرة لهم ولأبنائهم وأزواجهم ولذراريهم:

لا شك أن دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم مستجاب، فقد فاز الأنصار بهذا الفضل فعن زيد بن أرقم ؓ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اللهم اغفر للأنصار، ولأبناء الأنصار، ولأبناء أبناء الأنصار، ولنساء الأنصار»⁽⁴⁾.

و- وصية النبي صلى الله عليه وسلم بالإحسان إليهم وعدم إفزازهم:

كان جهاد الأنصار في سبيل الدين عظيماً، وكان فضلهم في نشره والدفاع عنه بليغاً، إذ لم يمنعهم من الخفة إلى الخروج في سبيل الله عسر ولا يسر، وحفظ الله لهم ذلك في قوله تعالى: (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) [التوبة: 117].

ومن ثم كانت وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأنصار والإحسان إلى محسنهم، والتجاوز عن مسيئتهم، وكان ترهيبه صلى الله عليه وسلم من ترويعهم وتفزيعهم، وكانت توصيته بالأنصار خيراً⁽⁵⁾ فعن أنس ؓ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الأنصار كرشى وعيتي»⁽⁶⁾ وإن الناس سيكثرُونَ ويقلون⁽⁷⁾، فاقبلوا من

1 (?) انظر: الهجرة النبوية المباركة، ص 142.
2 (?) رواه أحمد (6/257) مجمع الزوائد (10/40) الحاكم (4/83).
3 (?) البخاري، مناقب الأنصار (6/112) رقم 3779.
4 (?) البخاري، كتاب التفسير، سورة المنافقين، رقم 4906.
5 (?) انظر: الهجرة النبوية المباركة، ص 150.
6 (?) الكرش، كالكتف، والعيبة - بفتح المهملة وسكون المثناة بعدها موحدة معناها ما يحرز الرجل فيها ويحفظ نفيس ما عنده من المتاع، والعيبة من الرجل: موضع سره وأمانته، انظر: الهجرة النبوية المباركة، ص 150.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

محسنهم، وتجاوزا عن مسيئهم»⁽¹⁾.

وعنه أيضاً قال: خرج نبي الله صلى الله عليه وسلم فتلقته الأنصار بينهم، فقال: «والذي نفس محمد بيده إني لأحبكم، وإن الأنصار قد قضوا ما عليهم، وبقي الذي عليكم»⁽²⁾، فأحسنوا إلى محسنهم، وتجاوزا عن مسيئهم»⁽³⁾ وعن أبي قتادة ؓ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر للأنصار: «... فمن ولي الأنصار فليحسن إلى محسنهم، وليتجاوز عن مسيئهم، ومن أفرعهم فقد أفرع هذا الذي بين هاتين» وأشار إلى نفسه⁽⁴⁾.

* * *

7 (?) قال ابن حجر: (أي أن الأنصار يقلون، وفيه إشارة إلى دخول قبائل العرب والعجم في الإسلام، وهم أضعاف أضعاف قبيلة الأنصار، فمهما فرض من الأنصار من الكثرة كالتناسل فرض في كل طائفة من أولئك، فهم أبدأ بالنسبة إلى غيرهم قليل. ويحتمل أن يكون صلى الله عليه وسلم أطلع على أنهم يقلون مطلقاً فأخبر بذلك، فكان كم أخير، لأن الموجودين الآن من ذرية علي بن أبي طالب ممن يتحقق نسبه إليه أضعاف من يوجد من قبيلتي الأوس والخزرج ممن يتحقق نسبه وقس على ذلك ولا التفات إلى كثرة من يدعي أنه منهم بغير برهان) (فتح الباري 7/122)

1 (?) البخاري، كتاب مناقب الأنصار، رقم 3801.
2 (?) قضوا الذي عليهم، يشير إلى ما وقع لهم ليلة العقبة من المبايعة فإنهم بايعوا على أن يؤوا النبي صلى الله عليه وسلم وينصروه على أن لهم الجنة، فوفوا بذلك (فتح الباري 7/122).

3 (?) مسند الإمام أحمد (3/187).
4 (?) انظر: الهجرة النبوية المباركة، ص151.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

المبحث الثالث الوثيقة أو الصحيفة

نظم النبي العلاقات بين سكان المدينة، وكتب في ذلك كتاباً أوردته المصادر التاريخية واستهدف هذا الكتاب أو الصحيفة توضيح التزامات جميع الأطراف داخل المدينة، وتحديد الحقوق والواجبات، وقد سميت في المصادر القديمة بالكتاب والصحيفة، وأطلقت الأبحاث الحديثة عليها لفظ (الدستور).

ولقد تعرض الدكتور أكرم ضياء العمري في كتابه السيرة النبوية الصحيحة لدراسة طرق ورود الوثيقة، وقال: «ترقى بمجموعها إلى مرتبة الأحاديث الصحيحة»⁽¹⁾ وبين أن أسلوب الوثيقة ينم عن أصالتها «فنصوصها مكونة من كلمات وتعابير كانت مألوفة في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم» ثم قل استعمالها فيما بعد حتى أصبحت معلقة على غير المتعمقين في دراسة تلك الفترة، وليس في هذه الوثيقة نصوص تمدح أو تقذح فرداً أو جماعة، أو تخص أحداً بالإطراء أو الذم؛ لذلك يمكن القول بأنها وثيقة أصلية وغير مزورة»⁽²⁾ ثم إن التشابه الكبير بين أسلوب الوثيقة وأساليب كتب النبي صلى الله عليه وسلم يعطيها توثيقاً آخر.

أولاً: كتابه صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار واليهود:

نص الوثيقة⁽³⁾:

- 1- هذا كتاب من محمد النبي (رسول الله) بين المؤمنين والمسلمين من قريش (وأهل يثرب)، ومن تبعهم قلحاً بهم وجاهد معهم.
- 2- إنهم أمة واحدة من دون الناس.
- 3- المهاجرون من قريش على ريعتهم يتعقلون بينهم وهم يفدون غانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين.
- 4- وبنو عوف على ريعتهم يتعقلون معاقلمهم الأولى، وكل طائفة تفدي غانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.
- 5- وبنو الحارث (بن الخزرج) على ريعتهم يتعقلون معاقلمهم الأولى، وكل طائفة تفدي غانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.
- 6- وبنو ساعدة على ريعتهم يتعقلون معاقلمهم الأولى، وكل طائفة تفدي غانيها بالمعروف، والقسط بين المؤمنين.

1 (?) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (1/275) للعمري.
2 (?) تنظيمات الرسول الإدارية في المدينة، لصالح العلي، ص 4، 5.
3 (?) مجموعة الوثائق السياسية لمحمد حميد الله، ص 41: 47.

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

- 7- وبنو جُشَم على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى، وكل طائفة تفدي غانيها بالمعروف، والقسط بين المؤمنين.
- 8- وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى، وكل طائفة تفدي غانيها بالمعروف، والقسط بين المؤمنين.
- 9- وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى، وكل طائفة تفدي غانيها بالمعروف، والقسط بين المؤمنين.
- 10- بنو النبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى، وكل طائفة تفدي غانيها بالمعروف، والقسط بين المؤمنين.
- 11- وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى، وكل طائفة تفدي غانيها بالمعروف، والقسط بين المؤمنين.
- 12- وإن المؤمنين لا يتركون مُفَرَّحاً بينهم أن يعطوه بالمعروف من فداء أو عقل، أن لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه.
- 13- وإن المؤمنين المتقين (أيديهم) على (كل) من بغى منهم أو ابتغى دسيعة ظلم أو إثماً أو عدواناً أو فساداً بين المؤمنين، وإن أيديهم عليه جميعاً، ولو كان ولد أحدهم.
- 14- ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر، ولا ينصر كافراً على مؤمن.
- 15- وإن ذمة الله واحدة، يجير عليهم أدانهم، وإن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس.
- 16- وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصر عليهم.
- 17- وإن سلم المؤمنين واحدة لا يسالَم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله، إلا على سواء وعدل بينهم.
- 18- وإن كل غازية غزت يعقب على بعضها بعضاً.
- 19- وإن المؤمنين يبيء⁽¹⁾ بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله.
- 20- وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه، وإنه لا يجير مشركاً مالاً لقريش، ولا نفساً ولا يحول دون على مؤمن.
- 21- وإنه من اعتبط⁽²⁾ مؤمناً قتلاً عن بينة فإنه قود به إلا أن يرضى ولي المقتول (بالعقل)، وإن المؤمنين عليه كافة، ولا يحل لهم إلا قيام عليه.
- 22- وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في الصحيفة، وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً أو يُؤويه، وإن من نصره أو أواه، فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل.

¹ (?) أي يمنع ويكف.

² (1) أي قتله دون جناية أو سبب يوجب قتله.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

23- وإنه مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله وإلى محمد صلى الله عليه وسلم.

24- وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

25- وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، ومواليهم وأنفسهم إلا من ظلم نفسه وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته.

26- إن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف.

27- وإن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف.

28- وإن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف.

29- وإن ليهود بن جُشَم مثل ما ليهود بني عوف.

30- وإن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف.

31- وإن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته.

32- وإن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم.

33- وإن لبني الشُّطَيْبة مثل ما ليهود بني عوف وإن البر دون الإثم.

34- وإن موالي ثعلبة كأنفسهم.

35- وإن بطانة يهود كأنفسهم.

36- وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد صلى الله عليه وسلم.

37- وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم.

38- وإنه لا يأثم امرؤ بحليفه وإن النصر للمظلوم.

39- وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

40- وإن يشرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة.

41- وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم.

42- وإنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها.

43- وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله، وإلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره.

44- وإن بينهم النصر على من دهم يشرب.

[وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها]⁽¹⁾.

⁽¹⁾ من ابن هشام.

السياسية، ص 41: 47.

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

45- أ- وإذا دعوا إلى الصلح يصلحونه ويلبسونه فإنهم يصلحونه أو يلبسونه، وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإن لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين.

ب- على كل أناس حقهم من جانبهم الذي قبلهم.

46- وإن يهود الأوس، ومواليهم وأنفسهم، على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة، وإن البر دون الإثم، لا يكسب كإسب إلا على نفسه، وإن الله على ما أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره.

47- وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، إنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم وأثم، وأن الله جار لمن بر واتقى، ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم⁽¹⁾.

ثانياً: دروس وعبر وفوائد من الوثيقة:

1- تحديد مفهوم الأمة:

تضمنت الصحيفة مبادئ عامة، درجت دساتير الدول الحديثة على وضعها فيها، وفي طليعة هذه المبادئ تحديد مفهوم الأمة، فالأمة في الصحيفة تضم المسلمين جميعاً مهاجرينهم وأنصارهم ومن تبعهم، ممن لحق بهم وجاهد معهم أمة واحدة، من دون الناس⁽²⁾ وهذا شيء جديد كل الجدة في تاريخ الحياة السياسية في جزيرة العرب، إذ نقل الرسول صلى الله عليه وسلم قومه من شعار القبيلة، والتبعية لها إلى شعار الأمة، التي تضم كل من اعتنق الدين الجديد، فلقد قالت الصحيفة عنهم «أمة واحدة» (المادة 21) وقد جاء في القرآن الكريم قال تعالى (**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**) [الأنبياء: 92].

وبين سبحانه وتعالى وسطية هذه الأمة في قوله تعالى: (**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعَ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَّحِيمٌ**) [البقرة: 143].

ووضح سبحانه وتعالى أنها بكونها أمة إيجابية فهي لا تقف موقف المتفرج من قضايا عصرها، بل تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر، وتدعوا إلى الفضائل، وتحذر من الرذائل⁽³⁾، قال تعالى: (**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ**)

² (?) انظر: التاريخ السياسي والعسكري، د. علي معطي، ص 169.

³ (?) انظر: دستور للأمة، د. عبد الناصر العطار، ص 9.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (آل عمران: 110).

وبهذا الاسم الذي أطلق على جماعة من المسلمين والمؤمنين ومن تبعهم من أهل يثرب، اندمج المسلمون على اختلاف قبائلهم في هذه الجماعة التي ترتبط بينها برابطة الإسلام، فهم يتكافلون فيما بينهم، وهم ينصرون المظلوم على الظالم، وهم يرفعون حقوق القرابة، والمحبة، والجوار⁽¹⁾ لقد انصهرت طائفتا الأوس والخزرج في جماعة الأنصار، ثم انصهر الأنصار والمهاجرون في جماعة المسلمين، وأصبحوا أمة واحدة⁽²⁾ تربط أفرادها رابطة العقيدة وليس الدم، فيتحد شعورهم وتتحد أفكارهم وتتحد قبلتهم ووجهتهم، وولأوهم لله وليس للقبيلة، واحتكامهم للشرع وليس للعرف، وهم يتميزون بذلك كله على بقية الناس «من دون الناس» فهذه الروابط تقتصر على المسلمين ولا تشمل غيرهم من اليهود والحلفاء.

ولا شك أن تمييز الجماعة الدينية كان أمراً مقصوداً يستهدف زيادة تماسكها، واعتزازها بذاتها⁽³⁾ يتضح ذلك في تمييزها بالقبلة واتجاهها إلى الكعبة بعد أن اتجهت ستة عشر أو سبعة عشر شهراً إلى بيت المقدس⁽⁴⁾.

وقد مضى النبي صلى الله عليه وسلم يميز أتباعه عمن سواهم في أمور كثيرة، وبوضح لهم أنه يقصد بذلك مخالفة اليهود، من ذلك: أن اليهود لا يصلون بالخفاف فاذن النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه أن يصلوا بالخف، واليهود لا تصيغ الشيب فصيغ المسلمون شيب رؤوسهم بالحناء والكتيم، واليهود تصوم عاشوراء والنبي صلى الله عليه وسلم يصومه أيضاً ثم اعتزم أواخر حياته أن يصوم تاسوعاء معه مخالفة لهم⁽⁵⁾. ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم وضع للمسلمين مبدأ مخالفة غيرهم والتميز عليهم فقال: «من تشبه بقوم فهو منهم»⁽⁶⁾ وقال: «لا تشبهوا باليهود»⁽⁷⁾ والأحاديث في ذلك كثيرة وهي تفيد معنى تمييز المسلمين واستعلائهم على غيرهم، ولا شك أن التشبه والمحاكاة للآخرين يتنافى مع الاعتزاز بالذات والاستعلاء على الكفار، ولكن هذا التمييز والاستعلاء لا يشكل حاجزاً بين المسلمين وغيرهم، فكيان الجماعة الإسلامية مفتوح وقابل للتوسع ويستطيع الانضمام إليه من يؤمن بعقيدته⁽⁸⁾.

واعتبرت الصحيفة اليهود جزءاً من مواطني الدولة الإسلامية، وعنصراً من عناصرها ولذلك قيل في الصحيفة: «وأن من تبعنا من

1 (?) انظر: التاريخ السياسي والحضاري، د. السيد عبد العزيز سالم، ص 100.

2 (?) انظر: قيادة الرسول السياسية والعسكرية، أحمد راتب، ص 93.

3 (?) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (1/293).

4 (?) تاريخ خليفة بن خياط، ص 23، 24، وسيرة ابن هشام (1/550).

5 (?) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (1/293). (2) نفس المصدر

(1/293).

7 (?) نفس المصدر (1/293). (4) نفس المصدر.

8

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

يهود، فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين، ولا متناصر عليهم» (المادة 16) ثم زاد هذا الحكم إيضاحاً في المادة (25) وما يليها، حيث نص فيها صراحة بقوله: **(وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين...)**.

وبهذا نرى أن الإسلام قد اعتبر أهل الكتاب الذين يعيشون في أرجائه مواطنين، وأنهم أمة مع المؤمنين، ما داموا قائمين بالواجبات المترتبة عليهم، فاختلاف الدين ليس -بمقتضى أحكام الصحيفة- سبباً للحرمان من مبدأ (المواطنة)⁽¹⁾.

2- المرجعية العليا لله ورسوله:

جعلت الصحيفة الفصل في كل الأمور بالمدينة يعود إلى الله ورسوله **صلى الله عليه وسلم**، فقد نصت على مرجع فض الخلاف في المادة (23)، وقد جاء فيها: «وأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء، فإن مرده إلى الله وإلى محمد **صلى الله عليه وسلم**» والمغزى من ذلك واضح وهو تأكيد سلطة عليا دينية تهيم على المدينة وتفصل في الخلافات منعاً لقيام اضطرابات في الداخل من جراء تعدد السلطات، وفي نفس الوقت تأكيد ضمنى برئاسة الرسول **صلى الله عليه وسلم** على الدولة⁽²⁾ فقد حددت الصحيفة مصدر السلطات الثلاث؛ التشريعية، والقضائية، والتنفيذية، فكان رسول الله **صلى الله عليه وسلم** حريصاً على تنفيذ أوامر الله من خلال دولته الجديدة، لأن تحقيق الحاكمية لله على الأمة هو محض العبودية لله تعالى؛ لأنه بذلك يتحقق التوحيد ويقوم الدين قال تعالى: **(مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْجُحُومُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)** [يوسف: 40].

يعنى: «ما الحكم الحق في الربوبية والعقائد والعبادات، والمعاملات إلا لله وحده، يوحيه لمن أصطفاه من رسله، لا يمكن لبشر أن يحكم فيه برأيه وهواه، ولا بعقله واستدلالة، ولا باجتهاده واستحسانه، فهذه القاعدة هي أساس دين الله تعالى على السنة جميع رسله لا تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة»⁽³⁾.

لقد نزل القرآن الكريم من أجل تحقيق العبودية والحاكمية لله تعالى، قال تعالى: **(إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۚ إِلَّا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُوا إِلَى اللَّهِ رُلُقَىٰ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ)** [الزمر: 2,3]. وقال تعالى: **(إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِثِينَ خَصِيماً)** [النساء: 105] فكما أن تحقيق العبودية غاية من

1 (?) انظر: نظام الحكم، طاهر القاسمي (1/37).

2 (?) انظر: التاريخ السياسي والحضاري، السيد عبد العزيز، ص 102.

3 (?) انظر: تفسير المنار (12/309).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

إنزال الكتاب، فكذلك تطبيق الحاكمية غاية من إنزاله، وكما أن العبادة لا تكون إلا عن وحي منزل، فكذلك لا ينبغي أن يحكم إلا بشرع منزل، أو بماله أصل في شرع منزل⁽¹⁾.

إن تحقيق الحاكمية تمكين للعبودية، وقيام بالغاية التي من أجلها خلق الإنسان والجنان، قال تعالى: **(وَمَا خَلَقَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)** [الذاريات: 56].

وقد اعترف اليهود في هذه الصحيفة بوجود سلطة قضائية عليا، يرجع إليها سكان المدينة بمن فيهم اليهود بموجب المادة (43)، لكن اليهود لم يلزموا بالرجوع إلى القضاء الإسلامي دائماً بل فقط عندما يكون الحدث أو الاشتجار بينهم وبين المسلمين، أما في قضاياهم الخاصة وأحوالهم الشخصية فهم يحتكمون إلى التوراة ويقضي بينهم أحيارهم، ولكن إذا شَاءوا فبوسعهم الاحتكام إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقد خير القرآن الكريم النبي صلى الله عليه وسلم بين قبول الحكم فيهم أو ردهم إلى أحيارهم، قال تعالى: **(سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَالُونَ لِلْحَبِثِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَصْرِوْكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)** [المائدة: 42].

ومن القضايا التي أراد اليهود تحكيم الرسول صلى الله عليه وسلم فيها اختلاف بني النضير وبني قريظة في دية القتل بينهما، فقد كانت بنو النضير أعز من بني قريظة، فكانت تفرض عليهم دية مضاعفة لقتلها، فلما ظهر الإسلام في المدينة امتنعت بنو قريظة عن دفع الضعف، وطالبت بالمساواة في الدية⁽²⁾ فنزلت الآية: **(وَكُتِبَ عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)** [المائدة: 45].

وبهذه الصحيفة التي أقرت المادة (43): «على أنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسوله صلى الله عليه وسلم» أصبح للرسول صلى الله عليه وسلم سلطة قضائية مركزية عليا يرجع إليها الجميع، وجعلها ترجع إلى الله وإلى الرسول صلى الله عليه وسلم ولها قوة تنفيذية؛ لأن أوامر الله وأجبة الطاعة وملزمة التنفيذ، كما أن أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم هي من الله، وطاعته واجبة⁽³⁾.

وبذلك أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم رئيس الدولة، وفي نفس الوقت رئيس السلطة القضائية والتنفيذية والتشريعية؛ فقد تولى رسول الله صلى الله عليه وسلم السلطات الثلاث بصفته

¹ (?) انظر: الحكم والتحاكم في خطاب الوحي (1/433).

² (?) انظر: السيرة النبوية الصحيحة، (1/291).

³ (?) انظر: دولة الرسول صلى الله عليه وسلم من التكوين إلى التمكين، ص 418. هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

رسول الله المكلف بتبليغ شرع الله، والمفسر لكلام الله، والسلطة التنفيذية بصفته الرسول الحاكم، ورئيس الدولة، فقد تولى رئاسة الدولة وفق نصوص الصحيفة، وباتفاق الطوائف المختلفة الموجودة في المدينة، ممن شملتهم نصوص الصحيفة في المادة (36) التي تقرر أنه «لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد صلى الله عليه وسلم» ولهذا تأثير كبير في عدم السماح لهم بمخالفة قریش أو غيرها من القبائل المعادية، وهناك المادة (43) التي ذهبت إلى ما هو أبعد وأصرح من ذلك إذ قررت أنه (لا تجار قریش ولا من نصرها) ولم يرد في الصحيفة اسم لأي شخص ما عدا رسول الله صلى الله عليه وسلم⁽¹⁾.

3- إقليم الدولة:

وجاء في الصحيفة: «وأن يشرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة» مادة (40) وأصل التحريم أن لا يقطع شجرها، ولا يقتل طيرها، فإذا كان هذا هو الحكم في الشجر والطير فما بالك في الأموال والآنفس⁽²⁾ فهذه الصحيفة حددت معالم الدولة: أمة واحدة، وإقليم هو المدينة، وسلطة حاکمة يرجع إليها وتحكم بما أنزل الله. إن المدينة كانت بداية إقليم الدولة الإسلامية ونقطة الانطلاق، ومركز الدائرة التي كان الإقليم يتسع منها حتى يضع حدًا للقلقل والاضطرابات ويسوده السلم والأمن العام.

وقد أرسل النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه ليثبتوا أعلاماً على حدود حرم المدينة من جميع الجهات، وحدود المدينة بين لابتها شرقاً وغرباً، وبين جبل ثور في الشمال وجبل غير في الجنوب.

ثم اتسع (الإقليم) باتساع الفتح، ودخول شعوب البلاد المفتوحة في الإسلام حتى عم مساحة واسعة في الأرض والبحر وما يعلموها من فضاء، فمن المحيط الأطلسي غرباً ومناطق واسعة من غرب أوربا وجنوبها ومناطق فسيحة من غرب آسيا وجنوبها، إلى أكثر أهل الصين وروسيا شرقاً، وكل شمال إفريقيا وأواسطها⁽³⁾ إن إقليم الدولة مفتوح وغير محدود بحدود جغرافية أو سياسية، فهو يبدأ من عاصمة الدولة (المدينة) ويتسع حتى يشمل الكرة الأرضية بأسرها قال تعالى: (قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) [الأعراف: 128]. كما أن مفهوم الأمة مفتوح وغير منغلق على فئة دون فئة، بل هي ممتدة لتشمل الإنسانية كلها، إذا ما استجابت لدين الله تعالى الذي ارتضاه لخلقه ولبنى آدم أينما كانوا.

فالدولة الإسلامية دولة الرسالة العالمية، لكل فرد من أبناء

1 (؟) المصدر السابق، ص 420.

2 (؟) انظر: نظام الحكم، طاهر القاسمي، (1/38).

3 (؟) انظر: دولة الرسول من التكوين إلى التمكين، ص 411.

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

المعمورة نصيب فيها، وهي تتوسع بوسيلة الجهاد⁽¹⁾.

4- الحريات وحقوق الإنسان:

إن الصحيفة تدل بوضوح وجلاء على عبقرية الرسول صلى الله عليه وسلم، في صياغة موادها وتحديد علاقات الأطراف بعضها ببعض، فقد كانت موادها مترابطة وشاملة، وتصلح لعلاج الأوضاع في المدينة آنذاك، وفيها من القواعد والمبادئ ما يحقق العدالة المطلقة، والمساواة التامة بين البشر، وأن يتمتع بنو الإنسان على اختلاف ألوانهم ولغاتهم وأديانهم بالحقوق والحريات بأنواعها⁽²⁾. يقول الأستاذ الدكتور محمد سليم العوا: «ولا تزال المبادئ التي تضمنها الدستور في جملتها معمولاً بها، والأغلب أنها ستظل كذلك في مختلف نظم الحكم المعروفة إلى اليوم... وصل إليها الناس بعد قرون من تقريرها في أول وثيقة سياسية دُونها الرسول صلى الله عليه وسلم»⁽³⁾.

فقد أعلنت الصحيفة أن الحريات مصونة، كحرية العقيدة والعبادة وحق الأمن، إلخ، فحرية الدين مكفولة: «للمسلمين دينهم ولليهود دينهم» قال تعالى: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْهَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [البقرة: 256]، وقد أُنذرت الصحيفة بانزال الوعيد، وإهلاك من يخالف هذا المبدأ أو يكسر هذه القاعدة، وقد نصت الوثيقة على تحقيق العدالة بين الناس، وعلى تحقيق مبدأ المساواة.

إن الدولة الإسلامية واجب عليها أن تقيم العدل بين الناس، وتفسح المجال وتيسر السبل أمام كل إنسان يطلب حقه أن يصل إلى حقه بأيسر السبل وأسرعها، دون أن يكلفه ذلك جهداً أو مالا⁽⁴⁾ وعليها أن تمنع أي وسيلة من الوسائل من شأنها أن تعيق صاحب الحق من الوصول إلى حقه.

لقد أوجب الإسلام على الحكام أن يقيموا العدل بين الناس، دون النظر إلى لغاتهم أو أوطانهم، أو أحوالهم الاجتماعية، فهو يعدل بين المتخاصمين، ويحكم بالحق، ولا يهجم أن يكون المحكوم لهم أصدقاء أو أعداء، أغنياء أو فقراء، عمالاً أو أصحاب عمل، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَاَنُ قَوْمٍ عَلَى أَنْ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) [المائدة: 8].

والمعنى: لا يحملنكم بغض قوم على ظلمهم، ومقتضى هذا أنه لا يحملنكم قوم على محاباتهم والميل معهم⁽⁵⁾.

1 (?) المصدر السابق، ص 421. (3) المصدر السابق، ص 420.

2 (4) انظر: النظام السياسي في الإسلام، ص 65.

4 (?) انظر: النظام السياسي في الإسلام، ص 58. (2) نفس المصدر، ص 52.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

أما مبدأ المساواة؛ فقد جاءت نصوص صريحة في الصحيفة حولها، منها: «أن ذمة الله واحدة» وأن المسلمين «يجبر عليهم أدناهم» وأن «بعضهم موالى بعض دون الناس» ومعنى الفقرة الأخير أنهم يتناصرون في السراء والضراء (المادة 15). وتضمنت المادة (19) أن «المؤمنين يبيء بعضهم علي بعض بما نال دماءهم في سبيل الله» قال السهيلي شارح السيرة في كتابه (الروض الأنف): (ومعنى قوله يُبيء هو من البواء، أي: المساواة)⁽¹⁾.

بعد مبدأ المساواة أحد المبادئ العامة، التي أقرها الإسلام، وهي من المبادئ التي تساهم في بناء المجتمع المسلم، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) [الحجرات: 13].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمَر على أسود، ولا أسود على أحمَر إلا بالتقوى، أبلغت»⁽²⁾.

إن هذا المبدأ كان من أهم المبادئ التي جذبت الكثير من الشعوب قديماً نحو الإسلام فكان هذا المبدأ مصدراً من مصادر القوة للمسلمين الأولين⁽³⁾.

وليس المقصود بالمساواة هنا (المساواة العامة) بين الناس جميعاً في كافة أمور الحياة، كما ينادي بعض المخدوعين ويرون ذلك عدلاً⁽⁴⁾ فالاختلاف في المواهب والقدرات، والتفاوت في الدرجات غاية من غايات الخلق⁽⁵⁾، ولكن المقصود المساواة التي دعت إليها الشريعة الإسلامية، مساواة مفيدة بأحوال، وليست مطلقة في جميع الأحوال⁽⁶⁾ فالمساواة تأتي في معاملة الناس أمام الشرع، والقضاء، وكافة الأحكام الإسلامية، والحقوق العامة دون تفریق بسبب الأصل، أو الجنس، أو اللون، أو الثروة أو الجاه، أو غيرها⁽⁷⁾.

كانت الوثيقة قد اشتملت على أتم ما قد تحتاج الدولة من مقوماتها الدستورية والإدارية، وعلاقة الأفراد بالدولة، وكان القرآن يتنزل في المدينة عشر سنين، يرسم للمسلمين، خلالها مناهج الحياة، ويرسي مبادئ الحكم، وأصول السياسة، وشئون المجتمع وأحكام الحرام والحلال وأسس التقاضي، وقواعد العدل، وقوانين الدولة المسلمة في الداخل والخارج، والسنة الشريفة تدعم هذا وتشيده،

1 (?) انظر: الروض الأنف (2/17) نقلاً عن نظام الحكم للقاسمي (1/38).

2 (?) انظر: مسند الإمام أحمد (5/411).

3 (?) انظر: مبادئ الحكم في الإسلام، عبد الحميد متولي، ص 385.

4 (?) انظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها للميداني (1/624).

5 (?) انظر: فلسفة التربية الإسلامية، ماجد الكيلاني، ص 179.

6 (?) انظر: مبادئ علم الإدارة، محمد نور الدين، ص 116.

7 (?) انظر: فقه التمكين، د. علي الصلابي، ص 463.

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

وتفصله في تنوير وتبصرة، فالوثيقة خطت خطوطاً عريضة في الترتيبات الدستورية، وتعتبر في القمة من المعاهدات التي تحدد صلة المسلمين بالأجانب الكفار المقيمين معهم، في شيء كثير من التسامح والعدل والمساواة، وعلى التخصيص إذا لوحظ أنها أول وثيقة إسلامية، تسجل وتنفذ في أقوام كانوا منذ قريب وقبل الإسلام أسرى العصبية القبلية، ولا يشعرون بوجودهم إلا من وراء الغلبة، والتسلط وبالتخوض في حقوق الآخرين وأشياءهم⁽¹⁾. كانت هذه الوثيقة فيها من المعاني الحضارية الشيء الكثير، وما توافق الناس على تسميته اليوم بحقوق الإنسان، وإنه لا بد على الجانبين المتعاقدين أن يلتزموا بنودها، فهل حدث هذا الالتزام⁽²⁾؟

ثالثاً: موقف اليهود في المدينة:

لقد قامت الحج القاطعة والبراهين الساطعة لليهود على صدق رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكن ذلك لم يزد بهم إلا عناداً وعداوة واستكباراً وحقدًا وحسدًا على الرسول والذين آمنوا معه، فعن صفية بنت حيي بن أخطب أنها قالت: «كنت أحب ولد أبي إليه، وإلى عمي أبي ياسر، لم ألقهما قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه، قالت: فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، ونزل قباء في بني عمرو بن عوف، غدا عليه أبي، حيي بن أخطب، وعمي، أبو ياسر بن أخطب، مُعَلِّسِين، قالت: فلم يرجعا حتى كان مع غروب الشمس، قالت: فأتيا كالبين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى، قالت: فهششت إليهما، كما كنت أصنع، فوالله ما إلتفت إلي واحد منهما، مع ما بهما من الغم، قالت: وسمعت عمي أبا ياسر، وهو يقول لأبي حيي بن أخطب: أهو هو؟ قال: نعم والله، قال: أتعرفه وتبته؟ قال: نعم، قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت»⁽³⁾.

وقد شن اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا معه حملات إعلامية لتشويه صورة الرسول صلى الله عليه وسلم وتغيير الناس منه، ونزع الثقة فيه منهم، لقد شعر اليهود بخطورة هذا الدين على مصالحهم، وعلى عقيدتهم المنحرفة المزيفة، القائمة على الاستعلاء واحتقار الناس عدا الجنس اليهودي، لقد جاء ينادي بعقيدة التوحيد، وهم يقولون: عزير ابن الله، وجاء ينادي بالمساواة بين أفراد الجنس البشري، وأنه لا يعلو شعب على شعب ولا جماعة على جماعة، وهم يرون أنهم شعب الله المختار، يترفعون عن بقية الأجناس، وينظرون إليهم على أنهم دونهم، وأقل منهم⁽⁴⁾ ولذلك لم يلتزموا بنود الوثيقة، وشرعوا في التشكيك في نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ورسالته، وأكثروا من الأسئلة لإحراج

1 (?) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، د. محمد فيض الله، ص 29، 30.

2 (?) انظر: هجرة الرسول وصحابته للحمل، ص 261.

3 (?) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (1/518، 519).

4 (?) انظر: الصراع مع اليهود، محمد أبو فارس، (1/31).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

رسول الله صلى الله عليه وسلم وخذعوا المؤمنين ودلسوا عليهم⁽¹⁾ وغير ذلك من الأعمال الخبيثة.

1- محاولة اليهود لتصديق الجبهة الداخلية:

ومن وسائلهم الخبيثة في حرب الإسلام محاولاتهم المستمرة لتمييز الصف المسلم وتخريبه، بتقطيع أواصر المحبة بين المسلمين وذلك بإثارة الفتن الداخلية، والشعارات الجاهلية، والنعرات الإقليمية، والدعوات القومية والقبلية، والسعي بالدسياسة والوقعة بين الإخوة المتآلفين المتوادرين المتحابين، فهم في توأدهم وتعاطفهم وتراحمهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر⁽²⁾.

فقد تفتق ذهن أحد شيوخهم الكبار في السن عن حيلة هدف بها إلى تفريق وحدة الأنصار، وذلك بإثارة العصبية القبلية بينهم ليعودوا إلى جاهليتهم، فتعود الجروب بينهم كما كانت، ويخسر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك أقوى أنصاره⁽³⁾. وفي بيان هذا الخبر يقول محمد بن إسحاق رحمه الله تعالى: ومرو شاس بن قيس وكان شيخاً قد عسا⁽⁴⁾ عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين، شديد الحسد لهم، على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج، في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه، فغاضه ما رأى من الفتهم وجماعتهم، وصلاح ذات بينهم على الإسلام، بعد الذي كان بينهم في الجاهلية، فقال: قد اجتمع ملا بني قيلة⁽⁵⁾ بهذه البلاد، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار، فأمر فتى شاباً من يهود كان معهم، فقال: اعمد إليهم، فاجلس معهم ثم اذكر يوم بُعث وما كان قبله، وأنشدكم بعض ما كانوا تقولوا فيه من الأشعار.

وكان يوم بعث يوماً اقتتل في الأوس والخزرج، وكان الظفر فيه يومئذ للأوس على الخزرج، وكان على الأوس يومئذ حُصير بن سماء الأشهلي وأبو أسيد بن حضير وعلى الخزرج عمرو بن النعمان البياضي، فقتلا جميعاً.

قال ابن إسحاق: ففعل فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى تواتب رجلان من الجيين على التركب: أوس بن قيطي، أحد بني حارثة بن الحارث، من الأوس، وجبار بن صخر، أحد بني سلمة من الخزرج، فتقاولا، ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شئتم ردناها الآن خذعة⁽⁶⁾ فغضب الفريقان جميعاً وقالوا: قد فعلنا، موعدكم الظاهرة والظاهرة: الحرة - السلاح السلاح، فخرجوا إليها.

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين حتى جاءهم فقال: «يا معشر المسلمين الله

1 (?) انظر: الصراع مع اليهود (1/31: 41) (4) نفس المصدر (1/44).

3 (?) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (4/37). (6) عسا: كبرت سنه.

5 (?) قيلة: أم الأوس والخزرج. (2) جزة: أي ردنا الحرب فتية قوية.

6 (3) انظر: سيرة ابن هشام (2/211: 214).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

الله، أيدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام، وإكرمكم به، وقطع به عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر وألف به بين قلوبكم؟».

فعرّف القوم أنها نزعة من الشيطان، وكيد من عدوهم، فبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً، ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، سامعين مطيعين، قد أطفا الله عنهم كيد عدو الله شئاس بن قيس، فأنزل الله تعالى في شئاس بن قيس وما صنع: (**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَمْ يَكْفُرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ**) **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَمْ تُصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ أَمَنْ تَبْعُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ ۖ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**) [آل عمران: 98-99] وأنزل الله في أوس بن قيطي وجبار بن صخر، ومن كان معهما من قومهما الذين صنعوا ما صنعوا عما أدخل عليهم شئاس من أمر الجاهلية⁽¹⁾: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ۖ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۖ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ۖ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ۚ وَكُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَلٍ خُفِرَ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۖ وَلَكِنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَبَرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۖ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**) [آل عمران: 100-105] ونرى من خلال القصة قدرة القيادة النبوية على إفشال مخطط اليهود الهادف لتفتيت وحدة الصف، ويظهر اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بأمور المسلمين، وإشفاقه عليهم، وفزعه مما يصيبهم من الفتن والمصائب، فقد أسرع إلى الانصار وذكرهم بالله، وبين لهم أن ما أقدموا عليه من أمر الجاهلية، وذكرهم بالإسلام وما أكرمهم الله به من القضاء على الحروب، والفتن وتطهير النفوس من الضغائن، وتأليف القلوب بالإيمان، وكان لكلمات النبي صلى الله عليه وسلم أثر في نفوسهم وسرت في كيانه روح جديدة مسحت كل أثر لأمير الجاهلية بفضل الله تعالى، ثم بكلمات نبيه صلى الله عليه وسلم المعبرة وروحه القوية المؤثرة وهيئته الوثابة المندرة، وأدركوا أن ما وقعوا فيه كان من وساوس الشيطان وكيد عدوهم من اليهود، فبكوا ندماً على ما وقعوا فيه من الذنوب، وتعانق رجال الإسلام، تعبيراً على محبتهم الإيمانية لبعضهم⁽²⁾.

² (?) انظر: التاريخ الإسلامي (4/41، 42). (2) مكان يتلى فيه التوراة. هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

2- التهجم على الذات الإلهية:

ذكر غير واحد من كتاب السير والمفسرين أن أبا بكر ؓ قد دخل بيت المدراس⁽¹⁾ على يهود، فوجد منهم ناساً كثيراً قد اجتمعوا إلى رجل منهم، يقال له: (فنحاص)، وكان من علمائهم وأخبارهم، ومعه حبر من أخبارهم، يقال له: (أشيع)⁽²⁾ فقال أبو بكر لفنحاص: وبك اتق الله وأسلم فوالله إنك تعلم أن محمداً لرسول الله قد جاءكم بالحق من عنده، تحدونه مكتوباً عندكم في التوراة والإنجيل، فقال فنحاص لأبي بكر: والله يا أبا بكر، ما بنا إلى الله من فقر، وإنه إلينا لفقير، وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا، وإنا عنه لأغنياء، وما هو عنا بغني، ولو كان عنا غنياً ما استقرضنا أموالنا، كما يزعم صاحبكم، ينهاكم عن الربا ويعطيناه، ولو كان عنا غنياً ما أعطانا الربا، فغضب أبو بكر، فضرب وجه فنحاص ضرباً شديداً، وقال: والذي نفسي بيده، لولا العهد الذي بيننا وبينكم لضربت رأسك أي عدو الله، فذهب فنحاص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد انظر ما صنع بي صاحبك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر: «ما حملك على ما صنعت؟» فقال أبو بكر: يا رسول الله، إن عدو الله قال قولاً عظيماً، إنه يزعم أن الله فقير، وأنهم أغنياء فلما قال ذلك غضبت لله مما قال، وضربت وجهه، فجدد ذلك فنحاص، وقال: ما قلت ذلك، فأنزل الله تعالى فيما قال فنحاص ردّاً عليه، وتصديقاً لأبي بكر: (لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوفُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) (آل عمران: 181).

ونزل في أبي بكر الصديق ؓ وما بلغه في ذلك من الغضب⁽³⁾: (لَيُلْزَمُ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَى كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) (آل عمران: 186) وذكر القرآن الكريم في أكثر من موضع سوء أديهم مع الله سبحانه وتعالى، وعدم تنزيهه عن النقائص، ووصفه بما لا يليق به سبحانه، وهذا عين الوقاحة، وانعدام الأدب ومن هذه الآيات قول الله تعالى: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طَعْنًا وَكُفْرًا وَالْقِيَامَتُ بَيْنَهُمُ الْعَادَاةُ وَالْبَعْثَاءُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَهْلَقَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يَجِبُ الْمُفْسِدِينَ) (المائدة: 64).

² (?) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (1/558، 559) وسبل الهدى والرشاد (3/583: 585) وتفسير مجاهد، ص 140.

³ (?) انظر: تفسير القرطبي (4/295). (2) انظر: الصراع مع اليهود (1/51).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

ويبدو من مضمون الآية أن هذا الموقف الذي وقفوه كان منبعاً مما كان يملأ صدورهم من الغيظ والسخط من رسوخ في قدم النبي **صلى الله عليه وسلم**، وانتشار دعوته، ولعل مما يضاف إلى هذا الاحتمال كون المسلمين قد انصرفوا عنهم، أو قاطعوهم بسبب مواقف الكيد والجحود التي ما فتئوا يقفونها، واستجابة لأمر القرآن ونهييه وتحذيره، فآثر ذلك في حالتهم الاقتصادية تأثيراً سيئاً، زاد سخطهم وغيظهم وتبرمهم، ودفعهم إلى ما كان منهم من سوء الأدب في حق الله، ومن رد غير جميل لرسول الله **صلى الله عليه وسلم** ⁽¹⁾.

3- سوء أدبهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والنيل من الرسول الكرام والقرآن الكريم:

وكان اليهود يسيئون الأدب مع رسول الله **صلى الله عليه وسلم**، في حضرته وأثناء خطابه، إذ يلمزونهم، ويحيونه بتحية فيها من الأذى والتهجم ما يدل على سوء أخلاقهم، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء ناس من اليهود إلى رسول الله **صلى الله عليه وسلم** فقالوا: السام ⁽²⁾ عليك يا أبا القاسم، فقلت: السام عليكم، وفعل الله بكم، فقال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: «مه يا عائشة، فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش» فقلت: يا رسول الله، ترى ما يقولون؟ فقال: «الست تريني أرد عليهم ما يقولون؟ وأقول: وعليكم» قالت: فنزلت هذه الآية في ذلك ⁽³⁾ وهي قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يُعَادُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْأَمْرِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَيَنْسِفَنَ الْمَصِيرُ) [المجادلة: 8].

وهذه الآية تظهر الحقد الذي هيمن على نفوس اليهود ودفعهم إلى استخدام كل الوسائل والطرق لهم الإسلام والتخلص من صاحب الرسالة، والسيطرة على المسلمين، ولكن يظهر من دعاء بعض اليهود على الرسول **صلى الله عليه وسلم** بالموت مع التظاهر بالسلم عليه، الضعف الذي كانوا عليه عند التجأهم إلى هذا النوع من السلم، فالممارس لمثل ما قام به اليهودي الذي سلم على الرسول **صلى الله عليه وسلم** بقوله: السام عليك يعيش أزمة نفسية متولدة عن فقدان عز كان يظن أنه ينعم فيه، لقد تغلبت قوى جديدة على ماضيه وحاضره، ولم يستطع أن يتفاعل مع من تغلب عليه. ومنعهم الحسد والغيرة، من الانقياد للدين الجديد، ومما زاد في تآزم اليهود أنهم جربوا محاربة الإسلام بوسائلهم التي كانوا يظنون أنها لا تقهر، فكان الفشل حليفهم، لذلك لجأوا إلى الطرق السلبية، والوسائل الملتوية، فالدعاء على الخصم مع التظاهر بالسلم هو سلاح

² (؟) السام: الموت، انظر: زاد المسير (8/189).

³ (؟) زاد المسير في علم التفسير (8/189) رواه ابن أبي حاتم من حديث الأعمش عن مسروق، عن عائشة وإسناده صحيح، وفي صحيح مسلم (4/1717).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

العاجزين، ووسيلة الخائبين، وترياق الحاقدين⁽¹⁾.

ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صدر عن عائشة رضي الله عنها دعاها إلى الرفق واللين، وبين لها أن المسلم لا يجوز له أن يترك الغضب يتحكم فيه، فالرفق في الإسلام ثمرة لا يثمرها إلا حسن الخلق، فالله رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف⁽²⁾.

وأما نيلهم من المرسلين فقد أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من يهود فيهم أبو ياسر بن أخطب، ونافع بن أبي نافع، وعازر بن أبي عازر وغيرهم وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن يؤمن به من الرسل فقال صلى الله عليه وسلم: «نؤمن بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون» فلما ذكر عيسى عليه السلام، وقالوا: لا نؤمن بعيسى ابن مريم ولا نؤمن بمن آمن به⁽³⁾ فأنزل الله فيهم: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ يَنْقُومُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ أَمَنَا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ [المائدة: 59].

وأما في محاولاتهم للنيل من القرآن الكريم في أسئلتهم، ونقاشهم الذي لا ينتهي فعن ابن عباس ؓ قال: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قالت أخبار اليهود: يا محمد أرايت قولك: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) [الإسراء: 85] إيانا تريد أم قومك؟ قال: «كلا» قالوا: فأنك تتلوا فيما جاءك: أنا قد أوتينا التوراة فيها بيان كل شيء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنها في علم الله قليل، وعندكم في ذلك ما يكفيكم لو أفهيموه»⁽⁴⁾ قال: فأنزل الله تعالى فيما سألوه عنه من ذلك: (وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [لقمان: 27].

4- دعم حزب المنافقين وتأمرهم معهم:

حدثنا القرآن الكريم عن قيادة اليهود الفكرية لحزب المنافقين، فهم شياطين المنافقين يخططون لهم، ويوجهونهم ويدرسونهم أساليب الكيد والمكر والخداع والديهاء، وإثارة الفتن قال تعالى: (وَإِذَا لَفُوا ذُيُبًا فَأَمَرُوا أَنْتَهُمْ وَقَالُوا آمَنُوا بِمَا قَالُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ) [البقرة: 14].

1 (?) انظر: حوار الرسول مع اليهود، د. محسن عبد الناصر، ص 101.

2 (?) نفس المصدر، ص 87.

3 (?) انظر: ابن هشام في السيرة (1/567) تفسير ابن جرير (1/442) وانظر: اليهود في السنة المظهرة، عبد الله الشقاوي (1/242، 243).

4 (?) انظر: اليهود في السنة المظهرة (1/241).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

قال النسفي في تفسيره: «وشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم، وهم اليهود»⁽¹⁾.

وكان اليهود في المدينة يتآمرون مع المنافقين ضد المسلمين، وفي هذا التآمر قال تعالى: (بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا الَّذِينَ يَتَخَذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلِيتَهُمْ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا) [النساء: 138-139].

قال الأستاذ محمد دروزة: «وجمهور المفسرين على أن الكافرين هنا هم اليهود، وفي الآية قرينة على صحة ذلك، كما أن فيما بعدها قرينة ثانية أيضاً، وواضح أن اتخاذ المنافقين اليهود أولياء، وتواطؤهم معهم، إنما هما أثران من آثار التآمر الموطن بين اليهود والمنافقين تجاه الدعوة والقوة الإسلامية»⁽²⁾.

وقد دفعوا المنافقين لإشغال حرب ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعن عروة بن الزبير أن أسامة بن زيد أخبره: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب على حمار على قطيفة فذكية وأردف أسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عباد في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر، قال: حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أبي ابن سلول، وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبي، فإذا في المجلس خلط من المسلمين والمشركين، عبدة الأوثان، واليهود، وفي المجلس عبد الله بن رواحة، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة، خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه، ثم قال: لا تغبروا علينا، فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم ثم وقف، فنزل فدعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله بن أبي ابن سلول: أيها المرء، إنه لا أحسن مما تقول، إن كان حقا فلا تؤذينا به في مجلسنا، أرجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه، فقال عبد الله بن رواحة: بلى يا رسول الله فاعشنا به في مجالسنا، فإننا نحب ذلك فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثأرون⁽³⁾ فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكنوا، ثم ركب النبي صلى الله عليه وسلم دابته فسار حتى دخل على سعد بن عباد فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «يا سعد، ألم تسمع ما قال أبو حباب- يريد عبد الله بن أبي- قال كذا وكذا»، قال سعد بن عباد: يا رسول الله اعف عنه واصفح فوالذي أنزل عليك الكتاب، لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك، ولقد اصطاح أهل هذه البحيرة⁽⁴⁾ على أن يتوجه فيعصبونه

(?) انظر: تفسير النسفي (1/21).

(?) انظر: سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم لدروزة (2/179، 180).

(?) يتثأرون: أي يتواثبون والمعنى، كادوا أن يشب بعضهم على بعض فيقتلوا، ويقال ثار، إذا قام بسرعة وانزعاج.

(?) البَحِيرَة: لفظ يطلق على القرية والبلد والمراد به هنا المدينة.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

بالعصاة، فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله شرق بذلك، فذلك فعل به ما رأيت، فعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم⁽¹⁾.

5- طعن اليهود في من آمن من الأحرار (عبد الله بن سلام) رضي الله عنه:

عندما بلغ عبد الله بن سلام مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فاتاه فقال: إني سألتك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: قال: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكل أهل الجنة؟ ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه؟ ومن أي شيء ينزع إلى أخواله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خبرني بهن أنفا جبريل» قال: فقال عبد الله: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما أول أشراط الساعة: فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة: فزيادة كبد الحوت، وأما الشبه في الولد، فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له، وإذا سبقه ماؤها كان الشبه لها» قال: أشهد أنك رسول الله، ثم قال: يا رسول الله، إن اليهود قوم بهت وإن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك، فجاءت اليهود ودخل عبد الله البيت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟» فقالوا: أعلمنا وابن أعلمنا، وأخبرنا وابن أخبرنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفرأيتم إن أسلم عبد الله؟» قالوا: أعاذة الله من ذلك، فخرج عبد الله إليهم فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فقالوا: شرنا وابن شرنا، ووقعوا فيه⁽²⁾ فكانوا يؤذون من آمن من أحرارهم، ويشيرون حولهم الشكوك، ويقذفونهم بتهمة باطلة قبيحة، وقد حدثنا القرآن الكريم عن هذه الوسيلة ودافع عن هؤلاء المؤمنين الذين وجه اليهود ضدهم تلك الحملات الظالمة⁽³⁾ قال تعالى: (لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ).

[آل عمران: 113-115].

قال الواحدي في أسباب النزول: «قال ابن عباس ومقاتل: لما أسلم عبد الله بن سلام، وثعلبة بن أسعد، وأسيد بن سعية، وأسد بن عبيد، ومن أسلم من اليهود، قالت أحرار اليهود: ما آمن لمحمد إلا شرارنا، ولو كانوا من أحرارنا لما تركوا دين آبائهم، وقالوا لهم: لقد خنتم حين استبدلتكم بدينكم دينا غيره، فأنزل الله تعالى (لَيْسُوا سَوَاءً)

1 (?) صحيح البخاري، كتاب التفسير (231، 8/230) رقم 4566.

2 (?) البخاري، كتاب الأنبياء، باب خلق آدم (363، 6/362) رقم 3329.

3 (?) انظر: الصراع مع اليهود (1/59).

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

(سَوَاءً) (1).

6- بث الإشاعات والشماتة بالنبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين؛

كان اليهود يتحينون الفرص للنيل من المسلمين والبحث عما يفرق كلمتهم، ومن ذلك استغلالهم - في الأشهر الأولى من الشهر - لوفاة أحد النقباء الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة وهو أبو أمامة أسعد بن زرارة الأنصاري الخزرجي فعندما أخذته الشوكة (2) فجاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعوده، فقال: «بئس الميت لليهود - مرتين - سيقولون: لولا دفع عن صاحبه، ولا أملك له ضرراً ولا نفعاً، ولا تمحلن (3) له» فأمر به فكوي بخطين فوق رأسه (4) فمات وفي رواية: فكواه حوران (5) على عنقه فمات، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «بئس الميت لليهود، يقولون: قد داواه صاحبة أفلا نفعه» (6). ولم تكن حادثة أبي أمامة هي الحدث الوحيد الذي أبان الحقد اليهودي على المسلمين، فقد أشاعوا في أول الهجرة أنهم سحروا المسلمين فلا يولد لهم ولد، أشاعوا ذلك ليضيقوا على المسلمين الخناق، ويفسدوا عليهم حياتهم الجديدة التي عاشوها في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليعكروا ذلك الجو الصافي الذي يملؤه الحب والتآلف بين المسلمين، ومما يدل على مقدار ما فعلته تلك الإشاعة بين المسلمين، شدة الفرحة التي اعترتهم حيث ولد بينهم أول مولود ذكر من المهاجرين وهو عبد الله بن الزبير (7) فعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها أنها حملت بعبد الله بن الزبير في مكة قالت: فخرجت وأنا مُتِمُّ فأتيت المدينة فنزلت قباء، فولدت بقباء، ثم أتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه في حجره، ثم دعا بتمرة فمضغها، ثم تفل في فيه فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حنكه بالتمرة، ثم دعا له فيرَّك عليه، وكان أول مولود ولد في الإسلام، ففرحوا به فرحاً شديداً، لأنهم قيل لهم: إن اليهود قد سحرتكم فلا يولد لكم (8).

وفي رواية: «وسماه عبد الله، ثم جاء بعد وهو ابن سبع أو ابن ثمان سنين ليبايع النبي صلى الله عليه وسلم وأمره الزبير بذلك،

(?) انظر: أسباب النزول للواحدي، ص 114.

(?) الشوكة: حمرة تعلو الوجه والجسد.

(?) أتمحلن: أي لأحاولن له في حيلة يشفى بوسطتها، انظر: النهاية (4/303).

(?) انظر: مستدرک الحاكم، كتاب الطب، (4/214) صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي على تصحيحه.

(?) حوران: هي كية مدورة من حاريجور إذا رجع، وحوره إذا كواه هذه الكية وتسمى حوراء أيضاً، انظر النهاية 1/459.

(?) انظر: مصنف عبد الرزاق (10/407) رقم 19515.

(?) انظر: اليهود في السنة المطهرة (1/265).

(?) البخاري، كتاب العقيدة، باب تسمية المولود (9/587) ومسلم، كتاب الآداب، باب استحباب تحنيك المولود (3/1619).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم حين رآه مقبلاً وباعه، وكان أول من ولد في الإسلام بالمدينة مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت اليهود تقول: قد أخذناهم فلا يولد لهم بالمدينة ولد ذكر، فكبر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ولد عبد الله»⁽¹⁾.

7- موقفهم من تحويل القبلة:

تكاد تكون حادثة تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة هي الفاصل بين الحرب الكلامية وحرب المناوشات، والتدخل الفعلي من جانب اليهود لزعزعة الدولة الإسلامية الناشئة⁽²⁾، فعن البراء بن عازب قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده، أو قال: أخواله، من الأنصار وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن صلى معه فمر على أهل مسجد وهم راكعون فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مكة، فداروا كما هم قبل البيت، وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلي قبل بيت المقدس وأهل الكتاب، فلما ولي وجهه قبل البيت أنكروا ذلك⁽³⁾ وقد نزلت في هذه الحادثة آيات عظيمة فيها عبر وحكم ودروس للصف المسلم، قال تعالى: (وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا يَمِ يَعْصِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ فَادْكُرُونِي أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون [البقرة: 149-152].

أ- أخبر الله تبارك وتعالى بما سيقوله اليهود عند تحول القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة من إثارة الشكوك والتساؤلات قبل وقوع الأمر، ولهذا دلالة فهو يدل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم إذ هو أمر غيبي، فأخبر عنه قبل وقوعه ثم وقع، فدل ذلك على أن محمداً صلى الله عليه وسلم رسول ونبي يخبره الوحي بما سيقع، إذ من الأدلة على صدق رسالة الرسول أن يخبر بأمور غيبية ثم تقع بعد ذلك.

وهو يدل أيضاً على علاج للمشاكل قبل حدوثها حتى يستعد

¹ (?) انظر: الحاكم في مستدركه، كتاب معرفة الصحابة، (3/548) صحيح على شرط الشيخين.

² (?) انظر: اليهود في السنة المطهرة (1/258).

³ (?) البخاري، كتاب الإيمان، باب الصلاة رقم 40.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الاواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

المسلمون وبهيتوا أنفسهم لهذه المشاكل للتغلب عليها، والرد عليها ودفعها؛ لأن الأمر حين يكون مفاجئاً لهم يكون وقعته على النفس أشد، ويربك المفاجأ به، أما حين يحدثون عنه قبل وقوعه، فالحدث يطمئنهم وبوطن نفوسهم وبعدها لمواجهة الشدائد⁽¹⁾ قال أبو السعود في تفسيره: «وأخبر بالأمر قبل وقوعه لتوطين النفوس وإعدادها لما يبتكهم، فإن مفاجأة المكروه على النفس أشق وأشد، والجواب العتيد لشغب الخصم الألد أرد»⁽²⁾ وقد وصف الله تعالى اليهود بالسفه لا عراضهم على تحويل القبلة وللكيد ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو السعود: «والسفهاء الذين خفت أحلامهم، واستمهنوها بالتقليد والإعراض عن التدبر والنظر وقولهم: ثوب سفيه إذا كان خفيف النسيج، وقيل: السفيه البهات الكذاب المتعمد خلاف ما يعلم، وقيل: الظلوم الجهول، والسفهاء هم اليهود»⁽³⁾.

ب- (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعَ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَوُوفٌ رَّحِيمٌ) [البقرة: 143].

فآية تذكر أن الصلاة نحو بيت المقدس كانت فتنة، أي اختبار، والتحول من بيت المقدس إلى الكعبة كان أيضاً اختباراً وأمتحاناً قال البيضاوي في تفسيره: «وما جعلنا قبلك بيت المقدس إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه إلا لمتحن به الناس، ونعلم من يتبعك في الصلاة إليها، ممن يرد عن دينك إلهاً لقبلة أبائه، أو لنعلم من يتبع الرسول ممن لا يتبعه، وما كان لعارض، يزول بزواله، وعلى الأول معناه: ما رددناك إلى التي كانت عليها إلا لنعلم الثابت على الإسلام ممن ينكص على عقبيه لقلة وضعف إيمانه»⁽⁴⁾.

فالصلاة إلى الكعبة في بداية الأمر، ثم الصلاة إلى بيت المقدس، ثم العودة إلى الكعبة واستمرار ذلك لا شيء فيه، ما دام الباري سبحانه أمر بذلك، ومن ثم فالتوجه في كل حالة هو عبادة، وما على الناس إلا أن ينقادوا لأمر الله تبارك وتعالى، ويلتزموا بأمره، فالذي يتبع الرسول وينقاد لأوامره في القبلة يعد فائزاً في الاختبار والامتحان، والذي يجد في نفسه على حكم من الأحكام الشرعية كان ساقطاً وهالكا، والإيمان الحق هو الذي يلزم صاحبه بالاتباع ومخالفة الهوى⁽⁵⁾، ولهذا ثبت الصحابة الكرام واستجابوا لأوامر الله تعالى، فعن

1 (؟) انظر: الصراع مع اليهود (1/102). (2) انظر: تفسير أبي السعود (1/171).

3 (؟) نفس المصدر (1/170).

4 (؟) انظر: تفسير البيضاوي نقلاً عن الصراع مع اليهود (1/101).

5 (؟) انظر: الصراع مع اليهود (1/101). (2) انظر: تفسير ابن كثير (1/337).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

ابن عمر ؓ قال: بينما الناس بقاء في صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن، وقد أمر أن يسقط الكعبة، فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة⁽¹⁾.

ج- (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لَتَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعَ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ) [البقرة: 143].

وتبين الآية الكريمة كذلك حرص المؤمنين على إخوانهم وحب الخير لهم: حينما نزلت الآيات التي تأمر المؤمنين بتحويل القبلة إلى الكعبة تساءل المؤمنون مشفقين على مصير عبادة إخوانهم الذين ماتوا، وقد صلوا نحو بيت المقدس، فأخبر الله عز وجل أن صلاتهم مقبولة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما وَجَّه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة قالوا: يا رسول الله كيف ياخواننا الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس⁽²⁾؟ فأنزل الله: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ) [البقرة: 143]. وبين لهم أنه رءوف رحيم «وبها يسكب في قلوب المسلمين الطمانينة، ويذهب عنها الفلق ويفيض عليها الرضا والثقة واليقين»⁽³⁾.

د- (قَدْ تَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ) وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ وَلِكُلِّ وَجْهٍ هُوَ مُوَلِّيُهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [البقرة: 144-148].

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصاً على أن يتوجه في صلاته إلى كعبة أبيه إبراهيم عليه السلام، فهو أولى الناس به؛ لأنه من ثمرة دعوة أبيه إبراهيم عليه السلام، وحامل لواء التوحيد بحق كما حملها إبراهيم عليه السلام، وهو صلى الله عليه وسلم كان يحرص

² (؟) انظر: سنن الترمذي (5/208) رقم الحديث 2964.

³ (؟) في ظلال القرآن: م1ج1/131: 2، 133.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

على أن يكون مستقبلاً ومتميزاً على أهل الديانات السابقة الذين حرفوا وبدلوا وغيروا كاليهود والنصارى؛ ولهذا كان ينهى عن تقليدهم والتشبه بهم، بل يأمر بمخالفتهم ويحذر من الوقوع فيما وقعوا فيه من الزلل والخلل والانحراف، ومقتضى هذا الحرص أن يتوجه في صلاته بشكل دائم إلى قبلة أبي الأنبياء، وهو أول بيت وضع للناس⁽¹⁾.

إن لحادثة تحويل القبلة أبعاداً كثيرة: منها السياسي؛ ومنها العسكري، ومنها الديني البحت، ومنها التاريخي، فبعدها السياسي أنها جعلت الجزيرة العربية محور الأحداث، وبعدها التاريخي أنها ربطت هذا العالم بالآرث العربي لإبراهيم عليه الصلاة والسلام، وبعدها العسكري أنها مهدت لفتح مكة وإنهاء الوضع الشاذ في المسجد الحرام، حيث أصبح مركز التوحيد مركزاً لعبادة الأصنام، وبعدها الديني أنها ربطت القلب بالحنيفية، وميزت الأمة الإسلامية عن غيرها، والعبادة في الإسلام عن العبادة في بقية الأديان⁽²⁾.

هـ- (وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَحْسَبُوهُمْ وَاحِشِينَ وَلَا تَمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ) فَادْكُرُونِي أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون (

[البقرة: 149-152].

كأن الله تعالى يقول للمؤمنين: إن نعمة توجيهكم إلى قبلتكم، وتمييزكم بشخصيتكم من نعائم الله عليكم، وقد سبقها الآلاء من الله كثيرة عليكم ومنها:

* (كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ) فوجود شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم إمام المرين والدعاة، هو من خصيصة هذه النخبة القيادية، التي شرفها الله تعالى بأن يكون هو المسئول عن تربيتها، فقيه النفوس، وطبيب القلوب، ونور الأفئدة، فهو النور والبرهان والحجة.

* (يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا) فالمادة الأساسية للبناء والتربية كلام الله تعالى، وكان يرافقه شحنة عظيمة لنزوله أول الأمر غصاً طرياً، فكان جيلاً متميزاً في تاريخ الإنسانية.

* (وَيُزَكِّيكُمْ) فالمعلم المرابي رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو المسئول عن عملية التربية، وهو الذي بلغ من الخلق

¹ (?) انظر: الصراع مع اليهود (1/100).

² (?) انظر: الأساس في السنة (1/440).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

والتطبيق لأحكام القرآن الكريم، ما وصفه الله تعالى به من هذا الوصف الجامع المانع الذي تفرد به من دون البشرية كافة (**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**) [القلم: 4] وهو الذي وصفته عائشة رضي الله عنها بأعظم ما يملك بشر أن يصف به نبي فقالت: «كان خلقه القرآن» فكان الصحابة يسمعون القرآن الذي يتلى من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرون القرآن الذي يمشي على الأرض متجسداً في خلقه الكريم.

* (**وَيُعَلِّمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**) فهذه المهمة الثالثة تعليم الصحابة الكرام الكتاب والحكمة، فالقرآن الكريم لكي يكون مؤثراً في الأمة لا بد من المربي الرباني الذي يزكي النفوس ويطهر القلوب ويعلمها شرع الله تعالى من خلال القرآن الكريم وسنة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فيشرح للمسلمين غامضه ويبين محكمه، ويفصل مجمله، ويسال عن تطبيقه، ويصحح خطأ الفهم لهم إن وجد، كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم ويربي أصحابه لكي يعلموا ويربوا الناس على المنهج الرباني فتعلم الصحابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم منهج التعليم، ومنهج التربية ومنهج الدعوة، ومنهج القيادة للأمة من خلال ما تسمع وما تبصر، ومن خلال ما تعاني وتجاهد فاستطاع صلى الله عليه وسلم أن يعد الجيل إعداداً كاملاً، ومؤيلاً لقيادة البشرية، وانطلق أصحابه من بعده يحملون التربية القرآنية، والتربية النبوية إلى كل صقع، وأصبحوا شهداء على الناس.

* (**وَيُعَلِّمُ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ**) ماذا كانوا قبل الوحي، والرسالة وماذا أصبحوا بعد ذلك؟ كانوا في حروب وصراع وجاهلية عمياء، وأصبحوا بفضل الله ومنه وكرمه أمة عظيمة لها رسالة وهدف في الحياة، لا هم لها إلا العمل ابتغاء مرضاته سبحانه وتعالى، وحققوا العبودية لله وحده، والطاعة لله، ورسوله صلى الله عليه وسلم وانتقلوا من نزعة الفردية والأنانية والهوى إلى البناء الجماعي، بناء الأمة، وبناء الدولة وصناعة الحضارة واستحققت بفضل الله ومنه أعظم وسامين في الوجود⁽¹⁾: (**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ**) [آل عمران: 110] ورسام (**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعَ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَّحِيمٌ**) [البقرة: 143].

* (**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ**) [البقرة: 152] فهذه المنن، وهذه العطايا وهذه الخيرات تحتاج لذكر الله في العدو

¹ (?) انظر: التربية القيادية، (2/438: 442).

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

والآصال وشكره عليها، وحثهم المولى عز وجل على ذكره، وبكرمه يذكرون في الملا الأعلى بعدما كانوا تائهين في الصحاري ضائعين في الفياقي.

*** (فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ)**

[البقرة: 152] وحق لهذه النعم جميعاً أن تشكر⁽¹⁾.

وهكذا، الآيات الكريمة تربي الصحابة من خلال الأحداث العظيمة، وتصوغ الشخصية المسلمة القوية التي لا ترضى إلا بالإسلام ديناً والتي عرفت على طبيعة اليهود من خلال القرآن الكريم، وبدأت تتعمق في ثناياها طبيعتهم الحقيقية، وانتهت إلى الصورة الكلية النهائية التي تربوا عليها من خلال القرآن الكريم والتربية النبوية قال تعالى: **(وَلَنْ يَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهَدَى وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ)** [البقرة: 120].

8- من صفات اليهود في القرآن الكريم:

إن المتتبع لتاريخ اليهود ومواقفهم مع المصطفى صلى الله عليه وسلم يشاهد تلك الأفعال القبيحة والأخلاق الرذيلة التي يتصف بها هؤلاء البشر، ولا غرابة في ذلك فهي طبيعة كل آدمي ينسلخ عن دينه الصحيح، وعقيدته السليمة.

كانت معاناة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين من اليهود شديدة وأليمة، فالقرآن الكريم تحدث عن بعضها، وكتب السنة والسير والتاريخ حافلة بالأحداث الجسيمة مع اليهود، وقد تحدث القرآن الكريم، وبينت السنة النبوية صفاتهم القبيحة، كالنفاق وسوء الأدب مع الله ورسوله، والمكر والخداع، والمداينة، وعدم الانتفاع بالعلم، والحقد والكراهية، والحسد، والجشع والبخل، ونكران الجميل، وعدم الحياء، والغرور والتكبر، وحب الظهور، والإشراك في العبادة، ومحاربة الأنبياء والصالحين، والتقليد الأعمى، وكتمان العلم، وتحريف المعلومات، والتحایل على المحرمات، والتفرق والطبقية في تنفيذ الأحكام، والرشوة، والكذب والقذارة⁽²⁾، وسوف نشير إلى بعض هذه الصفات الذميمة التي جاءت في القرآن الكريم.

أ- الإشراك في العبادة:

فعبادة اليهود شركية باطلة، حيث يعتقدون أن لله ولداً، وبشركون معه في عبادته غيره، وقد سجل الله عز وجل عليهم بعض مظاهر الإشراك، قال تعالى: **(وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ**

¹ (1) انظر: التربية القيادية، (2/442).

² (?) راجع الرسالة القيمة «اليهود في السنة المطهرة»، د. عبد الله الشقاري.

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ۖ
اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ
ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ([التوبة: 30-31].)

فهم لم يكتفوا في الإشراف بالقول المتقدم بل عبدوا أنبيائهم
وصالحهم واتخذوا
قبورهم مساجد وأوثاناً يعبدونها من دون الله⁽¹⁾ قال صلى الله عليه
وسلم: «قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»⁽²⁾.

ب- محاربة الأنبياء والصالحين:

في الوقت الذي يقصدون فيه أحبارهم ورهبانهم إلى درجة
العبادة، نجد اليهود في المقابل لا يتورعون في محاربة أنبيائهم
وصالحهم، ويشنون عليهم الحملات المغرضة بشتى الطرق وكافة
الوسائل، ولا يمتنعون حتى عن قتلهم، كما فعلوا بذكرى يحيى عليهم
السلام⁽³⁾، وقد أخبرنا الله عز وجل عنهم بذلك فبعد أن بين عز وجل
الوانا من العذاب أوقعه عليهم قال: (**وَضَرَبْتُ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةَ**
وَالْمَسْكَنَةَ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ
بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا
وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) [البقرة: 61].

ج- كتمانهم العلم وتحريفهم للحقائق:

إن كتمان العلم وتحريف الحقائق صفة ملازمة لليهود من قديم
الزمن، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
«قيل لبني إسرائيل (**ادْخُلُوا الْبَابَ سُخَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ**)
فبدلوا، فدخلوا يزحفون على أستاههم، وقالوا: حبة في شَعْرَةٍ»⁽⁴⁾.

ومن أعظم العلوم التي كتمها أحبار اليهود، وحاولوا إخفاء
حقيقتها، علم نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: جاء رسول الله
صلى الله عليه وسلم رافع بن حارثة وسلام بن مشكم ومالك بن
الصف، ورافع بن خريملة، فقالوا: يا محمد الست تزعم أنك علي
ملة إبراهيم ودينه، وتؤمن بما عندنا من التوراة، وتشهد أنها من الله
حق؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بلى، ولكنكم أحدثتم
وجحدتم ما فيها مما أخذ الله عليكم من الميثاق، وكتمتم منها ما
أمرتم لأن تبينوه للناس، فبرئت من أحداثكم» قالوا: فإننا نأخذ بما في
أيدينا، فإننا على الهدى والحق، ولا نؤمن بك ولا نتبعك⁽⁵⁾.

¹ (?) انظر: اليهود في السنة المطهرة (2/507). (2) البخاري، كتاب الصلاة (1/532) رقم 437.

³ (?) انظر: اليهود في السنة المطهرة (2/509).

⁴ (?) البخاري، كتاب الأنبياء (6/436) رقم 3403.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

فأنزل الله عز وجل فيهم: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طَعْنًا وَكَفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) [المائدة: 68].

د- التفرق:

إن اليهود دائماً وأبداً مختلفون في الأفكار، مفترقون في الأحكام، تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى، تماماً كما وصفهم الباري عز وجل في قوله تعالى: (تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ) [الحشر: 14].

هـ- الرشوة:

إن من سمات اليهود في معالِم مجتمعاتهم بحثهم عن تحقيق الغاية التي ينشدونها بشتى السبل والوسائل، ولو كانت مخالفة لشرعهم، كدفع الرشوة والمال الحرام، فأكل السحت من رشوة ومال حرام من طباعهم وقد وصفهم الحق سبحانه وتعالى بذلك: (سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَالُونَ لِلْسَحْتِ) [المائدة: 42].

و- النفاق:

وقد أظهر بعض زعماء اليهود الإسلام حين قويت شوكة المسلمين بالمدينة وتسترخوا بالنفاق، وقد سجل الله عليهم ذلك في قوله تعالى: (وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ۗ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدِّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) [البقرة: 14، 15].

ز- المداينة:

فكانوا يسايرون الواقع والمجتمع ولا ينكرون المنكر؛ ولذلك لعنهم الله عز وجل وسجل لعنته عليهم في كتابه العزيز: (لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ۗ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مَّنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) [المائدة: 78، 79].

حـ- عدم الانتفاع بالعلم:

وقد أخبرنا الله تعالى بذلك وصور هذه الصفة تصويراً دقيقاً⁽¹⁾ قال تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ خُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْجِمَارِ يَتَحْمَلُ أَسْفَارًا بُئِيسَ مَثَلِ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [الجمعة: 5].

⁵ (?) انظر: سيرة ابن هشام (1/567) وتفسير الطبري (6/200) ورجال إسناده موثقون.

¹ (?) انظر: اليهود في السنة المطهرة (2/463: 482).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

ط- الحقد والكراهية:

من صفات اليهود المستقرة في أعماق نفوسهم الحقد على كل شيء ليس منهم والكراهية لكل ما هو غير يهودي، مهما كان نوعه ومصدره، وخاصة إذا كان يمت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلة، كما حصل في أمر القبلة، وما حصل في تحريم الخمر، فعن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت تحريم الخمر، قالت اليهود: ليس إخوانكم الذين ماتوا كانوا يشربونها⁽¹⁾ فأنزل الله عز وجل: (**لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا**) [المائدة: 93] فقال النبي صلى الله عليه وسلم: « قيل لي: أنت منهم ».

ي- الحسد:

فقد حسد اليهود النبي صلى الله عليه وسلم على الرسالة، إذ كانوا يظنون أن الرسول الذي سيعث سيكون منهم، يتجمعون حوله ويقاثلون به أعداءهم، فلما بُعث الرسول صلى الله عليه وسلم من غيرهم جن جنونهم، وطار صوابهم ووقفوا يعادونه عداوة شديدة، ولقد حسدوا أصحابه على الإيمان ونعمة الهدى التي شرح الله صدورهم لها⁽²⁾.

قال تعالى: (**وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كِفَارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْلَوْا وَاصْطَفُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**)

[البقرة: 109].

ك- الغرور والتكبر:

اتصف اليهود بالغرور والتكبر على الخلق من قديم الزمان، فهم يرون أنهم أرقى من الناس، وأفضل من الناس، ويزعمون أنهم شعب الله المختار، ويعتقدون أن الجنة لليهودي، وأن طريق اليهودية هي طريق الهداية وسواها ظلال، وقد أخبر المولى عز وجل في كتابه عن هذه الخصلة الذميمة⁽³⁾ فيهم قال تعالى: (**وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ آمَانِيهِمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**) [البقرة: 111] وقد مارسوا ذلك الغرور والتعالي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشتى الوسائل والصور، ومن ذلك هذه الصورة⁽⁴⁾، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نعيمان بن أضاء وبحري بن عمرو، وشاس بن عدي، فكلموه وكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم إلى الله وحذرهم نعمته، فقالوا: ما نخوفنا يا محمد

¹ (?) انظر: الحاكم في مستدركه، كتاب الأشربة (4/143، 144) صحيح الإسناد.

² (?) انظر: الصرع مع اليهود (1/70).

³ (?) نفس المصدر (1/71). (4) انظر: اليهود في السنة المطهرة)

(496، 2/495).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

نحن أبناء الله وأحباؤه⁽¹⁾ - كقول النصاري - فأنزل الله تعالى: (**وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلِ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ**) [المائدة: 18].

ل- البخل:

من صفات اليهود القديمة بخلهم بالمال، وعدم إنفاقه في سبيل الخير، فكانوا يأتون رجالاً من الأنصار ويقولون لهم: لا تنفقوا أموالكم فإننا نخشى عليكم الفقر في ذهابها، ولا تنهارعوا في النفقة فإنكم لا تدرون علام يكون⁽²⁾ فأنزل الله فيهم: (**الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْدَتُوا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا**) [النساء: 37] أي من التوراة التي فيها تصديق ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم: (**وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا**) [النساء: 39].

م- العناد:

رغم قيام الأدلة والبراهين على صدق نبوة ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم إلا أن اليهود بسبب عنادهم امتنعوا عن الإيمان، وانغمسوا في الكفر والتكذيب؛ لأن العناد يقفل العقول بأقوال الهوى، وقد بين المولى عز وجل هذه الصفة في قوله تعالى: (**وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِيلَتِكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِيلَتُهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِيلَةٍ بَعْضٌ وَلَئِنْ لَاتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ**) [البقرة: 145] نعم لو قدمت لهم يا محمد ألف دليل ودليل ما أقتنعوا وما غيروا وبدلوا، ويصدق⁽³⁾ فيهم قول الله تعالى: (**قُلْ إِنظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنَّذْرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ**) [يونس: 101].

هذه بعض الصفات التي تجسدت في الشخصية اليهودية، والتي أشار القرآن الكريم إليها ليعرف اليهود على حقيقتهم، حتى لا يغتر المسلمون بهم في أي وقت أو أي زمان أو أي مكان.

رابعاً: (**إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ**) :

إن هذه الوثيقة وضحت مدى العدالة التي تميزت بها معاملة النبي صلى الله عليه وسلم لليهود، وأعطت لمواطني الدولة مفهوم الحرية

¹ (?) انظر: تفسير الطبري (6/105).

² (1) انظر: اليهود في السنة المطهرة (2/487، 488).

³ (?) انظر: الصراع مع اليهود (1/72).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

الدينية، وضربت عرض الحائط بمبدأ التعصب ومصادرة الأفكار والمعتقدات، ولم تكن المسألة مسألة تكتيك مرحلي ريثما يتسنى للرسول صلى الله عليه وسلم تصفية أعدائه في الخارج لكي يبدأ تصفية أخرى إزاء أولئك الذين عاهدتهم، وحاشاه، وإنما صدر هذا الموقف وفق سياسة إسلامية منبثقة من شريعة ربانية⁽¹⁾.

لقد عقد الرسول صلى الله عليه وسلم مع اليهود المعاهدات التي تؤمن لهم الحياة الكريمة، وفي ظل الدولة الإسلامية بحكم أنهم أهل كتاب (أهل الذمة) ولكن طبيعة اليهود الغدر والخيانة وعدم الوفاء، ولم يستطيعوا- ولن يستطيعوا لؤماً وخسة- أن يتخلوا عن تلك الصفات الذميمة فنقضوا عهودهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت نهايتهم بما يتلاءم مع تلك الأفعال، حيث أجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قينقاع وبني النضير، وقتل رجال بني قريظة⁽²⁾ وهذا ما سوف نراه بإذن الله تعالى في هذا الكتاب، ولقد أشار القرآن الكريم إلى طبيعة اليهود مع العهود فقال تعالى: (**الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ**) [الأنفال: 56].

والعهد هنا ما عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اليهود من عهود ومواثيق ألا يحاربوه ولا يعاونوا عليه، كما بين ذلك المفسرون⁽³⁾.

لقد سلك اليهود وسائل عدة ومتغيرة ومتنوعة للكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا معه ومقاومتهم، إلا أن هذه الوسائل لم تفلح ولم تؤت ثمارها المرجوة منها، وهي القضاء على جماعة المسلمين ودولتهم وكيانهم السياسي، فما أسباب ذلك؟ بسبب تلك التربية النبوية الرشيدة التي غرست معاني الإيمان في القلوب وحققت العبودية الخالصة لله، وحاربت الشرك بجميع أشكاله، وعلمت الصحابة الأخذ بأسباب النهوض والتمكين المعنوية والمادية فقد ربي النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه على العزة، والنخوة، والرجولة، والشجاعة، ورفض الذل، ومقاومة الظلم، وعدم الاستسلام لمؤامرات اليهود وغيرهم، بل مقاومتها والقضاء عليها وعلى أهلها، فتأبروا وصابروا حتى انتصروا على أعدائهم⁽⁴⁾.

كان مكر اليهود في غاية الدهاء تكاد تزول منه الجبال، ولكنه لم يفلح مع الرعيل الأول بسبب القيادة النبوية والمنهج الرباني الذي سار عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم⁽⁵⁾.

إن المسلمين اليوم يتساقطون أمام المخططات اليهودية ومؤامراتها

(?) انظر: دراسة في السيرة، ص 151.

(?) انظر: العهد والميثاق في القرآن الكريم، د. ناصر العمر، ص 121.

(?) انظر: تفسير الطبري، (8/30) والتحرير والتنوير (10/48).

(?) انظر: الصراع مع اليهود (1/80). (4) نفس المصدر (1/79).

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

لبعدهم عن المنهاج النبوي في تربية الأمة وكيفية التعامل مع اليهود، فالأمة في أشد الحاجة للقيادة الربانية الحكيمة الواعية الموفقة من عند الله، الخبرة بأخلاق اليهود وصفاتهم فتتعامل معهم معاملة واعية مستمدة أصولها من السياسة النبوية الراشدة في التعامل مع هذا الصنف المنحرف من البشر.

إن في عصرنا هذا تغلغت الأصابع اليهودية القذرة في مجالات عديدة من حياة الشعوب والدول تلك الأصابع التي تهدف إلى غاية محدودة هي (الفساد في الأرض) وهذا هو التعبير القرآني (**وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا**) [المائدة: 33].

إن استعمال الفعل المضارع في الجملة يدل على التجدد والاستمرار فليس سعيهم للفساد مرحلة تاريخية انتهت، لكنه قدرهم الكوني إلى يوم يبعثون، وقد استطاع اليهود أن يهيمنوا على كثير من مقدرات الأمم من خلال كيدهم المدروس، وفي غيبة الوجود الإسلامي القادر على إحباط مؤامراتهم وفصح الأعيهم.

إن العبقرية اليهودية في الهدم والتخريب ليست موضع جدل، تلك العبقرية التي تستغل الأحداث وتستثمرها لصالحها، إن لليهود وجوداً مؤثراً في الدول الكبرى، اقتصادياً، وسياسياً، وإعلامياً، ولم يكونوا غائبين عن النظامين العالميين، الرأسمالية والشيوعية، ولا عن الثورات الكبرى في العالم، وهناك عدد من المنظمات العالمية تبذل جهداً ضخماً في تحقيق أهداف اليهود، أبرزها الماسونية.. (الليونز) و(الروتاري) و(شهود يهوه)... إلخ.

ألا يحس الباحث الواعي أن في الأمر نوعاً من المبالغة المقصودة أو غير المقصودة؟

هذه الصورة الجاثمة في عقول الكثيرين أن اليهود هم الذين يجركون العالم، وهم زعماءه السياسيون ومفكروه ومبدعوه و... وأن الشخصيات المهمة من غير اليهود ما هي إلا (أحجار على رقعة الشطرنج) على حد تعبير وليام غاي كار⁽¹⁾.

إن هذا الكم الهائل من الكتب التي تتحدث عن اليهود ودورهم العالمي الخطير تساهم في تهئية الجو للتسليم بالأمر الواقع، وتمنح تفسيراً جاهزاً لجميع الهزائم التي منيت بها الأمة، الهزائم الحضارية والعسكرية على حد سواء.

إن إحساس الناس بأن (كل شيء) مدير ومبيت ومدروس من قبل اليهود أو محافلهم، يقعد بهم عن المقاومة والمواجهة والجهاد، وما يقال عن اليهود يمكن أن يقال عن أي عدو آخر ينتهج سياسة الإرهاب الفكري والعسكري، فمثلاً الجماعات الباطنية في العالم الإسلامي التي أصبحت ذات وجود قوي في عدد من المواقع والدول،

¹ (?) انظر: قضايا في المنهج، سلمان العودة، ص 84، 85. هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

بل وأصبح لهم وجود قائم بذاته في أكثر من بلد إسلامي.

هذه الجماعات تجد أحياناً من يهول من شأنها ويعطيها أكبر من حجمها، فكل من يتحدث مثلاً، عن هذه الفئة الغالية المنحرفة أو يكتب أو يحاضر فهو مهدد في رزقه وحياته إذن فيسكت الجميع حفاظاً على أرزاقهم وأرواحهم⁽¹⁾ إن هذا التضخيم الرهيب لأعدائنا اليهود ليس له حقيقة؛ لأن أولياء الشيطان كيدهم مهما عظم وكبر فهو ضعيف قال تعالى: **(الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا)** [النساء: 76] إن قوتهم بسبب ضعف إيماننا وبعدها عن منهج ربنا؛ لأن الإيمان الصحيح تنهار أمامه جميع المؤامرات، وتفشل جميع الخطط، لكن لا بد من نزع عنصر الخوف الذي قتل كثيراً من الهمم، وأحبط كثيراً من الأعمال، والأحداث تؤكد أن (الوهم) قد يقتل.

وحين توجد الفئة المؤمنة الصابرة يتحطم الكيد كله، يهودياً، كان

أم غير يهودي، أمام عوامل التصدي والنهوض قال تعالى: **(إِنْ تَمْسِكُكُمْ حَسْبَتُهُ تَسْؤُهُمْ وَإِنْ تُبْصِرْكُمْ بَسِيتُهُ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَضُرُّوهُمْ وَتَضْحَكُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنْ أَلَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ)** [آل عمران: 120].

وهذا لا يعني بحال من الأحوال، تجاهل قوة العدو أو التقليل من شأنه حتى لو كان عدواً حقيراً، فضلاً عن عدو مدجج وقديم.

والمطلوب أن نسلك طريق الاعتدال في تقدير حجم العدو، فلا نبالغ في تهويل قوته بما يوهن قوانا ويفتت عزيمتنا ويسوغ لنا الهزيمة، وفي المقابل لا نستهيئ به أو نتجاهل وجوده⁽²⁾. وستمضي في اليهود وغيرهم سنة الله تعالى: **(إِنْ أَلَّهَ لَا يَضِلُّ عَمَلُ الْمُفْسِدِينَ)** [يونس: 81].

* * *

¹ (?) انظر: قضايا في المنهج، ص 86.

² (?) انظر: قضايا في المنهج، ص 86، 87.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

المبحث الرابع سنة التدافع وحركة السرايا

أولاً سنة التدافع:

إن من السنن التي تعامل معها النبي صلى الله عليه وسلم سنة التدافع، وتظهر جليا في الفترة المدنية مع حركة السرايا والبعوث والغزوات التي خاضها النبي صلى الله عليه وسلم ضد المشركين، وهذه السنة متعلقة تعلقاً وطيداً بالتمكين لهذا الدين، وقد أشار الله تعالى إليها في كتابه العزيز وجاء التنصيص عليها في قوله تعالى: (**وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ**) [البقرة: 251].

وفي قوله تعالى: (**الَّذِينَ أُجْرُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْذَمْتَ ضَوَاعٍ وَيَبِغُ وَضُلُوتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**) [الحج: 40].

ونلاحظ في آية البقرة أنها جاءت بعد ذكر نموذج من نماذج الصراع بين الحق والباطل المتمثل هنا في طالوت وجنود المؤمنين، وجالوت وأتباعه، ويذلل الله تعالى الآية بقوله تعالى: (**وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ**) [البقرة: 251] (مما يفيد أن دفع الفساد بهذا الطريق إنعام يعم الناس كلهم)⁽¹⁾.

وتأتي آية الحج بعد إعلان الله تعالى أنه يدافع عن أوليائه المؤمنين وبعد إذنه لهم- سبحانه- بقتال عدوهم ويختتم الآية بتقرير الله تعالى لقاعدة أساسية: (**وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**).

فكان تشريع القتال على مراحل:

المرحلة الأولى: الحظر، وذلك عندما كان المسلمون في مكة، وكانوا يطالبون النبي صلى الله عليه وسلم بالإذن لهم في القتال فيجيبهم: «أصبروا فإنني لم أؤمر بالقتال»⁽²⁾.

المرحلة الثانية: الإذن بـ من غير إيجاب، قال تعالى: (**أُدِّنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ**) [الحج: 39].

المرحلة الثالثة: وجوب قتال من قاتل المسلمين، قال تعالى: (**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ**)

¹ (?) انظر: مفاتيح الغيب، فخر الرازي (3/514).

² (?) انظر: تفسير الألوسي (6/108).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ([البقرة: 190].

المرحلة الرابعة: فرض قتال عموماً الكفار على المسلمين، قال تعالى: **(وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)** [التوبة: 36].

إن هذا التدرج في حكم القتال كان يقتضيه وضع الدولة الإسلامية الناشئة، وحالة الجيش الإسلامي الذي كان يأخذ في التكوين من حيث العدد والعدد والتدريب، وما إلى ذلك فكان لا بد من مضي فترة من الوقت يكون التعرض فيها لأعداء الدعوة الإسلامية من كفار قريش الذين آذوا المسلمين، واضطروهم إلى الخروج من ديارهم، يكون فيها ذلك التعرض لأعداء الدعوة، إنما هو على سبيل الاختيار، لا على سبيل الإكراه، وذلك إلى أن يصلب عود الدولة الإسلامية وبشدة بأس القوة الإسلامية، بحيث تستطيع الصمود أمام قوى الكفر في الجزيرة العربية فيما لو عملت قريش على تأليبها ضد المسلمين، كما وقع فيما بعد، وحينئذ يأتي وجوب القتال، في حالة تكون فيها أوضاع الدولة الإسلامية، والجيش الإسلامي على أهبة الاستعداد لمواجهة كافة الاحتمالات، هذا فيما يتصل بالقتال الذي يتعرض فيه المسلمون لكفار قريش، جاء النص بالإذن، أي بالإباحة لا بالوجوب أما في حالة ما لو تعرض فيه المسلمون وهم في دولتهم في المدينة لهجوم الأعداء عليهم، فالقتال هنا فرض لا مجال فيه للخيار، وليس مجرد أمر مآذون فيه، وذلك تطبيقاً لبيعة الحرب، بيعة العقبة الثانية التي أوجبت على الأنصار حرب الأحمر والأسود من الناس في سبيل الذود عن الدعوة الإسلامية، وصاحبها وأتباعها⁽¹⁾.

ومع نزول الإذن بالقتال شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم في تدريب أصحابه على فنون القتال والحروب، واشترك معهم في التمارين والمناورات، والمعارك، وعد السعي في هذه الميادين من أجل القربات وأقدس العبادات التي يتقرب بها إلى الله سبحانه وتعالى، وقد قام النبي صلى الله عليه وسلم بتطبيق قول الله تعالى: **(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا يَنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَوْفُ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلُمُونَ)** [الأنفال: 60] في تكوين المجاهد المسلم يعتمد على نهجين متوازنين، التوجيه المعنوي، والتدريب العملي.

1- التوجيه المعنوي:

فكان صلى الله عليه وسلم يسعى إلى رفع معنويات المجاهدين، يمنحهم أملاً يقينياً بالنصر أو الجنة، ومنذ تلك اللحظات وفيما بعد ظل هذا (الأمل) يحدو الجندي المسلم في ساحات القتال ويدفعه إلى بذل

¹ (?) انظر: القتال والجهاد، د. محمد خير هيكل (1/463، 464).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

كل طاقته النفسية والجسدية والفنية من أجل كسب المعارك أو الموت تحت ظلال السيوف⁽¹⁾ فمن أقواله صلى الله عليه وسلم في حث أصحابه على الجهاد: «والذي نفسي بيده، لولا أن رجالاً من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني، ولا أجد ما أحملهم عليه، ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله، والذي نفسي بيده لو ددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيأ، ثم أقتل ثم أحيأ، ثم أقتل ثم أحيأ، ثم أقتل»⁽²⁾.

وقوله صلى الله عليه وسلم: «ما أحدٌ يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء، إلا الشهيدُ يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة»⁽³⁾.

2- الأسلوب العملي:

فقد سعى النبي صلى الله عليه وسلم إلى اعتماد كل طاقات الأمة القادرة على البذل والعطاء، رجالاً ونساءً وصبياناً وشباباً وشيوخاً، وإلى التمرس على كل مهارة في القتال طعنًا بالرمح وضرباً بالسيف، ورمياً بالنبل، ومناورة على ظهور الخيل، وكان صلى الله عليه وسلم يمزج خطي التربية العسكرية المتوازنين: التوجيه والتدريب والأمل بالنصر أو الجنة وتقديم الجهد في ساحات القتال، ويحض المسلمين على إتقان ما تعلموا من فنون الرماية، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من علم الرمي ثم تركه فليس منا، أو قد عصي»⁽⁴⁾ فهي دعوة إلى عموم الأمة وحتى من دخلوا في سن الشيخوخة للتدريب على إصابة الهدف ومهارة اليد، ونشاط الحركة. إن الإسلام يهتم بطاقات الأمة جميعها ويوجهها نحو المعالي وعلو الهمة.

وكان صلى الله عليه وسلم يهتم بالإعداد على حسب كل ظرف وحال، ويحث على كل وسيلة يستطيعها المسلمون، وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي»⁽⁵⁾.

ثانياً: من أهداف الجهاد في سبيل الله تعالى:

1- حماية حرية العقيدة:

قال تعالى: (وَفَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنَّ انْتِهَؤًا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَإِنْ تَوَلَّوْا

(?) انظر: دراسة في السيرة، ص 161.
 (2) البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب تمنى الشهادة (3/268) رقم 2797.
 (3) البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب تمنى المجاهد أن يرجع إلى الدنيا (3/274) رقم 2817.
 (4) مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه (3/1523) رقم 1919.
 (5) مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه رقم 1917.
 هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعَمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعَمَ النَّصِيرِ ([الأنفال: 39,40].

2- حماية الشعائر والعبادات:

قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ) الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنفُسِهِمْ ظِلُّوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ نَصْرُهُمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَغْيًا إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْذَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ لَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ([الحج: 38-41].

3- دفع الفساد عن الأرض:

قال تعالى: (وَلَمَّا بَرَّرُوا لِحَالُوتَ وَخُنُوبِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أقدامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ([البقرة: 250-252].

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ) أي لولا الله يدفع عن قوم بأخرين كما دفع عن بني إسرائيل بمقاتلة طالوت وشجاعة داود لهلكوا⁽¹⁾.

4- الابتلاء والتربية والإصلاح:

قال تعالى: (فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَتَجْتَمِعُوهُمْ فَشَدُّوا الْوَتَاقَ قَامًا مِّنَا بَعْدُ وَإِنَّمَا فِدَاءُ حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ) سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ([محمد: 4-6].

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: (وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ) أي ولكن بشرع لكم الجهاد وقتال الأعداء ليختبركم وليبلو أخباركم⁽²⁾ كما ذكر حكمته في شرعية

¹ (?) تفسير ابن كثير (1/262). (2) المصدر السابق (4/154).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

الجهاد في قوله تعالى: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ) (آل عمران: 142).

5- إرهاب الكفار وإخراؤهم وإذلالهم وتوهمين كيدهم:

قال تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تظَلُمُونَ) (الأنفال: 60).

وقال تعالى: (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ مُدُنِهِمْ وَيَقْبِضُ قُلُوبَهُمْ وَيُثَبِّتُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (التوبة: 14,15).

وقال تعالى: (فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتُمْ إِذْ رَمَيْتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (الأنفال: 17,18).

6- كشف المنافقين:

قال تعالى: (مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَأَمَتُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ) (آل عمران: 179).

قال ابن كثير: أي لا بد أن يعقد شيئاً من المحنة يظهر فيها وليه ويفضح به عدوه، يعرف به المؤمن الصابر والمنافق الفاجر، يعني بذلك يوم أحد الذي امتحن الله به المؤمنين، فظهر به إيمانهم وصبرهم وجلدهم وثباتهم وطاعتهم لله ورسوله صلى الله عليه وسلم وهتك به ستار المنافقين، فظهر مخالفتهم ونكولهم عن الجهاد وخيانتهم لله ورسوله صلى الله عليه وسلم⁽¹⁾.

7- إقامة حكم الله ونظام الإسلام في الأرض:

إن إقامة حكم الله في الأرض هدف من أهداف الجهاد قال تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا) (النساء: 105).

8- دفع عدوان الكافرين:

إن من أهداف الجهاد في الإسلام دفع عدوان الكافرين وهذا الجهاد أنواع منها:

⁽¹⁾ انظر: تفسير ابن كثير (1/371)

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

1- أن يعتدي الكفار على فئة مؤمنة مستضعفة في أرض الكفار:

لا سيما إذا لم تستطع أن تنتقل إلى بلاد تأمن فيها على دينها، فإن الواجب على الدولة الإسلامية أن تعد العدة لمجاهدة الكفار الذين اعتدوا على تلك الطائفة حتى يخلصوها من الظلم والإعتداء الواقع عليها⁽¹⁾ قال تعالى: (فَلْيَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فُتُتِلْ أَوْ تَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۖ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا) [النساء: 74,75].

ب- أن يعتدي الكفار على ديار المسلمين:

قال تعالى: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعَدُّوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۖ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْعُتُّهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْهِنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ۖ فَإِنْ أَتَتْهُمُ فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ) [البقرة: 190-192].

فقد نص الفقهاء على أنه إذا اعتدى الكفار على ديار المسلمين، يتعين الجهاد للدفاع عن الديار؛ لأن العدو إذا احتلها سام المسلمين عذاباً، ونفذ فيها أحكام الكفر، وأجبر أهلها على الخضوع له، فتصبح دار كفر بعد أن كانت دار إسلام.

قال بعض علماء الحنفية: «وحاصله أن كل موضع خيف هجوم العدو منه فرض على الإمام أو على أهل ذلك الموضع حفظه، وإن لم يقدروا فرض على الأقرب إليهم إعانتهم إلى حصول الكفاية بمقاومة العدو»⁽²⁾.

ج- أن ينشر العدو الظلم بين رعاياه- ولو كانوا كفارًا:

لأن الله سبحانه حرم على عباده الظلم، والعدل في الأرض واجب لكل الناس، وإذا لم يدفع المسلمون الظلم عن المظلومين أثموا؛ لأنهم مأمورون بالجهاد في الأرض لإحقاق الحق وإبطال الباطل، ونشر العدل والقضاء على الظلم، ولا فلاح لهم إلا بذلك، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَحْرِمَنَّكُمْ يَتَانُ قَوْمٌ عَلَىٰ لَا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) [المائدة: 8].

¹ (?) انظر: الجهاد في سبيل الله، د. عبد الله القادري (2/162).

² (?) انظر: حاشية ابن عابدين (4/124).

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

د- الوقوف ضد الدعوة إلى الله ومنعهم من تبليغ دعوة الله:

إن المسلمين مفروض عليهم من قبل المولى عز وجل أن يبلغوا رسالات الله للناس كافة، قال تعالى: (وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [آل عمران: 104].

وأعداء الله يصدون أوليائه عن تبليغ عبادته دعوته ولا يتركون لهم سبيلاً إلى الناس، كما لا ياذنون للدعاة أن يُسمعوا الدعوة إلى الله للناس، ويضعون العراقيل والعوائق، والحواجز بين الدعوة ودعاتها وبين الناس، ولذلك أوجب الله عز وجل على عباده المؤمنين قتال كل من يصد عن سبيل الله تعالى (1).

قال تعالى: (الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَصْلَحَ أَعْمَالُهُمْ ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَمِنُوا بِمَا نَزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَرَ عَنْهُمْ سِتَانَتُهُمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۚ ذَلِكَ بَأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ۚ فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبُ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَتَخَسَّوهُمْ فَسُدُّوا أُذُنَافَهُمْ فِيمَا بَيْنَ يَدَيْهِمْ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَصَّعُّبُ الْحَرْبِ أَوْزَارُهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآتَتْخَرْتُمْ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لَيَبْلُوَنَّ بَعْضَكُمْ بَعْضٌ وَالَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ) [محمد: 4-1].

ثالثاً: أهم السرايا والبعوث التي سبقت غزوة بدر الكبرى:

بمجرد الاستقرار الذي حصل للمسلمين بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة، وقيام الجماعة المؤمنة في المجتمع الجديد، كان لا بد أن يتنبه المسلمون وقيادتهم إلى الوضع حولهم وما ينتظرهم من جهة أعدائهم أعداء الدعوة، وكان لا بد أن تنطلق الدعوة الإسلامية إلى غايتها التي أرسل الله محمداً صلى الله عليه وسلم بها، وتحمل هو وأصحابه في سبيلها المشاق الكثيرة.

إن موقف قريش في مكة من أولى الأمور التي يجب أن تعالجها قيادة المدينة؛ لأن أهل مكة لن يرضوا بأن يقوم للإسلام كيان ولو كان في المدينة، لأن ذلك يهدد كيانه، ويقوض بنيانه، فهم يعلمون أن قيام الإسلام معناه انتهاء الجاهلية وعادات الآباء والأجداد، فلا بد من الوقوف في وجهه.

وقد بذلت مكة وأهلها المحاولات لعدم وصول النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة واتخذت مواقف عدائية لضرب الإسلام والقضاء على المسلمين (2) واستمر هذا العداء بعد هجرة النبي صلى

1 (?) انظر: فقه التمكن في القرآن الكريم، للصلاحي، ص 488.

2 (?) انظر: مرويّات غزوة بدر، أحمد باوزير، ص 79.

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

الله عليه وسلم، فمن أهم المواقف الدالة على ذلك، ما رواه البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حدث عن سعد بن معاذ أنه قال: كان صديقاً لأمية بن خلف، وكان (أمية) إذا مر بالمدينة نزل على سعد، وكان سعد إذا مر بمكة نزل على (أمية) فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انطلق (سعد) معتمراً فنزل على أمية بمكة، فقال لأمية: انظر لي ساعة خلوة لعلني أن أطوف بالبيت، فخرج به قريباً من نصف النهار، فلقيهما أبو جهل فقال: يا أبا صفوان من هذا معك؟ فقال: هذا سعد، فقال له أبو جهل: ألا أراك تطوف بمكة أمناً، وقد أوتيتهم الصبابة ⁽¹⁾ وزعمتم أنكم تنصرونهم، وتعينونهم، أما والله لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعت إلى أهلك سالماً، فقال له (سعد) ورفع صوته عليه: أما والله لئن منعتني هذا لأمنعنك ما هو أشد عليك منه، طريقك على المدينة... ⁽²⁾ وفي رواية عند البيهقي: «والله لئن منعتني أن أطوف بالبيت لأقطعن عليك متجرك إلى الشام» ⁽³⁾ تدل هذه الواقعة على أن (أبا جهل) يعتبر (سعد بن معاذ) من أهل الحرب بالنسبة إلى قريش، ولولا أنه دخل مكة في أمان زعيم من زعمائها لأهدر دمه، وهذا تصرف جديد من رؤساء مكة حيال أهل المدينة لم يكن قبل الدولة الإسلامية فيها، فلم يكن أحد من أهل المدينة يحتاج إلى عقد أمان لكي يسمح له بالدخول إلى مكة، بل إن قريشاً كانت تكره أن تفكر في حدوث حالة حرب بينها وبين أهل المدينة قبل هذا الوضع الجديد، وقالوا في هذا الصدد يخاطبون أهل المدينة ما نصه: «والله ما من حي من العرب أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم» ⁽⁴⁾ كما تدل هذه القصة على أن قوافل تجارة قريش في طريقها إلى الشام كانت في أمان إلى حدوث هذه الواقعة، لا تتعرض لها الدولة الإسلامية بمكروه، أي: كانت الدولة الإسلامية إلى هذا الوقت لم تعامل أهل مكة معاملة أهل الحرب، فلم تضرب عليهم الحصار الاقتصادي، ولم تصدر لهم أية قافلة، أو تقصدها بسوء؟ ومعنى هذا أن الأيدي الممسكة بزمام الأمور في مكة هي التي بادرت، وأعلنت الحرب على الدولة الإسلامية في المدينة، واعتبرت المسلمين أهل حرب لا يسمح لهم بدخول مكة إلا بصفة مستأمنين ⁽⁵⁾.

* ودليل آخر على مبادرة رؤساء مكة في إعلان الحرب على الدولة الإسلامية في المدينة ما جاء في سنن أبي داود: «عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن كفار قريش كتبوا إلى (ابن أبي) ومن كان يعبد معه الأوثان من الأوس والخزرج، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ بالمدينة، قيل وقعة بدر: إنكم أوتيتهم صاحبنا، وإنا نقسم بالله لتقاتلنه ولتخرجنه، أو لنسيرن إليكم بأجمعنا، حتى نقتل مقاتلتكم، ونستبيح

1 (?) جمع صائب: أي الخارج عن دينه، وكان المشركون يسمون من أسلم صائباً.
2 (?) صحيح البخاري رقم 3950. (4) انظر: دلائل النبوة للبيهقي، (3/25).
4 (?) انظر: سيرة ابن هشام (الروض الأنف 2/192).
5 (?) انظر: الجهاد والقتال، (1/476).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

نساءكم، فلما بلغ عبد الله بن أبي، ومن كان معه من عبدة الأوثان، اجتمعوا لقتال النبي صلى الله عليه وسلم فلما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم لقيهم فقال: «لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ، ما كانت تكيدكم بأكثر مما تريدون أن تكيدوا به أنفسكم، تريدون أن تقتلوا أبناءكم وإخوانكم» فلما سمعوا ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم تفرقوا⁽¹⁾.

وهنا تظهر عظمة النبوة وعظمة القائد المربي صلى الله عليه وسلم حيث قضى على هذه الفتنة في مهدها، وضرب على وتر العزة القبلية، فقد كان صلى الله عليه وسلم يدرك أغوار النفس البشرية التي يتعامل معها، ولذلك كان خطابه مؤثراً في نفوس مشركي يثرب، ونحن بحاجة إلى هذا الفقه العظيم في تفتيت محاولات المشركين للقضاء على الصف الإسلامي وزعزعة بنيانه الداخلي، بعد أن بدأت قريش بإعلان حالة الحرب بينها وبين دولة الإسلام بالمدينة، ونزل الإذن من الله تعالى بالقتال صار من الطبيعي أن تتعامل دولة المدينة مع قريش حسب ما تقتضيه حالة الحرب هذه، فقد اتجه نشاط الرسول صلى الله عليه وسلم من أجل توطيد مكانة هذه الدولة، والرد على قريش في إعلانها الحرب على المدينة، فاتجه نشاطه نحو إرسال السرايا، والخروج في الغزوات⁽²⁾ فكانت تلك السرايا والغزوات التي سبقت بدر الكبرى ومن أهمها:

1- غزوة الأبواء:

أولى الغزوات التي غزاها النبي صلى الله عليه وسلم غزوة الأبواء⁽³⁾ وتعرف بغزوة ودان⁽⁴⁾ أيضاً، وهما موقعان متجاوران بينهما ستة أميال أو ثمانية، ولم يقع قتال في هذه الغزوة بل تمت موادعة بني ضمرة (من كنانة)، وكانت هذه الغزوة في صفر سنة اثنتين من الهجرة، وكان عدد المسلمين مائتين بين راكب وراجل⁽⁵⁾.

2- سرية عبيدة بن الحارث:

وهي أول راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم⁽⁶⁾، وكان عدد السرية ستين من المهاجرين وكانت قوة الإعداء من قريش أكثر من مائتي راكب وراجل، وكان قائد المشركين أبو سفيان بن حرب، وحصلت مناوشات بين الطرفين على ماء بوادي راغ، رمى فيها سعد بن أبي وقاص أول سهم رمي في الإسلام وكانت بعد رجوعه من الأبواء⁽⁷⁾.

1 (?) سنن أبي داود (3/213) رقم الحديث 3004.

2 (1) انظر الجهاد والقتال (1/477).

3 (?) قيل: سميت بذلك لما فيها من الوباء. (3) ودان: قرية جامعة قريبة من الأبواء.

5 (?) انظر: جيش النبي صلى الله عليه وسلم لمحمود شيت خطاب، ص 54. (5) انظر: طبقات ابن سعد (2/7).

7 (?) انظر: حديث القرآن عن غزوات الرسول، د. محمد بكر آل عباد (1/40). هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الاواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

3- سرية حمزة بن عبد المطلب:

قال ابن إسحاق: وبعث النبي صلى الله عليه وسلم في مقامه ذلك- أي لما وصل إلى المدينة بعد غزوة الأبواء- حمزة بن عبد المطلب إلى سيف البحر⁽¹⁾ من ناحية العيص في ثلاثين راكباً من المهاجرين، فلقي أبا جهل بن هشام بذلك الساحل في ثلاثمائة راكب من أهل مكة، فحجر بين الفريقين مجدي بن عمرو الجهني، وكان موادعاً للفريقين جميعاً، فانصرف القوم عن بعض ولم يكن بينهم قتال⁽²⁾.

4- غزوة بواط⁽³⁾:

وكانت غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (بواط) في شهر ربيع الأول في السنة الثانية من هجرته، وخرج في مائتين من أصحابه وكان مقصده أن يعترض عيراً لقريش كان فيها أمية بن خلف في مائة رجل وألفين وخمسمائة بعير، فلم يلق النبي صلى الله عليه وسلم كيدا فرجع إلى المدينة.

5- غزوة العُشيرة⁽⁴⁾:

وفيهما غزا صلى الله عليه وسلم قريشاً، واستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد، وسميت هذه الغزوة بغزوة العُشيرة، فأقام بها جمادى الأولى وليالي من جمادى الآخرة، وادع فيها بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيدا، وذلك أن العير التي خرجت لها الغزوة قد مضت قبل ذلك بأيام ذاهبة إلى الشام⁽⁵⁾، فسأحلت على البحر وبلغ قريشاً خبرها فخرجوا يمنعونها فلحقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقعت غزوة بدر الكبرى⁽⁶⁾.

6- سرية سعد بن أبي وقاص:

وبعد غزوة العشيرة بعث النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن أبي وقاص في سرية قوامها ثمانية رهط من المهاجرين فخرج حتى بلغ الخَرَّار⁽⁷⁾ من أرض الحجاز، ثم رجع ولم يلق كيدا⁽⁸⁾.

7- غزوة بدر الأولى:

سببها: أن كرز بن جابر الفهري، قد أغار على سرح المدينة ونهب بعض الإبل والمواشي، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبه حتى بلغ وادياً يقال له (سفوان) من ناحية بدر، وفاته كرز بن جابر، فلم يدركه، فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى

1 (?) سيف البحر: ساحله من ناحية العيص. (8) انظر: سيرة ابن هشام (2/595).

3 (?) بواط: هو جبل من جبال جهينة، بناحية رضوى بقرب ينبع.
4 (?) العشيرة: موضع بين مكة والمدينة من ناحية ينبع على ساحل البحر الأحمر، (مرصد الاطلاع 2/943).

5 (?) انظر: طبقات ابن سعد (2/10). (3) نفس المصدر (2/11).

7 (?) علم لموضع بالحجاز قرب الحقة (مرصد الاطلاع 1/455).

8 (?) انظر: سيرة ابن هشام (2/600). (6) المصدر السابق (2/601).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

المدينة⁽¹⁾.

8- سرية عبد الله بن جحش الأسدي إلى نخلة⁽²⁾:

وأرسل النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش في ثمانية رَهْط من المهاجرين إلى نخلة جنوب مكة في آخر يوم من رجب للاستطلاع والتعرف على أخبار قريش، لكنهم تعرضوا لقافلة تجارية لقريش فظفروا بها، وقتلوا قائدها عمرو بن الحضرمي، وأسروا اثنين من رجالها وهم: عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان، وعادوا بهم إلى المدينة، وقد توقف النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الغنائم حتى نزل قوله تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَرَالُونَ بِقَاتِلُوَكُمْ حَتَّى يَبْرُوكُمْ غَنَمَ دِينِكُمْ إِنِ اسْتِطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [البقرة: 217].

فلما نزل القرآن الكريم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والأسيرين، وفي سرية عبد الله هذه غنم المسلمون أول غنيمة، وعمرو بن الحضرمي أول قتيل قتله المسلمون، وعثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان أول من أسر المسلمون⁽³⁾.

رابعاً: فوائد ودروس وعبر:

1- متى شرع الجهاد؟

ذهب الشيخ الدكتور محمد أبو شهبة إلى أن تشريع الجهاد كان في أوائل السنة الثانية للهجرة، وعلل ذلك بسبب انشغال المسلمين في السنة الأولى بتنظيم أحوالهم الدينية والدنيوية كبناءهم المسجد النبوي، وأمور معاشهم، وطرق اكتسابهم وتنظيم أحوالهم السياسية: كعقد التاخي بينهم، وموادعتهم اليهود المساكين لهم في المدينة، كي يأمّنوا شرورهم⁽⁴⁾، وذهب الأستاذ صالح الشامي أن الإذن بالجهاد كان في أواخر السنة الأولى للهجرة⁽⁵⁾.

2- الفرق بين السرية والغزوة:

يطلق كتاب السير في الغالب على كل مجموعة من المسلمين خرج بها النبي صلى الله عليه وسلم ليلقى عدوه (غزوة)، سواء حدث فيها قتال أو لم يحدث، وسواء كان عددها كبيراً أو صغيراً، ويطلق على كل مجموعة من المسلمين يرسلها النبي صلى الله

² نخلة اليمانية: واد عسكرت به هوازن يوم حنين.
³ (?) انظر: حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول (1/43).
⁴ (?) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (1/75، 76). (3) انظر: معين السيرة، ص 175.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

عليه وسلم لاعتراض عدو كلمة: (سرية) أو (بعث)، وقد يحدث فيها قتال، وقد لا يحدث، وقد تكون لرصد أخبار عدوه أو غيره، وغالباً ما يكون عدد الذين يخرجون في السرايا قليلاً؛ لأن مهمتهم محددة في مناوشة العدو وإخافته وإرباكه، وقد قاد رسول الله **صلى الله عليه وسلم** سبعا وعشرين غزوة، وأرسل ما يقدر بثمان وثلاثين سرية وبعثاً، وقد خطط لها في فترة وجيزة في عمر الأمم بلغت عشر سنوات من الزمن⁽¹⁾.

3- تعداد سكان المدينة وعلاقته بالسرايا:

أمر النبي **صلى الله عليه وسلم** بإجراء تعداد سكاني في السنة الأولى من الهجرة، وبعد المؤاخاة مباشرة، وكان الإحصاء للمسلمين فقط أو حسب نص أمر رسول الله **صلى الله عليه وسلم** حينما قال: «اكتبوا لي من تليظ بالإسلام من الناس» فبلغ تعداد المحاربين منهم فقط (1500) ألفاً وخمسمائة رجل⁽²⁾ فأطلق المسلمون بعد إجراء هذا الإحصاء تساؤل تعجب واستغراب: «نخاف ونحن ألف وخمسمائة؟!» لأنهم كانوا قبل لا ينامون إلا ومعهم السلاح خوفاً على أنفسهم، وكان رسول الله **صلى الله عليه وسلم** يمنع خروجهم ليلاً فرادى حماية لهم من الغدر⁽³⁾، وبعد هذا التعداد مباشرة بدأت السرايا والغزوات، وهذا الإجراء الإحصائي يدخل ضمن الإجراءات التنظيمية في تطوير الدولة الناشئة⁽⁴⁾.

4- حراسة الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم الشخصية:

كان الصحابة رضي الله عنهم يحرسون النبي **صلى الله عليه وسلم** حراسة شخصية، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «أرق النبي **صلى الله عليه وسلم** ذات ليلة فقال: «ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة»، إذ سمعنا صوت السلاح، قال: «من هذا؟» قال: سعد، يا رسول الله جئت أحرسك، فقام النبي **صلى الله عليه وسلم** فنام حتى سمعنا غطيطة⁽⁵⁾، وكان ذلك قبل غزوة بدر الكبرى⁽⁶⁾، وفي حديث عائشة، مشروعية الاحتراس من العدو، وال أخذ بالحزم، وترك الإهمال في موضع الحاجة إلى الاحتياط، وأن على الناس أن يحرسوا سلطانهم خشية القتل، وفيه الثناء على من تبرع بالخير وتسميته، وإنما عانى النبي **صلى الله عليه وسلم** ذلك مع قوة توكله للاستئنان به في ذلك⁽⁷⁾.

5- نص وثيقة المعاهدة مع بني ضمرة والتعليق عليها:

1 (?) في ظلال السيرة، غزوة بدر، لأبي فارس، ص 12. (5) انظر: الوثائق السياسية، حميد الله، ص 65.

2 (?) انظر: الروض الأنف (5/43).

3 (?) انظر: دراسات في عهد النبوة للشجاع، ص 163.

4 (?) صحيح البخاري، كتاب التمني (3/219). (4) انظر: تفسير القرطبي (6/230).

7 (?) انظر: ولاية الشرطة في الإسلام، د. عمر محمد الحميداني، ص 63. هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد رسول الله لـبني ضَمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بأنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم، وأن لهم النصر على من رامهم، إلا أن يُحاربوا في دين الله ما بل بحر صوفه⁽¹⁾ وأن النبي إذا دعاهم لنصرة أجاوبه، عليهم بذلك ذمة الله وذمة رسوله، ولهم النصر على من برّ منهم واتقى»⁽²⁾.

انتهز النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة الأبواء فرصة ذهبية، فعقد حلفاً عسكرياً مع شيخ بني ضمرة، فقد كان موقع بلاده ذا قيمة عسكرية لا تقدر بثمن في الصراع بين الدولة الإسلامية الناشئة وقريش؛ ولذلك عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ضمان حيدتهم، في حالة وقوع صدام مسلح بين المدينة وأهل مكة، وكانت خطته صلى الله عليه وسلم حتى وقعة بدر أن يزجج قوافل قريش بإرسال مجموعات صغيرة من المهاجرين، وخاصة أن هذه القوافل كانت غير مصحوبة بجيش يحميها، وهو أمر لم تفكر فيه قريش حتى تلك اللحظة⁽³⁾.

كان قرب بني ضمرة وحلفائهم من المدينة التي كانت سوقهم ومصدر رزقهم، قد وضعهم في موقف لا يسمح لهم بأي مسلك غير موادعة الدولة الإسلامية الناشئة، وهو حلف عدم اعتداء وفق المصطلح الحديث⁽⁴⁾.

وقد دلت هذه الموادعة على أن مقتضيات السياسة الشرعية قد تدفع المسلمين إلى التحالف العسكري أو الاقتصادي أو التجاري، مع أي من الكتل القائمة، وأن التحالف السياسي له أصل في الشريعة، وضرورة يوجبها استهداف رفع الضرر الحاصل أو المرتقب⁽⁵⁾، وأن التحالف مبني على قاعدة رفع الضرر، والمصلحة المشتركة، وأن تكون لأصل الحلف غاية شرعية معلومة، وأن يكون للمسلمين في الحلف قرار ورأي، أما إذا كانوا أتباعاً ومنفذين كما في الأحلاف الحديثة، فهذا لا ينطبق عليه الأصل الشرعي، وعلى قيادة الأمة أن تستوعب هدي النبي صلى الله عليه وسلم في حركته السياسية، وأن تفهم القاعدة الشرعية التي تقول: (لا ضرر ولا ضرار)⁽⁶⁾.

يقول الشيخ مصطفى الزرقا في معرض الحديث عن هذه القاعدة ما نصه:

«وهذه القاعدة من أركان الشريعة، وتشهد لها نصوص من الكتاب والسنة، ويشمل الضرر المنهي عنه ما كان ضرراً عاماً أو خاصاً، ويشمل ذلك دفعه قبل الوقوع بطرق الوقاية الممكنة،

1 (?) كناية على التأييد والاستمرار.

2 (?) الوثائق السياسية، محمد حميد الله، ص 220 رقم 159.

3 (?) انظر: نشأة الدولة الإسلامية، د. عون الشريف، ص 43.

4 (?) انظر: الفقه السياسي، خالد سليمان الفهداوي، ص 119.

5 (?) المصدر السابق، ص 124.

6 (?) هذه القاعدة أصلها حديث نبوي رواه ابن ماجه (2/39) رقم 1896، وهو صحيح.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

ودفعه بعد الوقوع بما يمكن من التدابير التي تزيل آثاره، وتمنع تكراره، كما يدل على وجوب اختيار أهون الشرين لدفع أعظمها؛ لأن في ذلك تخفيفاً للضرر عندما لا يمكن منعه بتاتا⁽¹⁾.

إن هذه المودعة توضح جواز عقد الدولة الإسلامية معاهدة دفاعية بينها وبين دولة أخرى إذا اقتضت ذلك مصلحة المسلمين، ولم يترتب أي ضرر على مثل هذه المعاهدة، ويجب على الدولة الإسلامية، في هذه الحال نصرة الدولة الحليفة إذا دعيت إلى هذه النصرة ضد الكفار المعتدين، كما يجوز للدولة الإسلامية أن تطلب من الدولة الحليفة إمدادها بالسلاح، والرجال، ليقاتلوا تحت راية الدولة الإسلامية ضد الأعداء من الكفار⁽²⁾.

وقد شرط النبي صلى الله عليه وسلم على بني ضمرة ألا يحاربوا في دين الله، حتى يكون لهم النصر على من إعتدى عليهم أو حاول الاعتداء، وفي هذا إبعاد للعقبات التي يمكن أن تقف في طريق الدعوة، فقد أوجبت هذه المعاهدة على بني ضمرة ألا يحاربوا هذا الدين أو يقفوا في طريقه⁽³⁾.

وتعتبر هذه المعاهدة كسباً سياسياً وعسكرياً للمسلمين لا يستهان به⁽⁴⁾.

6- (وإني لأول رجل رمى بسهم في سبيل الله)⁽⁵⁾:

كانت سرية عبدة بن الحارث أول سرية في تاريخ السرايا يلتقي فيه المسلمون مع المشركين في مواجهة عسكرية، وقد اتخذ القتال بين الطرفين طابع المناوشة بالسهم وكان سعد بن أبي وقاص (أول العرب رمى بسهم في سبيل الله)⁽⁶⁾ في تلك المعركة التي لم تستمر طويلاً، إذ قرر الهريقان الانسحاب من أرضها، وقد كان انسحاب المسلمين قويا ومنظماً، وكان بطل هذا الانسحاب سعد بن أبي وقاص فقد كان له الدور الأكبر في تثبيت وإحباط استعدادات العدو لشن أي هجوم مضاد؛ وذلك بوابل من السهام المزعجة التي قذفها نحوه، والتي كونت ساتراً دفاعياً مهد لانسحاب سليم منظم بالنسبة للمسلمين، وقد فر عتبة بن غزوان والمقداد بن الأسود رضي الله عنهما يومئذ إلى المسلمين، وكانا قد أسلما قبل ذلك وفي هذه السرية حقق سعد بن أبي وقاص سبقاً عسكرياً إسلامياً، يسجل في سجله الحافل بالأعمال العظيمة لنصرة دين الله تعالى، كما أكدت هذه السرية استمرار سياسة رسول الله صلى الله عليه وسلم التعبئة الخاصة بحشد المهاجرين فقط في الغزوات والسرايا الأولى

1 (?) انظر: المدخل الفقهي، الشيخ الزرقا، ص 972.
2 (?) انظر: الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، د. محمد خير هيكل (1/479).
3 (?) انظر: دولة الرسول من التكوين إلى التمكن، ص 530.
4 (?) انظر: الدعوة الإسلامية، ص 296، د. عبد الغفار عزيز.
5 (?) انظر: صحيح سنن الترمذي (2/277).
6 (?) انظر: السرايا والبعوث النبوية، د. بريك العمري، ص 91.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

حتى بدر تنفيذاً لاتفاقية العقبة الثانية⁽¹⁾.

7- نص وثيقة المودعة مع جهينة والتعليق عليها:

«إنهم آمنون على أنفسهم وأموالهم، وإن لهم النصر على من ظلمهم أو حاربهم إلا في الدين والأهل، ولاهل باديتهم من بر منهم واتفق ما لحاضرته»⁽²⁾.

ويظهر أثر هذه المودعة عندما تدخل مجدي بن عمرو الجهني في التوسط بين سرية حمزة بن عبد المطلب والقافلة القرشية التي كان يقودها أبو جهل بن هشام ويحرسها ثلاثمائة راكب من فرسان قريش⁽³⁾ فقد اتفقوا ناحية العيص في منطقة نفوذ جهينة واصطفوا للقتال⁽⁴⁾ وقبل أن يندلع القتال بين الفريقين تدخل مجدي بن عمرو زعيم من زعماء جهينة، في وساطة سلام بينهم، واستطاع أن ينجح في مساعيه السلمية بين الطرفين، فقد كان مجدي وقومه حلفاء للفريقين جميعاً فلم يعصوه فرجع الفريقان كلاهما إلى بلادهما فلم يكن بينهم قتال⁽⁵⁾.

ويظهر من هذه المعاهدة أن عقد المعاهدات بين الدول الإسلامية والقبايل المجاورة كان سابقاً على الأعمال العسكرية التي قامت بها، بدليل أن حركة السرايا الأولى الموجهة ضد قريش كان قد سبقها معاهدة سلام بين دولة الإسلام وقبيلة جهينة المقيمة على ساحل البحر الأحمر، وقد توسطت لمنع القتال بين المسلمين وكفار مكة.

ومن فقه هذه المعاهدة، جواز عقد معاهدة سلام بين دولة الإسلام ودولة أخرى هي بدورها مرتبطة بمعاهدة سلام مع أعداء الدولة الإسلامية بشرط أن لا تجاوز تلك المعاهدة إلى الاتفاق على أن تنصر الدولة المعاهدة للمسلمين تلك الدولة العدو إذا ما اشتبكت مع المسلمين في قتال، ويجوز للدولة الإسلامية أن تترك قتال أعداءها بعد أن تستعد لذلك استجابة لوساطة دولة أخرى، إذا لم يترتب على ذلك ضرر للمسلمين⁽⁶⁾.

كانت نتائج سرية حمزة   على المعسكر الوثني سيئة للغاية، حيث هزت كيان قريش وشت الرعب في نفوس رجالها، وفتحت أعينهم على الخطر المحدق بهم والذي أصبح يهدد طريق تجارتهم وقوتهم الاقتصادية⁽⁷⁾، فقد قال أبو جهل حين قدم مكة منصرفه عن حمزة: يا معشر قريش إن محمداً قد نزل يثرب وأرسل طلائعه، وإنما يريد أن

1 (?) المصدر السابق، ص 92.

2 (?) انظر: مجموعة الوثائق السياسية، محمد حميد الله، ص 62.

3 (?) انظر: المواهب اللدنية (1/75).

4 (?) انظر: طبقات ابن سعد (2/6)، السرايا والبعوث، ص 85.

5 (?) انظر: السرايا والبعوث النبوية، ص 86.

6 (?) انظر: الجهاد والقتال في السياسة الشرعية (1/478، 479).

7 (?) انظر: السرايا والبعوث النبوية، ص 86. (5) الحق: محررة: الغيط أو شدته.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

يصيب منكم شيئاً، فاحذروا أن تمرؤا طريقه، وأن تقاربوه فإنه كالأسد الضاري، إنه حنق⁽¹⁾ عليكم نفيتموه نفى القردان⁽²⁾ على المناسم⁽³⁾، والله إنه له لسحرة، ما رأيته قط ولا أحداً من أصحابه إلا رأيت معهم الشياطين، وإنكم عرفتم عداوة ابني قيلة⁽⁴⁾ فهو عدو أستعان بعدو⁽⁵⁾.

8- سرية عبد الله بن جحش وما فيها من دروس

وعبر:

إن سرية عبد الله بن جحش حققت نتائج مهمة وفيها دروس وعبر وفوائد عظيمة منها:

أ- جاء في خبر هذه السرية أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب لأمر السرية كتاباً وأمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين، وهذا مثل لتطبيق مبدأ مهم من مبادئ الحرب، وهو إخفاء الخطط الحربية، ومنها خط السير، حتى يكون الجيش في أمان من كيد الأعداء، فالمدينة كانت آنذاك تضم اليهود والوثنيين ومن المتوقع أن يسارع هؤلاء إلى إخبار أهل مكة بخط سير تلك السرية الموجهة ضدهم، فلما سار أفراد السرية وهم بأنفسهم لا يعلمون اتجاههم أصبح النبي صلى الله عليه وسلم آمناً من انكشاف الهدف المقصود⁽⁶⁾.

وإن الباحث ليرى أثر التربية النبوية في هذه السرية المباركة حيث يسمعون وأطاعوا جميعاً وساروا إلى منطقة أعدائهم، وتجاوزوها حتى أصبحوا من ورائهم، وهذا شاهد على قوة إيمان الصحابة رضي الله عنهم، واستهانتهم بأنفسهم في سبيل الله تعالى⁽⁷⁾.

ب- حاولت قريش أن تستغل ما وقع من قتل في الشهر الحرام من قبل أفراد السرية:

فشنوا حرباً إعلامية وهجومية مركزة تتخللها دعايات مغرضة ضد المسلمين، استغلت فيها التعاليم الإبراهيمية التي ما زالت بعض آثارها باقية في المجتمع الجاهلي حتى ذلك الوقت من تحريم القتال في الأشهر الحرم، وغير ذلك، فقد انتهزت قريش هذه الفرصة للتشهير بمحمد صلى الله عليه وسلم وبال المسلمين وإظهارهم بمظهر المعتدي الذي لا يراعي الحرمات⁽⁸⁾، قالت قريش: «قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه الأموال، وأسروا فيه الرجال»⁽⁹⁾.

ونجحت قريش في خطتها تلك بادئ الأمر حيث (كان لدعايتها

2 (?) القردان: جميع قراد وهي دوية تعض الأبل.
3 (?) المناسم: بكسر السين: طرف خف البعير والنعامة، والفيل والحافر، وقيل: هي للناقة كالظفر للإنسان.

4 (?) كناية عن الأوس والخزرج، فقبيلة أمهم وكانوا ينسبون إليها.

5 (?) انظر: سيرة ابن هشام (1/218، 219).

6 (?) انظر: التاريخ الإسلامي مواقف وعبر (4/71).

7 (?) انظر: مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، الشريف أحمد، ص 445.

8 (?) انظر: سنن البيهقي (9/59) نقلاً عن السرايا والبعوث النبوية، ص 100.

9 هدية الشبكة الليبية والكاظم بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

صدي كبير، وأثر ملموس حتى في المدينة نفسها، فقد كثر الجدل والنقاش بين المسلمين أنفسهم، وأنكروا على رجال السرية محاربتهم في الشهر الحرام واشتد الموقف، ودخلت اليهود تريد إشعال الفتنة⁽¹⁾، وقالوا إن الحرب واقعة لا محالة بين المسلمين وقريش، بل بينهم وبين العرب جميعاً جزاء ما انتهكوا من حرمة الشهر الحرام، وأخذوا يرددون: «عمرو بن الحضرمي قتله وأقد بن عبد الله، عمرو: عمرت الحرب، والحضرمي: حضرت الحرب، وواقد: وفدت الحرب»⁽²⁾ وهذا الكلام من اليهود يعبر عن حقد دفين في نفوسهم على الإسلام والمسلمين⁽³⁾.

وعندما ظن أهل السرية أنهم قد هلكوا وسُقط في أيديهم جاء الرد الرباني المفحم قطعاً لللسنة المشركين الذين يتترسون بالحرمت، ويتخذونها ستاراً لجرائمهم، ففضح القرآن هؤلاء المجرمين، وأبطل احتجاجهم وأجاب على استنكارهم القتال في الشهر الحرام، فالصد عن سبيل الله، والكفر به أكبر من القتال في الشهر الحرام، والمسجد الحرام، وإخراج أهله منه أكبر من القتال في الشهر الحرام، وفتنة الرجل في دينه أكبر من القتل في الشهر الحرام، لقد فعلت قريش كل هذه الجرائم، وارتكبت هذه الكبائر، ولكنها تناستها أو استهانت بها، ولم تذكر إلا حرمة الشهر، واتخذها وسيلة لإثارة حرب شعواء على الإسلام ودولته، لتأليب القبائل الوثنية عليها، وتغيير الناس من الدخول في هذا الدين الذي يستحل الحرمات، ويستبيح المقدسات حتى إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد لحقه الغم، ولام قائد السرية وأصحابه على ما فعلوا⁽⁴⁾، فنزلت الآيات البيّنات ترد بقوة على دعايات قريش المغرضة، موضحة أنه وإن كان الشهر الحرام لا يحل فيه القتال، ولكن لا حرمة عند الله لمن هتك الحرمات وصد عن سبيله⁽⁵⁾.

ج- حرص القائد على سلامة الجنود:

عندما تخلف سعد بن أبي وقاص، وعتبة بن غزوان بسبب بحثهما عن بعير لهما قد أضلاه، وجاءت قريش تريد أن تفدي الأسيرين، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: «أخاف أن تكونوا قد أصبتم سعد بن مالك وعتبة بن غزوان» فلم يفدهما حتى قدم سعد وعتبة، ففوديا، فأسلم الحكم بن كيسان⁽⁶⁾ وأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجع عثمان بن عبد الله ابن المغيرة كافراً⁽⁷⁾. ونفهم من المنهاج النبوي ضرورة أن يهتم القائد بسلامة جنده؛ لأنهم هم الذين يقدمون أنفسهم في سبيل نصره دين الله وإقامة دولة الإسلام.

1 (?) انظر: مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، ص 445.

2 (?) انظر: سيرة ابن هشام (1/603، 604).

3 (?) انظر: التاريخ الإسلامي، (4/72).

4 (?) انظر: دولة الرسول من التكوين إلى التمكن، ص 533.

5 (3، 4) انظر: السرايا والبعوث النبوية، ص 100.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

إن المدارس العسكرية الحديثة تقول: إن الجندي حين يحس باهتمام القيادة به وسلامته وبأمنه، لا يتردد في أن يبذل غاية البذل ويعطي أقصى العطاء⁽¹⁾.

د- ظهور التربية الأمنية في الميدان:

كانت سرية عبد الله بن جحش قد حققت أهدافها، وظهرت قدرتها على التغلغل في المناطق الخاضعة لنفوذ قريش مما أذهلها، وزاد دهشتها وذهولها، تلك السرية التامة، والدقة المتناهية التي تمت بها العملية، حتى إن جواسيس قريش لم تستطع رصدها ولا معرفة الوجهة التي قصدتها، وكان ذلك ما أراده رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطط له بابتكاره أسلوب الرسائل المكتوبة للمحافظة على الكتمان وحرمان العدو من الحصول على المعلومات التي تفيده عن حركات المسلمين «والكتمان أهم عامل من عوامل مبدأ (المباغتة) وهي أهم مبدأ من مبادئ الحرب»⁽²⁾.

وقد أثبتت هذه السرية بما لا يدع مجالاً للشك بأن سرايا النبي صلى الله عليه وسلم قوية تندفع للقيام بأصعب الأعباء والمهام وتتحدى بمزايا القتال، وقدرتها على إنجاز الواجبات بكل كفاءة واقتدار؛ مما يدل على روحها المعنوية العالية.

وتظهر آثار التربية النبوية في الضبط العسكري الرفيع الذي تميز به قائد السرية وطاعته للأوامر النبوية العليا دون تردد أو تخاذل، فما إن قرأ الكتاب حتى إمتثل فوراً للأمر بحذافيره معطياً من نفسه القدوة الحسنة، وبأثا في نفوس جنوده الحماس وهو يقول لهم: «فمن كان منكم يريد الشهادة، ويرغب فيها فلينتلق، ومن كره ذلك فليرجع، فاما أنا فمأض لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم»⁽³⁾.

9- من أهداف السرايا:

عندما ندرس حركة السرايا والغزوات التي قادها رسول الله صلى الله عليه وسلم بدقة وعمق وتحليل، نستطيع أن نتلمس كثيراً من الأهداف وندرك بعض ما توحى به من دروس وعبر وفوائد، فإذا تأملنا في حركة السرايا التي شُيرت قبل بدر نجد أن أفرادها كلهم من المهاجرين ليس فيهم واحد من الأنصار يقول ابن سعد رحمه الله: «والمجتمع عليه أنهم كانوا جميعاً من المهاجرين» ولم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً من الأنصار مبعثاً حتى غزا بهم بدر⁽⁴⁾ وقد كان هذا أمراً مدروساً له أهدافه ومنها: إحياء قضية المهاجرين في أنفسهم أولاً، وإحيائها على المستوى الخارجي، وإنهاء الاقتصاد القرشي ومحاصرتها، واستعادة بعض الحقوق المسلوقة، وإضعاف قريش عسكرياً، وتدريب الصحابة على إتقان

1 (?) انظر: غزوة بدر الكبرى، محمد أبو فارس، ص 23.

2 (?) انظر: الرسول القائد، خطاب، ص 94.

3 (?) انظر: سيرة ابن هشام، (1/602) من رواية ابن إسحاق عن عروة.

4 (?) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (2/6).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

فنون القتال، رصد تحركات قريش، وإرهاب العدو الداخلي في المدينة وما حولها واختبار قوة العدو⁽¹⁾ وقد حققت تلك السرايا أهدافها والتي من أهمها:

أ- بسط هيبة الدولة في الداخل والخارج:

فقد استطاعت تلك السرايا والغزوات أن تلفت أنظار أعداء الدعوة والدولة الإسلامية إلى قوة المسلمين وقدرتهم على ضرب أية حركة مناوئة، سواء في الداخل أو الخارج، حتى لا يحدث أحد نفسه بمهاجمة الدولة الإسلامية، التي لا يتوقف جيشها ليل نهار؛ مما أربح الأفاعي اليهودية، والقبائل الوثنية المحيطة بالمدينة، وجعل الجميع يعمل ألف حساب قبل أن تحدثه نفسه بغزو المدينة، أو مناصرة أحد من الأعداء عليها والذي نلاحظه في حركة السرايا الزيادة المستمرة في أعداد قوة تلك الغزوات والسرايا، ومجيئها متتابعة ليس بينها فاصل زمني على الإطلاق، فلا تكاد السرية أو الغزوة تعود حتى تكون التي بعدها قد خرجت لتحقيق الهدف نفسه، وهو ضرب مصالح قريش الاقتصادية، وقطع طرق تجارتها، وخصوصاً إلى بلاد الشام؛ مما كلفها زيادة عدد حراس قوافلها، وارتفاع قيمة بضائعها، عدا عن الرعب والخوف الذي يشعر به رجال القوافل القرشية وأصحاب الأموال في مكة على حد سواء⁽²⁾.

ب- كسب بعض القبائل وتحجيم دور الأعراب:

فقد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبيلة جهينة وحالفها، وكذلك بعض القبائل الضاربة في تلك المنطقة، من أجل تحييدها في الصراع الدائر بين مكة والمدينة، والعمل على كسبها في هذا الصراع وذلك: (لأن الأصل أن هذه القبائل تميل إلى قريش، وتتعاون معها، إذ بينهما محالقات تاريخية سماها القرآن الكريم بالإيلاف⁽³⁾ سعت قريش من خلالها لتأمين تجارتها مع الشام واليمن⁽⁴⁾).

وبعد أن اتفقت بعض القبائل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقدت معه معاهدات، أصبحت تشكل خطراً على تجارة قريش، وصار المسلمون هم السادة في المنطقة⁽⁵⁾.

وقام النبي صلى الله عليه وسلم بتحجيم دور الأعراب كي لا يكون لهم وجود في طرق التجارة، فقد كان الأعراب يشكلون قوة تهديد للقوافل التجارية، وكان المار في مناطق نفوذهم لا يمر إلا بإتاوة تدفع إليهم، وحينما قامت الدولة الإسلامية لم يجدوا شيئاً منها فحربوا مهاجمتها وتولى هذا كرز الفهري، ولكنه وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يطارده إلى سفوان (بالقرب من بدر، وهي مسافة تبعد

1 (?) انظر: غزوة بدر الكبرى لأبي فارس، ص 14: 24.

2 (?) انظر: دولة الرسول من التكوين إلى التمكن، ص 532.

3 (?) سورة قريش الآيات من (1-4).

4 (?) انظر: المجتمع المدني، د. أكرم ضياء العمري، ص 27.

5 (?) انظر: دراسات في السيرة، مؤنس، ص 19.

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

عن المدينة حوالي 150 كيلومتراً) وقد سمي أهل السير هذه المطاردة غزوة بدر الصغرى، وتعد هذه الغزوة درساً لكل الأعراب فلم يحصل أن أعرابياً سولت له نفسه مهاجمة المدينة بعد هذه المطاردة، ومن ثم لم تدفع الأمة الإسلامية إتاوات لقطاع الطرق بل أجبرتهم على الانسحاب والدخول في اتفاقات مع المسلمين فأمّنوا شرهم⁽¹⁾.

ج- علاقة هذه السرايا بحركة الفتوح الإسلامية:

استمرت حركة السرايا والبعوث، وكانت بمثابة تمرينات عسكرية تعبوية، ومناورات حية لجند الإسلام، وكان هذا النشاط المتدفق على شكل موجات متعاقبة من جند الإسلام الأوائل دلالة قاطعة على أن دولة الإسلام في المدينة وبقيادة النبي القائد صلى الله عليه وسلم كانت مثل خلية النحل لا تهدأ ولا تكل، وإن الباحث ليلحظ في حركة السرايا والبعوث والغزوات الكبرى في زمن النبي صلى الله عليه وسلم حرص الصحابة على المشاركة كقادة وجنود، فكان صلى الله عليه وسلم بعدهم لتثبيت دعائم الدولة والاستعداد للفتوح المرتقبة، والتي ما فتئ عليه الصلاة والسلام يبشر بها أصحابه بين الفينة والأخرى في أوقات الحرب والسلام والخوف والأمن.

إنه بنظرة فاحصة في قواده وجنود تلك السرايا والبعوث تطالعنا أسماء لمعت كثيراً في تاريخ الفتح الإسلامي فيما بعد، مثل قائد فتوح الشام، أمين الأمة، أبي عبيدة بن الجراح، وسعد بن أبي وقاص صاحب القادسية، وفتح المدائن وخالد بن الوليد سيف الله المسلول هازم الروم في اليرموك، وعمرو بن العاص فاتح مصر وليبيا وغيرهم -رضي الله عنهم- لقد التحق خالد وعمرو فيما بعد بحركة السرايا وقادوا بعضهما بعد إسلامهم، لقد كانت السرايا والغزوات التي أشرف عليها الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم في حياته تدريباً حياً نابضاً، بل يمكن اعتبارها دورات أركان للقادة الذين فتحوا مشارق الأرض ومغاربها فيما بعد.

* * *

¹ (?) انظر: دراسات في عهد النبوة، د. عبد الرحمن الشجاع، ص131.
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

المبحث الخامس استمرارية البناء التربوي والعلمي

كان من أوائل ما نزل من القرآن الكريم في العهد المدني هو مقدمات سورة البقرة التي تحدثت عن صفات أهل الإيمان، وأهل الكفر، وأهل النفاق ثم إشارة لأهل الكتاب، اليهود والنصارى، وكان التركيز على بيان حقيقة اليهود؛ لأنهم الذين تصدوا للدعوة الإسلامية من أول يوم دخلت فيه المدينة، وتتضمن سورة البقرة جانباً طويلاً منها لشرح صفة يهود وطباعهم⁽¹⁾.

والملاحظ أن سورة البقرة وهي من أوائل ما نزل في العهد المدني كانت توجه الدعوة للناس أجمعين أن يدخلوا في دين الله، وأن يتوجهوا إليه بالعبادة قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ الْأَرْضَ وَفَرَأْسًا وَالسَّمَاءَ بَنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) [البقرة: 21-22].

وكانت الآيات القرآنية في العهد المدني تحذر المسلمين من الاتصاف بصفات المنافقين، وتوضح خطورة المنافقين على المجتمع الناشئ والدولة الجديدة، ولم تظهر حركة النفاق ضد المجتمع والدولة المسلمة إلا في العهد المدني؛ لأن المسلمين في مكة «ولم يكونوا من القوة والنفوذ في حالة تستدعي وجود فئة من الناس ترهبهم أو ترجو خيرهم، فتتملقهم وتتزلف إليهم في الظاهر، وتتآمر عليهم وتكيد لهم وتمكر بهم في الخفاء، كما كان شأن المنافقين بوجه عام.. والآيات تتضمن أوصاف وأخبار مواقف المنافقين، والحملات عليهم كثيرة جداً، حتى لا تكاد تخلو سورة مدنية منها، وخاصة الطويلة والمتوسطة، وهذا يعني أن هذه الحركة ظلت طيلة العهد المدني تقريباً، وإن كانت أخذت تضعف من بعد نصفه الأول»⁽²⁾.

واستمر القرآن المدني يتحدث عن عظمة الله، وحقيقة الكون والترغيب بالجنة والترهيب من النار ويشعر الأحكام لتربية الأمة، ودعم مقومات الدولة التي ستحمل نشر دعوة الله بين الناس قاطبة، وتجاهد في سبيل الله.

وكانت مسيرة الأمة العلمية تتطور مع تطور مراحل الدعوة وبناء المجتمع، وتأسيس الدولة، وقد أشاد القرآن الكريم بالعلم، والذين يتعلمون ورويت أحاديث عن تقدير الرسول صلى الله عليه وسلم للعلم، وتضمنت كتب الحديث أبواباً عن العلم.

¹ (?) انظر: الضلال (1/27) وما بعدها.

² (?) انظر: السيرة النبوية، دروزة (2/72، 76) نقلاً عن دراسات في عهد النبوة، د. عبد الرحمن الشجاع، ص 172.

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

لقد أيقنت الأمة أن العلم من أهم مقومات التمكين؛ لأن من المستحيل أن يمكن الله تعالى لأمة جاهلة، متخلفة عن ركاب العلم، وإن الناظر للقرآن الكريم ليرأى له في وضوح أنه زاهر بالآيات التي ترفع من شأن العلم، وتحث على طلبه وتحصيله فقد جعل القرآن الكريم العلم مقابلاً للكفر⁽¹⁾ الذي هو الجهل والضلال قال تعالى: (**أَمِنْ هُوَ قَائِلٌ أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**) [الزمر: 9].

وإن الشيء الوحيد الذي أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يطلب منه الزيادة هو العلم قال تعالى: (**وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا**) [طه: 114] كما أن أول خاصية ميز الله تعالى بها آدم عليه السلام هي العلم قال تعالى: (**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**) [البقرة: 31].

واستمر النبي صلى الله عليه وسلم في منهجه التربوي لكي يعلم أصحابه ويذكرهم بالله عز وجل، ويحثهم على مكارم الأخلاق، ويوضح لهم دقائق الشريعة وأحكامها، وكان توجيهه صلى الله عليه وسلم لأصحابه أحياناً فردياً، ومرة جماعياً، وترك لنا الحبيب المصطفى ثروة هائلة في وسائله التربوية في التعليم وإلقاء الدروس فقد راعى صلى الله عليه وسلم الوسائل التربوية التي تعين على الحفظ وحسن التلقي، وتؤدي إلى استقرار الحديث في نفوس وأفئدة الصحابة الكرام- رضوان الله عليهم- فمن هذه الوسائل والمبادئ العظيمة النافعة⁽²⁾ في العهد المكي والمدني.

أولاً: أهم هذه الوسائل والمبادئ:

1- تكرار الحديث وإعادته:

فذلك أسهل في حفظه وأعون على فهمه، وأدعى لاستيعابه ووعيه معانيه؛ ولذلك حرص النبي صلى الله عليه وسلم على تكرير الحديث في غالب أحيانه، فعن أنس بن مالك ؓ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه: كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً، حتى تفهم عنه..⁽³⁾

2- التآني في الكلام والفصل بين الكلمات:

كان صلى الله عليه وسلم يتأني ولا يستعجل في كلامه، بل يفصل بين كلمة وأخرى، حتى يسهل الحفظ، ولا يقع التحريف والتغيير عند النقل، وبلغ من حرص النبي صلى الله عليه وسلم ذلك أنه كان يسهل

¹ (؟) التمكين للأمة الإسلامية، ص 62.
² (؟) انظر: مناهج وآداب الصحابة في التعلم والتعليم، د. البر، ص 59، 60.
³ (؟) البخاري، كتاب العلم، باب من أعاد الحديث (1/188).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

على السامع أن يعد كلماته **صلى الله عليه وسلم** لو شاء⁽¹⁾ فقد روى عروة بن الزبير - رحمه الله - أن عائشة رضي الله عنها قالت: «ألا يعجبك أبو فلان؟ جاء فجلس إلى جانب حجرتي، يحدث عن رسول الله **صلى الله عليه وسلم**، يسمعي ذلك، وكنت أسبح⁽²⁾ فقام قبل أن أقضي شئحتي، ولو أدركته لرددت عليه، أن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** لم يكن يسرد الحديث كسر دكم⁽³⁾».

3- الاعتدال وعدم الإملال واختيار الوقت المناسب:

كان **صلى الله عليه وسلم** يقتصد في تعليمه في مقدار ما يلقيه، وفي نوعه، وفي زمانه، حتى لا يمل الصحابة وحتى ينشطوا لحفظه، ويسهل عليهم عقله وفهمه، فعن ابن مسعود قال: كان النبي **صلى الله عليه وسلم** يتخولنا⁽⁴⁾ بالموعظة في الأيام، كراهة السأمة علينا⁽⁵⁾.

4- ضرب الأمثال:

للمثل أثر بالغ في إيصال المعنى إلى العقل والقلب، وذلك أنه يقدم المعنوي في صورة حسية فيربطه بالواقع ويقربه إلى الذهن، فضلاً عن أن للمثل بمختلف صورته بلاغة تأخذ بمجامع القلوب، وتستهيء العقول، وبخاصة عقول اليلغاء؛ ولذلك استكثر القرآن من ضرب الأمثال، وذكر حكمة ذلك في آيات كثيرة، فقال تعالى: (**وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ**) [العنكبوت: 43].

وقال تعالى: (**لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَائِشًا مُّخَضَّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**) [الحشر: 21].

إلى غير ذلك من الآيات، وعلى هذا المنهج الكريم سار النبي **صلى الله عليه وسلم** فاستكثر من ضرب الأمثال، فقد قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: (حفظت عن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** ألف مثل)⁽⁶⁾.

وقد ألفت كتب متعددة في الأمثال في الحديث النبوي، من أقدمها (أمثال الحديث) للقاضي أبي محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي، (ت360هـ)⁽⁷⁾.

5- طرح المسائل:

- (?) انظر: مناهج وآداب الصحابة، د. عبد الرحمن البر، ص 62.
- (?) أسبح: أصلي النافلة وهي السبحة وقيل صلاة الصبح.
- (?) البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي (6/576) رقم 3568.
- (?) يتخولنا: يتعهدنا.
- (?) البخاري، كتاب العلم، باب ما كان النبي يتخولهم بالموعظة، (1/162) رقم 68.
- (?) انظر: مناهج وآداب الصحابة، ص 65.
- (?) مناهج وآداب الصحابة، ص 65، كل وسائل التعليم النبوية اختصرتها من هذا الكتاب القيم.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

إن طرح السؤال من الوسائل التربوية المهمة في ربط التواصل القوي بين السائل والمسئول، وفتح ذهن المسئول وتركيز اهتمامه على الإجابة، وإحداث حالة من النشاط الذهني الكامل؛ ولذلك استخدم النبي صلى الله عليه وسلم السؤال في صور متعددة لتعليم الصحابة، مما كان له كبير الأثر في حسن فهمهم وتمام حفظهم، فأحياناً يوجه النبي صلى الله عليه وسلم السؤال لمجرد الإثارة والتشويق ولفت الانتباه، ويكون السؤال عندئذ بصيغة التنبيه (ألا غالباً، فعن أبي هريرة رضي، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط»⁽¹⁾.

وأحياناً يسألهم النبي صلى الله عليه وسلم عما يعلم أنهم لا علم لهم به، وأنهم سيكلون علمه إلى الله ورسوله، وإنما يقصد إثارة انتباههم للموضوع، ولفت أنظارهم إليه⁽²⁾، فعن أبي هريرة رضي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أتدرون من المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فئت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار»⁽³⁾.

وأحياناً يسأل فيحسن أحد الصحابة الإجابة، فيثني عليه، ويمدحه تشجيعاً له وتحفيزاً لغيره، كما فعل مع أبي بن كعب رضي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟» قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟» قال قلت: (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) قال: ف ضرب في صدري، وقال: «ليهنك العلم»⁽⁴⁾ أبا المنذر⁽⁵⁾.

فهذا الاستحسان والتشجيع يبعث المتعلم على الشعور بالارتياح والثقة بالنفس، ويدعوه إلى طلب وحفظ المزيد من العلم وتحصيله⁽⁶⁾.

6- إلقاء المعاني الغريبة المثيرة للاهتمام والداعية إلى الاستفسار والسؤال:

(1) مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل إسباغ الوضوء (1/219).

(2) انظر: منهاج وأداب الصحابة، ص 67.

(3) مسلم، كتاب البر، باب تحريم الظلم (4/1997).

(4) أي ليكن العلم هنيئاً لك.

(5) مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف، وآية الكرسي (556).

(6) انظر: منهاج وأداب الصحابة، ص 69.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

ومن أطف ذلك وأجمله، ما رواه جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بالسوق، داخلاً من بعض العلية، والناس كنفته (1) فمر بجدي أسك (2) ميت، فتناوله، فأخذ بأذنه، ثم قال: «أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟»، فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء وما نصنع به؟ قال: «أتحبون أنه لكم؟» قالوا: والله لو كان حيا كان عيبا فيه، لأنه أسك، فكيف وهو ميت؟ فقال: «فوالله لكدنيا أهون على الله من هذا عليكم» (3).

7- استخدام الوسائل التوضيحية:

كان النبي صلى الله عليه وسلم يستخدم ما يسمى اليوم بالوسائل التوضيحية، لتقرير وتأكيد المعنى في نفوس وعقول السامعين، وشغل كل حواسهم بالموضوع، وتركيز انتباههم فيه، مما يساعد على تمام وعيه وحسن حفظه بكل ملابساته، ومن هذه الوسائل:

أ- التعبير بحركة اليد، كتشبيكه صلى الله عليه وسلم بين أصابعه وهو يبين طبيعة العلاقة بين المؤمن وأخيه، فعن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المؤمن للمؤمن كالبنیان يشد بعضه بعضاً» وشبك بين أصابعه (4).

ب- التعبير بالرسم، فكان صلى الله عليه وسلم يخط على الأرض خطوطاً توضيحية تلفت نظر الصحابة، ثم يأخذ في شرح مفردات ذلك التخطيط وبيان المقصود منه، فعن عبد الله بن مسعود قال: خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً بيده، ثم قال: «هذا سبيل الله مستقيماً» ثم خط خطوطاً عن يمينه، وعن شماله ثم قال: «وهذه السبيل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه» ثم قرأ (وَإِنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [الأنعام: 153].

ج- التعبير برفع وإظهار الشيء موضع الحديث: كما فعل صلى الله عليه وسلم عند الحديث عن حكم لبس الحرير والذهب، فعن علي بن أبي طالب قال: إن نبي الله صلى الله عليه وسلم أخذ حريراً فجعله في يمينه، وأخذ ذهباً فجعله في شماله، ثم قال: «إن هذين حرام على ذكور أمتي» (5) وفي رواية عند النسائي عن أبي موسى: «أحل الذهب والحرير لإناث أمتي وحرم على ذكورها» (6) فجمع النبي صلى الله عليه وسلم بين القول وبين رفع الذهب والحرير وإظهارهما، حتى يجمع لهم السماع والمشاهدة، فيكون ذلك أوضح

(1) كنفته: يعني عن جانبه، والكنف بالتحريك: الناحية والجانب.

(2) أسك: مضطلم الأذنين مقطوعهما (النهاية 2/384)

(3) مسلم، كتاب الزهد والرقائق (4/2272).

(4) البخاري، كتاب المظالم، باب نصر المظلوم (5/99) رقم 2446.

(5) أبو داود، كتاب اللباس، باب في الحرير للنساء (4/5) رقم 4057.

(6) صحيح سنن النسائي، الألباني، ورقمه (5163) وصححه..

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

وأعون على الحفظ.

د- التعليم العملي بفعل الشيء أمام الناس: كما فعل عندما صعد **صلى الله عليه وسلم** المنبر فصلى بحيث يراه الناس أجمعون، فعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله **صلى الله عليه وسلم** قام على المنبر فاستقبل القبلة وكبر، وقام الناس خلفه، فقرأ ورَكَع الناس خلفه، ثم رفع رأسه، ثم رَجَعَ القهقري ⁽¹⁾، فسجد على الأرض، ثم عاد إلى المنبر، ثم قرأ، ثم رَكَع، ثم رفع رأسه، ثم رَجَعَ القهقري، فسجد على الأرض، ثم عاد إلى المنبر، ثم قرأ، ثم رَكَع، ثم رفع رأسه، ثم رَجَعَ القهقري، حتى سجد بالأرض فلما فرغ أقبل الناس، فقال: «أيها الناس إنما صنعت هذا لتأتموا بي، وتعلموا» ⁽²⁾ **صلاتي** ⁽³⁾.

8- استعمال العبارات اللطيفة والرفيقة:

إن استعمال لطيف الخطاب ورقيق العبارات يؤلف القلوب، ويستميلها إلى الحق ويدفع المستمعين إلى الوعي والحفظ، فقد كان **صلى الله عليه وسلم** يمهّد لكلامه، وتوجيهه بعبارة لطيفة رفيقة، وبخاصة إذا كان يصدد تعليمهم ما قد يستحيا من ذكره، كما فعل عند تعليمهم آداب الجلوس لقضاء الحاجة، إذ قدم لذلك بأنه مثل الوالد للمؤمنين، يعلمهم شفقة بهم ⁽⁴⁾، فقد قال **صلى الله عليه وسلم**: «إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم، فإذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة، ولا يستدبرها، ولا يستطب بيمينه» ⁽⁵⁾.

لقد راعى المعلم الأول **صلى الله عليه وسلم** جملة من المبادئ التربوية الكريمة كانت غاية في السمو الخلقي والكمال العقلي، وذلك في تعليقه على ما صدر من بعض الصحابة، جعلت التوجيه يستقر في قلوبهم وبقي ماثلاً أمام بصائرهم، لما ارتبط به من معانٍ تربوية كريمة ⁽⁶⁾ وهذه بعض المبادئ الرفيعة التي استعملها النبي **صلى الله عليه وسلم**:

أ- تشجيع المحسن والثناء عليه:

ليزداد نشاطاً وإقبالاً على العلم والعمل، مثلما فعل مع أبي موسى الأشعري رضي الله عنه حين أثني على قراءته وحسن صوته بالقرآن الكريم، فعن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي **صلى الله عليه وسلم** قال له: «لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة، لقد أوتيت مزامراً من مزامير آل

1 (?) القهقري: المشي إلى خلف، من غير أن يعيد وجهه إلى جهة مشيه.
2 (?) أي لتعلموا، فحذف إحدى التاءين.
3 (?) البخاري، كتاب الصلاة، باب في السطوح والمنبر، والخشب (1/486) رقم 377.
4 (?) انظر: مناهج وآداب الصحابة في التعلم والتعليم، ص 74.
5 (?) أبو داود، كتاب الطهارة، باب كراهية استقبال القبلة عند قضاء الحاجة (1/3) رقم 8.
6 (?) انظر: مناهج وآداب الصحابة في التعلم والتعليم، ص 85.
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

(1) «دواد».

ب- الإشفاق على المخطئ وعدم تعنيفه:

كان صلوات الله وسلامه عليه يقدر ظروف الناس، وبراعي أحوالهم، ويعذرهم بجهلهم، ويتلطف في تصحيح أخطائهم، ويترقب في تعليمهم الصواب، ولا شك أن ذلك يملأ قلب المنصوح حبا للرسالة وصاحبها، وحرصا على حفظ الواقعة والتوجيه وتبليغهما، كما يجعل قلوب الحاضرين المعجبة بهذا التصرف والتوجيه الرقيق مهياة لحفظ الواقعة بكافة ملبساتها⁽²⁾ ومن ذلك ما رواه معاوية بن الحكم السلمي ؓ قال: (بينما أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: وا ثكل أمياه⁽³⁾، ما شأنكم تنظرون إلي؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني، لکني سكيت، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه، فوالله ما كهرني⁽⁴⁾ ولا ضربني، ولا شتمني قال: «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن» أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم⁽⁵⁾.

فانظر - رحمك الله - إلى هذا الرفق البالغ في التعليم، وانظر أثر هذا الرفق في نفس معاوية بن الحكم السلمي ؓ وتأثره بحسن تعليمه صلى الله عليه وسلم.

ج- عدم التصريح والاكتفاء بالتعريض فيما يذم:

لما في ذلك من مراعاة شعور المخطئ والتأكيد على عموم التوجيه ومن ذلك ما حدث مع عبد الله بن اللثبية ؓ حين استعمله النبي صلى الله عليه وسلم على صدقات بني سليم، فقبل الهدايا من المتصدقين، فعن أبي حميد الساعدي ؓ قال: استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا على صدقات بني سليم، يدعى ابن اللثبية، فلما جاء حاسبه، فقال: هذا مالكم، وهذا هدية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فهلا جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقا؟» ثم خطبنا، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد فإني أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله فيأتي فيقول: هذا مالكم، وهذا هدية أهديت لي، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتية هديته؟ والله لا يأخذ أحد منكم شيئا بغير حقه إلا لقي الله بحمله يوم القيامة، فلأعرفن أحدا منكم لقي الله يحمل بغيرا له

1 (؟) مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن (1/546).

2 (؟) انظر: مناهج وآداب الصحابة، ص 86.

3 (؟) وا: حرف للتبذير، والحسرة، والثكل فقدان المرأة ولدها، وأمياه: أي يا أماه.

4 (؟) الكهر والقهر والنهر متقاربة، أي ما فهرني ولا نهرنني.

5 (؟) مسلم، كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة (1/381).

هدية الشبكة اللبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

رُغَاءُ أَوْ بَقْرَةَ لَهَا خَوَارٍ، أَوْ شَاةٍ تَيْعَرُ»⁽¹⁾. ثم رفع يديه حتى رؤي بياض إبطيه يقول: «اللهم بلغت» بصر عيني وسمع أذني⁽²⁾.

د- الغضب والتعنيف متى كان لذلك دواعٍ مهمة:

وذلك كأن يحدث خطأ شرعي من أشخاص لهم حيثة خاصة، أو تجاوز الخطأ حدود الفردية والجزئية، وأخذ يمثل بداية فتنة أو انحراف عن المنهج، على أن هذا الغضب يكون غضباً توجيهياً، من غير إسفاف ولا إسراف، بل على قدر الحاجة ومن ذلك غضبه صلى الله عليه وسلم حين أتاه عمر ومعه نسخة من التوراة، ليقرأها عليه صلى الله عليه وسلم، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب ؓ أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنسخة من التوراة فقال: يا رسول الله، هذه نسخة من التوراة، فسكت فجعل يقرأ ووجه رسول الله يتغير، فقال أبو بكر: تكلتك الثواكل، ما ترى بوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فنظر عمر إلى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أعود بالله من غضب الله وغضب رسوله رضي الله عنه، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفس محمد بيده لو بدا لكم هوسى فاتبعتموه وتركتموني لضللتم عن سواء السبيل، ولو كان حياً وأدرك نبوتي لاتبعني»⁽³⁾.

ومن ذلك غضبه صلى الله عليه وسلم من تطويل بعض أصحابه الصلاة وهم أئمة بعد أن كان صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك لما فيه من تعسير ومقشقة، ولما يؤدي إليه من فتنة لبعض الضعفاء والمعدورين وذوي الأشغال، فعن أبي مسعود الأنصاري ؓ قال: قال رجل: يا رسول الله، لا أكاد أدرك الصلاة مما يطول بنا فلان، فما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في موعظة أشدَّ غضباً من يومئذ فقال: «أيها الناس إنكم منفرون، فمن صلى بالناس فليخفف فإن فيهم المريض والضعيف وذو الحاجة»⁽⁴⁾.

ومن ذلك غضبه من اختصام الصحابة وتجادلهم في القدر، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه، وهم يختصمون في القدر، فكانما يُفَقَّ في وجهه حب الرمان من الغضب فقال: «بهذا أمرتم؟ أو لهذا خلقتم؟ تضربون القرآن بعضه ببعض؟ بهذا هلكتم قبلكم»⁽⁵⁾. ومن ذلك غضبه صلى الله عليه وسلم حين يخالف الصحابة أمره

1 (?) الرغاء: صوت الإبل عند رفع الأحمال عليها، الخوار: صوت البقر، تيعر: يعني تصيح.

2 (?) البخاري، كتاب الحيل، باب احتيال العالم ليهدي له رقم 6979.

3 (?) مجمع الزوائد (1/173، 174) له شواهد كثيرة تقوي الحديث.

4 (?) البخاري، كتاب العلم، باب الغضب في الموعظة والتعليم (1/186) رقم 90.

5 (?) مقدمة ابن ماجه باب في القدر (1/33) رقم 85.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

ويصرون على المغالاة في الدين والتشديد على أنفسهم، ظنا أن ذلك أفضل مما أمروا به، وأقرب إلى الله فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمرهم من الأعمال بما يُطيقون قالوا: إنا لنبنا كهيتك يا رسول الله، إن الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فيغضب حتى يعرف الغضب في وجهه، يقول: «إن أتاكم وأعلمك بالله أنا»⁽¹⁾.

ولم يكن غضب النبي صلى الله عليه وسلم في تلك المواقف إلا عملاً توجيهياً وتعليمياً، تحريصاً للصحابة على التيقظ، وتحذيراً لهم من الوقوع في هذه الأخطاء، فالواظ (من شأنه أن يكون في صورة الغضبان؛ لأن مقامه يقتضي تكلف الانزعاج؛ لأنه في صورة المنذر، وكذا المعلم إذا أنكر على ما يتعلم منه سوء فهم ونحوه، لأنه قد يكون ادعى للقبول منه وليس ذلك لازماً في حق كل أحد بل يختلف باختلاف أحوال المتعلمين)⁽²⁾.

هـ- انتهاز بعض الوقائع لبيان وتعليم معانٍ مناسبة:

كان صلى الله عليه وسلم تحدث أمامه أحداث معينة، فينتهز مشابهاً ما يرى لمعنى معين يريد تعليمه للصحابة، ومشاكلته لتوجيه مناسب يريد بثه لأصحابه، وعندئذ يكون هذا المعنى، وذلك التوجيه أوضح ما يكون في نفوسهم رضوان الله عليهم، ومن ذلك ما رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قدم على النبي صلى الله عليه وسلم يبيي⁽³⁾ فإذا امرأة في السبي قد تحلب ثديها⁽⁴⁾ تسعى⁽⁵⁾ إذ وجدت صبياً في السبي أخذته فالصقته بطنها، وأرضعته، فقال لنا النبي صلى الله عليه وسلم: «أترون هذه طارحةً ولدها في النار؟» قلنا: لا، وهي تقدر على أن لا تطرحه⁽⁶⁾ فقال: «لله أرحم بعباده من هذه بولدها»⁽⁷⁾.

«فانتبهز صلى الله عليه وسلم المناسبة القائمة بين يديه مع أصحابه المشهود فيها حنان الأم الفاقدة على رضيعها إذا وجدته، وضرب بها المشاكلة والمشابهة برحمة الله تعالى ليعرف الناس رحمة رب الناس بعباده»⁽⁸⁾.

ثانياً: من أخلاق الصحابة عند سماعهم للنبي صلى الله عليه وسلم:

حرص الصحابة رضوان الله عليهم على التزام آداب ومبادئ مهمة

1 (?) البخاري، كتاب الإيمان، باب: قول النبي (أنا أعلمكم بالله) (1/70) رقم 20.

2 (?) فتح الباري (1/187). (3) السبي: الأسرى.

4 (?) تحلب ثديها: أي تهيأ لأن يحلبها. (5) تسعى: من السعي، وهو المشي بسرعة.

5 (?) أي لا تطرحه ما دامت تقدر على حفظه معها ووقايتها وعدم طرحه في النار.

6 (?) البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعاينته، رقم 5999.

7 (?) الرسول المعلم، عبد الفتاح أبو غدة، ص 160، هذا المبحث اختصرته من مناهج وآداب الصحابة في التعلم والتعليم للدكتور عبد الرحمن البر.

8 هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

كان لها عظيم الأثر في حسن الحفظ وتمام الضبط وقدرتهم في تبليغ دعوة الله للناس، ومن هذه الآداب والأخلاق:

1- الإنصات التام وحسن الاستماع:

فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل في نفوس الصحابة وأعظم من أن يلغوا إذا تحدث، أو ينشغلوا عنه إذا تكلم، أو يرفعوا أصواتهم بحضرته، وإنما كانوا يلقون إليه أسماهم ويشهدون عقولهم وقلوبهم، ويحفظون ذاكرتهم فعن علي بن أبي طالب في الحديث عن سيرته صلى الله عليه وسلم في جلسائه قال: «... وإذا تكلم أطرقت جلساؤه، كأنما على رؤوسهم الطير، فإذا سكت تكلموا...»⁽¹⁾.

قال الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله: «أصله: أن الغراب يقع على رأسه البعير، فيلقط منه الفرداد، فلا يتحرك البعير حينئذ، لئلا ينفر عنه الغراب ويبقى الفرداد في رأس البعير فيؤلمه، فقليل منه: كان على رؤوسهم الطير»⁽²⁾.

وأيا ما كان أصل المثل فهو يدل على السكون التام، والإنصات الكامل هبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وتعظيماً له، وإجلالاً لحديثه⁽³⁾.

2- ترك التنازع وعدم مقاطعة المتحدثي حتى يفرغ:

وهذا من تمام الأدب، المفضي إلى ارتياح جميع الجالسين، وإقبال بعضهم على بعض، والمعين على سهولة الفهم، والتعلم ففي حديث علي بن أبي طالب السابق في سيرته صلى الله عليه وسلم في جلسائه، قال: (لا يتنازعون عنده الحديث، من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم عنده حديث أولهم..⁽⁴⁾ أي أن من بدأ منهم الحديث والكلام سكتوا حتى يفرغ أولاً من حديثه، ولم يقاطعوه أو ينزعوه، وبذلك يبقى المجلس على وقاره وهيبته، ولا تختلط فيه الأصوات، ولا يحصل أدنى تشويش⁽⁵⁾).

3- مراجعته صلى الله عليه وسلم فيما أشكل عليهم حتى

يتبين لهم:

فمع كمال هيبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وشدة تعظيمهم له، لم يكونوا يترددون في مراجعته صلى الله عليه وسلم لاستيضاح ما أشكل عليهم فهمه، حتى يسهل حفظه، بعد ذلك، ولا شك أن هذه المراجعة تعين على تمام الفهم وحضور الوعي، فمن ذلك حديث حفصة رضي الله عنها قالت: قال النبي صلى الله عليه وسلم:

- 1 (?) الترمذي، في الشمائل المحمدية، باب ما جاء في خلق رسول الله رقم 335.
- 2 (?) انظر: الرسول المعلم وأساليبه في التعليم، ص 30.
- 3 (?) انظر: مناهج وآداب الصحابة، ص 77.
- 4 (?) الترمذي في الشمائل المحمدية، باب ما جاء في خلق رسول الله، رقم 335.
- 5 (?) انظر: مناهج وآداب الصحابة، ص 78.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

«إني لأرجو ألا يدخل النار أحد إن شاء الله ممن شهد بدرًا والحديبية» قالت: قلت يا رسول الله أليس قد قال الله: (**وَأَنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا**) [مريم: 71] قال: «ألم تسمعيه يقول (**ثُمَّ تُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَتَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثَاً**)⁽¹⁾ [مريم: 72].

ومن ذلك حديث جابر بن عبد الله، عن عبد الله بن أنيس، رضي الله عنهم، الذي رحل جابر إليه فيه، قال ابن أنيس: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يحشر الله العباد - أو قال: الناس - عراة غرلاً⁽²⁾» قال: قلنا: ما بهما؟ قال: «ليس معهم شيء، ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك، أنا الديان، لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة، ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار، وعنده مظلمة، حتى أقصه⁽³⁾ منه، حتى اللطمة» قال: قلنا: كيف ذا وإنما نأتي الله غرلاً بهما؟ قال: «بالحسنات والسيئات». قال: وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**الْيَوْمَ تُجْرَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظَلَمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**)⁽⁴⁾ [غافر: 17].

وهكذا استفهم الصحابة عما خفي عليهم، واستوضحوا ما أشكل عليهم فهمه، وهذه المناقشة والمراجعة كان لها أثر كبير في الفهم والوعي والحفظ⁽⁵⁾.

4- مذاكرة الحديث:

كان الصحابة رضوان الله عليهم إذا سمعوا شيئاً من النبي صلى الله عليه وسلم وحملوا عنه علماً، جلسوا فتذكروه فيما بينهم وتراجعوه على ألسنتهم، تأكيداً لحفظه، وتقوية لاستيعابه وضبطه والعمل به، فعن أنس بن مالك قال: «كنا نكون عند النبي صلى الله عليه وسلم فنسمع منه الحديث، فإذا قمنا تذاكرناه فيما بيننا حتى نحفظه»⁽⁶⁾، وقد بقي مبدأ المذاكرة قائماً بين الصحابة حتى بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فعن أبي نضرة المنذر بن مالك بن قطعة رحمه الله قال: «كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اجتمعوا تذكروا العلم، وقرءوا سورة»⁽⁷⁾.

1 (?) ابن ماجة، كتاب الزهد، باب ذكر البعث (2/1431).
2 (?) غرلاً: جمع أغرل، وهو الألف، والغرلة: القلفة؛ وهي القطعة التي تقطع من الذكر عند الختان.
3 (?) أقصه: أمكنه من أخذ القصاص ممن ظلمه. (4) أخرجه الحاكم (2/437) وصححه ووافقه الذهبي.

4 (?) إنظر: مناهج وآداب الصحابة، ص 80.
5 (?) أخرجه الخطيب في الجامع (1/363، 364) وفيه يزيد الرقاشي وهو ضعيف.
6 (?) أخرجه الخطيب في الجامع (2/86) رقم 1229، والسمعاني في أدب الإملاء والاستملاء، ص 48.
7

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

5- السؤال بقصد العلم والعمل⁽⁸⁾:

كانت أسئلة الصحابة بقصد العلم والعمل، لا للعبث واللعب، فكانت أسئلتهم مشفوعة بهذا القصد، لما علموا من كراهة النبي صلى الله عليه وسلم للمسائل العبثية التي لا يحتاج إليها، ولما سمعوا من تحذيره صلى الله عليه وسلم من كثرة السؤال فعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: «كره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسائل وعابها»⁽²⁾.

قال النووي: «المراد: كراهة المسائل التي لا يحتاج إليها، لا سيما ما كان فيه هتك ستر مسلم، أو إشاعة فاحشة أو شناعة على مسلم أو مسلمة. قال العلماء: أما إذا كانت المسائل مما يحتاج إليه في أمور الدين، وقد وقع، فلا كراهة فيها»⁽³⁾.

6- ترك التنطع وعدم السؤال عن المتشابه:

وذلك تطبيقاً لتحذير النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك وتشديده على المتنطعين، نهيهم عن مجالستهم، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: **(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هِيَ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدَ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ)** (آل عمران: 7) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم»⁽⁴⁾.

7- ترك السؤال عما سكت عنه الشارع:

فقد التزموا رضوان الله عليهم بهذا الأدب، فلم يتكلفوا السؤال عما سكت عنه الشارع، حتى لا يؤدي السؤال عن ذلك إلى إيجاب ما لا يوجبه الشرع، أو تحريم ما لم يحرمه، فيكون السؤال قد أفضى إلى التضييق على المسلمين، كما قال تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنِ الْبَشَاءِ إِنْ تُبَدِّلْ لَكُمْ نَسُوكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلَ الْقُرْآنُ تُبَدِّلْ لَكُمْ عَمَّا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ عَفُورٌ ذَلِيلٌ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ)** [المائدة: 101، 102].

وحذر الرسول صلى الله عليه وسلم من مثل ذلك، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أعظم

⁸ (?) انظر: منهاج وآداب الصحابة، ص 96.

² (?) أخرجه أبو خيثمة زهير بن حرب بإسناد صحيح في كتاب العلم، ص 20 رقم 77.

³ (?) شرح النووي على مسلم، (3/741) طبعة الشعب.

⁴ (?) البخاري، كتاب التفسير، سورة آل عمران، رقم 4547.

هدية الشبكة الليبية والكاظم بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسأله»⁽¹⁾.

8- اغتنام خلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومراعاة وقت سؤاله:

كان الصحابة رضي الله عنهم يراعون الوقت المناسب للسؤال، ومن ذلك اغتنام ساعة خلوته صلى الله عليه وسلم حتي لا يكون في السؤال إثقال أو إرهاق أو نحو ذلك، فعن أبي موسى الأشعري قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى الفجر انحرفنا إليه فمنا من يسأله عن القرآن ومنا من يسأله عن الفرائض، ومنا من يسأله عن الرؤيا»⁽²⁾.

9- مراعاة أحواله صلى الله عليه وسلم وعدم الإلحاح عليه بالسؤال:

وبخاصة بعد أن تُهوا عن السؤال؛ ولذلك كانوا يدفعون الأعراب لسؤاله صلى الله عليه وسلم، ويتحينون وينتظرون مجيء العقلاء منهم، ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يسمعون، فعن أنس بن مالك قال: «نهينا أن نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء، فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل، فيسأله ونحن نسمع، فجاء رجل من أهل البادية فقال: يا محمد، أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك قال: «صدق»... الحديث»⁽³⁾.

وهكذا استمر البناء التربوي في المجتمع الجديد من خلال المواقف العملية الواضحة منسجماً مع غرس فريضة التعلم والتعليم بين أفراد المجتمع المسلم، فكانت تلك التوجيهات تساهم في إعداد الفرد المسلم، والأمة المسلمة، والدولة المسلمة التي أسسها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا جزء من كل، وغرض من فيض، وتذكير وتنبيه لأهمية استمرار البناء التربوي والعلمي في الأمة حتى بعد قيام الدولة.

1 (?) البخاري، كتاب الاعتصام، باب ما يكره من كثرة السؤال... ورقمة (7289).

2 (?) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (1/159) رواه الطبراني في الكبير، وفيه محمد بن عمر الرومي، ضعفه أبو داود وأبو زرعة، ووثقه ابن حبان.

3 (?) مسلم، كتاب الإيمان، باب السؤال عن أركان الإسلام (1/41، 42).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

المبحث السادس أحداث وتشريعات

أولاً: معالجة الأزمة الاقتصادية:

أدت هجرة المسلمين إلى المدينة إلى زيادة الأعباء الاقتصادية، الملقاة على عاتق الدولة الناشئة، وشرع القائد الأعلى **صلى الله عليه وسلم** لحل هذه الأزمة بطرق عديدة، وأساليب متنوعة، فكان نظام المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وبناء الصفة التابعة للمسجد النبوي لاستيعاب أكبر عدد ممكن من فقراء المهاجرين، واهتم **صلى الله عليه وسلم** بدراسة الأوضاع الاقتصادية في المدينة، فرأى أن القوة الاقتصادية بيد اليهود، وأنهم يملكون السوق التجارية في المدينة وأموالها، ويتحكمون في الأسعار والسلع ويحتكرونها، ويستغلون حاجة الناس، فكان لا بد من بناء سوق للمسلمين لينافسوا اليهود على مصادر الثروة والاقتصاد في المدينة، وتظهر فيها آداب الإسلام وأخلاقه الرفيعة في عالم التجارة، فحدد **صلى الله عليه وسلم** مكانا للسوق في غرب المسجد النبوي وخطه برجله، وقال: «هذا سوقكم فلا ينتقص ولا يضرين عليه خراج»⁽¹⁾.

إن المنهج الرباني عالج المشكلة الاقتصادية عن طريق القصص القرآني، لكي يتعظ الناس، ويعتبرون بمن مضى من الأقوام، ولم يترك الجانب التشريعي التعبدية، الذي له أثر في البناء التنظيمي التربوي، فقد كان المولى عز وجل يرعى هذه الأمة، وينقل خطاها لكي تكون مؤهلة لحمل الأمانة وتبليغ الرسالة ولا فرق في وسط هذه الدولة بين الأمور الصغيرة والأمور الكبيرة؛ لأنها كلها تعمل لرفع بنائها، ووقوفها شامخة أمام الأعاصير التي تجتمل مواجهتها ومن هذه الشعائر التعبدية التي فرضت في السنتين الأوليين من الهجرة، الزكاة، وزكاة الفطر، والصيام وتلاحظ سنة التدرج في بناء المجتمع المسلم ومراعاته لواقع الناس، والانتقال بهم نحو الأفضل دون اعتساف أو تعجيل، بل كل شيء في وقته⁽²⁾.

ثانياً: بعض التشريعات:

1- تشريع فريضة الصيام:

في السنة الثانية للهجرة من شهر شعبان فرض الله تعالى فريضة الصيام وجعله ركناً من أركان الإسلام، كما فرضه على الأمم السابقة، وفي ذلك تأكيد على أهمية هذه العبادة الجليلة ومكانتها. قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [البقرة: 183].

2- تشريع زكاة الفطر:

¹ (?) ابن ماجه، كتاب التجارات، باب الأسواق (2/751).
² (?) انظر: دراسات في عصر النبوة للشجاع، ص 166، 168.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

وفي رمضان من نفسي العام شرع الله سبحانه وتعالى زكاة الفطر وهي على كل حر أو عبد، وذكر أو أنثى، وصغير أو كبير من المسلمين، والحكمة من فرضية هذه الزكاة وإلزام المسلمين بها ظاهرة وجلية، قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما «فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين، من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد لصلاة فهي صدقة من الصدقات»⁽¹⁾

3- صلاة العيد:

وفي هذه السنة صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة العيد، فكانت أول صلاة صلاها، وخرج بالناس إلى المصلى يهللون الله، ويكبرونه، ويعظمونه شكراً لله على ما آفأ عليهم من النعم المتتالية.

4- تشريع الزكاة:

وفي السنة الثانية للهجرة شرع الله الزكاة التي هي ركن من أركان الإسلام، وكان ذلك بعد شهر رمضان؛ لأن تشريع الزكاة العامة كان بعد زكاة الفطر، وزكاة الفطر كانت بعد فرض صيام رمضان قطعاً، يدل على هذا ما رواه الأئمة أحمد وابن خزيمة والنسائي وابن ماجة والحاكم من حديث قيس بن سعد بن عبادة قال: «أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بصدقة الفطر قبل أن تنزل الزكاة، ثم نزلت فريضة الزكاة، فلم يأمرنا ولم ينهنا ونحن نفعله»⁽²⁾ قال الحافظ ابن حجر: إسناده صحيح⁽³⁾ وجمهور العلماء سلفاً وخلفاً على أن مشروعية الزكاة إنما كانت بالمدينة في السنة الثانية⁽⁴⁾.

5- زواجه صلى الله عليه وسلم بعائشة رضي الله عنها:

عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عائشة في مكة قبل الهجرة، وهي ابنة ست سنين وبعد وفاة خديجة، وبنى بها في المدينة وهي ابنة تسع سنين، وذلك في شهر شوال من السنة الأولى للهجرة⁽⁵⁾.

فكانت حركة الدعوة والجهاد والتربية وبناء الدولة مستمرة ولم تتعطل حالات الزواج في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، بل الزواج والإكثار منه كان عادياً جداً في حياتهم كالطعام والشراب، وذلك من مظاهر أن الإسلام دين الفطرة والواقع، بل إن الزواج جزء مهم في بناء المجتمع المسلم⁽⁶⁾.

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بنى بعائشة رضي الله

1 (?) أبو داود، كتاب الزكاة، باب زكاة الفطر رقم 1609.

2 (?) صحيح سنن النسائي، للألباني، كتاب الزكاة، باب فرض صدقة الفطر قبل نزول الزكاة، ورقمه (2506) وصححه.

3 (?) فتح الباري (3/207). (4) انظر: السيرة النبوية لأبي شعبة (2/111).

5 (?) انظر: من معين السيرة، ص 168.

6 (?) انظر: الأساس في السنة (1/420).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

عنها، وهو في الرابعة والخمسين من عمره، وحيثما يذكر هذا الرقم يتبادر للذهن الشيب والضعف ونفسية أصابتها الشيخوخة، ولا شك أن مرور الأعوام هو مقياس أعمار الناس كقاعدة عامة، ولكن المقياس الحقيقي هو حيوية الإنسان ونشاطه وقدرته على المبادرة والعمل، فقد نجد إنساناً في الثلاثين يحمل في جسمه ونفسيته أعباء الخمسين، وقد نجد بعض الأحيان إنسان الخمسين فلا نحكم عليه بأكثر من الثلاثين، وشخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فذة في هذا الميدان فهو -وهو في الخمسين- كان رجلاً في عنفوان شبابه همة وعزماً ومضاءً ورجولة إنه في هذا لا يساويه أي إنسان صلى الله عليه وسلم.

إن الفارق في العمر بينه صلى الله عليه وسلم وبين عائشة لم يكن ذلك الفارق الكبير من وجهة النظر العملية، فها هو صلى الله عليه وسلم يسابق السيدة عائشة فتسبقه مرة، ويسبقها أخرى، فيقول: «هذه بتلك»⁽¹⁾ والأمثلة في حياته كثيرة⁽²⁾.

ويستطيع كل ذي نظر أن يدرك الحكمة الجليلة التي كانت وراء زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من عائشة، رضي الله عنها، فقد تم هذا الزواج الميمون في مطلع الحياة في المدينة، ومع بداية المرحلة التشريعية من حياته صلى الله عليه وسلم، ومما لا شك فيه أن الإنسان يقضي جزءاً كبيراً من حياته في بيته ومع أسرته، وكان لا بد من نقل سلوك الرسول الكريم في هذا الجانب من حياته إلى الناس، حتى يستطيعوا التماسي به، وكانت تلك مهمة السيدة عائشة على الخصوص وبقية أمهات المؤمنين رضي الله عنهن.

فقد استطاعت السيدة عائشة بما وهبها الله من ذكاء وفهم أن تؤدي دورها على خير ما يرام، وإن نظرة غابرة لأي كتاب من كتب السيرة تبين وتؤكد ما ذهبت إليه، وقد ساعدتها على ذلك أن الله تعالى كتب لها الحياة ما يقرب من خمسين عاماً بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وساعدتها تلك المدة على أن تبلغ ما وعته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فرضي الله عنها⁽³⁾.

انتهى الجزء الأول ويليه الجزء الثاني والأخير ويبدأ بالفصل الثامن «غزوة بدر الكبرى»

(?)، (3) من معين السيرة، ص 172.

³ (?) انظر: من معين السيرة، ص 173.

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

فهرس الكتاب

المقدمة

الفصل الأول: أهم الأحداث التاريخية قبل البعثة حتى نزول
الوحي

المبحث الأول: الحضارات السائدة قبل البعثة ودياناتها

المبحث الثاني: أصول العرب وحضارتهم

أولاً: أصول العرب

ثانياً: حضارات الجزيرة العربية

**المبحث الثالث: الأحوال الدينية والسياسية والاقتصادية
والاجتماعية والأخلاقية عند العرب**

أولاً: الحالة الدينية

ثانياً: الحالة السياسية

ثالثاً: الحالة الاقتصادية

رابعاً: الحالة الاجتماعية

خامساً: الحالة الأخلاقية

**المبحث الرابع: أهم الأحداث قبل مولد الحبيب
المصطفى صلى الله عليه وسلم**

أولاً: قصة حفرة عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم
لزمزم

ثانياً: قصة أصحاب الفيل

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

المبحث الخامس: من المولد النبوي الكريم إلى حلف الفضول

.....
أولاً: نسب النبي صلى الله عليه وسلم

.....
ثانياً: زواج عبد الله بن عبد المطلب من آمنة بنت وهب ورؤيا آمنة
أم النبي صلى الله عليه وسلم

.....
ثالثاً: ميلاد الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم

.....
رابعاً: مرضعاته صلى الله عليه وسلم

.....
خامساً: وفاة أمه وكفالة جده ثم عمه

.....
سادساً: عمله صلى الله عليه وسلم في الرعي

.....
سابعاً: حفظ الله تعالى لنيبه قبل البعثة

.....
ثامناً: لقاء الراهب بحيرا بالرسول وهو غلام

.....
تاسعاً: حرب الفجار

.....
عاشراً: حلف الفضول

المبحث السادس: تجارته لخديجة وزواجه منها وأهم الأحداث إلى البعثة

.....
أولاً: تجارته صلى الله عليه وسلم لخديجة وزواجه منها

.....
ثانياً: اشتراكه صلى الله عليه وسلم في بناء الكعبة الشريفة

.....
ثالثاً: تهيئة الناس لاستقبال نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

الفصل الثاني: نزول الوحي والدعوة السرية المبحث الأول: نزول الوحي على سيد الخلق أجمعين

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

صلى الله عليه وسلم

أولاً: الرؤيا الصالحة

ثانياً: ثم حبب إليه الخلاء

ثالثاً: حتى جاءه الحق وهو في غار حراء

رابعاً: الشدة التي تعرض لها النبي صلى الله عليه وسلم ووصف
ظاهرة الوحي

خامساً: أنواع الوحي

سادساً: أثر المرأة الصالحة في خدمة الدعوة

سابعاً: وفاء النبي صلى الله عليه وسلم للسيدة خديجة رضي الله
عنها

ثامناً: سنة تكذيب المرسلين

تاسعاً: قوله: (وفتر الوحي)

المبحث الثاني: الدعوة السرية

أولاً: الأمر الرباني بتبليغ الرسالة

ثانياً: بدء الدعوة السرية

ثالثاً: استمرار النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة

رابعاً: أهم خصائص الجماعة الأولى التي تربت على يدي رسول
الله صلى الله عليه وسلم

خامساً: شخصية النبي صلى الله عليه وسلم وأثرها في صناعة
القادة

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

سادساً: المادة الدراسية في دار الأرقم

سابعاً: الأسباب في اختيار دار الأرقم

ثامناً: من صفات الرعيل الأول

تاسعاً: انتشار الدعوة في بطون قریش وعالميتها

المبحث الثالث: البناء العقدي في العهد المكي

أولاً: فقه النبي صلى الله عليه وسلم في التعامل مع السنن

ثانياً: سنة التغيير وعلاقتها بالبناء العقدي

ثالثاً: تصحيح الجانب العقدي لدى الصحابة

رابعاً: وصف الجنة في القرآن الكريم وأثره على الصحابة

خامساً: وصف النار في القرآن الكريم وأثره في نفوس الصحابة

سادساً: مفهوم القضاء والقدر وأثره في تربية الصحابة

سابعاً: معرفة الصحابة لحقيقة الإنسان

ثامناً: تصور الصحابة لقصة الشيطان مع آدم عليه السلام

تاسعاً: نظرة الصحابة إلى الكون والحياة وبعض المخلوقات

المبحث الرابع: البناء التعبدى والأخلاقي في العهد المكي

أولاً: تركية أرواح الرعيل الأول بأنواع العبادات

ثانياً: التربية العقلية

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

.....
ثالثاً: التربية الجسدية

.....
رابعاً: تربية الصحابة على مكارم الأخلاق، وتنقيتهم من الرذائل

.....
خامساً: تربية الصحابة على مكارم الأخلاق من خلال القصص
القرآني

..... الفصل الثالث: الجهر بالدعوة وأساليب المشركين في محاربتها المبحث الأول: الجهر بالدعوة

.....
أهم اعتراضات المشركين:

.....
أولاً: الإشراف بالله

.....
ثانياً: كفرهم بالآخرة

.....
ثالثاً: اعتراضهم على الرسول صلى الله عليه وسلم

.....
رابعاً: موقفهم من القرآن الكريم

.....
خامساً: دوافع إنكار دعوة الإسلام في العهد المكي

..... المبحث الثاني: سنة الابتلاء

.....
حكمة الابتلاء وفوائده

..... المبحث الثالث: أساليب المشركين في محاربة الدعوة

.....
أولاً: محاولة قريش لإبعاد أبي طالب عن مناصرة وحماية رسول
الله صلى الله عليه وسلم

.....
ثانياً: محاولة تشويه لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم

.....
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

.....
مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

ثالثاً: ما تعرض له رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى والتعذيب

رابعاً: ما تعرض له أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى والتعذيب

خامساً: حكمة الكف عن القتال في مكة واهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بالبناء الداخلي

سادساً: أثر القرآن الكريم في رفع معنويات الصحابة

سابعاً: أسلوب المفاوضات

ثامناً: أسلوب المجادلة ومحاولة التعجيز

تاسعاً: دور اليهود في العهد المكي واستعانة مشركي مكة بهم

عاشرًا: الحصار الاقتصادي والاجتماعي في آخر العام السابع من البعثة

الفصل الرابع: هجرة الحبشة ومحنة الطائف ومنحة الإسراء

المبحث الأول تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع سنة الأخذ بالأسباب

المبحث الثاني: الهجرة إلى الحبشة

أولاً: الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة

ثانياً: أسباب عودة المسلمين إلى مكة بعد هجرتهم الأولى

ثالثاً: هجرة المسلمين الثانية إلى الحبشة

المبحث الثالث: عام الحزن ومحنة الطائف

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

أولاً: عام الحزن

.....
ثانياً: رحلة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الطائف

المبحث الرابع: الإسراء والمعراج ذروة التكريم

.....
أولاً: قصة الإسراء والمعراج كما جاءت في بعض الأحاديث

.....
ثانياً: فوائد ودروس وعبر

.....
الفصل الخامس: الطواف على القبائل وهجرة الصحابة إلى المدينة

المبحث الأول: الطواف على القبائل طلباً للنصرة

.....
أولاً: من أساليب النبي صلى الله عليه وسلم في الرد على مكائد أبي جهل والمشركين أثناء الطواف على القبائل

.....
ثانياً: المفاوضات مع بني عامر

.....
ثالثاً: المفاوضات مع بني شيبان

.....
رابعاً: فوائد ودروس وعبر

المبحث الثاني: مواكب الخير وطلائع النور

.....
أولاً: الاتصالات الأولى بالأنصار في مواسم الحج والعمرة

.....
ثانياً: بدء إسلام الأنصار

.....
ثالثاً: بيعة العقبة الأولى

.....
رابعاً: قصة إسلام أسيد بن حضير وسعد بن معاذ رضي الله عنهما

.....
خامساً: فوائد ودروس وعبر

.....
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

المبحث الثالث: بيعة العقبة الثانية

المبحث الرابع: الهجرة إلى المدينة

أولاً: التمهيد والإعداد لها

ثانياً: تأملات في بعض آيات سور العنكبوت

ثالثاً: طلائع المهاجرين

رابعاً: من أساليب قريش في محاربة المهاجرين ومن مشاهد العظمة في الهجرة

خامساً: البيوتات الحاضنة وأثرها في النفوس

سادساً: لماذا اختيرت المدينة كعاصمة للدولة الإسلامية؟

سابعاً: من فضائل المدينة

الفصل السادس: هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه
الصدیق

المبحث الأول: فشل خطة المشركين والترتيب النبوي الرفيع للهجرة

أولاً: فشل خطة المشركين لاغتيال النبي صلى الله عليه وسلم

ثانياً: الترتيب النبوي للهجرة

ثالثاً: خروج الرسول صلى الله عليه وسلم ووصوله إلى الغار

رابعاً: دعاء النبي صلى الله عليه وسلم عند خروجه من مكة

خامساً: عناية الله سبحانه وتعالى ورعايته لرسوله صلى الله عليه وسلم

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

سادساً: خيمة أم معبد في طريق الهجرة

سابعاً: سراقه بن مالك يلاحق رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثامناً: سبحان مقلب القلوب

تاسعاً: استقبال الأنصار لرسول الله صلى الله عليه وسلم

عاشرأ: فوائد ودروس وعبر

المبحث الثاني: الثناء على المهاجرين بأوصاف حميدة والوعد لمن هاجر منهم والوعيد لمن تخلف

أولاً: الثناء على المهاجرين بأوصاف حميدة

ثانياً: الوعد للمهاجرين

ثالثاً: الوعيد للمتخلفين عن الهجرة

الفصل السابع: دعائم دولة الإسلام في المدينة المبحث الأول: بناء المسجد الأعظم بالمدينة

أولاً: بيوتات النبي صلى الله عليه وسلم التابعة للمسجد

ثانياً: الأذان في المدينة

ثالثاً: أول خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة

رابعاً: الصُفة التابعة للمسجد النبوي

خامساً: فوائد ودروس وعبر

المبحث الثاني: المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

.....
أولاً: المؤاخاة في المدينة

.....
ثانياً: الدروس والعبر والفوائد

..... المبحث الثالث: الوثيقة أو الصحيفة

.....
أولاً: كتابه صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار واليهود

.....
ثانياً: دروس وعبر وفوائد من الوثيقة

.....
ثالثاً: موقف اليهود في المدينة

.....
رابعاً: إن الله لا يصلح عمل المفسدين

..... المبحث الرابع: سنة التدافع وحركة السرايا

.....
أولاً: سنة التدافع

.....
ثانياً: من أهداف الجهاد في سبيل الله تعالى

.....
ثالثاً: أهم السرايا والبعوث التي سبقت غزوة بدر الكبرى

.....
رابعاً: فوائد ودروس وعبر

..... المبحث الخامس: استمرارية البناء التربوي والعلمي

.....
أولاً: أهم هذه الوسائل والمبادئ التربوية

.....
ثانياً: من أخلاق الصحابة عند سماعهم للنبي صلى الله عليه وسلم

..... المبحث السادس: أحداث وتشريعات

.....
أولاً: معالجة الأزمة الاقتصادية

.....
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

ثانياً: بعض التشريعات

فهرس الكتاب

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net